

جَوَاهِرُ التَّلْبِيج

عَلَيْكُوكَارَانِ الْعَالَمَيْنِ

المُجَلَّدُ الْكَافِعُ

سيرة الإمام زين العابدين عَلَيْهِ وِمَا جهته لخطط التحرير الأموي

الطبعة الأولى - ١٤٢٧



جواهر التاج

بِقَلْمِ

عَلِيِّ الْكَوَافِرِ الْعَالَمِيِّ

المجلد الرابع

سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام ومواجهته لخطط التحرير الأموي

الناشر : دار الهدى

الطبعة الأولى - ١٤٢٧

الكتاب.....جواهر التاريخ- المجلد الرابع
المؤلف.....علي الكوراني العاملي
الناشر.....دار الهدى
الطبعة.....الأولى - ١٤٢٧
المطبعة.....ظهور
العدد.....٣٠٠٠ نسخة

ISBN:٩٦٤-٤٩٧-٠٢٥-X

ISBN:٩٦٤-٤٩٧-١٣٥-٣

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام
على سيدنا ونبينا محمد وآلته الطيبين الطاهرين .

يبحث هذا المجلد في سيرة الإمام زين العابدين علیه السلام وعصره ، حيث واصلت الدولة المروانية تنفيذ خطط أبي سفيان ومعاوية في تحرير الإسلام ، وثار الشيعة في العراق مطالبين بدم الإمام الحسين علیه السلام ، بعد ثورة أهل المدينة ، وابن الزبير ، على بنية أمية . وهي فترة خطيرة من تاريخنا الإسلامي ، بهدت لنشوء المذاهب والاتجاهات المواجهة لأهل البيت النبوى علیهم السلام وأعطت (الشرعية) للتحريفات والإسرائيليات ، وأدخلتها في مصادر ثقافة الأمة ومذاهبيها .

وقد نهض الإمام زين العابدين علیه السلام في مواجهة ذلك ، فرداً

التحريفات ، وَكَشَفَ الإِسْرَائِيلِيَّاتُ ، وَاتَّصلَتْ جَهُودُه بِجَهُودِ أَئمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي حَفْظِ الْإِسْلَامِ وَالْأَمَّةِ ، فَلَوْلَا هَا لَمَا وَجَدْتُ الْيَوْمَ فِي مَصَادِرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا التَّحْرِيفُ الْقَرْشِيُّ وَالْأَمْوَيُّ وَالْعَبَاسِيُّ !

ونذَّكُرُ القارئ المحتشم بأن مصادر البحث هي كتب برنامج (مكتبة أهل البيت ع) الذي توقفنا لإعداده ، ومصادر أخرى ذكرناها في محالها ، وذكرنا أحياناً المجلد والصفحة لأكثر من طبعة . والله ولني التوفيق والمثوبة .

كتبه: على الكوراني العاملی

قم المشرفة ، متصف رجب الخير ١٤٢٧

الفصل الأول:

معالم شخصية الإمام زين العابدين ع

١- خطأ التَّصوُّر السائد عن عمل الإمام عليه السلام

كُتِبَ فِي المجلد الثالث نحو عشرين صفحة عن الإمام زين العابدين عليه السلام، ثم لمست الحاجة إلى التفصيل في سيرته المباركة عليه لغنى دوره التأسيسي في الإمامة ، وفي أحداث عصره وما بعده .

وأول ما تلاحظه وأنت تقرأ الإمام عليه عدم صحة التصور السائد عنه بأنه لم يستطع عمل الكثير ، فاتجَّحَ إلى ترسیخ الدين والأخلاق عن طريق الدعاة والعبادة فقط ! فقد كانت العقيدة والعبادة أول ما جسده عليه بأسلوبه الجديد الفياض ، لكنه قدم معهما الكثير في أبعاد الحياة الأخرى .

كما تجد أن من الخطأ تصور أن حياته عليه كانت طوال عمره مهددة ، فقد انحصر الخطر على حياته عليه بعد كربلاء بفترتين قصيرتين: في وقعة الحرَّة ، وفي فترة تسلط ابن الزبير على المدينة ، ثم ارتفع الخطر عنه في خلافة عبد الملك بن مروان ، وكانت مدةً طويلة ، أرسى فيها عبد الملك دولة المراوين ، وبُلُورَ فيها الإمام عليه قوة أهل البيت عليه ووقف في وجه التحريف الأموي للإسلام ، وقدم الإسلام الأصيل للأمة ، مقابل الإسلام الأموي المشوه ! وقد تأثر بشعاع الإمام عليه ثقات واسعة من الأمة ، ثارت على الأمويين باسم زعمائها ، أو باسم أهل البيت الطاهرين عليه .

٢- سماه ربُّه: زين العابدين وسيد العابدين !

قال أهل البيت عليهم السلام إن الذي سماه (زين العابدين) جده رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه حيث أخبر أنه سيولد للحسين ولد يسميه علياً، ينادي يوم القيمة بزين العابدين فقد كان الزهري: (إذا حديث عن علي بن الحسين قال: حدثني زين العابدين علي بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ولم تقول له زين العابدين؟ قال: لأنني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: إذا كان يوم القيمة ينادي مناد أين زين العابدين فكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يختر يختبر بين الصفوف). (علل الشرائع: ٢٢٩/١).

لكن رواة بنى أمية غصباً بهذا الحديث وإعجازه النبوى ! فتجاهلوه وقالوا: (سمى زين العابدين لفترط عبادته). (تهذيب التهذيب: ٣٠٦٧). وحرّقـه بعضهم وقالوا: إن الشيطان ظهر لعلي بن الحسين وأراد أن يلهيه عن صلاتـه فلم يستجب له ولعنه فسمـاه زـين العـابـدين، أو سـمعـ الناسـ هـاتـفاً سـماـهـ بهـ ! وقد تـسـربـ ذلكـ إـلـىـ مـصـادـرـناـ ، وـنـقـلـهـ عـلـمـاؤـنـاـ عـنـهـ بـعـارـةـ (ـقـيلـ)ـ . (ـكـشـفـ الغـمـةـ: ٢٦٠ـ/ـ٢ـ،ـ والـبـحـارـ: ٤٦ـ/ـ٥ـ).

إـنـهـ وـاحـدـ مـنـ أـسـالـيـبـهـ الـعـدـيدـ فـيـ التـقـيـصـ مـنـ مـكـانـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ عليـهمـ السـلامــ حيثـ أـعـرـضـواـ عـنـ الـحـدـيـثـ النـبـوـيـ وـجـعـلـوـاـ أـصـابـعـهـ فـيـ آـذـانـهـ مـعـ شـهـادـةـ النـبـيـ صلـواتـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـامـهــ مـعـ أـنـ هـذـاـ سـنـدـ عـنـهـمـ أـصـحـ أـوـ مـنـ أـصـحـ الأـسـانـيدـ عـلـىـ الإـطـلاقـ !

قال ابن الصلاح: (ورويـناـ عـنـ أـبـيـ بـكـرـ عـنـ أـبـيـ شـيـبةـ قـالـ: أـصـحـ الأـسـانـيدـ كـلـهـ: الـزـهـريـ،ـ عـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـينـ،ـ عـنـ أـبـيـهـ،ـ عـنـ عـلـيـ).ـ وـسـيرـ الذـهـبـ: ٣٩١ـ/ـ٤ـ،ـ وـسـلـسلـةـ الـذـهـبـ لـابـنـ حـجـرـ ٩ـ،ـ وـغـيرـهـ .

٣- كنيته وألقابه وصفاته البدنية

(كنيته أبو محمد ، ويكنى بأبي الحسن أيضاً ، وبأبي القاسم . ولقبه: سيد العابدين ، وزين العابدين ، والسبجاد ، ذو الثفنتات). (اعلام الورى: ٤٨٠/١).

(أشهرها: زين العابدين ، وسيد العابدين ، والزكي ، والأمين ، ذو الثفنتات... قال أبو نعيم: وقيل علي يكنى أبا الحسن ، كنأه محمد بن إسحاق بن الحارث . وفي كتاب مواليد أهل البيت لابن الخشاب: كنيته أبو محمد ، وأبو الحسن ، وأبو بكر ، ولقبه الزكي ، وزين العابدين ، ذو الثفنتات ، والأمين). (البحار: ٥/٤٦).

(زين العابدين، سيد الساجدين، سيد العابدين، ذو الثفنتات) (تثبيت الإمامة للبرسي: ٦٩).

(زين العابدين ، سيد الساجدين ، السبجاد ، ذو الثفنتات ، الزكي ، الأمين ، الخاشع ، الزاهد ، البكاء ، أبو الأئمة . كنأه: أبو الحسن ، أبو محمد ، أبو القاسم ، أبو بكر). (مجلة تراثنا: ٥٨/٢١).

ومعنى ذي الثفنتات: أن السجود قد أثر في جبهته فصارت خشنة ، فشبهوها بخشنة البعير ، وهي بفتح الثاء وكسر الفاء: ما يقع على الأرض من صدر البعير. (السان العربي: ٣٧٣). وكان عليه يقطع كل سنة من جبهته خمس ثفنتات . (المناقب: ٤٣/٤).

وسمى السبجاد لأنه: (ما ذكر الله نعمة عليه إلا سجد ، ولا قرأ آية من كتاب الله فيها سجدة إلا سجد ، ولا دفع الله عنه شرآ يخشاه أو كيد كائد إلا سجد ، ولا فرغ من صلاته مفروضة إلا سجد ، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد . وكان كثير السجود في جميع مواضع سجوده فسمى السبجاد لذلك) (المناقب: ٣٣/٤).

وورد في زيارته عليه السلام: (السلام على النور الساطع ، والبرق اللامع ، والعالم البارع ، سليل النبوة ، وفطيم الوصية ، خدن التأويل ، والزناد الأقدح ، والفناء الأفيع ، والمتجر الأربع ، برج البروج ، ذي الثفنتان ، راهب العرب ، السجاد ، زين العابدين البكاء ، علي بن الحسين). (زار محمد بن المشهدى/١٠٥).

وقال العصامي في سبط النجوم: (كنته أبو الحسن ، وقيل أبو محمد ، وقيل أبو بكر . ألقابه: زين العابدين ، والزكي ، والأمين ، ذو الثفنتان ، وزين العابدين أشهرها . صفتة: أسمر قصير رقيق). والنصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٨٩ .
 أقول: وصفهم للإمام عليه السلام بأنه قصير رقيق الجسم ، من تنقيصهم لشخصيته ، ففي دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبرى (الشيعى): ١٩٩: (عن الأعمش ، عن قدامة بن عاصم قال: كان علي بن الحسين عليه السلام رجلاً أسمر ضخماً من الرجال ، وكان ينظر إلى صريمة فيها ظباء(قطيع) فيسبق أوائلها ، ويردها على أواخرها). وإثبات الهداة: ٢٥٥/٥ ، ومدينة المعاجز: ٢٥٧/٤ . فقوله ضخم من الرجال ، وأسرع من الغزلان ، يدلان على قوة بنية جسمه ، وهذا ينافي وصفه برقة الجسم والقصر . وكذا أشك في قولهم أسمر ، إلا أن يقصدوا أنه حنطي اللون فمن أين جاءته السمرة وأبواه وأجداده عليهم السلام يرضي مشربون بحمرة .

ويؤيد ذلك ما رووه في قصيدة الفرزدق عليه السلام، كما في طبقات السبكي: ٢٩٠/١: (إذ أقبل علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان من أحسن الناس وجهاً). وقال ابن كثير في النهاية: ١٢٦٧٩: (تحنى عنه الناس إجلالاً له وهيبةً واحتراماً وهو في بزة حسنة وشكل مليح). وفي تاريخ دمشق: ٤٠١/٤١: وغيرها: (فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرةً وجهه كأنه مرآةً). وفي موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام: ٣٩/٣: (قال عبد الله بن المبارك: حجبت

في بعض السنين ، في بينما أنا أسير في عرض الحاج إذا أنا بشباب وسيم الوجه ،
يسير ناحية عن الحاج ، بلا زاد ولا راحلة ، فتقدمت إليه وسلمت عليه...).

وفي الكافي: (كنت في المسجد فدخل علي بن الحسين ولم أثبته ، وعليه
عمامة سوداء قد أرسل طرفها بين كتفيه ، فقلت لرجل قريب المجلس مني:
من هذا الشيخ... لم أرأ أحداً دخل المسجد أحسن هيئة في عيني من هذا
الشيخ.. قال: فإنه علي بن الحسين عليه السلام). انتهى.

وقد وردت له ألقاب أخرى مثل: راهب العرب ، وابن الخيرتين ، وسيد
الساجدين، وهذا اللقب الأخير أثار أعصابهم ، لأن فيه كلمة (سيد) وعندهم
حساسية منها ، لأنها تدل على تفضيل أهل البيت عليهما السلام على الصحابة !

حسد المخالفين للقب سيد العابدين وسيد الساجدين !

قال ابن حجر في الصواعق: (وكفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر
أنه قال له وهو صغير: رسول الله يسلم عليك ! فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت
جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال: يا جابر يولد له مولود اسمه
علي ، إذا كان يوم القيمة نادى مناد ليقم سيد العابدين ، فيقوم ولده ، ثم يولد
له ولد اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام). انتهى.

وروى هذا الحديث الناصبي ابن كثير في النهاية: (١٤٩)، واستغربه ، لكنه لم
يضعفه لما سترعف ! قال: (وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي: ثنا العلاء
ثنا إبراهيم بن بشار ، عن سفيان بن عيينة، عن أبي الزبير قال: كنا عند جابر بن
عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال: كنت عند رسول الله (ص) فدخل
عليه الحسين بن علي فضممه إليه وقبله وأقعده إلى جنبه، ثم قال: يولد لابني
هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيمة نادى مناد من بطان العرش: ليقم

سيد العابدين فیقوم هو ! هذا حديث غريب جداً ، أورده ابن عساكر).

ورووا ابن الصباغ في الفصول المهمة: ٨٩٤/٢ ، وفيه: (وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك

بعد رؤيته يسير . فلم يعش جابر بعد ذلك إلا قليلاً).

وروروا أن الزهرى وابن المسیب كانا يسميان الإمام عليه السلام سيد العابدين، وهو

يدل على أن الحديث النبوى كان معروفاً للتابعين .

قال ابن الصباغ في الفصول المهمة: ٨٦٢/٢: (وجلس إلى سعيد بن المسیب فتى

من قريش فطلع علي بن الحسين فقال القرشي لابن المسیب: من هذا يا أبا

محمد؟ فقال هذا سيد العابدين علي بن الحسين) ! وشرح الأسبار: ٢٧٣/٣.

وفي تاريخ دمشق: ٤٠٤/٤١، عن الزهرى قال: (سمعت علي بن الحسين سيد

العابدين يحتسب نفسه ويناجي ربه ويقول: يا نفس حاتم إلى الدنيا غرورك..).

وقال ابن حبان في الثقات: ١٦٠/٥: (وكان يقال بالمدينة إن علي بن الحسين سيد

العابدين في ذلك الزمان) ! انتهى.

أما عندنا فقد صحت روایته واستفاضت، ففي الكافي: ٥٢٨١، في حديث اللوح

القدسی الذي جاء به حبرئيل عليه السلام: (فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء

درجة ، جعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده ، بعترته أثیب وأعاقب ،

أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين). والفضائل ابن شاذان: ١١٣).

كما وصفه بذلك الإمام الرضا عليه السلام في حديث سلسلة الذهب المشهور، الذي

حدث به العلماء والحافظ في نيسابور، قال عليه السلام: (حدثني أبي العدل الصالح

موسى بن جعفر قال موسى حدثني أبي الصادق جعفر بن محمد حدثني أبي

أبو جعفر باقر العلم ، علم الأنبياء قال أبو جعفر حدثني أبي علي بن الحسين

سيد العابدين حدثني أبي سيد أهل الجنة الحسين حدثني أبي سيد العرب علي

بن أبي طالب رضوان الله عليهم قال سألت رسول الله ﷺ ما الإيمان قال..).
(ذكر إصبهان: ١٣٨١، وقال: أبو علي قال لي أحمد بن حنبل: إن قرأت هذا الإسناد على مجnoon برأي من جنونه. وما عيب هذا الحديث إلا جودة إسناده).

راجع قصة الحديث وعظمة سنته ، واستثناء بعضهم به ، نفحات الأزهار للسيد الميلاني: ٦٧١٠ .
لكن مع كل ذلك ، وجد أتباع الخلافة هذا الحديث مذنبًا ، لأنه يفضل أحد
أئمة أهل البيت عليه السلام على الصحابة ، فصار واجبهم مهاجمته !

فمن طرق الهجوم عندهم أنهم تعمدوا التدليس، فأخذوا طريقاً للحديث فيه
راو ضعيف عندهم فهاجموه بسببه ، وأخروا بقية الطرق كأنها لا وجود لها !
قال الذهبي في ميزان الاعتدال: ٥٥٠/٣ ، وابن حجر في لسان الميزان: ١٦٨/٥: (محمد
بن زكريا الغلاibi البصري الأخباري أبو جعفر، عن عبد الله بن رجاء الغданى
وأبي الوليد والطبة . وعنه أبو القاسم الطبرانى وطاقة . وهو ضعيف وقد ذكره
ابن حبان فى كتاب الثقات وقال: يعتبر بحديشه إذا روى عن ثقة . وقال ابن
مندة: تكلم فيه . وقال الدارقطنى: يضع الحديث .

الصولى، حدثنا الغلاibi، حدثنا إبراهيم بن بشار عن سفيان عن أبي الزبير
قال: كنا عند جابر فدخل على بن الحسين فقال جابر: دخل الحسين فضممه
النبي..ال الحديث، ثم قال الذهبي: فهذا كذب من الغلاibi)! انتهى.

هكذا شهد الذهبي رجماً بالغيب أن محمد بن زكريا الغلاibi وضعه ، لأن
الدارقطنى اتهمه بالوضع ، مع أن ابن معين وهو إمام عندهم ، وثقة !
قال المناوي في فيض القدير: ٩٤١/٥: (أورده الذهبي في الضعفاء أيضاً وقال:
وثقه ابن معين ، وقال أحمد ليس بقوى، والن sai والطبراني والدارقطني:
ضعف ، وأبو الجوزاء: قال البخاري فيه نظر).

وقال ابن الجوزي في الموضوعات: ٤٤/٢: (هذا حديث موضوع بلا شك ، والمتهم به الغلابي . قال الدارقطني: كان يضع الحديث) .

أقول: إنما ضعفوه واتهموه بالوضع ، لأنه من وجوه علماء الشيعة في البصرة (معالم العلماء، ١٥٢١، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ٩٤/١٧)، وظيفي أن تكون بعض أحاديثه ثقيلة عليهم كهذا الحديث ! لكنهم اتفاقيون في التضليل والتصحيف ، فلو أرادوا تصحيح حديث الغلابي لاحتتجوا بتوثيق إمامهم ابن معين وغيره له . على أن الذهبي ارتكب ما هوأساً فداس وصوّر كأن الحديث محصور بطريق الغلابي، وتبعه غيره ! وهنا تعرف لماذا لم يجرؤ ابن كثير على تضليله فقد رواه عن ابن عساكر بطريق آخر ليس فيه الغلابي ! وطريقه هو: (الصولي: ثنا العلاء ، ثنا إبراهيم بن بشار ، عن سفيان بن عيينة، عن أبي الزبير). والعلاء هذا هو العلاء بن عبد الله بن الضحاك ، أو محمد بن العلاء السجزي ، اللذين يروي عنهما الصولي . (بدائع البداية لابن ظافر: ٢٦، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري: ٤٣٤).

ولهم محاولة أخرى لتخريب الحديث وتسمية النبي ﷺ حفيده عليه السلام بـ سيد الساجدين: أنهم وجدوا صوفياً فارسياً يدعى أن يعيش في سردارب ، عاش بعد الإمام سيد العابدين عليه السلام بنصف قرن وأكثر ، فزعموا أن رابعة العدوية الصوفية سمعته (سيد العابدين) ! ففرحوا بذلك وشكروا لله تعالى ، ورووه في مدحه ! قال كبير حفاظهم أبو نعيم في حلية الأولياء: ٢٤٥/٦: (قيل لعبد العزيز الراسي وكانت رابعة تسميه سيد العابدين: ما بقي مما تلذ به؟ قال: سردارب أخلو به فيه). ومثله تماماً الذهبي في تاريخه: ٢٤٧/١١، وكرره في: ٢٦٨/١٥، وصفة الصفة: ٣٧٩/٣، والمنتظم: ٨/١٢٦، وتاريخ دمشق: ٣٣٤/٣٦، والزهد للبيهقي: ١٠٢، والنجم الراهن: ١٥/٢، وغيرها! .

ولهم محاولة ثالثة لتخريب الحديث ، بطلها السخاوي ! قال في التحفة اللطيفة: (من أفضيل بنى هاشم وفقهاء أهل المدينة وعبادهم ، بل كان يقال بالميدينة إنه في ذلك الزمان سيد العابدين). انتهى.

فقد تبرع بحصر اللقب في ذلك العصر لثلا يشمل ما قبله وما بعده . مع أن الحديث النبوي نص على أنه لقب تكريم من الله تعالى ، ونداء للإمام علي بن الحسين عليه السلام يوم القيمة ، وكان السخاوي رأى أن هذا التكريم كثير فقلل منه !

ولهم محاولة رابعة لتخريب الحديث ، بطلها ابن تيمية !

فقد أفرط كعادته وكذب أصل وجود الحديث النبوي ! قال في منهاجه: ٤٠٠/٤: ردًا على قول العلامة الحلي فتاوى: (وسماه رسول الله عليه السلام سيد العابدين)، فقال: (ما ذكر من تسمية رسول الله(ص) له سيد العابدين ، هو شئ لا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل العلم والدين) !

ورد عليه آية الله الميلاني في شرح منهاج الكرامة: ١٤٧/١، فقال: (وأما تسمية الرسول عليه السلام إياه سيد العابدين فذاك مروي عن رسول الله عليه السلام في كتب الفريقين ، ومنمن رواه من العامة الحافظ سبط ابن الجوزي عن المدائني عن جابر بن عبد الله...وذكر الحديث ثم قال: وقال ابن حجر المكي بترجمة ولده الإمام الباقر عليه السلام: وكفاء شرفاً...الغ. ورواه أبو عمر الزاهد في كتابه الياقوت عن الزهرى...ولقد جاء وصفه عليه السلام بسيد العابدين أو زين العابدين في سائر الكتب المذكورة فيها أحواله وترجمته مثل: وفيات الأعيان: ٤٢٩/٢، حلية الأولياء: ١٣٣/٣، طبقات ابن سعد: ١٥٧/٥، تذكرة الحفاظ: ٧٤/١، تهذيب التهذيب: ٣٠٤/٧، طبقات الحفاظ: ٣٧/١، طبقات القراء: ٥٣٤/١. فهل يكفي هذا القدر لبيان كذب الرجل) انتهى.

ولهم محاولات دون ذلك كما فعل الشاطبي ! فوصف أوس القرني رحمه الله بأنه سيد العابدين بعد الصحابة ! قال في الإعتصام: ٣٠١/٣٠: (نقل عن سيد العابدين بعد الصحابة أوس القرني أنه قال: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدعا للمؤمن صديقاً ، نأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا ! ويجدون على ذلك أعواضاً من الفاسقين) انتهى.

فقد وصف الشاطبي أوس القرني رحمه الله بأنه سيد العابدين بعد الصحابة ، لكن فاته أن هؤلاء الحكام وأعوانهم الفسقة الذين كان يشكو منهم أوس ، ولا يتحملون النهي عن المنكر ؟! إنما هم نفس الصحابة الذين قال إن أوسياً سيد العابدين بعدهم !

○ ○

٤- ابن سيد العرب وسيدة الفرس

وجه نوراني هادئ ، يحمل سمات من نور الله ، وملامح ضاربة في العراقة من أبيه الحسين إلى جده إبراهيم عليهما السلام ، ومن أمه شهزنان بنت يزدجرد إلى أعلى أعرق الفرس ، فقد اتفق المحدثون والنسابون على أن أم الإمام عليهما السلام من ذرية كسرى قال في الكافي: (وكان يقال لعلي بن الحسين عليهما السلام: ابنُ الْخِيرَتِينَ ، فخيرة الله من العرب هاشم ، ومن العجم فارس . وروي أن أبو الأسود الدؤلي قال فيه:

وإن ولیداً بين كسری وهاشم لأکرم من نیطتْ علیه التمامُ.

(الكافی: ٤٦٧١، ٤٦٧١، ومناقب آل أبي طالب: ٣٤٠/٣، ونسبة في الأغانی: ٢٥٦٢/١ إلى ابن ميادة).

وفي إعلام الورى: (اسم أمه شاه زنان وقيل شهربانويه، وكان أمير المؤمنین عليهما السلام ولی حربیث بن جابر الحنفی جانباً من المشرق فبعث إليه بيته يزدجرد بن شهریار ، فتحل ابنه الحسين عليهما السلام إدھاما فأولادها زین العابدين عليهما السلام ونجل الأخرى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فهما ابنا خالة). انتهى. وقد ذكر خ Howellته من عائلة كسرى كل من أرخ له عليهما السلام السنّة والشيعة ! وروروا أن النبي عليهما السلام رغببني هاشم في هذه العراقة العالية فقال: (يابني هاشم عليكم بنساء الأعاجم فالتمسوا أولادهن، فإن في أرحامهن البركة). (معنى ابن قدامة: ٤٦٨٧، والكافی: ٤٧٤/٥).

لكن يواجهك مرض الرواة في التنقيص من أهل البيت عليهما السلام! مرّة بالتشكيك في أصل ذلك ، ومرة باثباته وجعله نقصاً !

فقد كانت الخوذة الفارسية عندهم فخرًا في زمن تأسيس الفرس للمذاهب

وتألifiehem مصادرها بأمر المنصور العباسي ومن بعده ! فقد كان مؤسسوها من الفُرس ، وقد وضعوا أحاديث في مدح قومهم ! وبعضهم (مَدَح) الإمام زين العابدين عليه السلام باتسابه من جهة أمه الى ملوك الفرس ، لكن بعضهم حسده وأنكر أن يكون الإمام عليه السلام ابن بنت ملكهم وسيدهم !

أما في عصرنا فصار هذا الإتساب نقصاً لأن النواصب قاموا بحملة ضد مذهب أهل البيت عليهم السلام، وزعموا أن الفرس المجروس هم الذين أسسوا التشيع وادعوا وراثتهم للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه عن طريق بنت كسرى أم الإمام زين العابدين عليه السلام ! فصار هذا الإتساب طعناً في التشيع وأئمته عليهم السلام، ونصرةً للتسنن والعروبة ! أما عند الغربيين ومقلديهم من الحداثيين مثل علي شريعتي ، فصار اتساب الإمام عليه السلام بأمه الى ملوك الفرس ، أسطورة أراد الفرس أن يخلطوا فيها الدم والنسب بالدين ! وبني عليها المستشرقون وأتباعهم النواصب ، نظريات ملقة للطعن في الصفوين والتشيع والإسلام !

ونعم ما قاله ابن عنبة في عمدة الطالب/١٩٢: (وقد أغنى الله تعالى على بن الحسين عليه السلام بما حصل له من ولادة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ، عن ولادة يزدجرد) .

٥- شاعر الله !

أبرز ما يُعرف به الإمام زين العابدين عليه السلام: تَائِلُهُ وَتَعْبُدُهُ وَحُبُّهُ لَهُ تَعَالَى ، حتى سمي: (شاعر الله) وسميت صحيفة أدعيته: (زبور آل محمد عليهما السلام)، مقابل: (زبور آل داود عليهما السلام) الذي أنزله الله عليه ، وكان فيه مناجاة وأدعية ! فالإمام عليهما السلام متأله.. كل حبه لربه ، وكل فكره وذكره وخشوعه ودموعه ، في يومه وليله ، وحله وترحاله.. وهو مع ربه عز وجل في غاية الأدب ، ينتقي في تصرفاته الحركة والسكون ، لأنه يعيش في محضر ربها عز وجل . وهو شاعر الله.. لربه كل مدائنه وقصائده ، فهو ينتقي للحديث عنه أحسن الكلام . أما حديثه معه فيخصه بأبلغ المعاني وأعلى الكلام !

إلى الآن لم أَر دراسةً في تأله الإمام عليهما السلام وغيره من المعصومين عليهم السلام، تكشف أبعاد حضور الله تعالى في فكرهم وشعورهم وعملهم ، ونوع جديتهم وصدقهم وعمقهم في تعاملهم مع ربهم عز وجل . ومن أغنی المواد لهذه الدراسة أدعية الإمام زين العابدين عليهما السلام ، بشفافيتها الخاصة ونسيمها السماوي !

وقد أفضى الرواة السنة والشيعة في وصف ميزات شخصيته وروحيته عليهما السلام . منها خشوعه في صلاته وأنه: (كان إذا توضأ للصلاه اصفر لونه فيقول له أهله: ما هذا الذي يغشاك؟ فيقول: أتدرون من أتأهب للقيام بين يديه). (الارشاد/٢٥٥، والمناقب/٢٨٩/٣، وتهذيب الكمال/٣٨٤/٢٠، وسير الذهبي/٣٨٦/٤)، غالباً من ترجم له عليهما السلام . وفي نهاية ابن كثير: (إذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، فقيل له في ذلك فقال: لا تدرؤن بين يدي مَنْ أَفْوَمَ وَلَمْ أَنْجَيْ!؟).

وفي الكافي: ٣٠٠/٣ ، أنه إذا شرع فيها: (قام كأنه ساق شجرة ، لا يتحرك منه

شئ إلا ما حركته الريح منه .)

ورروا له قصصاً وهو يصلى ، منها أنه وقع حريق في بيته وهو ساجد ، فجعلوا يقولون له: يا ابن رسول الله النار ! يا ابن رسول الله النار! فما رفع رأسه ! (فقيل له: ما الذي ألهاك عنها ؟! (شغلك عنها) قال: ألهاني عنها النار الأخرى) .

(تاریخ دمشق: ٣٧٨/٤١، ونهاية ابن کثیر: ١٢٣٩).

وسقط طفله في البئر وهو يصلى فلم يقطع صلاته ولا اهتم بصراخ النساء ، ولما فرغ من صلاته جاء إلى فم البئر فارتفع الماء والطفل على وجه الماء ! فتناوله وقال لأمه: (خذيه يا ضعيفة اليقين) . (التقب في المناقب: ١٤٩).

وروروا عن خشوعه عند التلبية: (سفیان بن عبینة قال: حج زین العابدین فلما أحضر واستوت به راحلته اصفر لونه وقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبی ! فقيل ألا تلبی؟ فقال: أخشى أن يقول لي: لا لبیک ولا سعدیک . فلما لبی خرّ مغشیاً عليه وسقط عن راحلته). (عواوی الثاني: ٣٥/٤، وتاریخ دمشق: ٣٧٨/٤١).

وفي أمالی الطوسي: (بسندہ عن الإمام الصادق علیہ السلام قال: إن فاطمة بنت علی بن أبي طالب علیہ السلام لما نظرت إلى ما فعله ابن أخيها علی بن الحسین علیہ السلام بنفسه من الدأب في العبادة ، أتت جابر بن عبد الله الأنباري فقالت له: يا صاحب رسول الله ! إن لنا عليکم حقوقاً ، وإن من حقنا عليکم إذارأیتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذکروه الله وتدعوه إلى البقیا على نفسه ، وهذا علی بن الحسین بقیة أبيه الحسین ، قد انخرم أنفه وتفنت جبهته وركبته وراحاته إدآباً (اتعباً) منه لنفسه في العبادة ! فأتى جابر بن عبد الله باب علی بن الحسین ... فدخل عليه فوجده في محرابه قد أنصضته (اضعفته) العبادة فنهض علی علیہ السلام وسأله عن حاله سؤالاً حثیثاً ثم أجلسه بجنبه ، فأقبل جابر عليه يقول له: يا بن رسول

الله ألم علمتَ أن الله إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبتكم ، وخلق النار لمن أبغضكم وعادكم ، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟!

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا صاحب رسول الله ألم علمت أن جدي رسول الله عليه السلام قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولم يدع الإجتهد ! وقد تعبد بأبي هو وأمي حتى انتفع الساق وورم القدم ، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ ف قال: أفلأكون عبداً شكوراً!

فلما نظر جابر إلى علي بن الحسين وأنه ليس يعني قوله من يستميله من الجهد والتعب إلى القصد ، قال له: يا بن رسول الله ، البُقْيَا على نفسك فإنك من أسرة بهم يستدفع البلاء وتكشف الألواء وبهم تستطرر السماء .

فقال: يا جابر ، لا أزال على منهاج أبيائي حتى ألقاه !

فأقبل جابر على من حضر وقال: والله ما رؤي من أولاد الأنبياء عليهم السلام مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب ! والله لذريّة علي بن الحسين أفضل من ذريّة يوسف بن يعقوب ! إن منه لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً) . ومناقب آل أبي طالب: ٢٩٣، وبشارة المصطفى: ١١٣/.

كما سجلوا من روائع أخلاق الإمام عليه السلام مع الله تعالى، فقد كان مريضاً وسأله أبوه: ما تشتهي؟ فقال: أشتتهي أن أكون ممن لا أقترح على الله ربِّي ما يدبِّره لي! فقال له: أحسنت ، ضاهيت إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال له جبريل: هل من حاجة؟ فقال: لا أقترح على ربِّي ، بل حسيبي الله ونعم الوكيل). (الدعوات: ١٦٧).

وأنه كان يحلُّ ربه تعالى أن يحلف به ، ولذا أفتى فقهاؤنا بكرامة اليمين الصادقة ، قال في جواهر الكلام: (بل يستحب عدم الحلف على العظيم من المال أيضاً بقصد الإجلال والتعظيم لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أجلَّ الله أن

يحلف به ، أعطاه خيراً مما ذهب منه ! ودفع زين العابدين عليه السلام إلى أمرأته التي أدعُتُ عليه صداقها أربعمائة دينار ، وقال: أجللت الله عز وجل أن أحلف به بيمينٍ برّ... وعلى كل حال فاليمين الصادقة مكرورة .)

ومن رقة أدبه عليه السلام أنه ربما لبس ثوب الخز في الشتاء ثم يبيعه ويتصدق به ويقول: (إني لأشجع من ربِّي أن آكل ثمن ثوب قد عبدته فيه). (نذرية الفقها، ٥١٠/٢).

وكان يقول لخادمه: (إذا أردت أن تشتري لي من حوائج الحج شيئاً فاشتر ولا تماكس). (الفقها: ١٩٧/٣). فكأنه يستحى من ربه أن يدقق فيما يشتريه لزيارة بيته !



٦- صاحب فلسفة جمالية

الفلسفة الجمالية حقيقةً كامنة في عمق الدين ، فإن الكون الذي خلقه وبدراه العليم الحكيم الرحيم بالمطلق ، عز وجل ، لا بد أن يكون جميلاً .
وكون الإنسان يعيش في كون له رب رحيم يربّه ، أمر كلّه جميل ، وإن وجد ما يبدو غير جميل فهو طارئ ، ومن فعل غير الله تعالى ، ولا بد أن يتّهى ويستقر الآتي الجميل . وقد كان النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار ع يعيشون هذا الجمال العميق ، والرضا الكامل عن الله تعالى ومقاديره ، مهما كانت !

يأخذك العجب عندما ترى جمال الدنيا في عيني الإمام زين العابدين ع
وتحسها في مشاعره وأفكاره . فهي أوسع من الإحساس الجمالي والروح الجمالية ، لأنها إيمان بجمال الكون وكل أفعال الله تعالى ومقاديره فيه ، وهذه (فلسفة جمالية) ترى النصف الفارغ من الكأس جميلاً كالملوء ، بل قد يكون ما تفقد في مرضك أجمل مما يبقى لك من صحتك ! إستمع إليه ع كيف يتكلّم مع ربه في حال مرضه : (اللهم لك الحمد على ما لم أزل أتصرّف فيه من سلامه بدني ، ولنك الحمد على ما أحدثت بي من علة في جسدي ! فما أدرى بما إلهي أي الحالين أحق بالشكر لك ، وأي الوقتين أولى بالحمد لك .. الخ). (الدعاء الخامس عشر من الصحيفة السجادية).

الصحيفة السجادية زبور آل محمد

الصحيفة السجادية.. كتاب لم يعرف الناس ، تبهرك فيه قدرة معماره على بناء العبارة العربية ، فهو أقدر من المؤلف البلين الممسك باللغة وتراثها !
تجد مفردات العربية تدور فيه كالنجوم أفعالاً وأسماءً وحروفًا وصيغَّ تعبير ،
تعرض نفسها على أنامل فكر الإمام عاشق لجعلها آجرة في أحد صروحة ، أو
لحمةً في إحدى لوحاته .

الكلمة عند الإمام الثوري موجود حيوىٰ . بنفسها ، يتقيها من أسفاط اللغة ، كما يتنقى الخبر جواهره ، فيصوغها ويصوغ بها .

وموجود حيوى بمحيطة ، الذى يضعها فيه الإمام فتحيه ويحبّها ، وبخيوط ارتباطها التي يتذكرها الإمام في حروف التعديية فيشد بها الأفعال والأسماء والحرروف . فتتقابل الكلمات والمقras وتناغم وتضئ ، في جدلية خاصة غنية.

والفكرة عينها ^{الروح} تنبض في الكلمة وتنبض بها ، تعنى قادمة من أفق أعلى ، غنىًّا غير ، ينساب في الروح ، ويبلُّ للعقل ، ويناغي أوتار النفس .

من أفق جمالي عالٍ، ينحدر كلام الإمام عاشقية، أروعَ من عقد الجوهر ، وأجمل من نظيم الورد ، معانٍ ونسبياً ، جائحةً من معدن أعلى ومنيع أغنى .

جمالٌ تُفِيضُهُ روحٌ عَلْوَيةٌ لَا تُرَى فِي الْوُجُودِ إِلَّا جَمِيلًاً! لَأَنَّ لَهُ رَبًا جَمِيلًاً
لَا يُصْدِرُ عَنْهُ إِلَّا الجَمِيلَ، فَالْإِلَامُ يُرَى فِي الْأَشْيَاءِ مِنْ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَلَا يُرَى مَا
يُعْكِرُ ذَلِكَ حَتَّى خطَايَا الْإِنْسَانِ، وَحَتَّى الْقَوْانِينِ وَالْمَقَادِيرِ.

صفاء في الذهن ، ونقاء في الفكر ، وشفافية في الروح .. كونت شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام وعاش بها بصدق ، فاتَّحدَ في شخصيته نمط السلوك

بفكِّ العقيدة ، برفقات الروح ، فلا فاصلة بين النظرية والتطبيق والقول والعمل !

أنظر إلى جدلية الكلمات في عالم فكره حيث يقول في دعائه عند الصباح والمساء: الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته ، وميّز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً ، وأمداً محدوداً ، ويولج كل واحد منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه ، بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه ، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حرّكات التعب ونهضات النصب ، وجعله لباساً ليلبسوا من راحتهم ومناتهم ، فيكون ذلك لهم جماماً وقوتاً ، وليتناعوا به لذة وشهوة ، وخلق لهم النهار مبصرأً ليبيتوا فيه من فضله ، وليتسبوا إلى رزقه ويسرحو في أرضه ، طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم ، ودرك الآجل في آخرها ، بكل ذلك يصلح شأنهم ، ويبلو أخبارهم ، وينظر كيف هم في أوقات طاعته ومتنازل فرروضه وموقع حكماته ، ليجزيَّ الذين أساءوا بما عملوا ويجزيَّ الذين أحسنتوا بالحسنة). (الصحيفة السجادية / الدعاء السادس)

رأيَتُ الخلق بالقوة ، والتمييز بالقدرة ، والحدَّ والأمد ، وتناوب التمدد بين الليل والنهار ، والفرق بين التغذية والتنفسة ، وبين الحرّكات ونهضات ، والتعب والنصب .. والريشة التي تفتح أبواب فكرك على الوجود ، وروحك على الخالق وتملاً حياتك بالحياة ، فيما لا يتسع المجال لدراسة فقرة منه ؟ !

وانظر إلى إظهاره المساحة الكامنة بين الكلمات كما بين الغربة والوحشة ، حيث يقول: (فقد الأحبة غربة). (تاريخ دمشق: ٤٠٩/٤١). ويقول: (لو مات من بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد أن يكون القرآن معى). (الكافى: ٦٠٢/٢).

ومسؤولية الكلمة عند الإمام ع كبيرة كجمالها: (لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادماً ساكتاً ، فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً). (ثواب الأعمال: ١٦٤).

ويردد حديث جده المصطفى ﷺ: (إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه فـيقول: كيف أصيبحـم؟ فيـقولون: بـخـير إن ترـكتـنا! ويـقولـون: الله الله فـينا، وـيـنـاشـدـونـه ويـقـولـون: إنـما نـثـابـكـ وـنـعـاقـبـكـ)! (الخصـالـ ٦).

ومنها مسؤولية الفكرة التي تجول في ذهنك فتسمح لها أن تسكن، فتكون مرأة تظهر خيرك وشرك! (عن عمر بن علي بن الحسين قال سمعت علي بن الحسين يقول: الفكرة مرأة ترى المؤمن ، حسناته وسيئاته). (تاريخ دمشق: ٤٠٨٤١).

ولـم تـمـنـعـه أـشـوـاقـ الـرـوـحـ منـ عـمـقـ العـقـلـ.. فالـمـرـوـيـ عنـهـ فـيـ ذـلـكـ كـثـيرـ، منه أنه سئل عن التوحيد فقال: (إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، والآيات من سورة الحديد: سَيَّئَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ أَعَزِّ الْحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْكِمُ وَيُبَيِّنُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَيِّئَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجَعُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُتِّبَتْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأَمْرُ. يُولَجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوْلَجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدَورِ. فَمَنْ رَامَ مَا وَرَاءَ هَنَالِكَ هَلَكَ). (التجـيد للـصـدـوقـ ٢٨٣).

وروى عن أبيه الحسين عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (من الدليل على أن الأجسام محدثة: أن الأجسام لا تخلو من أن تكون مجتمعة أو مفترقة ومتحركة أو ساكنة ، والإجتماع والإفتراق والحركة والسكنون محدثة ، فعلمنا أن الجسم محدث لحدوث مالا ينفك منه ولا ينقدر عليه...). وهو حديث طويل في دليل العقل على حدوث العالم ، وتمويل الخالق عز وجل له بالحياة . (التجـيد للـصـدـوقـ ٣٠٠).

٧- عبودية واعية وإنسانية راقية

نَتْجَعْ عَنْ هَذِهِ الْعَبُودِيَّةِ الْوَاعِيَّةِ: إِنْسَانِيَّةٌ رَاقِيَّةٌ فِي حَبِّ الْنَّاسِ وَتَعْمَلَهُ مَعْهُمْ ، فَكَانَ يَكْرَهُ الْمُجَادِلَةَ ، وَلَهُ قَصْصٌ مَعْ مِنْ أَسَاءِ الْيَهِ: (وَكَانَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَظِيمَ التَّجَاوِزِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ، حَتَّى إِنَّهُ سَبَّهُ رَجُلٌ فَتَغَافَلَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: إِيَاكَ أَعْنِي ! فَقَالَ: وَعَنْكَ أَعْرَضُ). (الصَّوَاعِقُ: ٥٨٥/٢، وَالنَّهَايَةُ: ١٢٤/٩، وَتَارِيخُ دَمْشِقٍ: ٣٩٥/٤١، وَفِيهِ: فَقَالَ لَهُ عَلَيِّ: وَعَنْكَ أَغْضِيَ).

وَلَهُ نُوْعٌ لَطِيفٌ مِنَ الصَّدَقَةِ ! (كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَصْدِقُ الْيَوْمَ أَوْ أَهْبُ عَرْضِي الْيَوْمَ لِمَنْ اسْتَحْلَمْ). (تَارِيخُ دَمْشِقٍ: ٣٩٦/٤١). وَكَانَ رَحِيمًا بِالصَّغارِ، يَحْدُثُهُمْ وَيَجْمِعُهُمْ وَيَصْلِي بِهِمْ. (مَصَاحِيحُ الْمَنْهَاجِ: ٨٥٣/٨٥٣). وَيَحْبُّ أَرْحَامَهُ فَيَعْفُوُ عَنْ مُسَيْئَتِهِمْ وَيَحْسِنُ إِلَيْهِمْ . (مَنَاقِبُ آلِ أَبِي طَالِبٍ: ٢٩٦/٣). وَيَحْبُّ الْفَقَرَاءِ ، وَيَقْبَلُ يَدَ الْفَقِيرِ الَّتِي يَتَأَوَّلُ بِهَا عَطَاءَهُ لَأَنَّهَا يَدٌ يَبْارِكُهَا اللَّهُ، أَوْ يَقْبَلُ يَدَهُ هُوَ الَّتِي يَعْطِيُ بِهَا . (وَسَائِلُ الشِّعْعَةِ-آلُ الْبَيْتِ: ٤٣٣/٩) وَكَانَ يَتَصَدِّقُ بِالسُّرِّ عَلَى مَنْهُ عَائِلَةً فِي الْمَدِينَةِ كَمَا سَيَّأَتِي . وَفِي رَوَايَةِ عَلَى أَرْبِعِ مَنَّةِ بَيْتِ (الْبَحَارِ: ٣٦١/٨٣). وَفِي سِيرِ الْذَّهَبِيِّ: (كَانَ يَحْمِلُ الْخَبْزَ بِاللَّيلِ عَلَى ظَهْرِهِ يَتَبَعُ بِهِ الْمَسَاكِينَ فِي الظَّلْمَةِ وَيَقُولُ: إِنَّ الصَّدَقَةَ فِي سَوَادِ اللَّيلِ تَطْفَئُ غَضْبَ الرَّبِّ... لَمَّا مَاتَ عَلَى وَجْدَهُ يَعْوَلُ مَنَّةَ أَهْلِ بَيْتٍ... وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا فَقَدَنَا صَدَقَةُ السُّرِّ حَتَّى تَوْفِيَ).

وَقَالَ الْأَمْوَيُ الْآخِرُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي النَّهَايَةِ: (قِيلَ لَهُ: مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَرًا؟) فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرِ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ قَدْرًا... وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ بِاللَّيلِ وَكَانَ يَقُولُ: صَدَقَةُ اللَّيلِ تَطْفَئُ غَضْبَ الرَّبِّ وَتَنْورُ الْقَلْبِ وَالْقَبْرِ وَتَكْشِفُ عَنِ الْعَبْدِ

ظلمة يوم القيمة.. وقال محمد بن إسحاق: كان ناسٌ بالمدينة يعيشون لا يدرؤون من أين يعيشون ومن يعطيهم؟ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به . ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل . وقيل إنه كان يعول مائة أهل بيته بالمدينة). وفي الخصال: (كان يعول مائة أهل بيته من فقراء المدينة). وتاريخ دمشق: ٤١/٤٦: ٣٨٤.

وهذا يعني أنه كان في المدينة التبوية على صغرها فقراء معذبون ! ولعل أكثر من يعولهم الإمام علي كانوا من غير شيعته ، لأنه يقول: (ما بمكانة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا). (شرح النهج: ٤/١٠٤، والغارات: ٢/٥٧٣).

وكان يطعم من أضحيته في الحج ، الخوارج وهو يعلم أنهم يُكفرون جده أمير المؤمنين علي! (الدروس: ١/٤٤٢) وكان علي يقول: (من بات شبعاناً وبحضرته مؤمن طاو قال الله تبارك وتعالي: ملائكتي أشهدكم على هذا العبد أني أمرته فعصاني وأطاع غيري، فوكنته إلى عمله، وعزتي وجلالي لا غفرت له أبداً) (المحاسن: ١/٩٧). وسئل علي: لمَ فَرَضَ الله عز وجل الصوم؟ فقال: (لِبَدْلَ الغُنْيَ مَسَّ الْجُوعَ فِي حَنَّ عَلَى الْفَقِيرِ). (أمالى الصدقوق: ٧٦).

وقال ابنه الإمام الباقر عليه السلام: (لما حضرت علي بن الحسين الوفاة ، ضمّنني إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ، وبما ذكر أن آباء أوصاه به فقال: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله). (أمالى الصدقوق: ٩٧).

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: (أخذ أبي بيدي ثم قال: يا بني إن أبي محمد بن علي أخذ بيدي كما أخذت بيدي وقال: إن أبي علي بن الحسين أخذ بيدي وقال: يا

بني إفعل الخير إلى كل من طلبه منك ، فإن كان من أهله فقد أصبحت موضعه ، وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله. وإن شتمك رجل عن يمينك ، ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك ، فاقبل عذرها) . (سائل علي بن جعفر / ٣٤٢).

وكان عليه يداري حتى عدوه ، قال سفيان بن عيينة: (قلت للزهري: لقيت علي بن الحسين؟ قال: نعم لقيته وما لقيت أحداً أفضل منه والله! ما علمت له صديقاً في السر ولا عدواً في العلانية! فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأنني لم أر أحداً وإن كان يبغضه إلا وهو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه إلا وهو لشدة مداراته له يداريه). (علل الشرائع / ٢٣٠، ووسائل الشيعة / ٥٤٨/٨).

وقد جعل عليه حسن التعامل مع الناس من شروط نيل رضا الله تعالى ، قال: (أربع من كنَّ فيه كمل إيمانه ومُحَصَّتْ عنه ذنبه ولقيَ ربه وهو عنه راضٌ: من وفيَ الله بما يجعل على نفسه للناس ، وصدق لسانه مع الناس ، واستحيا من كل قبيح عند الله وعند الناس ، ويُحَسِّن خلقه مع أهله) . (المحاسن: ٨٧).

وله حديث عن جده عليه يجعل الصدق مع الناس والأمانة على حقوقهم شرطاً لصلة الإنسان وصومه وعبادته! رواه الصدوق في أماله / ٣٧٩، عنه عليه: (عن سيد شباب أهل الجنة الحسين ، عن سيد الأووصياء عليه عليه عن سيد الأنبياء محمد عليه: لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والعروف ، وطنطتهم بالليل ! أنظروا إلى: صدق الحديث وأداء الأمانة). والعيون / ٥٥١.

وقد تعلم عليه العفو عن الناس من قوله تعالى: فاصفع الصفعَ الجميلَ ، ففسره بأنه: العفو من غير عتاب ! (أمالى الصدوق / ٤١٦).

ووصف الطبرى: ٢١٧/٥، دهشة والى المدينة المعزول هشام بن إسماعيل المخزومي الذى كان يؤذى الإمام عليه أذى شديدة ، فغضب عليه الوليد بن عبد

الملك وعزله وأراد الإنتقام منه ، فأمر أن يوقف للناس ليقتصوا منه ! (فقال: ما أخاف إلا من علي بن الحسين ! فمرّ به عليٌّ وقد وقف عند دار مروان ، وكان عليٌّ قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة ! فلما مرَّ ناداه هشام بن إسماعيل: اللهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ . (واليعقوبي: ٢٨٣/٢).

وكان عليه رفيقاً بالإنسان والحيوان ، وله قصص مع ظباء في الصحراء ، وذئب ، وكان يزرع الزرع ويقول: (ما أزرع الزرع لطلب الفضل فيه ، وما أزرعه إلا ليناله المعتز ذو الحاجة ، ولتنال منه القبرة خاصة من الطير). (الكافي: ٢٢٥/٦).

وكان عليه يفسر قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِحَاجَتِهِ إِلَّا أَمَمْ أَمْثَالُكُمْ ، فيقول: ما بهمت البهائم عنه ، فلم تبهم عن أربعة: معرفتها بالرب تبارك وتعالى ، ومعرفتها بالموت ، ومعرفتها بالأثنى من الذكر ، ومعرفتها بالمرعى الخصب) . (الخصال/ ٢٦٠).

واشتهر رفقه بناقته ، فقد حجج عليها اثنين وعشرين سنة ولم يضرها أبداً ، وأوصى بها ولده الإمام الباقر عليه السلام فقال له: (إِذَا نَفَقْتَ فَادْفُنْهَا لَا يَأْكُلُ لَهُمَا السَّبَاعُ ، فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنْ بَعِيرٍ يَوْقِفُ عَلَيْهِ مَوْقِفُ عِرْفَةِ سَبْعِ السَّبَاعِ ، إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ نَعْمَ الْجَنَّةِ وَبَارَكَ فِي نَسْلِهِ ، فَلَمَّا نَفَقَتْ حَفَرَ لَهَا أَبُو جَعْفَرَ عليه السلام ودفنها). (ثواب الأعمال/ ٥٠). قال الإمام الباقر عليه السلام (فجاءت بعد موته وما شعرنا بها إلا وقد جاءني بعض خدمتنا أو بعض الموالي فقال: إن الناقة قد خرجت فأأتت قبر علي بن الحسين فأنبركت عليه ، فدللت بجرانها القبر وهي ترغو ! فقلت: أدر كوها أدركوها وجيئوني بها قبل أن يعلموا بها أو يروها ، قال: وما كانت رأت القبر قط) ! (الكافي: ٦٧/١، والإختصاص: ٣٠١).

وفي المناقب: (فأناها فقال: مَهْ قَوْمٍ الْآنَ بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ ، فشارَتْ حَتَّى

دخلت موضعها، ثم لم تلبث أن خرجت حتى أتت القبر فضربت بجرانها القبر ورغت وهملت عينها ! فأتى محمد بن علي عليه السلام فقيل له: إن الناقة قد خرجت إلى القبر، فأتاهما فقال مه الآن قومي بارك الله فيك ، فلم تفعل ! فقال: دعوها فإنها مودعة ! فلسم تلبث إلا ثلاثة أيام حتى نفقت) وفي رواية: فأمر أبو جعفر فحفر لها ودفت. (دلائل الإمامة: ١٩٣).



- صاحب رسالة حقوق الإنسان وواجباته

وهي رسالة من عشرين صفحة تقريباً ، في حقوق الإنسان وواجباته ، وهي برنامج عملى للمسلم ، في تعامله مع ربه ، ومع نفسه ، ومع الناس .

كما أن عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر رض واليه على مصر ، بيان يشرح أهداف الحكومة ، وبرنامج عملى للحاكم في سياساته وحياته الشخصية .

وقد اهتم بعض العلماء بهذه النصيحة العظيمين ، لكنهما ما زالا مظلومين لم يأخذَا حقهما من البحث في المجامع الدولية ، والمعاهد الحقوقية العالمية .

وقد شرحهما علماؤنا رضوان الله عليهم شروحاً علمية ، أو وعظية ، وبقيت الحاجة إلى الشروح القانونية ، والدراسات المقارنة بالتشريعات المعاصرة .

وتشمل رسالة الحقوق للإمام عليه السلام خمسين حفلاً على الإنسان ، ابتداءً من حقوق الله تعالى ، إلى حق نفسه ومحيطةه ومجتمعه ودولته ، وحقوق أهل الأديان الأخرى . وتبدأ بإجمال كالهرس ، ثم تفصل الحقوق واحداً واحداً .

قال عليه السلام : (إعلم رحمة الله أن الله عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة تحركها ، أو سكتها سكتتها ، أو حال حلتها ، أو منزلة نزلتها ، أو جارحة قلبها أو آلة تصرفت بها . بعضها أكبر من بعض .)

وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك ، على اختلاف جوارحك ، فجعل لبصرك عليك حقاً ولسمعك عليك حقاً وللسانك عليك حقاً وليدك عليك حقاً ولرجلك عليك حقاً ولبطنك عليك حقاً ولفرجك عليك حقاً ، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال .

ثم جعل لأفعالك عليك حقوقاً : لصلاتك عليك حقاً ، ولصومك عليك حقاً

ولصدقتك ولهديك عليك حقاً ، ولأفعالك عليك حقاً .

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك ، وأوجبها عليك حق أئمتك ، ثم حقوق رعيتك ، ثم حقوق رحmk ، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق... فحقوق أئمتك ثلاثة ، أوجبها عليك ، وحق رعيتك بالسلطان ، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم ، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت الإيمان ، وحقوق رحmk كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة ، فأوجبها عليك حق أملك ثم حق أبيك ثم حق ولدك ثم حق أخيك ، ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى ، ثم حق مولاك المنعم عليك ، ثم حق مولاك الجارية نعمتك عليه ، ثم حق ذي المعروف لديك ، ثم حق مؤذنك بالصلوة ، ثم حق إمامك في صلاتك ، ثم حق جليسك ثم حق جارك ، ثم حق صاحبك ، ثم حق شريكك ، ثم حق مالك ، ثم حق غريمك الذي تطالبه ، ثم غريمك الذي يطالبك ، ثم خليطك ، ثم حق خصمك المدعى عليك ، ثم حق خصمك الذي تدعى عليه ، ثم حق مستشيرك ثم المشير عليك ، ثم مستنصرحك ثم الناصح لك ، ثم حق من هو أكبر منك ثم من هو أصغر منك ، ثم حق سائلك ثم حق من سأله ، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل ، أو مسراة بقول أو فعل ، عن تعمد منه أو غير تعمد ، ثم حق أهل ملتك عامة .

ثم حق أهل الذمة ، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب . فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدده . فأما حق الله الأكبر عليك (...). (رجال النجاشي ١١٦، وتحف العقول لابن شعبه الحراني ٢٥٥، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ٢٩٣/٤، ومستدرك الوسائل ١٥٤/١١، والبحار ١٠٧١، ونهج السعادة ٢١٧، وأعيان الشيعة ٦٨٨١، ومجلة تراثنا ١٤٠/٦١).

وقد صبح روایتها علماؤنا ، وبحث أسانيدها العلامة الجلاّلي في كتابه
جهاد الإمام السجاد عليه السلام/٢٦٩، وشرحها علماء ، منهم السيد حسن القبانجي رحمه الله
باسم (شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام).
وقد ذكر شروحها وترجماتها صاحب الذريعة رحمه الله:٤٢٧ ، ومعجم المطبوعات
النجفية/٢٢٠، وموسوعة مؤلفي الإمامية:٢٣٣/١.



٩- مولد الإمام ع وشهادته مسموماً بيد ابن عبد الملك

قال المفيد في المقتنع: (ولد بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة . وقبض بالمدينة سنة خمس وستين ، وله يومئذ سبع وخمسون سنة . وأمه شاه زنان بنت شيرويه بن كسرى أبرويز ، وقبره يقع بالمدينة) .
وقال العلامة في تذكرة الفقهاء: (يستحب صوم النصف من جمادى الأولى ، ففي ذلك اليوم من سنة ٣٦ كان فتح البصرة لأمير المؤمنين ع ، وفي ليلته من هذه السنة بعينها كان مولد مولانا أبي محمد علي بن الحسين زين العابدين ع). (كان لزين العابدين يوم الطف ثلاث وعشرون سنة ، ومحمد ولده الباقي حي له ثلاثة سنين وأشهر).



في شهادة المعصومين ع: (عن جابر الجعفي قال: لما جرَّدَ مولاي محمد الباقي مولاي علي بن الحسين ثيابه ووضعه على المغتسل ، وكان قد ضرب دونه حجباً ، سمعته ينشج ويبكي حتى أطالت ذلك فأمهلته عن السؤال حتى إذا فرغ من غسله ودفنه ، فأتت إليه وسلمت عليه وقلت له: جعلت فداك مم كان بكاؤك وأنت تغسل أباك ، ذلك حزنا عليه؟ قال: لا يا جابر ، لكن لما جردت أبي ثيابه ووضعته على المغتسل ، رأيت آثار الجامدة في عنقه ، وأثار جرح القيد في ساقيه وفخذيه ، فأخذتني الرقة لذلك وبكيت).

(الزهرى: لما مات زين العابدين فغسلوه وجدوا على ظهره مَجَلاً (مكان خشن) فبلغني أنه كان يستقي لضعفه جيرانه بالليل). (مناقب آل أبي طالب: ٢٩٤/٣).
وتقديم أنه دخل على الإمام ع في مرضه وسألته عن عدد الأئمة بعده .
(عن أبي جعفر أن علي بن حسين أوصى أن لا يؤذنوا به أحداً وأن يُسرع به

المشي ، وأن يكفن في قطن ، وأن لا يجعل في حنوطه مسك) .(الطبقات: ٥/٢٢١). عن ولده حسين قال: (مات أبي على بن حسين سنة أربع وتسعين ، وصلينا عليه بالبقاء) .(الطبقات: ٥/٢٢١).

(قبره بالبقاء بمدينة رسول الله ﷺ ، في القبر الذي فيه عمه الحسن ، في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب) .(وفيات الأعيان: ٣/٢٩٦).

وفي النهاية: (وقد اختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها علي بن الحسين زين العابدين ، فالمشهور عن الجمورو أنه توفي في هذه السنة أعني سنة أربع وتسعين في أولها عن ثمان وخمسين سنة ، وصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه بالبقاء ودفن به... وقال بعضهم: توفي سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين ، وأغرب المدائني في قوله: إنه توفي سنة تسع وتسعين) .

(عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ قال: لما قبض رسول الله ﷺ هبط جبرئيل ومعه الملائكة والروح الذين كانوا يهبطون في ليلة القدر، قال ففتح لأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ بصره فرأهم في متهى السموات إلى الأرض يغسلون النبي ﷺ معه ويصلون معه عليه ويحرفون له ، والله ما حفر له غيرهم ، حتى إذا وضع في قبره نزلوا مع من نزل فوضعوه ، فتكلم وفتح لأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ سمعه فسمعه يوصيه به ، فبكى وسمعهم يقولون: لا نأله جهداً وإنما هو صاحبنا بعدك إلا إنه ليس يعايننا بصره بعد مرتنا هذه... حتى إذا مات علي بن الحسين عَلَيْهِ رأى محمد بن علي عَلَيْهِ مثل ذلك ورأى النبي ﷺ وعلياً والحسن والحسين عَلَيْهِمَا يعينون الملائكة) .(البصائر: ٥/٢٤٥).

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَفَافُ قال: (لما كان في الليلة التي وعد فيها علي بن الحسين قال لمحمد بن علي: يابني إبغني وضوء ، قال: فقمت فجثته بوضوء ، قال:

لَا أَبْغِي هَذَا إِنْ فِيهِ شَيْئاً مِيَّتاً ! قال: فخرجت فجئت بالمصباح فإذا فيه فأرة ميّة، فجنته بوضوء غيره ، فقال: يا بنى هذه الليلة التي وعدتها . (المناقب: ٢٨٣/٣). (لما حضرته الوفاة أغمى عليه ثم فتح عينيه وقرأ: إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقْفَةُ ، وَإِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، وقال: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ، ثم قبض من ساعته). (الكافني: ٤٧٨/١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه: (أتى أبو جعفر بليلة قبض وهو ينادي فأواما إليه يده أن تأخر، فتأخر حتى فرغ من المناجاة ، ثم أتاه فقال: يا بنى إن هذه الليلة التي أقبض فيها وهي الليلة التي قبض فيها رسول الله عليه السلام . قال: وحدثني أن أباه على بن الحسين أتاه بشراب في الليلة التي قبض فيها، وقال: إشرب هذا؟ . فقال: يا بنى إن هذه الليلة التي وعدت أن أقبض فيها، فقبض فيها). (البصائر: ٥٠٢).

كما روى ابن عساكر عن قيس بن النعمان أنه رأى الإمام الباقر عليه السلام يبكي على قبر والده زين العابدين عليه السلام، وينشد شعراً ، فتأثر بذلك . (تاريخ دمشق: ٢٨٢/٥٤).

وقال ابن حجر في الصواعق: (توفي وعمره سبع وخمسون ، منها ستان مع جده علي ، ثم عشر مع عميه الحسن ، ثم إحدى عشرة مع أبيه الحسين . وقيل سمه الوليد بن عبد الملك . ودفن بالبقع عند عميه الحسن عن أحد عشر ذكراً وأربع إناث . وارثه منهم عبادة وعلماً وزهادة: أبو جعفر محمد الباقر).

وقال الصدوق عليه السلام في الاعتقادات: ٩٨: (وعلي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام سمة الوليد بن عبد الملك فقتله) . وقال السيد المقرئ عليه السلام: (وقبض عليه مظلوماً مضطهدآ شهيداً بسم أوعز به الوليد بن عبد الملك إلى أخيه هشام).



(مرض علي بن الحسين عليه السلام مرضه الذي توفي فيه فجمع أولاده: محمداً والحسن وعبد الله وعمر وزيد والحسين ، وأوصى إلى ابنه محمد وكناه بالباقر

وجعل أمرهم إليه ، وكان فيما وعظه في وصيته أن قال: يا بُنَيَّ إن العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والعقل ترجمان العلم ، واعلم أن العلم أتقى ، واللسان أكثر هذراً . واعلم يا بني أن صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعاش ملءُ مكياط ثلاثة فطنة وثلثة تغافل ، لأن الإنسان لا يتغافل عن شيء إلا قد عرفه ففقطن فيه . واعلم أن الساعات تذهب غمك ، وأنك لا تناول نعمة إلا بفرار آخر ، فإياك والأمل الطويل ، فكم من مؤمل أملألا يبلغه ، وجامع مال لا يأكله ، ومانع مال سوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه ، أصحابه حراماً وورثه عدواً ، احتمل إصره وباء بوزره ، ذلك هو الخسران المبين). (كتاب الأثر / ٢٤٠).

(أخرج سبطاً أو صندوقاً عند فقال: يا محمد إحمل هذا الصندوق، قال فحمل بين أربعة . فلما توفي جاء إخوه يدعون ما في الصندوق فقالوا: أعطنا نصيينا من الصندوق فقال: والله ما لكم فيه شيء ، ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إلى . وكان في الصندوق سلاح رسول الله ﷺ وكتبه). (الكافي: ٣٠٥/١، واعلام الورى / ٥٠٠).



١٠ - عاش الإمام خمساً وثلاثين سنة بعد أبيه الحسين عليهما السلام

كانت إقامته في المدينة ، وكان يسافر للحج وينبع ، والنجف والковفة ، وكربلاء . وكان برنامجه اليومي في المدينة زيارة قبر جده المصطفى عليهما السلام والصلاوة في مسجده ، وتحديث الناس بأحاديث النبي عليهما السلام وأهل بيته عليهما السلام ، وكان يلقى على الناس موعظة يوم الجمعة .

وكان هذا البرنامج تحدياً للسلطة لأن سياستها فرض لعن على عليهما السلام ، ومنع التحدث عن النبي عليهما السلام ، ومنع الخطابة لغير الوالي والقصاصين الموظفين لنشر قصص أهل الكتاب اليهود والنصارى !

لكن السلطة كانت مجبرة على التحمل ، بسبب احترام الخليفة للإمام عليهما السلام ولأن أهل المدينة قويت عينهم على السلطة بعد مجزرة وقعة العرة ، وفي هذا الجو كان الإمام عليهما السلام ينفذ برنامجه ويصدع بالحق .

كان من برنامجه عليهما السلام السفر للحج كل سنة تقريباً ، وكان يذهب أحياناً إلى بنجع ، فلهم هناك بيوت في بساتين الوقف التي أنشأها جده أمير المؤمنين عليهما السلام وكان يتولاها ، وقيل إنه سافر إلى الشام بدعاوة عبد الملك لحل مشكلة التقد والطراز مع الروم ، وسيأتي أن المرجع أنه أرسل ولده الإمام الباقر عليهما السلام .

سكن فترة في بادية الحجاز من جهة العراق

كانت أشد الظروف التي مرت على الإمام عليهما السلام: كربلاء ، والأسر ، وأيام وقعة العرة ، وفترة سيطرة ابن الزبير على المدينة بعد هلاك يزيد !

ولعل هذه الأخيرة كانت أشد الجميع لقوسه ابن الزبير وبغضه لعلي وعتره النبي عليهما السلام أكثر من بغضبني وأمية وقسوتهم ، حتى أن ابن الزبير ترك ذكر

النبي ﷺ في الصلاة كلّا ، لثلا يسمع أهل بيته ﷺ ويفتخرون به !
 أمام هذه الظروف الضاغطة المعقّدة ، ومعها ضغوط أهل الكوفة على
 الإمام علیه السلام ليؤيد حركة المختار ، وبسبب أن الإمام علیه السلام يريد أن يزور قبر أبيه
 الحسين وقبر جده أمير المؤمنين علیه السلام بحرريته دون أن يعرفه الناس ، فقد ابتكر أن
 يسكن في بادية العراق من جهة المدينة ، فاتخذ فيها بيت شعر !

وكان علیه السلام يبعد عن المدينة أو يتواجد فيها حسب الظرف ! وقد ثبت أنه علیه السلام
 زار كربلاء والنجف والكوفة أكثر من مرة ، ورآه في بعضها أبو حمزة
 الشامي علیه السلام في مسجد الكوفة ، وروى ولده الباقر علیه السلام أنه زار مع أبيه وحدهما قبر
 أمير المؤمنين علیه السلام ، وعلم الشيعة نص زيارة أبيه له ودعاه عنده ، وهي الزيارة
 المعروفة باسم (زيارة أمين الله) لأن أولها (السلام عليك يا أمين الله في أرضه).
 وقد روتها مصادرنا ككامل الزيارات / ٩٢ ، ومصباح المتهدج / ٧٣٨ ، والغارات : ٨٤٧/٢ ،
 ورواها السيد ابن طاوس علیه السلام بعدة أسانيد في فرحة الغري / ٧٧ ، والإقبال : ٢٧٣/٢ و ٢٧٥.

قال الإمام الباقر علیه السلام : (كان أبي علي بن الحسين قد اتّخذ منزله من بعد قتل
 أبيه الحسين بن علي علیه السلام بيتاً من الشعر وأقام بالبادية ، فلبث بها عدة سنين
 كراهية الناس وملابسهم . وكان يصير من البادية بمقامه بها إلى العراق ، زائراً
 لأبيه وجده علیه السلام ، ولا يُشعر بذلك من فعله ، فخرج متوجهاً إلى العراق لزيارة
 أمير المؤمنين علیه السلام وأنا معه وليس معنا ذروحة إلا الناقتين ، فلما انتهى إلى
 النجف من بلاد الكوفة وصار إلى مكان منه ، فبكى حتى اخضلتْ لحيته من
 دموعه ثم قال :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا أمين الله
 في أرضه وحجه على عباده ، أشهد أنك جاهدت يا أمير المؤمنين في الله حق

جهاده ، وعملت بكتابه ، واتبعت سنن نبيه عليه السلام حتى دعاك الله إلى جواره فقبضك إليه باختياره ، لك كريم ثوابه ، وألزم أعداءك الحجة مع مالك من الحجج البالغة على جميع خلقه .

اللهم صل على محمد وآلـهـ، واجعل نفسـيـ مطمـنةـ بـقـدـرـكـ ، راضـيةـ بـقـضـائـكـ ، مـسـولـةـ بـذـكـرـكـ وـدـعـائـكـ ، مـحـبـةـ لـصـفـوـةـ أـلـيـاـنـكـ ، مـحـبـوـةـ فـيـ أـرـضـكـ وـسـمـائـكـ ، صـابـرـةـ عـنـدـ نـزـولـ بـلـائـكـ ، شـاكـرـةـ لـفـوـاضـلـ نـعـمـائـكـ ، ذـاـكـرـةـ لـسـوـابـخـ آـلـائـكـ ، مـشـتـاقـةـ إـلـىـ فـرـحـةـ لـقـائـكـ ، مـتـزـودـةـ التـقـوـىـ لـيـومـ جـزـائـكـ ، مـسـتـنـةـ بـسـنـ أـلـيـاـنـكـ ، مـشـغـولـةـ عـنـ الدـنـيـاـ بـحـمـدـكـ وـثـانـيـكـ .

ثم وضع خده على القبر وقال: اللهم إن قلوب المختفين إليك والهـةـ ، وسبـلـ الراغـبـينـ إـلـيـكـ شـارـعـةـ ، وأـعـلـامـ الـقـاصـدـيـنـ إـلـيـكـ واـضـحـةـ...ـالـخـ.

قال جابر: قال لي الباقي عليه السلام: ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعتنا عند قبر أمير المؤمنين أو عند قبر أحد من الأئمة عليهما السلام إلا رفع دعاؤه في درج من نور وطبع عليه بخاتم محمد عليه السلام ، وكان محفوظاً كذلك حتى يسلم إلى قائم آل محمد عليه السلام ، فيلقى صاحبه بالبشرى والتحية والكرامة إن شاء الله). انتهى.

١١- أزال النواصي مشهد الإمام زين العابدين عليه السلام في دمشق

لأهل البيت عليهما السلام عدة أماكن تشرفت بحضورهم ، منها أربعة أماكن تخص الإمامين الحسين وزين العابدين عليهما السلام ، وهي المكان الذي وضع فيه رأس الحسين عليهما السلام ، ومكان سجن الإمام زين العابدين عليهما السلام والأسرى ، والمكان الذي أسكنهم فيه يزيد بعد ذلك ، والبستان الذي أمر يزيد أن يقتلوا فيه الإمام زين العابدين عليهما السلام ، فوسمت فيه المعجزة وهلك الجلواز الموكل بقتله ، فغطوا على القضية ! وقد تقدمت روايته عن المدائني . (مناقب آل أبي طالب: ٣٠٩٣).

والظاهر أن مكان وضع الرأس الشريف هو المكان الموجود اليوم داخل صحن المسجد الأموي ، وأن مشهد السيدة رقية بنت الحسين عليهما السلام هو البيت الذي أنزلهم فيه يزيد ، بعد السجن .

كما لا يبعد أن يكون المكان الذي اشتهر تاريخياً بمشهد زين العابدين عليهما السلام حتى أزاله العثمانيون ، هو مكان البستان الذي أمر يزيد أن يقتل فيه الإمام عليهما السلام ويُدفن ، فظهرت فيه الآية وشهد بها خالد بن يزيد ! ولا بد أن الخبر انتشر داخل العائلة المالكة ، خاصة أن ولی العهد معاوية الثاني بن يزيد ، كان مواليًّا للإمام زین العابدين وأئمة العترة النبوية عليهما السلام . فيبدو أن الشيعة بعد معاوية الثاني توارثوا كرامة هذا المكان ، حتى وجدوا فرصة فبنيه وسموه مشهدًا . وقد شهد المدائني (١٣٥-٢٢٥) أنه كان في عصره في القرن الثاني مسجداً .

قال هاشم عثمان في كتابه: مشاهد ومزارات آل البيت عليهما السلام في الشام ١٩: (مشهد زین العابدين عليهما السلام المشهد الشرقي البرانی، مشهد المحيا. هو أحد مشاهد الجامع الأموي في جهة الشرقية ، شمل باب جিرون مقابل باحة المسجد . ولذا دعي

بالمشهد الشرقي البراني ، وسمى مشهد زين العابدين ، لأن يزيد بن معاوية سجن به زين العابدين ع حين قدم أسرىًّا مع أهله إليه . (بل يظهر أنه البستان).

أهمل هذا المشهد مدة طويلة واستولى عليه الخراب ، كما اتخذه بعض الناس ملجأً ، ودام ذلك إلى عام ٦٦٨ ، حيث جده الملك الظاهر ، وطرد من كانوا يتخدونه ملجأً ، إلا واحداً منهم رأى فيه الصلاح والعبادة . (الجامع الأموي في دمشق/الطنطاوي ٢٤). بقي هذا المشهد يسمى مشهد زين العابدين ع إلى شهر محرم من العام ٩٧١ ، فصار يدعى بمشهد المحيا ، عندما أقام به عبد القادر محمد بن سوار العاتكي ، شيخ المحيا بدمشق ، المحيا بأمر من الشيخ أحمد الغازى الذى قال له: إعمل المحيا في الجامع الأموي بالمشهد المعروف بزین العابدين، فامتثل الشيخ عبد القادر وقوى قلبه به . (التعيي الدارس في تاريخ المدارس ٢٢/١)

حاول ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع الأموي محاكاة مشهد علي زین العابدين ع فجدد مشهد عثمان وأضاف إليه مقصورة الخدام من شماله ، وجعل له إماماً وراتباً وفتحه يوم السبت حادي عشر شوال سنة ٦٩٨ (الوفيات ٥٤/١) . أمًّا بمشهد زین العابدين ع ودرَّس به عددٌ كبير من العلماء والأئمة والمدرسون ، عرفنا منهم: - عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين ، أبو محمد النيسابوري الواقع الذي قدم دمشق حاجاً في سنة ٤٥٩ ، بمشهد زین العابدين ع . (عبد الرحمن بن سامي- القول الحق في بيروت ودمشق ٩٦)...الخ). انتهى.

أقول: نص التويري في نهاية الإرب ٤٥٣، على أن مشهد زین العابدين ع غير مكان وضع الرأس الشريف ، لأنـه كان يعرف بمسجد الرأس، قال: (أرسل ابن زياد به إلى دمشق فنصبه يزيد بن معاوية فيها ثلاثة أيام ، ووضع في مسجد عند باب المسجد الجامع يعرف بمسجد الرأس ، وهو تجاه باب الساعات ، كان

بابه هناك ثم سد وفتح من مشهد زين العابدين في سنة ثلاثين وستمائة). وقال ابن شهرashوب في المناقب: ٣٠٦٣: (وموضع حبس زين العابدين عليه هو اليوم مسجد). انتهى.

فهذا مسجد وليس مشهداً ، ولذا رجحنا أن يكون المشهد هو البستان الذي ظهرت فيه المعجزة . على أن مكان سجن الأسرى كان صغيراً ، وقد يكون ملاصقاً لذلك البستان ، ودخل فيه السجن عندما بنوه مشهداً فيه قبة وصحن . قال ابن ابن بطوطة: ١٠٤١: (والقبة الثانية من شرقى الصحن على هيئة الأخرى إلا أنها أصغر منها ، قائمة على ثمان من سورى الرخام ، وتسمى قبة زين العابدين... وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي إلى مسجد بديع الوضع ، يسمى مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

أقول: يظهر أنه اشتباه من ابن بطوطة ، فهو مشهد علي بن الحسين عليهما السلام . وقال الذهبي في تاريخه: ٤٣٢/٧: (وحضر مصر والده الشهيد بكر بلاع ، وقدم إلى دمشق ، ومسجدده بها معروف بالجامع). انتهى. وأسم الجامع يدل على كبره ، والذهبـي يعتمد أن يسمى المشهد مسجداً !

وقال الصفدي في الواقـي: ٢١٣/١٠: (وجدد مشهد زين العابدين بجامع دمشق ، وأمر بغسل الأساطين ودهان رؤوسها ، ورخام الحائط الشمالي) .

وترجم ابن عساكر في تاريخه: ٤١٥٢: ، لـ محمد بن أبي إسحاق البسطامي ، المتوفى سنة ٤٤٤هـ، فقال: (وكان يسكن دار السميسياطي ويقرأ بالألحان في الأعزية ثم سكن دار حمد ، وكان يصلـي بالناس في مسجد زين العابدين). انتهى. وقراءة الأعزية بالألحان من مختصات الشيعة ، فهو يدل على أن مشهد الإمام زين العابدين عليهما السلام ، كان مركزاً لهم .

وقال ابن العماد في الشذرات: (سنة ست وستمائة: فيها جلس سبط ابن الجوزي بجامع دمشق ، ووعظ وحث على الغزاة ، وكان الناس من باب الساعات إلى مشهد زين العابدين... وفي تاريخ الذهي: (فكان الناس من مشهد زين العابدين إلى باب الناطفين، وكان القيام في الصحن أكثر ، وحرزوا بثلاثين ألفاً). انتهى. وهذا يدل على سعة المشهد والساحة أمامه .

وكشف ابن كثير في النهاية: ١٢٢٩، حساسيته أو حساسية أهل عصره من مشهد الإمام عليه السلام فقال: (ومسجده بدمشق المنسوب إليه معروف . قلت: وهو مشهد علي بالناحية الشرقية من جامع دمشق). وابن كثير كالذهبي يتعمد التعبير عن المشهد بالمسجد ، وقد نص على أن إسمه المشهد ، وهو أول من عَبَر بقوله (المنسوب إليه) ليشكك فيه !

كما كشف في النهاية: ٥١٤، حساسية بعض الشاميين من مشهد الإمام زين العابدين عليه السلام في القرن السابع ، قال: (في سنة ثمان وتسعين وستمائة وفي يوم السبت حادي عشر شوال ، فتح مشهد عثمان الذي جده ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع ، وأضاف إليه مقصورة الخدم من شماليه ، وجعل له إماماً راتباً ، وحاكي به مشهد علي بن الحسين زين العابدين). والدارس للتعيي: ٣٦٧٢: وذكر المحبسي في خلاصة الأثر: ٨٢، أن (ابراهيم أغا متولى جامع بنى أمية بدمشق... من مماليك سلاطين زماننا آل عثمان... وكانت خدمته هناك إقراء المماليك الصغار... ولما ورد إلى دمشق وصل إليها في سنة ألف... وأخذ بالعمارة إجازة من بعض قضاة الشام ، فلم يزل يتسع في تعميرها حتى صارت من ألطاف الأبنية... وكان شاع بين الناس أنه يرى أن يجعل هناك مستراحة فخمتنا موضع المستراح فوجدوه يقع تحت المحراب المنسوب إلى

حضره الإمام زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما ، فغضب لذلك نقيب الأشراف بدمشق وهو زين العابدين بن حسين بن كمال الدين بن حمزة ، وذهب مستشيطاً بالغيط إلى الوزير السيد محمد الأصفهاني أمير الأمراء بدمشق واشتكي من قاضي القضاة المولى عبد الرحمن...). وهذا بذلك على رغبة النواصب في إزالة هذا المشهد ، واعتراض نقيب الأشراف على ذلك ! وفي خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١٧٦٧: (محمد الشهير بالمشهد الرومي... سمي المشهد لأنه كان مجاوراً بالمشهد الشرقي البراني من جامع بنى أمية ، المعروف بمشهد زين العابدين قديماً ، والآن بمشهد المحيا) . وهذا يعني نجاح النواصب في تغيير إسم المشهد كلّياً للقضاء عليه !

وختاماً ، فللامام زين العابدين عليه مسجد في مكة في التنعيم ، تجد ذكره في مصادر التاريخ ، وأنه كان موجوداً عدة قرون ، لكن النواصب أزالوه ، كبقية آثار النبي وأله عليه، وسموا التنعيم كله اليوم باسم: مسجد عائشة ! كما أن للإمام زين العابدين عليه مصلى في المدينة في الموضع الذي كان معروفاً بستان سلمان الفارسي عليه، وهو البستان الذي غرس المسلمين نخله لتحرير سلمان عليه وغرس منها النبي عليه بيده الشريفة ثلاثة نخلات ، وكان المسلمون يتبركون بها ويفرسون مكانها من فسلانها كلما هرمت ، فبقيت أثراً مباركاً ، وقد أكلتُ من رطبه للتبrik قبل أكثر من ثلاثين سنة ، وكان يوجد في البستان مصلى الإمام زين العابدين عليه فصلينا فيه ، وكان البستان عامراً بسوقيه ونخله ، حتى أفتى المتطرفون بإحرقه ، ثم قلعوا نخله وحرثوا أرضه بالماكنات !

الفصل الثاني:

معجزات الإمام زين العابدين ع

اعترفوا بأنه ولِيٌ يملك الإسم الأعظم

شهد المخالفون بمعجزات الإمام زين العابدين ع وفسروها بأنّ عنده إسم الله الأعظم ، وادعووا أن عدداً من شخصياتهم كان عندهم الإسم الأعظم !
فقد بحث ابن حجر أقوال علمائهم العديدة في معنى إسم الله الأعظم ، وببحثه بتفصيل أكثر المناوي في فيض القديرين . ٦٥٢/١

قال في فتح الباري: (ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجندى وعن غيرهما.. نقل الفخر الرازى عن زين العابدين أنه سأله أن يعلمه الإسم الأعظم فرأى في النوم: هو الله الله الله ، الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم).
وغرضنا من ذكر زعمهم كيفية امتلاك الإمام ع لاسم الله الأعظم ، أن نسجل اعتراضهم به لأنهم لم يمنكهم إنكار ما شاهدون من معجزاته ع كالذى حصل عندما ألحَ الحجاج على عبد الملك أن يأذن له بقتله ، لأنه برأيه المرجع الروحي للثائرين ، فأمر عبد الملك بالقبض عليه وتقييده بالحديد وإرساله إليه !
فقد رووا بسند صحيح عن الزهرى قال: (شهدت علي بن الحسين يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام ، فأنقله حديداً ووكل به حفاظاً في عدةٍ وجمعاً ، فاستأذنهم في التسلیم عليه والتوديع له فاذدوا لي فدخلت عليه وهو في قبة(هودج كالقصص) والأقياد في رجليه والغل في يديه ، فبكى وقلت: وددت أني في مكانك وأنت سالم ! فقال لي: يا زهرى أتوطنْ هذا مما ترى علىِ وفي عنقي مما يكربني ؟ أما لو شئتْ ما كان ، وإنه إن بلغ بك وبأمثالك غمراً ليذكر عذاب الله ، ثم أخرج يده من الغل ورجليه من القيد ثم قال: يا

زهري لا جُرْتُ معهم ذا منزليين من المدينة(مكان في طريق الشام) ! قال: فما لبنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه من المدينة فما وجدوه ! فكنت فيمن سألهم عنه فقال لي بعضهم: إننا نراه متبوعاً (أي معه جنباً !) إنه لنازلٌ ونحن حوله لأننا نرصده ، إذ أصبحنا بما وجدنا بين محمله إلا حديده ! قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته فقال لي: إنه جاءني في يوم فَقدَّة الأعوان فدخل عليًّا فقال: ما أنا وأنت؟! فقلت: أقم عندي فقال: لا أحب ثم خرج ، فواه الله لقد امتلاً ثوبي منه خيفة . قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظن، إنه مشغول بربه . (أي لا يريد الثورة عليك وأخذ الحكم كما تصور) فقال: حبذا شغل مثله، فنعم ما شغل به ! قال وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين!. (تاريخ دمشق: ٣٧٢/٤١ وحلية الأولياء: ١٣٥٣: ٢٧٥/٢، والمناقب).

أقول: أمام هذه المعجزة المتواترة ، وأمثالها ، قال علماء المذاهب الأخرى بصدور المعجزات من الأولياء ، وزعموا أن الإسم الأعظم الذي لاترد به دعوة لم يكن محصوراً بأهل البيت عليهم السلام بل كان عند بعض رجالهم وأن النبي ﷺ علمه لبعض الصحابة غير أهل بيته الطاهرين عليهم السلام . قال المناوي في فيض القدير: ٦٥٣/١، إن أبيًّا بن كعب طلب من النبي ﷺ أن يعلمه الإسم الأعظم فأرشده إلى مطلع آية الكرسي . وقال في: (ابن أبي عض عظماء الأولياء بالجذام وكان يحفظ الإسم الأعظم فقيل له: ألا تدعوه؟ فقال: ما كنت لأطلب الإقالة من أمر اختباره لي). وقال ابن حجر في الإصابة: ٤٩١/٥: (إن كرزاً سأله تعالى أن يعلمه الإسم الأعظم على أن لا يسأل به شيئاً من الدنيا ، فأعطاه ، فسأل الله أن يقويه على تلاوة القرآن ، فكان يختمه في اليوم والليلة ثلاث مرات) !

وفي إعنة الطالبين: ١٦/١، أن عبد القادر الجيلاني كان عنده الإسم الأعظم ! وقال الذهبي في سيره: ٣٨٨/٧، في ترجمة ابراهيم بن أدهم: (ورأى في الباية رجلاً علمه الإسم الأعظم فدعا به ، فرأى الخضر وقال: إنما علمك أخي داود . رواها علي بن محمد المصري الوعاظ) .

وقال في: ٨٧/١٣، في ترجمة أبي يزيد البسطامي: (وَقِيلَ لَهُ: عَلِمْنَا الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ قَالَ: لَيْسَ لَهُ حَلْلٌ إِنَّمَا هُوَ فَرَاغُ قَلْبِكَ لِوَحْدَانِيَّتِهِ ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَارْفَعْ لَهُ أَيِّ إِسْمٍ شَاءَ مِنْ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ) .

وقال في: ٣٦٧/١٣: (إِنَّ أَبَا حَاتِمَ كَانَ يَعْرِفُ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَمَرْضَ ابْنَهُ فَاجْتَهَدَ أَنْ لَا يَدْعُوهُ بِهِ فَإِنَّهُ لَا يَسْنَدُ بِهِ الدِّينَ ، فَلَمَّا اشْتَدَتِ الْعُلَةُ حَزَنَ وَدَعَا بِهِ فَعُوْفَيَ ، فَرَأَى أَبُو حَاتِمَ فِي نَوْمِهِ: أَسْتَجِبْ لَكَ لَكِنَّ لَا يَعْقِبُ ابْنَكَ . فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ مَعَ زَوْجِهِ سَبْعِينَ سَنَةً فَلَمْ يَرْزُقْ وَلَدًا ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَا مَسَّهَا) !

وقال في ترجمة السلمي: (قلت: هو صاحب حكاية الفارة مع ذي النون لما سأله الإسم الأعظم). (وسير الذهبي: ٢٥١/١٤، و ٥١١/١٦، وميزان الإعتدال: ٣٩٨/١، و ٣٧٢/٢) .

○ ○

أما عندنا فامر الإمامة ومقام الأنمة المعصومين صلوات الله عليهم ، أوسع من الإسم الأعظم على عظمته ، وبعض موالיהם كان عندهم الإسم الأعظم !
(عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سلمان علمَ الإسم الأعظم).
(اختيار معرفة الرجال: ٥٦/١). بينما لم يعلّمه الإمام الباقي عليهما السلام عمر بن حنظلة لأنه لا يطيقه ! (قال: قلت لأبي جعفر عليهما السلام: إني أطئن أن لي عندك منزلة؟ قال: أجل ، قال قلت: فإن لي إليك حاجة ، قال: وما هي؟ قال قلت تعلموني الإسم الأعظم ! قال: وتطيقه؟ قلت: نعم قال: فادخل البيت(الغرفة)، قال فدخل البيت فوضع أبو

جعفر يده على الأرض فأظلمت البت فأرعدت فرايص عمر ! فقال: ما تقول ، أعلمك ؟ فقال: لا . قال: فرفع يده فرجع البت كما كان . (بصائر الدرجات / ٢٣٠) . وقد تعرضنا في هذا الكتاب الى علم أمير المؤمنين عليه السلام بأجله ، وعلم الإمام الحسن عليه السلام بأجله ، وأن الله خص نبينا وعترته المعصومين عليهم السلام بالكثير الكثير ، فعندهم عليهم السلام علم الظاهر والباطن . وأن من يعطيه الله سبحانه هذه العلوم يجعل معه ملائكة يحفظونه ، ليعيش حياته الطبيعية بالعلم الظاهري ، ويستعمل طرفاً من العلم اللدني في وقته ، قال عز وجل: عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصْدًا . لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا . (سورة الجن: ٢٧-٢٩) .

الأئمة عليهما السلام لا يطلبون من ربهم المعجزة إلا أن يأذن لهم

فقد صرخ بذلك الإمام زين العابدين عليه السلام عندما جاءه رجل مهموم وشكى له دينه الذي أثقله ، فلم يكن عنده ما يعطيه ، ربما لأنهم صادروا منه صدقات النبي والله عليهما السلام فأعطاه قوت يومه قرصين ، وأمره أن يذهب إلى السوق ويشتري بهما شيئاً ، فوجد سمنكتين غير مرغوبتين فاشتراهما فوجد في جوفها لؤلؤتين ثمينتين: (وابع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله ، فقال بعض المخالفين: ما أشد هذا التفاوت ! بينا علي بن الحسين لا يقدر أن يسد منه فاقه ، إذ أغناه هذا الغناء العظيم ! كيف يكون هذا وكيف يعجز عن سد الفاقه من يقدر على هذا الغناء العظيم؟! فقال علي بن الحسين عليهما السلام: هكذا قالت قريش للنبي عليهما السلام: كيف يمضي إلى بيت المقدس وبشاهد ما فيه من آثار الأنبياء عليهما السلام من مكة ويرجع إليها في ليلة واحدة ، من لا يقدر أن يبلغ من مكة إلى المدينة إلا في اثنى عشر يوماً ؟! وذلك حين هاجر منها . ثم قال عليهما السلام: جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه ! إن المراتب الرفيعة لاتنسال إلا بالتسليم لله جل ثناؤه وترك الإقتراح عليه ، والرضا بما يدبرهم به . إن أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لئلا يساوهم فيه غيرهم ، فجازاهم الله عز وجل عن ذلك بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم ، لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا ما يريدون لهم) ! (أعمال الصدوق/ ٥٣٩).

وفي هذا الموضوع بحوث مهمة ، نشير منها إلى أن قوله عليهما السلام: (أوجب لهم نجح جميع طلباتهم ، لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا ما يريدون لهم) : فهو يدل

على أن المعصوم عليه السلام لا يطلب المعجزة ولا يستعمل ولايته ومنها إسم الله الأعظم إلا بإذن أو أمر من الله تعالى ! فالأصل عنده أن يعمل ويعيش بالأسباب العادية إلا إذا أبلغه الله تعالى بهاتف أو إلهام أو أي طريق ، أن يعمل شيئاً أو يدعوه بشئ ! وهذا معنى تفوق النبي عليه السلام وعترته على غيرهم ، بأنهم لم يقتربوا على ربهم عز وجل شيئاً ، بل كانوا في قمة العبودية والتسليم لربهم عز وجل .



وتبلغ معجزات الإمام زين العابدين عليه السلام أكثر من مئة معجزة ، روطها مصادرنا وروت نحو نصفها مصادر أتباع الخلافة !

وقد أوردنا فيما تقدم بعضاً ، ومنها أن عبد الملك كان بطوف فرأى الإمام عليه السلام وعتب عليه لماذا لا يزوره لينال من دنياه ، فبسط الإمام رداءه ودعا الله أن يريه كرامة أوليائه ، فملأ الله رداءه جواهر . (الثاقب/٣٦٥، والخرانج: ٢٥٥/١).

ومعجزته عندما كان يصلّي فوقع طفله في البئر وصاحت النساء فلم يلتفت حتى أكمل صلاته فتقدّم إلى البئر فارتفع الماء والصبي عليه فتناوله ! وسيأتي في علاقته عليه السلام مع العباد والمتصوفة أن أهل مكة استسقوا بهم فلم يستجب الله دعاءهم ، واستسقى الإمام عليه السلام فأنزل الله المطر !

ويطّول الكلام لو أردنا استقصاء ما روی من معجزاته وكراماته عليه السلام . وقد عقد لها المجلس بباباً خاصاً ٢٠٤٦، وعُنونَ لها في الدر النطيم ٥٨٨، وروى عدداً منها في الصراط المستقيم: ١٨٠/٢، وروها غيرهم في سيرته العطرة عليه السلام.



الفصل الثالث:

الإمام زين العابدين ع^{عليه السلام} في كربلاء

١- بقية السيف أنمي عدداً

هو بقية السيف.. و(بقية السيف أنمي عدداً وأكثر ولدا). (نهج البلاغة: ١٩٤). شاءه الله أن يكون شاهداً على كربلاء ، ومعه طفله محمد الباقر عليهما السلام، فحضر كل مراحل المعركة ، وفصول الأسر والترحال . وهيا له الله من يحافظ على حياته في كربلاء: (لما قتل الحسين كان علي بن الحسين عليهما السلام فجعل رجل منهم يدافع عنه كل من أراد به سوءاً) ! (مدينة المعاجز: ٣٨٢/٤).

قال الزهري: (كان علي بن الحسين مع أبيه يوم قتل ، وهو ابن ثلات وعشرين سنة). (تهذيب الكمال: ٤٠٢٠)، وروى عن محمد بن عقيل بأن عمر الإمام عليهما السلام كان خمساً وعشرين.

○ ○

٢- يوم غادر المدينة مع أبيه الحسين عليهما السلام

في رجب سنة ستين للهجرة ، وصل خبر هلاك معاوية الى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ومعه أمر مشدد من ابن أخيه يزيد أن يأخذ له البيعة من الحسين عليهما السلام وعبد الله بن الزبير ، فإن امتنعا فليقتلهما وبيعث اليه برأسهما ! فاستدعاهما الى دار الإمارة ليلاً ، فذهب ابن الزبير الى الحسين عليهما السلام وسألة: (ما تظن فيما بعث إلينا ؟ فقال الحسين: أظن طاغيهم قد هلك ، وقد بعث هذا إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو الخبر ! قال: وأنا ما أظن غيره ، ما ت يريد أن تصنع؟ قال: أجمع فتاني الساعة ثم أسير إليه فإذا بلغت الباب احتبسنهم . قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت! قال: لا آتيه إلا وأنا على امتناع . قال فجمعت مواليه وأهل بيته ثم قام يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال

لأصحابه: أنا داخل فيان دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فاقتهموا علىَ
بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج ! فدخل وعنهه مروان فسلم عليه بالأمرة
وجلس فأقرأه الوليد الكتاب ونعي إليه ودعاه إلى البيعة فقال الحسين... مثلي لا
يعطي بيته سراً ولا تجتزئ مني سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانيةً
قال: أجل . قال فإذا خرجت الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان
أمرأً واحداً ! فقال له الوليد وكان يحب العافية: فانصرف على اسم الله حتى
تأتينا مع جماعة الناس . فقال له مروان: إن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت
منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى وبينه ، إحبس الرجل ولا يخرج من عندك
حتى يبايع أو تضرب عنقه ! فوثب الحسين عند ذلك فقال: يا ابن الزرقاء أنت
قتلني أو هو ؟ كذبت والله ، ثم خرج ! فقال مروان والله لا يمكنك من مثلها من
نفسه ! فقال الوليد: والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغرت وأني
قتلت حسيناً.. وتشاغلوا عن الحسين ذلك اليوم فخرج من الليل بينه وأخواته
وبني أخيه وأهل بيته إلى مكة للليلتين من رجب ، فدخلها ليلة الجمعة لثلاث
مضين من شعبان . (المتنظم لابن الجوزي: ٣٢٣/٥).

في ذلك الموكب النبوي كان الإمام زين العابدين عليه السلام مع أبيه الحبيب عليه السلام،
وأمضى معه شهوراً في مكة ، ثم في طريقه إلى كربلاء ، وكان فيها مريضاً
ولكنه حضر أيام الله العظيمة ، واختزن مشاهدها وأياتها ، وختامها مشهد أبيه
وسبعة عشر نجماً من آل الرسول صلوات الله عليه وسلم صرعى على وجه الثرى !
وفي كربلاء أعداؤه لقب كبير أسرى البيت النبوى وراعي سباياهم من
نساء وأطفال ! وبدأ رحلته إلى الكوفة ، ثم إلى الشام ، مواصلاً رسالة أبيه
الشهيد عليه السلام ، مقيماً مأتمه في قصور أعدائه، يشعُّ بنوره في ظلماتهم !

٣- روى مشهد ليلة عاشوراء

قال عليه السلام: (كنت مع أبي الليلة التي قتل صبيحتها ، فقال لأصحابه: هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملأً فإن القوم إنما يريدونني ولو قتلوني لم يلتفتوا إلى غيري ، وأنتم في حل وسعة . فقالوا: لا والله ، لا يكون هذا أبداً . قال: فإنكم إن أصبحتم معي قتلتكم لا يفلت منكم رجل ! قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك ، لا نخذلك ولا نختار العيش بعده ! ثم دعا وقال لهم: إرفعوا رؤوسكم وانظروا ، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان ، وهذا قصرك يا فلان ، وهذه درجتك يا فلان . فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة). (الخرابج: ٢٥٤١؛ ٨٤٧٢). وينبغي التذكير أن روایات هذا الفصل جزءٌ من مقتل الحسين عليه السلام متفقٌ على أصولها وأكثر تفاصيلها في المصادر المختلفة التي روت المقتل ، الشيعية منها والسننية كالطبراني وابن كثير وابن الأثير ، وغيرهم . قال ابن كثير في النهاية: (أوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله ، وخطب أصحابه في أول الليل فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على رسوله بعبارة فضيحة بلغة ، وقال لأصحابه: من أحب أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنت له ، فإن القوم إنما يريدونني.. هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملأً ولیأخذ كل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، ثم اذهبوا في بسيط الأرض في سواد هذا الليل إلى بلادكم ومدائنكم ، فإن القوم إنما يريدونني ، فلو قد أصابوني لذهلوا عن طلب غيري.. وذكر ابن كثير رفض أصحابه مفارقته وقال: (عن علي بن الحسين زين العابدين قال: إني لجالس تلك العشية التي قتل أبي

في صحيحتها وعمتي زينب تمرضني ، إذ اعتزل أبي في خيائه ومعه أصحابه وعنه حَوِيَ مولى أبي ذر الغفارى وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبي يقول:

يا دهر أَفَ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ كُمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْأَصْبَارِ

مِنْ صَاحِبٍ أَوْ طَالِبٍ قَتِيلٍ وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدْلِ

وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ وَكُلُّ حَيٍ سَالِكٌ سَبِيلِي

فأعادها مرتين أو ثلاثة حتى حفظتها وفهمت ما أراد ، فخنتني العبرة فرددتها ولزست السكوت ، وعلمت أن البلاء قد نزل !

وأما عمتي فقامت حاسرة حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة ! اليوم ماتت أمي فاطمة وعلى أبي وحسن أخي ، يا خليفة الماضي وثمال الباقى ! فنظر إليها وقال: يا أخيه لا يذهبنَ بحلنك الشيطان ، فقالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله ، استقتلت ؟ ولطم وجهها وشقت جيبيا وخرت مغشياً عليها ، فقام إليها فصب على وجهها الماء وقال يا أخيه: إن الله واصبري ، وتعزّي بعزاء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لا يبكون ، وأن كل شئ هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ، ويعيدهم بقهره وعزته ، ويعيدهم وحده ، وهو فرد وحده . واعلمي أن أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ،ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة . ثم حرجَ عليها أن لا تفعل شيئاً من هذا بعد مهلكه ، ثم أخذ بيدها فردها إلى عندي . ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يدنوا بيوتهم بعضاً من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها في بعض ، وأن لا يجعلوا للعدو مخلصاً إليهم إلا من جهة واحدة وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائهم ومن ورائهم . وبات الحسين عليهما السلام وأصحابه طول ليتهم يصلون ويستغفرون ويدعون

ويتضرعون ، وخبيول حرس عدوهم تدور من ورائهم ، عليهما عزرة بن قيس الأحسسي والحسين يقرأ: **وَلَا يَخْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نَمْلَى لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنَّفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلَى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ.. مَا كَانَ اللَّهُ يَذَرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَتَمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْحَبِيبَ مِنَ الطَّيْبِ..** (وسبل الهدى للصالحي: ٧٧/١١).

ونحوه روضة الوعظين لفتال البسابوري: **وَفِيهِ: (فَجَمِعَ الْحَسِينَ عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ عَنْدَ قَرْبِ الْمَسَاءِ . قَالَ عَلَيِّ بْنِ الْحَسِينِ زِينَ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ أَنَّهُ فَدَنَوْتُ مِنْهُمْ لَا سَمِعَ مَا يَقُولُ لَهُمْ وَأَنَا إِذَا ذَاكَ مَرِيضٌ ، فَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَثْنَيْ عَلَىَ اللَّهِ أَحْسَنَ الشَّتَّاءِ وَأَحْمَدَهُ عَلَىِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَىَ أَكْرَمَتْنَا بِالنَّبِيِّ وَعَلِمْتَنَا الْقُرْآنَ وَفَهَمْتَنَا فِي الدِّينِ ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْنَدَهُ ، فَاجْعَلْنَا مِنَ الشَاكِرِينَ . أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبْرَ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَصْحَابِي وَأَهْلَ بَيْتِي ، فَجزاكمَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ . أَلَا إِنِّي لَأَظُنُّ يَوْمَنَا مِنْ هُؤُلَاءِ غَدًا ، أَلَا وَقَدْ أَذْنَتُ لَكُمْ فَانطَلَقُوا جَمِيعًا فِي حَلِّ لِسْنِ عَلِيكُمْ مِنِي ذَمَامًا ، هَذَا اللَّيلُ قَدْ غَشِيَّكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمِيلًا .)**

وفي مدينة المعاجر: **٢١٥/٢: عَنِ الْإِمَامِ زِينِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ أَنَّهُ عِنْدَمَا رَأَى رَفِضَهُمْ مَفَارِقَتِهِ وَتَرَارِهِمُ الْقَتَالِ دُونَهِ، قَالَ لَهُمْ: (يَا قَوْمَ إِنِّي فِي غَدٍ أُقْتَلُ وَتَقْتَلُونَ كُلَّكُمْ مَعِي ، وَلَا يَبْقَى مِنْكُمْ وَاحِدٌ ! فَقَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِنَصْرِكَ وَشَرْفِنَا بِالْقَتْلِ مَعَكَ ، أَوْ لَا نَرْضَى أَنْ نَكُونَ مَعَكَ فِي درْجَتِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُمْ بِخَيْرٍ ، فَأَصْبَحَ وَقْتُ وَقْتِهِمْ مَعَهُ أَجْمَعُونَ . فَقَالَ لَهُ الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ: وَأَنَا فِيمَنْ يُقْتَلُ؟ فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا بْنِي كَيْفَ الْمَوْتُ عِنْدَكَ؟! قَالَ: يَا عَمَ أَحْلَى مِنَ الْعَسلِ . فَقَالَ: أَيْ وَاللهِ فَدَاكَ عَمُكَ ، إِنَّكَ لَأَحَدٌ مِنْ يُقْتَلُ مِنَ الرِّجَالِ مَعِي بَعْدَ أَنْ تَبْلُو بِيَلَاءَ عَظِيمٍ .**

٤- روی دعاء أبيه عليهما السلام وخطبته صبيحة عاشوراء

قال المفید عليه السلام في الإرشاد: ٩٧٢: (فروي عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال: لما صبحت الخيل الحسين رفع يديه وقال: اللهم أنت تنتهي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لى في كل أمر نزل بي ثقة وعدة ، كم من هم يضعف فيه الفواد ، وتقل فيه الحيلة ، ويختزل فيه الصدق ، ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك وشكوتاه إليك ، رغبة مني إليك عمن سواك ، ففرجته وكشفته . فأنت ولني كل نعمة وصاحب كل حسنة ، ومنتهاي كل رغبة .

قال: وأقبل القوم بجولون حول بيوت الحسين عليه السلام فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان ألقى فيه ، فنادي شمر بن ذي الجوشن عليه اللعنة بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت النار قبل يوم القيمة؟ فقال الحسين عليه السلام: من هذا، كأنه شمر بن ذي الجوشن؟ فقالوا له: نعم فقال له: يا ابن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً . ورام مسلم بن عوجة أن يرميه بهم فمنعه الحسين من ذلك فقال له: دعني حتى أرميه فإن الفاسق من عظاماء الجبارين وقد أمكن الله منه . فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه فإبني أكره أن أبدأهم . ثم دعا الحسين براحته فركبها ونادى بأعلى صوته:

يا أهل العراق، وجلهم يسمعون، فقال: أيها الناس إسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظمكم بما يحق لكم علىَّ ، وحتى أذرر إليكم ، فإن أعطيتوني النصف كنت بذلك أسعد ، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا أمراكم وشركاءكم ثم لا يكنْ أمراكم عَلَيْكُمْ غَمَّةً ثم اقضوا إلَيَّ ولا تنتظرون . إنَّ وَاللهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَنَوِّلُ الصَّالِحِينَ ! ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله

بما هو أهل ، وصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى ملائكة الله وأنبائه فلم يسمع متكلماً في قبليه ولا بعده أبلغ في منطق منه ، ثم قال: أما بعد: فانسيوني فانتظروا من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوا ، فانتظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسن ابن بنت نبيكم ، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما جاء به من عند ربه ، أوليس حمزة سيد الشهداء عمي ، أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي ، أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيداً شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بساً أقول وهو الحق والله ما تعمدت كذباً منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ، وإن كذبتموني فإن فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك ، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأخي ! أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!

فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ما يقول! فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً ، وأناأشهد أنك صادق ما تدرى ما يقول ، قد طبع الله على قلبك ! ثم قال لهم الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شك من هذا ، أفتشكرون أنني ابن بنت نبيكم ! فوالله ما بين المشرق والمغارب ابن بنتنبي غيري فيكم ولا في غيركم ! ويعكم أطلبونني بقتل منكم قتلت ، أو مال لكم استهلكته ، أو بقصاص جراحته؟! فأخذوا لا يكلمونه ، فنادى: يا شبث بن ربعي ، يا حجار بن أبجر ، يا قيس بن الأشعث ، يا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الشمار واحضرَ الجناب ، وإنما تقدم على جند لك مجند؟! فقال له قيس بن الأشعث: ما ندرى

ما تقول ولكن إنزل على حكمبني عملك فإنهم لن يروك إلا ما تحب ! فقال له الحسين: لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد . ثم نادى: يا عباد الله، إني عذت برببي وربكم أن ترجمون ، أعود برببي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بسيوم الحساب . ثم إنه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها ، وأقبلوا يزحفون نحوه). ونحوه في نهاية ابن كثير: ١٩٣/٨، وفيه: (وركب ابنته علي بن الحسين، وكان ضعيفاً مريضاً ، فرسأ يقال له لاحق ونادي الحسين: أيها الناس: إسمعوا مني نصيحة أقولها لكم، فأنصت الناس كلهم...). وهو /شتباه من ابن كثير فالنبي كان معه ابنته هو على الأكبر ، ولم يكن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يستطيع الركوب . وكان للحسين عليه السلام عدة أولاد بإسم على عليه السلام !



٥- ضَمَّنَّيْ أَبِي إِلَى صُدْرِهِ يَوْمَ قُتْلِ الدَّمَاءِ تَغْلِي !

في الدعوات للراوندي: (روي عن زين العابدين قال: ضمني والدي عليه السلام إلى صدره يوم قتل والدماء تغلق وهو يقول: يا بنى إحفظ عنى دعاء علمتنيه فاطمة عليها السلام ، وعلمهها رسول الله صلوات الله عليه وسلم ، وعلمه جبرائيل عليه السلام ، في الحاجة والهم والغم ، والتنازلة إذا نزلت ، والأمر العظيم الفادح . أدع: بحق يس القرآن الحكيم ، وبحق طه والقرآن العظيم ، يا من يقدر على حواجه السائلين ، يا من يعلم ما في الضمير ، يا منفس عن المكرهين ، يا مفرج عن المفرومين ، يا راحم الشیخ الكبير ، يا رازق الطفل الصغير ، يا من لا يحتاج إلى التفسير ، صل على محمد وآل محمد ، وافعل بي كذا وكذا) .



٦- حاول الامام زين العابدين عليه السلام النزول الى المعركة

(ثم التفت الحسين عليه السلام عن يمينه فلم ير أحداً من الرجال ، والتفت عن يساره

فلم ير أحداً ، فخرج علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام و كان مريضاً لا يقدر أن يُقلّ سيفه ، وأم كلثوم تنادي خلفه: يا بني إرجع ! فقال: يا عمتاه ! ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله . فقال الحسين عليه السلام: يا أم كلثوم ! خذيه لثلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد عليهما السلام . (العالم ٢٨٨).

○ ○

٧- هياً الله له من يحميه في كربلاء

(وكان علي بن حسين الأصغر مريضاً نائماً على فراش ، فقال شمر بن ذي الجوشن الملعون: أقتلوا هذا ! فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله أتقتل فتى حدثاً مريضاً لم يقاتل ! وجاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النساء ولا لهذا المريض . قال علي بن حسين: فغبني رجل منهم وأكرم نزلي واحتضنتي وجعل يبكي كلما خرج ودخل ، حتى كنت أقول: إن يكن عند أحد من الناس وفاءً فعند هذا ! إلى أن نادى ابن زياد: ألا من وجد علي بن حسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثة درهم ! قال: فدخل والله علىَّ وهو يبكي وجعل يربط يدي إلى عنقي ! وهو يقول: أخاف ! فأخرجنِي والله إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثة درهم وأنا أنظر إليها . فأخذت ، فأدخلت على ابن زياد ، فقال: ما اسمك ؟ فقلت: علي بن حسين ، قال: أو لم يقتل الله علياً ؟ قال: قلت كان لي أخ يقال له علي أكبر مني قتله الناس ، قال: بل الله قتله ، قلت: الله يتوفى الأنفس حين موتها ، فأمر بقتله ، فصاحت زينب بنت علي بابن زياد: حسبك من دمائنا، أسألك باش إن قتله إلا قتلتني معه، فتركه).

(الطبقات ترجمة الإمام الحسين عليه السلام /٧٨)

وفي الكامل: ٤/٧٧: (وأما سويد بن المطاع فكان قد صرع فوقع بين القتلى متخناً بالجراحات ، فسمعهم يقولون: قتل الحسين فوجد خفةً فوثب ومعه

سکین و کان سیفه قد أخذ ، فقاتلهم بسکینة ساعه ثم قتل، وقتله عروة بن بطان الشعبي وزید بن رقاد الجنبي ، وکان آخر من قتل أصحاب الحسين . ثم انتهوا إلى علي بن الحسين زین العابدین فأراد شمر قتله ، فقال له حمید بن مسلم: سبحان الله أتقتل الصبيان ! وكان مريضاً ! وجاء عمر بن سعد فقال: لا يدخلن بيت هذه النسوة أحد ولا يعرضن لهذا الغلام المريض ، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردده . فلم يرد أحد شيئاً !

فقال الناس لستان بن أنس النخعي: قتلت الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله؟! قتلت أعظم العرب خطراً ، وأراد أن يزيل ملك هؤلاء ، فأتأمراءك فاطلب ثوابك منهم فإنهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتلهم كان قليلاً ! فاقبل على فرسه ، وكان شجاعاً شاعراً به لوثة حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ، ثم نادى بأعلى صوته:

أوَقْرُ رِكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا إِنِّي قَتَلْتُ السَّيِّدَ الْمَحْجُوبَ
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَمَّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يَنْسِبُونَ نَسِيبًا

فقال عمر بن سعد: أشهد أنك مجنون، أدخلوه علىٰ فلما دخل حذفه بالقضيب وقال: يا مجنون أتكلم بهذا الكلام؟ والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك!)!

○ ○

٨- لما نظر الى أبيه عليهما واصحابه صرعنى !

(عن قدامة بن زایدة عن أبيه قال: قال لي علي بن الحسين عليهما: بلغني يا زایدة أنك تزور قبر أبي عبد الله عليهما أحياناً ؟ فقلت: إن ذلك لكما بلغك ، فقال لي: فلما ذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يتحمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا، والواجب على هذه الأمة من حقنا ؟

فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله عليهما السلام ولا أحفل بسخط من سخط ،
ولا يكابر في صدري مكروه ينالني بسببه !
فقال: والله إن ذلك لكذلك ، يقولها ثلاثة وأقولها ثلاثة ، فقال: أبشر ثم أبشر
ثم أبشر ، فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزونة: إنه لما أصابنا
بالطف ما أصابنا ، وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وإخوته وساير
أهله ، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يردد بنا الكوفة ، فجعلت أنظر إليهم
صرعى لم يواروا ، فعظم ذلك في صدري واشتد لما أرى منهم قلقي ، فكادت
نفسى تخرج ، وتبينت ذلك مني عمتى زينب الكبرى بنت علي فقالت: ما لي
أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبى وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع
وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمى وأهلي مضرجين بدمائهم
مسرّعين بالعرا مسلّبين ، لا يكفنون ولا يوارون ، ولا يمرج عليهم أحد ، ولا
يقربهم بشر ، كأنهم أهل بيت من الدليل والخزر؟!

فقالت: لا يجزعنك ما ترى والله إن ذلك لعهد من رسول الله عليه السلام إلى جدك
وأبيك وعمك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه
الأمة ، وهم معروفون في أهل السماوات ، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة
فيوارونها ، وهذه الجسوم المضرجة ، وينصبون لها الطف علمًا لقبر أبيك سيد
الشهداء ، لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه ، على كرور الليالي والأيام ،
وليجهنن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسمه فلا يزداد أثره إلا
ظهوراً ، وأمره إلا علواً). (كامل الزيارات ٤٤)، من حديث طوبيل ذكر فيه دعوة
فاطمة الزهراء لأبيها عليهما السلام إلى طعام ، وأنه أخبرهم بما سيجري عليهم وبكي ، ومما
 جاء فيه عليه السلام: (قال لي جبرائيل: يا محمد إن أخاك مضطهد بعده ، مغلوب

على أمتك ، متغوب من أعدائك ، ثم مقتول بعده ، يقتله أشر الخلق والخليقة وأشقي البرية ، يكون نظير عاشر النافقة ، يبلد تكون إليه هجرته ، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده ، وفيه على كل حال يكثر بلواهم وبعظم مصابهم ، وإن سبطك هذا وأومني بيده إلى الحسين مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بضفة الفرات بأرض يقال لها كربلاء). وذكر فيه فضل كربلاء وفضل زيارة الحسين عليه السلام.

قال الطبرى: (عن قرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطمأن وجوههن ! قال: فاعتبرضهن على فرس فما رأيت منظراً من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منها ! ذلك والله لهن أحسن من مهى بيرين (غزلان يثنى) ! قال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريراً وهي تقول: يا محمداه يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بال العرا ، مُرمَّل بالدماء ، مقطوع الأعضا ، يا محمداه وبناتك سبايا ، وذرتك مقتلة ، تسفي عليها الصبا ! قال فأبكت والله كل عدو وصديق ! قال: وقطف رؤوس الباقيين فسرح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمر بن الحاج وعزرة بن قيس ، فاقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد).

○ ○

٩- مع الرؤوس الطاهرة والسبايا والأسرى إلى الكوفة !

قال المفید رحمه الله في الإرشاد: (وسرَّحَ عمر بن سعد من يومه ذلك وهو يوم عاشوراء ، برأس الحسين عليه السلام مع خولي بن يزيد الأصبهني وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد ، وأمر بررؤوس الباقيين من أصحابه وأهل بيته

فنظفت ، وكانت اثنين وسبعين رأساً ، وسرح بها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج ، فأقبلوا حتى قدموا بها على ابن زياد . وأقام بقية يومه واليوم الثاني إلى زوال الشمس ، ثم نادى في الناس بالرحيل وتوجه إلى الكوفة ومعه بنات الحسين وأخواته ، ومن كان معه من النساء والصبيان ، وعلى بن الحسين فيهم ، وهو مريض بالذرب وقد أشفي (على الموت) . وقال الطبرى: ٣٤٨/٤: (فلمَا أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد ، وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد ، ثم أمر حميد بن بكير الأحرمى فاذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة ، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان ، وعلى بن الحسين مريض) .

وقال الطبرى: ٣٥٨/٤: (ولما قتل الحسين بن علي جئ برؤوس من قتله معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد ، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث ، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً ، وجاءت بنو أسد بستة شمر بن ذي الجوشن ، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً ، وجاءت سائر الجيش بسبعة أرؤس ، وجاءت مذحج بسبعة أرؤس ، وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس ، فذلك سبعون رأساً) !

١٠- خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام والسميدة زينب في الكوفة !

(عن حذيم بن شريك الأنصاري قال: لما أتى علي بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء وكان مريضاً ، وإذا نساء أهل الكوفة يتذبن مشققات الجيوب ، والرجال معهن يبكون ! واجتمع الناس للنظر إلى سبي آل الرسول ! فأشرفت امرأة من الكوفة وقالت: من أي الأسرار أنتنَ ؟ فقلن: نحن أسرارى محمد عليهما السلام فنزلت وجمعت ملءاً وأزراً ومقانع وأعطتهن فتغطين ، وعلي بن الحسين معهن والحسن بن الحسن المثنى ، وكان قد نقل من المعركة وبه رمق ، ومعهم زيد وعمر ولدا الحسن عليهما السلام ، فجعل أهل الكوفة يبكون ، فقال زين العابدين عليهما السلام بصوت ضئيل وقد نهكته العلة: إن هؤلاء يبكون علينا ، فمن قتلنا غيرهم ؟! فأومأت زينب بنت علي بن أبي طالب إلى الناس بالسكتوت ، فلم أر خفراً أنطق منها ، كأنما تُفرغ عن لسان أبيها ! فأومأت إلى الناس أن اسكنتوا فسكت الأنفاس ، وهدأت الأجراس فقالت:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم المرسلين. أما بعد يا أهل الخُثْل والخَذْل ، أتبكون فلا رقائق العبرة ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم كمثل نَقَضَتْ غَرْزُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ .. وإنْ فيكم إلا الصلف النطف ، وذل العبد الشنتف ، وملق الإماماء وغمز الأعداء ، أو كمرعى على دمنة ، أو كفضة على ملحودة ! ألا ساء ما تزرون .

ألا بئس ما قدمت لكم أفسركم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون ! أتبكون أخي ! أجل والله فابكونا فإنكم أخرى بالبكاء فابكونا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فقد ذهبتم بعارها ، ومنيتم بشمارها ، ولن ترحبوها أبداً !

وأنى تر حضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب أهل الجنة ، ولادة حربكم ، ومعاذ حزبكم ، ومقر سلمكم ، وأسى كلّكم ، ومفزع نازلكم ، والمرجع إليه عند مقاتلتكم ، ومدرة حجاجكم ، ومنار محجتكم .
ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم ، وساء ما تزرون ليوم بعثكم ! فتعساً تعساً ،
ونكساً نكساً ! لقد خاب السعي وتبت الأيدي ، وخسرت الصفة ، وبؤتم بغضب من الله ، وضررت عليكم الذلة والمسكناً !

أندرون ويلكم أي كبد لمحمد عليه السلام فريتم ! وأي عهد نكشم ! وأي كريمة له أبرزتم ! وأي حرمة له هتكتم ! وأي دم له سفكتم ! لقد جئتم شيئاً إذا ، تكاد السَّمَاءُاتُ يَفْطَرُنَّ مِنْهُ وَتَشَقَّقُ الْأَرْضُ وَتَخَرُّ الْجَبَالُ هَذَا ! لقد جئتم بها شوهاء صلداء عنقاء سوداء فقماء خرقاء ، كطلاع الأرض أو ملء السماء !
أفعجتكم أن تمطر السماء دماً ، ولذاب الآخرة أخرى وهم لا ينصرون ، فلا يستخفنكم المهل ، فإنه عز وجل لا يحفزه البدار ، ولا يخشى عليه فوت الثار ،
كلا إن ربك لنا ولهم بالمرصاد ، ثم أنشأت تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيسي وأولادي وتكتريني منهم أسرارى وصنيهم ضرر جداً بهم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
إني لأخشع عليكم أن يحلّ بكم مثل العذاب الذي أودى على إرم
ثم ولت عنهم . قال حذيم: فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم في
أفواههم ! فالتفت إلى شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلت لحيته بالبكاء ، ويده
مرفوعة إلى السماء ، وهو يقول: بأبي وأمي كهولهم خير كهول ، ونساؤهم خير
نساء وشبابهم خير شباب ، ونسائهم نسل كريم وفضلهم فضل عظيم، ثم أنسد:

كهولكمَ خيرُ الكهول ونسلكمْ إذا عَلَّتْ نسلَ لا يبور ولا يخزى

فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا عمّة أسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة. ثم نزل عليه السلام وضرب فساطه وأنزل نسائه، ودخل القسططاط.

قال حذيم بن شريك الأستدي: خرج زين العابدين عليه السلام إلى الناس وأوّل ما إليهم أن اسكنوا فسكنوا وهو قائم، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين، المذبح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حرمه وسلب نعيمه، وانتهب ماله وسبّي عياله، أنا ابن من قتل صبراً فكفى بذلك فخرأ. أيها الناس: ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة؟ ثم قاتلتتموه وخذلتموه! فبأيّ لكم ما قدمتم لأنفسكم، وسوء رأيكم! بأيّ عين تنتظرون إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ السَّلَامَ وَبَرَّاهُ يقول لكم: قاتلت عترتي وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي!

قال: فارتقطعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعوا بعضهم بعضاً: هلكتم وما تعلمون! فقال علي بن الحسين عليه السلام: رحم الله امرء قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ السَّلَامَ وَبَرَّاهُ وفي أهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة. فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك رحمة الله، فإننا حرب لحربك سلم لسلمك، لنأخذن ترتك وترتنا من ظلمك وظلمنا.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: هيئات هيئات! أيها الغدرة المكررة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلى كما أتيتم إلى آبائكم من قبل!

الفصل الثالث: الإمام زين العابدين علیه السلام في كربلاء..... ٧٣

كلا ورب الراقصات (النرق) إلى مني ، فإن الجرح لما يندمل ! قتل أبي بالأمس وأهل بيته معه ، فلم ينسني ثكل رسول الله ﷺ وثكل أبي وبني أبي و جدي ، شق لهازمي (يقصد فسي) ومرارته بين حناجري وحلقي ، وغصة تجري في فراش صدري . وسألتني أن لا تكونوا لنا ولا علينا) ! (الاحتجاج: ٢٩/٢، ومثير الأحزان/٦٩).



١١- خطبة فاطمة بنت الحسين عليها السلام في الكوفة

(عن زيد بن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: خطبت فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كربلا ، فقالت: الحمد لله عدد الرمل والمحصى ، وزنة العرش إلى الثرى ، أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أولاده ذبحوا بشط الفرات من غير دحل ولا ترات ، اللهم إني أعوذ بك أن أفترى عليك الكذب وأن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام المسلوب حقه المقتول من غير ذنب ، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيت الله ، وبها عشر مسلمة بالستهم ، تعساً لرؤوسهم ، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته ، حتى قبضته إليك محمود النقية طيب الضريبة ، معروف المناقب مشهور المذاهب ، لم تأخذه فيك لومة لائم ولا عذر عاذل ، هديته يا رب للإسلام صغيراً وحمدت مناقبه كبيراً ، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآلـه حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص عليها ، راغباً في الآخرة مجاهداً لك في سبيلك ، رضيـته فاختـرـته وهـدـيـته إلى طـرـيق مـسـتقـيمـ .

أما بعد يا أهل الكوفة ، يا أهل المكر والغدر والخيانة ، إنـا أـهـلـ بـيـتـ اـبـلـانـاـ اللهـ بـكـمـ وـابـلـاكـمـ بـنـاـ ، فـجـعـلـ بـلـاءـنـاـ حـسـنـاـ وـجـعـلـ عـلـمـهـ عـنـدـنـاـ وـفـهـمـهـ لـدـنـاـ ، فـنـحـنـ عـيـةـ عـلـمـهـ وـوـعـاءـ فـهـمـهـ وـحـكـمـهـ ، وـحـجـتـهـ فـيـ الـأـرـضـ فـيـ بـلـادـ لـعـبـادـهـ ، أـكـرـمـنـاـ اللهـ بـكـرـامـتـهـ ، وـفـضـلـنـاـ بـنـبـيـهـ عليـهـ السـلامـ كـثـيرـ مـنـ خـلـقـهـ تـفضـيـلاـ ، فـكـذـبـتـمـونـاـ وـكـفـرـتـمـونـاـ ، وـرـأـيـتـمـ قـاتـلـاـنـاـ حـلـلـاـ وـأـمـوـالـاـ نـهـيـاـ ، كـأـنـاـ أـوـلـادـ التـرـكـ أـوـ كـابـلـ !ـ كـمـ قـتـلـتـمـ جـدـنـاـ بـالـأـمـسـ ، وـسـيـوـفـكـمـ تـقـطـرـ مـنـ دـمـائـنـاـ أـهـلـ الـبـيـتـ لـحـقـدـ مـتـقدـمـ !ـ قـرـأـتـ

بـذـلـكـ عـيـونـكـمـ وـفـرـحـتـ بـهـ قـلـوبـكـمـ ، اـجـتـراءـ مـنـكـمـ عـلـىـ اللهـ ، وـمـكـرـاـ مـكـرـتـمـ ، وـاـللـهـ

خير الماكرين ، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبت من دمائنا ونالت
أيديكم من أموالنا ، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة ، والرزايا العظيمة في
كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله سير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا
تقرحوا بما آتاكتم وأ الله لا يحب كُل مختال فحور .

تبأ لكم ! فانتظروا اللعنة والعقاب فكان قد حل بكم ، وتواترت من السماء
نقمات فيستحتمكم بما كسبتم ويديق بعضكم بأس بعض ، ثم تخليدون في
العقاب الأليم يوم القيمة بما ظلمتمونا ، ألا لعنة الله على الظالمين .

ويلكم أتدرؤن أية يد طاعتكم ، أو أية نفس نزعت إلى قتالنا ، أم بأية
رجل مشيت إلينا تبغون محاربتنا ؟ قست قلوبكم وغلظت أكبادكم ، وطبع على
أفئدكم ، وختم على سمعكم وبصركم ، وسؤال لكم الشيطان وأملئ لكم
وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون .

تبأ لكم يا أهل الكوفة ! كم تراث لرسول الله عليه السلام قبلكم ودخل له لديكم ،
ثم غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب جدي وبنيه عترة النبي الطيبين الأخيار ،
وافتخر بذلك مفتخر فقال: نحن قاتلنا علياً وبني علي بسيوف هندية ورماح

وسينا نساءهم سبي ترك ونظمناهم فم أي نطاح !
بفيك أيها القائل الكاذب ولد الإثيل ! افتخرت بقتل قوم زاكهم الله وطهرهم
وأذهب عنهم الرجس ، فاكظم واقع كما أقمع أبوك وإنما لكل امرئ ما قدمت يداه !
حسدتمونا ، ويلكم ، على ما فضلنا الله :

فما ذنبنا أن جاشر دهر بحورنا وبحرك ساج لا يواري الدعامصا
ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء .. ومن لم يجعل الله له ثوراً فمَا له من ثور !
قال: فارتقطعت الأصوات بالبكاء وقالوا: حسبك يا بنت الطيبين ، فقد أحرقت قلوبنا
 وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوفنا ! فسكتت . (الإحتجاج: ٢٧/٢).

١٢- في قصر ابن زياد بالكوفة

قال الطبرى: (عن حميد بن مسلم قال: دعاني عمر بن سعد فسرحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعافتيه ، فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك ، ثم أقبلت حتى أدخل فاجد ابن زياد قد جلس للناس ، وأجد الوفد قد قدموه عليه فأدخلهم وأذن للناس ، فدخلت فيمن دخل ، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه ، وإذا هو ينكت بقضيب بين ثيتيه ساعة ، فلما رأه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له: أعمل بهذا القضيب عن هاتين الشتتين ! فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (ص) على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك ، فواه لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضررت عننك ! قال فنهض فخرج فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولًا لو سمعه ابن زياد لقتله ! قال فقلت ما قال؟ قالوا: مر بنا وهو يقول ملك عبد عبداً فاتخذهم تلداً ! أنت يا عشر العرب العبيد بعد اليوم ! قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم ، فرضيتم بالذل فبعداً لم من رضي بالذل !

قال فلما دخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه ، على عبيد الله بن زياد وقد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتذكرت وحف بها إماؤها ، فلما دخلت جلست فقال عبيد الله ابن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه ، فقال ذلك ثلاثة ، كل ذلك لا تكلمه ! فقال بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة ! قال فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحك وقتلتم وأكذب أحدوثكم ! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بسليمان وطهرنا تطهيراً ، لا كما تقول أنت ، إنما يقتضي

الفاقد ويُكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله !

قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجتمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتخاصمون عنده !

قال: فغضب ابن زياد واستشاط ! قال فقال له عمرو بن حرث: أصلاح الله الأمير ، إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشئ من منطقها ، إنها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطل ! فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك ! قال فبكت ثم قالت: لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرععي واجشت أصلي ، فان يُشفك هذا فقد اشتفيت ! فقال عبيد الله: هذه سجّاعـة ، قد لعمري كان أبوك شاعرـا سجـاعـا ! قالت: ما للمرأة والسجـاعـة ، إن لي عن السجـاعـة لشغـلا ، ولكن صدرـي نفتـ بما قلت).

قال الطبرـي (٤٥٠): عن حميد بن مسلم قال: إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه عليـ بن الحسين فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا عليـ بن الحسين ، قال أولم يقتل الله عليـ بن الحسين؟ فسكت ، فقال له ابن زيـاد: مالـك لا تتكلـم؟ قال: قد كان ليـ أخ يقال له أيضاً عليـ فقتـله الناس . قال: إن الله قد قـتـله ! قال فـسـكتـ عليـ فقال له: مـالـك لا تـتكلـمـ؟! قال: الله يـتـوـقـيـ الأـنـفـسـ حينـ مـوتـهاـ . وماـ كـانـ لـنـفـسـ آنـ تـمـوتـ إـلاـ يـاـذـنـ اللهـ . قالـ أـنـتـ وـالـهـ مـنـهـ ! وـيـحـكـ أـنـظـرـواـ هـلـ أـدـرـكـ ، وـالـهـ إـنـيـ لـأـحـسـبـهـ رـجـلاـ ، قالـ فـكـشـفـ عـنـهـ مـرـيـ بنـ مـعاـذـ الـأـحـمـرـيـ فـقـالـ نـعـمـ قـدـ أـدـرـكـ ، فـقـالـ أـقـتـلـهـ ، فـقـالـ عـلـيـ بنـ الـحـسـينـ: مـنـ توـكـلـ بـهـؤـلـاءـ النـسـوـةـ؟ـ وـتـعـلـقـتـ بـهـ زـينـ بـعـمـهـ فـقـالـتـ: يـاـ اـبـنـ زـيـادـ حـسـبـكـ مـنـاـ ، أـمـاـ رـوـيـتـ مـنـ دـمـائـنـاـ ، وـهـلـ أـبـقـيـتـ مـنـاـ أـحـدـاـ؟ـ!ـ قـالـ فـاعـتـقـهـ فـقـالـتـ: أـسـأـلـكـ بـالـهـ إـنـ كـنـتـ مـؤـمـنـاـ إـنـ قـتـلـهـ لـمـاـ قـتـلـتـنـيـ مـعـهـ !ـ قـالـ بـوـنـادـهـ عـلـيـ فـقـالـ: يـاـ اـبـنـ زـيـادـ إـنـ كـانـتـ بـيـنـكـ وـبـيـنـهـ قـرـابـةـ

فابعث معيهن رجل تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام . قال فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى القوم فقال: عجباً للرحم ! والله إني لأظنها ودّت لو أني قتلته أني قتلتها معه ! دعوا الغلام (فاني أراه لما به) إنطلق مع نسائك .)

قال الطبرى: (لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس ، نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته ! فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي ثم أحد بنى والية ، وكان من شيعة علي كرم الله وجهه ، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه صربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى ، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلى فيه إلى الليل ثم ينصرف قال: فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرjanة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ، والذى ولاك وأبسوه ! يا ابن مرjanة أنتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟! فقال ابن زياد: عليّ به . قال فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه ، قال فنادى بشعار الأزد يا مبرور ! قال عبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس فقال: ويح غيرك ، أهلكت نفسك وأهلكت قومك ! قال وحاضر الكوفة يومئذ من الأزد سبعمائة مقاتل ، قال فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه ، فأتوا به أهله فأرسل إليه من أتاه به فقتله ! وأمر بصلبه في السبخة فصلب هنالك !

وقال الطبرى: (ثم إن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة فجعل يُدار به في الكوفة ! ثم دعا زحر بن قيس فسرح معه برأس الحسين ورؤس أصحابه إلى يزيد بن معاوية ، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي

وطارق بن أبي ظبيان الأزدي). وفي: ٣٥٢/٤: (ثم إن عبيد الله أمر بنسae الحسين وصبيانه فجُهْزَنَ، وأمر بعلي بن الحسين فُعِلَّ بغل إلى عنقه ، ثم سُرَّحَ بهم مع مخفر بن ثعلبة العائذى عائذة قريش ، ومع شمر بن ذي الجوشين ، فانطلقوا بهم حتى قدموا على يزيد ، فلم يكن علي بن الحسين يكلم أحداً منهمما في الطريق كلمة ، حتى بلغوا). ونحوه ابن كثير في النهاية: ٢١٠/٨: .

○ ○

١٣- رجوع الإمام عليه السلام إلى كربلاء بمعجزة لدفن الأجساد الطاهرة

في الثالث عشر من محرم تم دفن الأجساد الطاهرة للحسين وأصحابه عليه السلام فقد كان قوم من بني أسد يسكنون بالغاضرية، ولما أطمأنوا برحل جيش يزيد جاؤوا لدفن الحسين وأصحابه ، ففاجأهم فارسٌ ملثم وهو الإمام زين العابدين جاء من الكوفة بطريق المعجزة ليتولى معهم مراسم دفن أبيه عليه السلام .

وقد تعجب بعضهم كيف حضر الى كربلاء وهو أسير في قيوده في الكوفة ! ولكنهم صدقوا أنه خرج من قيوده وذهب الى عبد الملك في الشام ! فقد نقل الزهري عن الموكلين به الذين أخذوه الى عبد الملك: (إنه لنازلٌ ونحن حوله لا نسام نرصده ، إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديدة ! قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته فقال لي: إنه جاءني في يوم فَقَدَةَ الأَعْوَانِ ، فدخل علىيَّ فقال: ما أنا وأنت؟! فقالت: أقم عندي فقال: لا أحب ، ثم خرج ، فواله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة) . (تاریخ دمشق: ٤١/٣٧٢ و حلیة الأولیاء: ٣٥٣، و مناقب آل أبي طالب: ٣٧٥).

قال المسعودي في إثبات الوصية: (أقبل زین العابدين في اليوم الثالث عشر من المحرم لدفن أبيه ، لأن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله).

١٤- الأسرى والسبايا والرؤوس من الكوفة الى الشام !

قال المفید فی الإرشاد: (ولما أصبح عبید الله بن زیاد بعث برأس الحسین علیه السلام فدیر به في سکك الكوفة كلها وقبائلها ! فروي عن زید بن ارقم أنه قال: مرّ به علي وهو على رمح وأنا في غرفة ، فلما حاذاني سمعته يقرأ: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً . ففَفَ وَالله شعري وناديت: رأسك والله يا ابن رسول الله أعجب وأعجب...). وفي الإرشاد: (ولما فرغ القوم من التطواف به (برأس الحسین علیه السلام) بالكوفة ردوه إلى باب القصر ، فدفعه ابن زیاد إلى زحر بن قيس ، ودفع إليه رؤوس أصحابه وسرحه إلى يزید بن معاویة ، وأنفذ معه أبا بردہ بن عوف الأزدي وطارق بن أبي طبيان في جماعة من أهل الكوفة ، حتى وردوا بها على يزید بدمشق).

وقال الطبری: (قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبی فإنه قال: لما قتل الحسین وجئ بالأنقال والأسوار حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبید الله ، فيبینا القوم محتبسون إذ وقع حجر في السجن معه كتاب مربوط وفي الكتاب خرج البرید بأمركم في يوم کذا وكذا إلى يزید بن معاویة ، وهو سائر کذا وكذا يوماً ، وراجع في کذا وكذا ، فإن سمعتم التکبير فأيقنوا بالقتل ، وإن لم تسمعوا تکبرا فهو الأمان إن شاء الله . قال فلما كان قبل قドوم البرید بیومین أو ثلاثة إذا حجر قد ألقی في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى ، وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا فإنما يتنتظر البرید يوم کذا وكذا ! فجاء البرید ولم يسمع التکبير وجاء كتاب (من يزید) بأن سرّح الأسوار إلى).

قال فدعى عبید الله بن زیاد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذی الجوشن فقال:

إنطلقا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية) .
في الإقبال: ٨٩٣ ، عن الإمام زين العابدين أنه قال عن يزيد: (حملني على بعير
يطلع بغیر وطاء ، ورأس الحسين عليه السلام على علم ، ونسوتنا خلفي على بغال
بأكْف ، والفارطة خلفنا وحولنا بالرماح ، إن دمعت من أحدنا عين قرع رأسه
بالرمح ، حتى إذا دخلنا دمشق صاح صائح: يا أهل الشام هؤلاء سباباً أهل
البيت الملعون) !

○ ○

١٥- خط سير قافلة الأسرى من أهل البيت عليهما السلام

أمر يزيد أن يطوفوا بقافلة الأسرى والرؤوس الظاهرة ، على المدن والقرى
الواقعة في الطريق النهري بين العراق والشام ، ليعلن بذلك فرحة انتصاره على
آل الرسول عليهما السلام ، ويرعب الناس إن لم يبايعوه أو خرجوه عليه !
وما زالت الآثار المباركة لرأس الحسين وأصحابه ، وللإمام زين العابدين
وزينب الكبرى عليهما السلام كثيرة من نقاط هذا الطريق ، على شكل مزارات ومشاهد
يقصدها الناس ويتوسلون فيها إلى الله تعالى بأهل البيت عليهما السلام فيستجيب دعاءهم
ويقضي حاجاتهم !

فقد سلكوا بهم على نهر الفرات ، من الكوفة إلى الفلوجة وحديقة ، ثم في
الأراضي السورية من تل أبيض أو البيضاء ، إلى الرقة ، ثم مسكنة وفيها مشهد
لهם ، ثم إلى حلب وفيها مشهد النقطة ومقام السقط ، ثم شيزر ، ثم طيبة وفيها
مزار يسمى جدار الشهداء في محلة خان شيخون ، ثم إلى طيبة الإمام وجبل
زين العابدين ومصلاه عليه السلام قرب حماه ، ثم حمص ، ثم جبل الحسين عليه السلام قبل
بعلبك ، ثم محلة الحسينية في وادي نهر برد ، ثم سبيبة قرب دمشق وفيها مقام

لهم عليه السلام ، ثم دخلوا دمشق من باب توما ، وأنزلوهم في سجن قرب قصر يزيد .
 كما ذكر لهم التاريخ أحاديث مع أهل البلاد والأديرة التي مروا عليها !
 وروي في مدينة المعاجرز: ١٢٩/٤، قصة مرورهم على دير وسؤال صاحب الدير
 عن صاحب الرأس ، فظهرت معجزة للحسين عليه السلام وتكلم رأسه الشريف ، فضح
 صاحب الدير والقساوسة بالبكاء ، وأسلموا على يد الإمام زين العابدين عليه السلام .

○ ○

١٦- عاصمة (خلافة النبي صلوات الله عليه وسلم) تستقبل رؤوس آل النبي صلوات الله عليه وسلم!

في مقتل الحسين للخوارزمي: ٦٠٢: (عن سهل بن سعد قال: خرجت إلى بيت المقدس حتى توسيط الشام ، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهر كثيرة الأشجار قد علقوا الستور والحبوب والديباج ، وهم فرحون مستبشرون ، وعندهم نساء يلبسن بالدفوف والطبول ، فقلت في نفسي: لعل لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن فرأيت قوماً يتحدثون ، فقلت: يا هؤلاء ألمكم بالشام عيداً لا نعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ نراك غريباً ! فقلت: أنا سهل بن سعد قد رأيت رسول الله صلوات الله عليه وسلم وحملت حديشه ، فقالوا: يا سهل ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تخسف بأهلها ! قلت: ولم ذلك؟ فقالوا هذا رأس الحسين عترة رسول الله (ص) يُهدى من أرض العراق إلى الشام ، وسيأتي الآن ! قلت: واعجاً يُهدى رأس الحسين والناس يفرحون ! فمن أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له: باب الساعات ، فسررت نحو الباب ، فبينما أنا هنا لك إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً ، وإذا أنا بفارس بيده رمح متزوج السنان ، وعليه رأس من أشباه الناس وجهاً برسول الله ، وإذا بنسوة من ورائه على جمال بغیر وطاء ! قال سهل: فدنوت من إداهن فقالت: يا جارية من أنت؟ فقالت: سكينة بنت الحسين .

فقلت لها: ألك حاجة إلى؟ فأنا سهل بن سعد ممن رأى جدك وسمع حديثه .
قالت: يا سهل قل لصاحب الرأس: أن يتقدم بالرأس أمامنا حتى يستغل الناس
بالنظر إليه ، فلا ينظرون إلينا ، فنحن حرم رسول الله علیه السلام ! قال: فدنوت من
صاحب الرأس وقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار
قال: وما هي؟ قلت: تقدم الرأس أمام الحرم ، ففعل ذلك ودفعت له ما وعدته).
○ ○

١٧- برنامج يزيد للإمام زين العابدين علیه السلام والأسرى في الشام

كان برنامج (الخلافة) لموكب رأس الحسين علیه السلام وأصحابه وأسرى آل
الرسول علیه السلام: أن يمرروا بهم في أهم شارع في دمشق بعد أن أعدوه بالزينة ،
ودعوا الناس إلى الحضور للفرح بالنصر والتفرج على الرؤوس والأسرى !
ثم أوقفوهم في الساحة عند مدخل المسجد الأموي ، المعروف بدرج
دمشق ، ثم أنزلوهم في سجن أعدوه لهم وهو خربة ليس لها سقف ، ثم جلس
يزيد قبل الظهر في قاعة قصره ، وقد دعا كل شخصيات الشام فجلسوا حوله ،
ثم أتوا برأس الحسين علیه السلام في طشت من ذهب فوضعوه أمام يزيد ، ثم أدخلوا
بقية رؤوس الشهداء من عترة الحسين علیه السلام وأصحابه محمولةً على رؤوس
الرماح ، ثم أتوا بالسبايا من آل الرسول علیه السلام مرتبطين إلى بعضهن بالحبال ، ثم
الأسرى الفتيا والرجال وكانوا اثني عشر رجلاً يتقدّمهم زين العابدين علیه السلام .

كان ذلك المجلس حافلاً وتاريخياً ، فقد أخذ يزيد ينكت بخيزرانته على
شفتي الإمام الحسين علیه السلام ممثلاً بشعر مشركي قريش ضد النبي علیه السلام ! فانتفضت
زینب وكان بينها وبين يزيد سجال حاد انتهى بتراجع يزيد ، وقالوا بأنه
استحقى ! ثم صعد خطيب الخلافة فأشاد بخليفة الله يزيد وبني أمية ، وذم أهل

البيت النبوى ﷺ، لأنهم بزعمه كفار خوارج ! فأجابه الإمام زين العابدين ع.

ولا يبعد أن يكون المجلس انتقل في ذلك اليوم من القصر إلى المسجد الملاصق ، فتكون خطبة الخطيب وجواب الإمام ع عليهما السلام في المسجد الأموي !

وعندما رأى يزيد أن الإمام ع عليهما السلام سيطر بكلامه على الناس وارتفع بكاؤهم وضجيجهم ، خشي من عواقب ذلك فأمر المؤذن أن يؤذن للصلوة ليقطع خطبة الإمام ع عليهما السلام ويعيّر الجوّ ، وربما كان ذلك قبل دخول وقت الصلوة !

فتابع الإمام زين العابدين ع خطبته بالتعليق على فصول الأذان ، ولما وصل المؤذن إلى (أشهد أن محمداً رسول الله) خاطب الإمام يزيداً بصوت مؤثر:

يايزيد ، محمد هذا جدك أم جدي..الخ. فكان سجالاً قوياً انحدل فيه يزيد !

وكانت التسعة أن يزيد رأى نفسه مضطراً لأن يكذب ويقول إن ابن زياد تصرف من عنده وأنه لم يأمره بقتل الحسين ع ! ووسع على الأسرى والسبايا وأنزلهم في مكان أفضل ، يبدو أنه جانب من قصره ، فبقاء في الشام أيامًا ، وقالوا إن يزيداً كان يزيد لا يتغدى إلا مع علي بن الحسين ع .

وذكرت الروايات اتصالهم بأهل القصر وأن زوجة يزيد هنداً بنت عبد الله بن عامر بن كريز الأموية ، التي قيل إنها كانت قبله زوجة للحسين ع .

صاحت واعتبرت على يزيد ، فهداها وسمح لها أن تقيم مجلس عزاء على الحسين ع ، ولا بد أنها أقامته في القصر ، وحضرته نساء قادة النظام الأموي وشخصيات الشام ، والتقين بزيتب ونساء أهل البيت ع .

كما ورد ذكر خالد بن يزيد وأنه كان غلاماً ، فقال يزيد لعمرو بن الحسن بن علي ع ويقال إن عمره إحدى عشرة سنة (اتصارع هذا يعني ابنه خالد؟) فقال له عمرو: لا ، ولكن أعطني سكيناً وأعطيه سكيناً ، ثم أقاتله ، فقال يزيد:

شنثة أعرفها من أخزم ! هل تلد الحية إلا الحية؟! (الطبرى: ٣٥٤/٤، واللهرف: ١١٢).

ولا بد أن أم خالد كانت موجودة يومها، فقد تزوجها يزيد بعد اختها أم حبيب والدة ولی عهده معاوية الثاني: (وكانت أم حبيب عند يزيد بن معاوية فولدت له معاوية وعبد الله ثم خلف على اختها أم خالد بنت أبي هاشم فولدت له خالد بن يزيد بن معاوية). (تاریخ دمشق: ٢٩٩/٥٩، ٢٠٩٧، وأنساب الأشراف: ١٣٢٧).

أما معاوية الثاني بن يزيد ، فلم أجده ذكرًا في فترة وجود أسرى أهل البيت عليهما السلام في الشام ، وكذلك أمه التي كانت توفيت فتزوج يزيد بأختها .

ولايعد أن يكون معاوية الثاني وكان عمره عشرين سنة قد التقى بالإمام عليه السلام في تلك الأيام لكن بشكل سري للغاية ، فقد كان شيعياً من نشأته ، وكان معجبًا بمؤدب الشيعي عمر المقصوص ، الذي اتهموه بأنه شيعه فقال إنه محبولٌ على حب علي وأولاده عليهما السلام ، فدفنوه حيًّا، كما تقدم في المجلد الثالث. كما ذكرت الروايات أن الإمام زين العابدين عليه السلام خرج من القصر ، وتتجول في أسواق دمشق ، والتقي بأشخاص رووا عنه ، منهم المنھال بن عمرو .

١٨- دخول أسرى أهل البيت عليهم السلام إلى دمشق

في الإحتجاج: (عن ديلم بن عمر قال: كنت بالشام حين أتى بسبايا آل محمد عليه السلام فأقيموا على باب المسجد حيث تقام السبايا وفيهم علي بن الحسين فأثاهم شيخ من أشياخ أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرون الفتنة ، فلم يأْلَ عن سبهم وشتمهم ! فلما انقضى كلامه قال له علي بن الحسين عليه السلام: إني قد أُنْصَطْتُ لك حتى فرغت من منطقك ، وأظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء ، فأُنْصَطْتَ لي كما أُنْصَطْتُ لك . فقال له: هات . قال علي عليه السلام: أما قرأت كتاب الله عز وجل؟ قال: نعم . فقال عليه السلام: أما قرأت هذه الآية: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَةُ فِي الْقُرْبَى . قال: بلى . فقال عليه السلام: نحن أولئك ! فهل تجد لنا في سورةبني إسرائيل حقاً خاصة دون المسلمين؟ فقال: لا . فقال: أما قرأت هذه الآية؟ وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَمَّةً؟ قال: نعم . قال علي عليه السلام: فتحن أولئك الذين أمر الله نبيه أن يؤتيمهم حقهم ! فقال الشامي: إنكم لأنتم هم؟ فقال علي عليه السلام: نعم . فهل قرأت هذه الآية: واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسُهُ وَلِرَسُولِ اللَّهِ وَلِذِي الْقُرْبَى؟ فقال له الشامي: بلى ، فقال علي عليه السلام: فتحن ذو القربى ! فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقاً خاصة دون المسلمين؟ فقال: لا . قال علي بن الحسين عليه السلام: أما قرأت هذه الآية: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا؟ قال: فرفع الشامي يده إلى السماء ثم قال: اللهم إني أتوب إليك ! ثلاث مرات ، اللهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمد ، وأبراً إليك من قتل أهل بيت محمد ! ولقد قرأت القرآن منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم) . والبيهقي في لباب الأنساب/٢٣، مختصرًا، وصواتع ابن حجر: ٤٨٧٢.

وقال في: ٥١/٢: (ويؤيد ما مرَّ من تفسير ابن جبیر أن الآية في الآل ، ما جاء عن علی کرم الله وجهه قال: فینا فی آل حم آیة ، لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ، ثم قرأ الآیة.. وجاء ذلك عن زین العابدین أيضاً ، فإنه لما قتل أبوه الحسین رضی الله عنه جیئ به أسریأ فأقیم على درج دمشق فقال رجل من أهل الشام: الحمد لله الذي قتلکم واستأصلکم وقطع قرن الفتنة ! فقال له زین العابدین: أقرأت القرآن؟ قال: نعم فیین له أن الآیة فيهم وأنهم القریبی فیها، فقال: وإنکم لأنتم هم؟ قال نعم ! آخرجه الطبرانی). وقال في: ٥٦/٤: (وقال زین العابدین لبعض أهل الشام: أما قرأت في الأحزاب: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ؟ قال: لأنتم هم ؟ قال: نعم).

وقال ابن الأعثم في الفتوح: ١٢٧/٥: (ثم دعا ابن زياد زَحْرَ بن قيس الجعفی فسلم إليه رأس الحسین بن علی رضی الله عنہما ورؤوس إخوته ورأس علی بن الحسین ورؤوس أهل بيته وشیعته رضی الله عنہم أجمعین . ودعا علی بن الحسین أيضاً فحمله وحمل أخواته وعماته وجميع نسائهم إلى يزيد بن معاویة . قال فسار القوم بحرم رسول الله (ص) من الكوفة إلى بلاد الشام على محامل بغیر وطاء ، من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل ، كما تساق أساری الترك والدیلم... وأتی بحرم رسول الله (ص) حتى أدخلوا مدينة دمشق من باب يقال له باب توما ، ثم أتی بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبی . وإذا بشیخ قد أقبل حتى دنا منهم وقال: الحمد لله الذي قتلکم.. الخ.). وفي أمالی الصدق: ٢٣١: (عن فاطمة بنت علی عليهما السلام قالت: ثم إن يزيد لعنه الله أمر بنسائ الحسین فحبسن مع علی بن الحسین في محبس لا يکنهم من حرّ ولا حرّ حتى تقشرت وجوههم). وروضة الاعظین: ١٩٢، وهامش شرح الأخبار: ١٥٨/٣.

وقال الطبرى: (عن القاسم بن بخيت قال: لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا والله على آخرهم ، وهذه الرؤوس والسبايا ، فوثب مروان فانصرف . وأناهم أخوه يحيى بن الحكم فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام فقال: حجبتم عن محمد يوم القيمة ! لن أجتمعكم على أمر أبداً ، ثم قام فانصرف ، ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه ، وحدثوه الحديث قال: فسمعتْ دورَ الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز ، وكانت تحت يزيد بن معاوية فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين أراس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟ قال: نعم ، فأغولى عليه وحدي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش ، عجلَ عليه ابن زياد فقتله ، قتله الله ! ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ، ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره ! ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام المري:

يَلْقَئُنَّ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَحَبِّ إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْنَّ وَأَظْلَمُ

قال فقال رجل من أصحاب رسول الله (ص) يقال له أبو بربة الأسلمي: أنتكت بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذًا ، لربما رأيت رسول الله (ص) يرشفه ! أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيمة وابن زياد شفيعك ويجهي هذا يوم القيمة ومحمد (ص) شفيعه ! ثم قام فولى)

وفي الطبرى: (عن أبي عمارة العبسى قال: فقال يحيى بن الحكم أخوه مروان بن الحكم . (وكان شاعرًا ظريفاً جريئاً):

لَهَا مَمْبَنِ الطَّفِ أَدْنَى قَرَابَةً مِنْ ابْنِ زِيَادِ الْعَبْدِ ذِي الْحَسْبِ الْوَغْلِ
سَمِيمَةً أَمْسَى نَسْلَهَا عَدْدَ الْحَصَى وَلَيْسَ لَآلِ الْمُصْطَفَى الْيَوْمَ مِنْ نَسْلٍ

قال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال: أسكـت !
 قال: ولما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشـام فأجلسـهم حوله ، ثم
 دعا بـ علي بن الحـسين وصـبيان الحـسين ونسـائه ، فأدخلـوا عـلـيـه والنـاس يـنـظـرونـ،
 فقال يـزيد لـعليـ: يا عـلـيـ أبـوك الـذـي قـطـع رـحـمي وجـهـل حـقـيـ وـنـازـعـنـي سـلـطـانـيـ ،
 فـصـنـعـ اللهـ بـهـ ماـ قـدـ رـأـيـتـ ! فـقـالـ عـلـيـ: مـاـ أـصـابـكـ مـنـ مـصـبـةـ فـيـ الـأـرـضـ وـلـاـ فـيـ
 أـنـفـسـكـ إـلـاـ فـيـ كـتـابـ مـنـ قـبـلـ آنـ نـبـأـهـاـ ، فـقـالـ يـزيدـ لـابـنـهـ خـالـدـ: أـرـدـدـ عـلـيـهـ ! قـالـ:
 فـمـاـ دـرـيـ خـالـدـ مـاـ يـرـدـ عـلـيـهـ ، فـقـالـ لـهـ يـزيدـ: قـلـ: وـمـاـ أـصـابـكـ مـنـ مـصـبـةـ فـيـماـ
 كـسـبـتـ أـيـدـيـكـمـ وـيـعـفـوـ عـنـ كـثـيرـ ، ثـمـ سـكـتـ عـنـهـ . قـالـ ثـمـ دـعـاـ بـالـنـسـاءـ وـالـصـيـانـ
 فـأـجـلـسـوـ بـيـنـ يـدـيـهـ فـرـأـيـ هـيـنـةـ قـبـيـحـةـ فـقـالـ: قـبـحـ اللهـ اـبـنـ مـرـجـانـةـ ! لـوـ كـانـتـ بـيـهـ
 وـبـيـنـكـمـ رـحـمـ أوـ قـرـابـةـ مـاـ فـعـلـ هـذـاـ بـكـمـ ، وـلـاـ بـعـثـ بـكـمـ هـكـذاـ !

عن فاطمة بنت علي قالت: لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية ، رق لنا
 وأمر لنا بشئ وألطفنا . قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشـام أحـمـرـ قـامـ إـلـىـ يـزيدـ
 فقال: يا أمـيرـ المؤـمنـينـ هـبـ لـيـ هـذـهـ ، يـعـنـيـ وـكـنـتـ جـارـيـهـ وـضـيـهـ ، فـأـرـدـتـ
 وـفـرـقـتـ وـظـنـتـ أـنـ ذـلـكـ جـائـزـ لـهـ (فيـ دـيـنـهـ) وـأـخـذـتـ بـشـيـابـ أـخـتـيـ زـيـنـبـ ! قـالـ:
 وـكـانـتـ أـخـتـيـ زـيـنـبـ أـكـبـرـ مـنـ وـأـعـقـلـ وـكـانـتـ تـعـلـمـ أـنـ ذـلـكـ لـاـ يـكـونـ فـقـالـ:
 كـذـبـ وـالـهـ وـلـؤـمـتـ ، مـاـ ذـلـكـ لـكـ وـلـهـ ! فـغـضـبـ يـزيدـ فـقـالـ: كـذـبـ وـالـهـ إـنـ ذـلـكـ
 لـيـ وـلـوـ شـئـتـ أـنـ أـفـعـلـهـ لـفـعـلـتـ ! قـالـ: كـلاـ وـالـهـ مـاـ جـعـلـ اللهـ ذـلـكـ لـكـ إـلـاـ أـنـ
 تـخـرـجـ مـنـ مـلـتـنـاـ وـتـدـيـنـ بـغـيرـ دـيـنـاـ ! قـالـ: فـغـضـبـ يـزيدـ واستـطـارـ ثـمـ قـالـ: إـيـاـيـ
 تـسـقـبـلـيـنـ بـهـذـاـ ! إـنـمـاـ خـرـجـ مـنـ الدـيـنـ أـبـوكـ وـأـخـوكـ ! فـقـالـتـ زـيـنـبـ: بـدـيـنـ اللهـ
 وـدـيـنـ أـبـيـ وـدـيـنـ أـخـيـ وـجـدـيـ اـهـتـدـيـتـ ، أـنـتـ وـأـبـوكـ وـجـدـكـ !

قال: كـذـبـ يـاـ عـدـوـ اللهـ ! قـالـ: أـنـتـ أـمـيـرـ مـسـلـطـ تـشـمـ ظـالـمـاـ وـتـقـهـرـ بـسـلـطـانـكـ.

قالت: فوالله لكانه استحجا فسكت ! ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية ! قال: أعزب وهب الله لك حتفاً فاضياً !

قالت: ثم قال يزيد بن معاوية: يا نعمان بن بشير جهزهم بما يصلحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشأم أميناً صالحأ ، وابعث معه خيلاً وأعواضاً فيسير بهم إلى المدينة ، ثم أمر بالنسوة أن يتزلن في دار على حدة معهن ما يصلحهن وأخوهن معهن علي بن الحسين في الدار التي هن فيها .

قال فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم تبق من آل معاوية امرأة الا استقبلتهن تبكي وتندوح على الحسين ، فأقاموا عليه المتأحة ثلاثة ، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعا على بن الحسين إليه ! قال فدعاه ذات يوم ودعا عمرو بن الحسن بن علي وهو غلام صغير فقال لعمرو بن الحسن: أتفاتل هذا الفتى يعني خالداً أبنته؟ قال: لا ولكن أعطني سكيناً وأعطيه سكيناً ثم أفاتله ! فقال له يزيد وأخذه فضممه إليه ثم قال: شنسته أعرفها من أخزم ، هل تلد الحياة إلا حية !

قال: ولما أرادوا أن يخرجوها دعا يزيد علي بن الحسين ثم قال: لعن الله ابن مرجانة ! أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيتها إيه ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ! ولكن الله قضى مارأيت كاتبني وأنه كل حاجة تكون لك).

وفي مثير الأحزان لابن نما الحلي ٧٧: (قال علي بن الحسين عليه السلام: أدخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر رجلاً مغللون ، فلما وقفتا بين يديه قلت: أتشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله لو رأانا على هذه الحال؟! قال: يا أهل الشأم ما ترون في هؤلاء؟ قال رجل: لا تخدن من كلب سوء جروا ! فقال له النعمان بن بشير: إصنع ما كان رسول الله يصنع بهم لو رأاهم بهذه الخيبة ! فقالت فاطمة

بنت الحسين: يا يزيد بنت رسول الله سبياً؟! فبكى الناس وبكى أهل داره حتى علت الأصوات ! فقال علي بن الحسين عليه السلام: وأنا مغلول فقلت أناذن لي في الكلام؟ فقال: قل ولا تقل هجراً . قلت: لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر: ما ظنك برسول الله لو رأني في غل؟ فقال لمن حوله: حلوه ! ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه والنساء من خلفه ثلاثة ينظرن إليه) !

وفي جواهر المطالب لابن الدمشقي: ٢٩٤/٢: (ثم أمر علي بن الحسين زين العابدين فأدخل عليه مغلولاً فقال: يا يزيد لو رأنا رسول الله مغلولين لفك أغلالنا . قال: صدقت ، وأمر بفك قيده . ثم أدخل عليه نساء الحسين عليه السلام والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكتنة يتظاهران لينظروا الرأس ، وجعل يزيد يسرره عنهما ، فلما رأيته صحن وولون فقالت فاطمة بنت الحسين: أبنات رسول الله يا يزيد هكذا أسرى سبياً؟! فقال: يا ابنة أخي لقد كنت أكره ذلك).

١٩ - خطبة السيدة زينب أمام الطاغية يزيد !

في الإحتجاج: ٣٤/٢ ، والهوف: ٢١٤: (قالوا: فلما رأى زينب ذلك فأهوت إلى جيبيها فشققته ثم نادت بصوت حزين يقمع القلوب: يا حسينا ! يا حبيب رسول الله ! يا ابن مكة ومنى ! يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء ! يا ابن محمد المصطفى . قال: فأبكت والله كل من كان ، ويزيد ساكت !

ثم قامت على قدميها وأشرفت على المجلس.. وقالت: الحمد لله رب العالمين والصلة على جدي سيد المرسلين ، صدق الله سبحانه كذلك يقول:

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّرِفَةِ أَسَاءُوا السُّوَافِيْنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ !

أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وضيّقت علينا آفاق السماء ، فأصبحنا لك في إسار ، نساق إليك سوقاً في قطار ، وأنت علينا ذو اقتدار ، أن بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناناً ، وأن ذلك لعظم خطرك وجلاله قدرك ، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك ، تضرب أصدرريك فرحاً وتنقض مذروبيك مرحباً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسة والأمور لديك متسبة ، وحين صفا لك ملكنا وخلص لك سلطانتنا !

فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً ! أنسى قول الله عز وجل: **وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَهُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِمِّنٌ**.

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإيمائك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ! قد هنكت ستورهن وأبديت وجوههن ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدنى والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولی ، ولا من حماتهن

حمي ! وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ! وكيف يستطيع في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحسن والأضغان ، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم: لأنهم واستهلو فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تستحل ! متوجياً على ثانيا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكستها بمحضرتك ! وكيف لاتقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة بياراقتكم دماء ذرية محمد عليه السلام ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ! تهتف بأشياخك ! زعمت إنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ! ولتوذن إنك شُللتَ وبِكُمْتَ ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت . اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم من ظلمتنا ، واحلل غضبك بمن سفك دمائنا وقتل حماتنا ! فوالله ما فَرِيتَ إِلَّا جلدك ولا حَزَّزْتَ إِلَّا لحْمك ، ولتردَّنَ على رسول الله عليه السلام بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمه في عترته ولحمته ، وحيث يجمع الله شملهم ، ويلسم شعثهم ، ويأخذ بحقهم ، ولا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ اللَّهُ أَعْنَدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحْيَنَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَحَسِبَكَ بِاللَّهِ حاكماً وبمحمد خصيماً ، وبجرائيل ظهيراً ، وسيعلم من سوئ لك ومكنك من رقاب المسلمين ، أيكم شر مكاناً وأضعف جداً .

ولئن جرئتَ علي الدواهي مخاطبني، إني لأستصغر قدرك وأستعظم تفريعك وأستكثر توبيعك ، لكن العيون عبرى والصدور حرّى .

ألا فالعجب كل العجب ، لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تحلب من لحومنا ، تلك الجثث الطواهر للزواكي تتناهباً العواasil وتعفرها أمهات الفراعل ! ولئن اخذتنا مغناً ، لتجدنا وشيكاً مغمراً ، حين لا تجد إلا ما قدّمتْ يذاكَ وأنَّ

الله لَيْسَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ . فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكِي وَعَلَيْهِ الْمَعْوَلُ ، فَكَدْ كَيْدُكَ وَاسْعَ
سَعِيكَ ، وَنَاصِبْ جَهْدِكَ ، فَوَاللهِ لَا تَمْحُوا ذَكْرَنَا ، وَلَا تَمْيِيْتَ وَحِينَا وَلَا تَدْرِكَ أَمْدَنَا
وَلَا تَرْحَضَ عَنْكَ عَارِهَا ! وَهُلْ رَأَيْكَ إِلَّا فَدَدَ ، وَأَيَامَكَ إِلَّا عَدَدَ ، وَجَمِيعَكَ إِلَّا
بَدَدَ ، يَوْمَ يَنَادِيَ الْمَنَادِيَ أَلَا لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، فَالْحَمْدُ لِللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الَّذِي خَتَمَ لِأُولَئِنَا بِالسَّعَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَلَا خَرَنَا بِالشَّهَادَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَنَسَأَلُ اللهَ أَنْ
يَكْمِلَ لَهُمُ النَّوَابَ وَيَوْجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ وَيُحْسِنَ عَلَيْنَا الْخَلَافَةَ ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ
وَحَسِبَنَا اللهُ وَنَعْمَ الوَكِيلُ . فَقَالَ يَزِيدٌ مُجِيبًا لِهَا :
يَا صَاحِحَةَ تَحْمِلَ مِنْ صَوَانِعِ مَا أَهْمَنَ الْمَوْتَ عَلَى النَّوَائِعِ) .



٢٠ - خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام أيام يزيد

في الفتوح لابن الأعثم : (قال: ثم دعا يزيد بالخاطب ، وأمر بالمنبر فأحضر ثم أمر الخاطب فقال: إصعد المنبر فخُبِّر الناس بمساوى الحسين وعلي وما فعلنا ! قال: فصعد الخاطب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أكثر الوقعة في علي والحسين ، وأطرب في تقرير معاوية ويزيد ، فذكرهما بكل جميل . قال: فصاح علي بن الحسين: ويلك أيها الخاطب ، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق ، فانظر مقعدك من النار !

ثم قال علي بن الحسين: يا يزيد أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه رضا الله ورضا هؤلاء الجلساء ، وأجر وثواب ؟

قال: فأبى يزيد ذلك ، فقال الناس: يا أمير المؤمنين إذن له ليصعد المنبر لعلنا نسمع منه شيئاً ! فقال: إنه إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان ! قيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يحسن هذا ؟ قال: إنه من نسل قوم قد زُفُوا العلم زقاً .

قال: فلم يزالوا به حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها العيون ، وأوجل منها القلوب ، ثم قال:

أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني أتبأته بحسبي ونبي ، أيها الناس ، أنا ابن مكة ومني وزمزم والصفا ، أنا ابن خير من حج وطاف وسعى ولبي ، أنا ابن خير من حمل البراق ، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أنا ابن من بلغ به جبريل إلى سدرة المنتهى ، أنا ابن من دنا فدللي فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلى بملائكة السما

أنا ابن فاطمة الزهرا ، أنا ابن سيدة النساء ! قال: فلم يزل يعدد ذلك حتى ضجع الناس بالبكاء والتحبيب . قال: وخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن فقال: إقطع عننا هذا الكلام ! قال: فلما سمع المؤذن قال: الله أكبر ! قال: لا شيء أكبر من الله ، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله ! قال: يشهد بها شعرى وبشري ولحمى ودمى ، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله ، التفت على بن الحسين من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمدٌ هذا جدي أم جدك ؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت ، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته ؟!

قال: فلما فرغ المؤذن من الأذان والإقامة تقدم يزيد يصلي بالناس صلاة الظهر ، فلما فرغ من صلاته أمر بعلي بن الحسين وأخواته وعماته رضوان الله عليهم ، ففرغ لهم دار فنزلوها ، وأقاموا أياماً يبكون وينوحون على الحسين رضي الله عنه). ونحوه مناقب آل أبي طالب: ٣٠٤٣، بتفاوت ، والاحتجاج: ٣٨٢، ولواعج الأشجان: ٢٣٤، وفيه: (أيها الناس أعطينا ستاً وفضلتنا بسبعين: أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمد ﷺ ومنا الصديق ومنا الطيار ومنا أسد الله وأسد رسوله ، ومنا سبطا هذه الأمة.. من عرفني فقد عرفني... حتى ضجع الناس بالبكاء والتحبيب وخشي يزيد أن يكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام...).

○ ○

٢١- رسول ملك الروم وحَبْر يهودي يستنكران على يزيد !

في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٨٧/٨٧، بسنده: (عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن قال: لقيني رأس الجالوت فقال: والله إن بيني وبين داود لسبعين أباً ، وإن اليهود لتلقاني فتعظمني ، وأنتم ليس بينكم وبين نبيكم

إلا أب واحد قتلتم ولده)! وتنذكرة الخواص/ ٢٦٣، واللهوف/ ١١٠.

وفي فتوح ابن أعثم: ١٣٢/٥، و اللهوه/ ١١٠: (عن زين العابدين عليه السلام قال: لما أتى برأس الحسين إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب ويأتي برأس الحسين ويضعه بين يديه ويشرف عليه ! فحضر ذات يوم في مجلسه رسول ملك الروم وكان من أشراف الروم وعظمائهم فقال: يا ملك العرب هذا رأس من؟ فقال له يزيد: مالك ولهذا الرأس ! فقال إني إذا رجمت إلى ملكتنا يسألني عن كل شيءرأيته فأحبيت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه ، حتى يشاركك في الفرح والسرور ، فقال يزيد: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقال الرومي: ومن أمه ؟ فقال: فاطمة بنت رسول الله . فقال النصراني: أَفْ لَكَ وَلَدِنِيكَ لِي دِينَ أَحْسَنَ مِنْ دِينِنَكَ ! إِنَّ أَبِيَّ مِنْ حَوَافِدَ دَادِكَ وَبَيْنِي وَبَيْنِهِ أَبَاءُ كَثِيرٍ والنصارى يعظموني ويأخذون من تراب قدمي تبركاً بأبني من حوافد داد ! وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله وما بينه وبين نبيكم إلا أم واحدة ، فأي دين دينكم ! ونحوه ابن الأعمش/ ١٣٢/٥، وفيه: (وأنتم إنما فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابن نبيكم فقتلتموه ! سوءة لكم من أمة ! قال: فأمر يزيد به فوجئ في حلقه (كان يضرب بکعب الرمح في حلقه ثلاثة) ! فقال العبر: إن شتم فاضربوني أو فاقتلوني أو قرروني فإني أجد في التوراة أنه من قتل ذريهنبي لا يزال مغلوباً أبداً ما بقي ! فإذا مات بصلبه الله نار جهنم) . ومتل للخوارزمي/ ٦٩ .

○ ○

٢٢- شهادة المدائني بأن يزيداً أمر بقتل الإمام زين العابدين عليه السلام!

في مناقب آل أبي طالب: ٣٠٩/٣ (قال المدائني: لما انتسب السجاد إلى النبي (ص) قال يزيد لجلوازه: أدخله في هذا البستان واقتله وادفنه فيه ! فدخل به إلى

البستان وجعل يحفر والسجاد يصلى ، فلما هم بقتله ضربته يد من الهواء ، فخرَّ لوجهه وشهق ودهش ! فرأاه خالد بن يزيد وليس لوجهه بقية ، فانقلب إلى أبيه وقص عليه ، فأمر بتدفن الجلواز في الحفرة وإطلاقه . وموضع حبس زين العابدين هو اليوم مسجد) . والبحار: ١٧٥/٤٥ ، والموالى: ٤١١/٤٠ .

○ ○

٢٣- عندما مرَ الإمام زين العابدين عَلَيْهِ الْكَلَمُ في أسواق دمشق

في مناقب آل أبي طالب: ٣٠٤/٣ ، ومثير الأحزان: ٨٤ (وخرج يوماً زين العابدين يمشي في أسواق دمشق ، فلقه المنهال بن عمرو فقال: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ قال: أمسينا كمثلبني إسرائيل في آل فرعون ! يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ! يا منهال، أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها ، وأمسينا معاشر أهل بيته ونحن مقتولون مشردون ! فإنما الله وإنما إليه راجعون مما أمسينا فيه يا منهال ! وسائل مكحول الصحابي الإمام زين العابدين عَلَيْهِ الْكَلَمُ : (كيف أمسيت يا بن رسول الله ؟ فقال: ويحك كيف أمسيت ! أمسينا فيكم كهينة بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، وأمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها ، وأمسى آل محمد مقهورين مخذولين فإلى الله نشكوك كثرة عدونا ، وتفرق ذات بيتنا ، وتظاهر الأعداء علينا) !

○ ○

٢٤- عودة الأسرى والسبايا من الشام باتجاه المدينة

في الموالى: ٤٤٥؛ (ثم دعا بعلي بن الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ فقال له: لعن الله ابن مرجانة ،

أما والله لو كنت صاحبه ما سألني خلة إلا أعطيتها إيه ، ولدفعت عنه الحتف بكل ما قدرت عليه ، ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن قضى الله ما رأيت ، فكتابي وأنه إلى كل حاجة تكون لك)

وفي ل الواقع الأشجان/٢٣٩: (وفي رواية أن يزيد قال لعلي بن الحسين علية السلام: إن شئت أقمت عندنا فبرناك ، وإن شئت رددناك إلى المدينة ، فقال: لا أريد إلا المدينة . ثم إن يزيداً أمر برد السبايا والأسرى إلى المدينة ، وأرسل معهم النعمان بن بشير الأنباري في جماعة ، فلما بلغوا إلى العراق قالوا للدليل: مَرَّ علينا على طريق كربلا ، فلما وصلوا إلى موضع المصرع ، وجدوا جابر بن عبد الله الأنباري وجماعة من بنى هاشم ، ورجلاً ورداً لزيارة قبر الحسين علية السلام فتوافدوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المأتم ، واجتمع عليهم أهل ذلك السواد . وأقاموا على ذلك أياماً .).

٢٥- قافلة أهل البيت علية السلام في زيارة الأربعين

في تنبية الغافلين لابن كرامه/٩٠، وبشارة المصطفى للطبراني الشيعي/١٢٤، بسنده إلى الأعمش علية السلام عن عطية الموفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنباري علية السلام زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب ، فلما وردنا كربلا دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم اتزر بيازار وارتدى باآخر ، ثم فتح صرّة فيها سعد (كالريحان الباس) فنشرها على بدنه ، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى ، حتى إذا دنا من القبر قال: أَلْمَسْتِهِ ، فَأَلْمَسْتُهُ ، فَخَرَّ عَلَى الْقَبْرِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَرَشَّثَ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ فَلَمَا أَفَاقَ قَالَ: يَا حَسِينَ ثَلَاثًا ! ثُمَّ قَالَ: حَبِيبٌ لَا يَجِيدُ حَبِيبَهِ ! ثُمَّ قَالَ: وَأَنِّي لَكَ بِالْجَوَابِ وَقَدْ شَحَّطْتُ أَوْدَاجِكَ عَلَى أَثْباجِكَ ، وَفَرَقْ بَيْنَ

بذلك ورأسك ! فأشهد أنك ابن خاتم النبئين وابن سيد المؤمنين ، وابن حليف التقوى وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكسا ، وابن سيد النقبا ، وابن فاطمة سيدة النساء ، ومالك لا تكون هكذا وقد غذتُك كفُ سيد المرسلين وربت في حجر المتقين ، ورضعت من ثدي الإيمان ، وفطمته بالإسلام ، فطبت حيّاً وطبت ميتاً ، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ، ولا شاكفة في الخبرة لك ، فعليك سلام الله ورضوانه . وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا . ثم جال ببصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلست بفناء الحسين وأناخت برحله ، أشهد أنكم أتمتم الصلاة ، وأتيتم الزكاة ، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتكم الملحدين ، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين . والذى بعث محمداً بالحق نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه ! قال عطية: فقلت له: يا جابر كيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلأً ولم نضرب بسيف ، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم ، وأوتمت أولادهم ، وأرمليت أزواجهم؟! فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من أحب قوماً حشر معهم ، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم ، والذى بعث محمداً بالحق نبياً إن نيتى ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه . خذنى نحو أبيات كوفان . فلما صرنا في بعض الطريق قال لي: يا عطية هل أوصيك وما أظن أنني بعد هذه السفرة ملاقيك: أحبب محب آل محمد بأنه ما أحبه ، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم ، وإن كان صواباً قواماً ، وارفق بمحب محمد وآل محمد ، فإنه إن تزل له قدم بكثرة ذنبه ثبتت له أخرى بمحبتهم ، فإن محبهم يعود إلى الجنة ، وبمحبهم يعود إلى النار .

وفي مسار الشيعة للمفيد ٤٦ ، ومصباح المستهجد للطوسي ٧٧٧: (وفي اليوم

العشرين منه(صفر) كان رجوع حرم سيدنا أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام من الشام إلى مدينة الرسول عليهما السلام وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله عليهما السلام من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله عليهما السلام ، فكان أول من زاره من الناس).

وفي المھوف ١١٢/٤ (وقال بزید) لعلي بن الحسین: أذکر حاجاتك الثلاث الالاتی وعدتك بقضائهن... ثم أمر برد الأساری وسبایا الحسین الى أوطانهن بمدينة الرسول عليهما السلام ، فأمام رأس الحسین عليهما السلام فروی انه أعيد فدفن بكرباء مع جسده الشریف عليهما السلام ، وكان عمل الطائفۃ على هذا المعنی... قال الروای: لما رجع نساء الحسین عليهما السلام وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل: مَرَّ بِنَا عَلَى طریق کربلاء...الى آخر ما نقدم... فأقاموا على ذلك أياماً . ثم انفصلوا من کربلاء طالبين المدينة). وأعيان الشيعة: ٦١٧/١.

٢٦- عودة الإمام عليه السلام إلى مدينة جده صالح عليهما السلام

عاد الإمام زين العابدين عليه السلام بعوائل أهل البيت إلى المدينة ، فكان دخوله لوحه انطبعت في أفق المدينة الى اليوم ، وأمضى فيها خمساً وثلاثين سنة ، حفلت منه بآيات الإمامة ، ومن الحكم بالأحداث المريرة والإضطهاد والدماء ! (قال بشير بن حذلما: فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين عليهما السلام فحفظ رحله وضرب فساطه وأنزل نسائه ، وقال: يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه؟ فقلت: بلـ يا ابن رسول الله إبني شاعر . فقال: أدخل المدينة وانـ أبا عبد الله عليهما السلام ! قال بشير: فركبت فرسـي وركضـت حتى دخلـ المدينة ، فلما بلـغـتـ مسـجدـ النـبـيـ عليهـ السـلامـ رفـعتـ صـوتـيـ بالـبكـاءـ ، وأنـشـأتـ أـقولـ:

يا أهلَ شربَ لامِقامَ لكمَ بهاَ قتلَ الحسينَ فادْمَعَيْ مُدْرَازَ
الجَسَمَ مِنْهُ بِكَرِبَلَاءَ مَضَرَّجَ وَالرَّأْسَ مِنْهُ عَلَىِ الْقَنَاهَ يَدَارَ

قال ثم قلت: هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته ، قد حلوا بساحتكم
ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه ! قال: فما بقيت في المدينة
مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن ، مكشوفة شعورهن مخمشة
وجوههن ضاربات خدوذهن ، يدعون بالويل والثبور ! فلم أر باكيًّا أكثر من
ذلك اليوم ، ولا يوماً أمرَ على المسلمين منه ! وسمعت جارية تتوح على
الحسين عليهما فتقول:

نعمَ سَيِّدِي نَاعِنَاهَ فَأَوْجَمَا وَأَمْرَضَنِي نَاعِنَاهَ فَأَجْعَمَا
نَعِيَّنِيْ جَسُودًا بِالْدَمْسُوْعِ وَاسْكَبَا وَجَسُودًا بِدَمْسَعِ بَعْدَ دَمْعَكُمَا مَا
عَلَىِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ وَابْنِ وَصِيِّهِ وَإِنْ كَانَ عَنَا شَاحِطُ الدَّارِ أَشْسَمَهَا
ثم قالت: أيها الناعي جددت حزنا بأبي عبد الله عليهما وخدشت منا قروحاً لمنا
تسندمل ، فمن أنت رحمك الله ؟ فقلت: أنا بشير بن حذلمن وجهني مولاي علي
بن الحسين عليهما وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله الحسين
ونسائه ! قال فتركوني مكانني وبادروني (سبقوني) فضررت فرسي حتى رجعت
إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواقع ، فنزلت عن فرسي وتحطيت
رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين عليهما داخلاً ،
فخرج ومعه خرقه يمسح بها دموعه ، وخلفه خادم معه كرسى فوضعه له
وجلس عليه وهو لا يتمالك عن العبرة ، وارتقت أصوات الناس بالبكاء وحنين
النسوان والجواري ، والناس يعزونه من كل ناحية ، فضجت تلك البقعة ضجة
شديدة ، فأومأ بيده أن اسكتوا فسكتت فوراً لهم فقال:

الحمد لله رب العالمين ، مالك يوم الدين ، بارئ الخلائق أجمعين ، الذي
بعدَ فارتَفعَ في السماوات العلى ، وَقَرُبَ فَشَهَدَ النَّجْوَى ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظَائِمِ
الْأَسْوَرِ وَفَجَانِ الْدَّهُورِ ، وَأَلَمَ الْفَجَانَ وَمَضَاضَةَ الْلَّوَازِعِ ، وَجَلَيلَ الرَّزْءِ وَعَظِيمِ
الْمَصَابِ الْفَاطِعَةِ ، الْكَاتِةِ الْفَادِحَةِ الْجَاهِيَّةِ .

أيها القوم: إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الإسلام
عظيمة ، قُتِلَ أبو عبد الله الحسين عليهما السلام وعترته ، وسبى نسائه وصبيه ، وداروا
برأسه في البلدان من فوق عامل السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية !
أيها الناس: فأي رحالات منكم يُسْرُونَ بعد قتلهم ، أم أي فؤاد لا يحزن من
أجله ، أم أيَّةً عين منكم تعبس دمعها وتضن عن انفهمالها ! فلقد بكَت السبع
الشداد لقتله ، وبكت البحار بأمواجهها ، والأرض بأرجائها ، والملائكة المقربون
وأهل السماوات أجمعون .

يا أيها الناس: أي قلب لا يندفع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحن إليه ، أم أي
سمع لا يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يُضمَّ !
أيها الناس: أصبحنا مطرودين مشردين ، مذودين شاسعين عن الأمصار ! كأننا
أولاد ترك وكابل ! من غير جرم اجترمناه ولا مكره ارتكبناه ، ولا ثلمة في
الإسلام ثلمناها ! ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، إن هذا إلا اختلاق !

والله لو أن النبي عليه السلام تقدم إليهم في قاتلنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا ،
لما زادوا على ما فعلوا بنا ! فإننا لله وإننا إليه راجعون ، من مصيبة ما أعظمها
وأوجعها وأنجعها وأكظمها وأمرها وأفحضها ! ف Gund الله نحتسب ما أصابنا وأبلغ
بنا ، فإنه عزيز ذو انتقام...). (ينابيع المودة: ٩٣٣، والعوالم: ٤٤٦، ولواعج الأشجان: ٢٤٢ ،
وشهادة المعصومين عليهما السلام: ٣٩٤/٢، وبحار الأنوار: ١٤٧/٤٥، والمهرف: ١١٥، وفيه: ثم انفصلوا من كربلاء

طلابين المدينة... قال بشير بن جذل: فلما قربنا منها أنزل علي بن الحسين عليه السلام حفظ رحله وضرب سطاطه وأنزل نسائه وقال: يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعرًا... الخ.

أقول: لاحظ أن الإمام زين العابدين عليه السلام رکز على الجانب العاطفي، لأن المطلوب تحريك عاطفة الناس وغيرتهم على دينهم وعترة نبيهم عليه السلام، وتخليد ظلامة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه ، في تاريخ الأمة وضميرها .

○ ○

٢٧ - تسلم الإمام وصية والده عليه السلام من أم سلمة

أوصى الإمام الحسين عليه السلام بوصيتين لولده الإمام زين العابدين عليه السلام، ويظهر أن أولاهما كانت مجموعة مواريث الأنبياء عليهم السلام التي أتى بها جبرائيل للنبي صلوات الله عليه ودفعها إلى علي ثم إلى الحسن والحسين عليهم السلام، فقد ورد وصفها بأنها كتب . روی في بصائر الدرجات ١٨٢، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الكتب كانت عند علي عليه السلام فلما سار إلى العراق استودع الكتب أم سلمة ، فلما مضى علي عليه السلام كانت عند الحسن ، فلما مضى الحسن كانت عند الحسين ، فلما مضى الحسين كانت عند علي بن الحسين ، ثم كانت عند أبيه). ونحوه ١٨٧، ومناقب آل أبي طالب: ٣٠٨٣، والكافي: ٩٨١، بروايتين وفيهما: استودع أم سلمة كتبه والوصية فلما رجع الحسن دفعتها إليه). أما الوصية الثانية فكانت كالطومار ، وقد دفعها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء لابنته فاطمة لتعطيها للإمام زين العابدين عليه السلام عندما يزول عنه الخطر .

فهي بصائر الدرجات ١٦٨، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (إن الحسين عليه السلام لما حضره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة فدفع إليها كتاباً ملفوحاً ، ووصية ظاهرة ووصية باطنية، وكان علي بن الحسين عليه السلام مبطوناً لا يرون إلا أنه لما به ، فدفعته فاطمة الكتاب إلى علي على بن الحسين عليه السلام، ثم صار ذلك إلينا . فقللت مما في

ذلك؟ فقال: فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفني الدنيا). انتهى .
ولعلها كانت تتضمن الألف باب التي علمها النبي عليه السلام قبل وفاته ، وهي أشبه بالمعادلات الرياضية ينفتح من كل باب منها ألف باب ، يستخرج منها المعصوم عليه السلام ما يحتاج إليه . ونحوه بصائر الدرجات/١٨٣ ، والإمامية والتبصرة/٤٦ ، والكافـي: ٣٠٢١ ، ومناقب آل أبي طالب: ٣٠٨٣ .
○ ○

٢٨- الإمام زين العابدين عليه السلام يخلد شهادة أبيه في ضمير الأمة

مضافاً إلى عناصر القوة الذاتية التي أوجبت بقاء ثورة الإمام الحسين عليه السلام حيويةً فاعلةً في ضمير أجيال الأمة ، فقد كان من اللازم لتخليدها دور الإمام زين العابدين عليه السلام ودور السيدة زينب عليهما السلام . وقد أدى الإمام عليهما السلام دوره في تخليد كربلاء على أحسن وجه ، كصلاته وصيامه ، لأنه كان يعيش إمامية أبيه ونهضته عليهما السلام عبادةً لربه كحقيقة عباداته ! فمن الأساليب التي استعملها الإمام عليهما السلام:

١- كان كل عمره يعيش حزن كربلاء: (عن الصادق عليهما السلام أنه قال: إن زين العابدين عليهما السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره وفانماً ليله ، فإذا حضر الإفطار وجاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول كل يا مولاي ، في يقول قتل ابن رسول الله جائعاً ! قتل ابن رسول الله عطشاناً ! فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبتل طعامه من دموعه ، ثم يمزج شرابه بدموعه ! فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل !

وحـدـث مـولـىـ لهـ: أـنـهـ بـرـزـ يـوـمـاـ إـلـىـ الصـحـراءـ ، قـالـ فـتـبـعـتـهـ فـوـجـدـتـهـ قـدـ سـجـدـ عـلـىـ حـجـارـةـ خـشـنةـ ، فـوـقـفـتـ وـأـنـاـ أـسـمـعـ شـهـيقـهـ وـبـكـاءـهـ ، وـأـحـصـيـتـ عـلـيـهـ أـلـفـ

مرة يقول: لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً وصدقأً . ثم رفع رأسه من سجوده وإنَّ لحيته ووجهه قد غمراً بالماء من دموع عينيه ، فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقل؟ فقال لي: ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبي ، له اثنا عشر ابناً فغَيَّبَ الله واحداً منهم ، فشابَ رأسه من الحزن واحدَ دَبَ ظهره من الغمَّ ، وذهب بصره من البكاء ، وابنه حيٌّ في دار الدنيا . وأنا رأيت أبي وأخي وبسبعة عشر من أهل بيتي صرعي مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي؟!

(اللهوف/١١٥، وينابيع المودة: ٩٣٣، والعالم/٤٤٦، ولواعظ الأشجان/٢٤٢، وبحار الأنوار: ١٤٧/٤٥).

وفي تاريخ دمشق: (سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه؟ فقال: لا تلوموني فإن يعقوب عليه السلام فقد سبطاً من ولده فبكى حتى ابكيت عيناه من الحزن ولم يعلم أنه مات ، وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة ، فترون حزنهن يذهب من قلبي؟ أبداً) !

٢- تبني الإمام مجالس العزاء على أبيه الحسين: ففي المحاسن: ٤٢٠/٢، عن عمر بن علي بن الحسين قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام لبسن نساء بنى هاشم السواد والمسووح وكن لا يشتكن من حر ولا برد ، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهن الطعام للمأتم) . والوسائل: ٢٣٨/٣.

٣- وكان يشرح ظلامة أهل البيت: كلما رأى مناسبة: فقد رأيت خطبه في الكوفة والشام ، وحديثه مع الصحابي سهل بن ساعدة وغيره . وعن المنهاج بن عمرو قال: (دخلت على علي بن حسين فقلت: كيف أصبحت أصلاحك الله؟ فقال: ما كنت أرى شيئاً من أهل مصر مثلك لا يدرني كيف أصبحنا! فاما إذ لم تدر أو تعلم فأنا أخبرك: أصبحنا في قومنا بمنزلة بنى

إسرائيل في آل فرعون ، إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ! وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمه وبسبه على المنابر ! وأصبحت قريش تُعَدُّ أن لها الفضل على العرب لأن محمدًا منها ، لا يُعَدُّ لها فضل إلا به وأصبحت العرب مقرةً لهم بذلك ، وأصبحت العرب تُعَدُّ لها الفضل على العجم لأن محمدًا منها ، لا يُعَدُّ لها فضل إلا به ، وأصبحت العجم مقرةً لهم بذلك ! فلئن كانت العرب صدقت أن لها الفضل على العجم ، وصدقت أن لها الفضل على العرب لأن محمدًا منها ، إنَّ لنا أهل البيت الفضل على قريش لأنَّ محمدًا منا ، فأصبحوا يأخذون بحقنا ولا يعرفون لنا حقًا ! فهكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا) ! (تاريخ دمشق: ٣٩٦٤١).

وسيأتي المزيد من أعماله لتخليد ذكر الحسين عليه السلام في تشبيهه لصرح التشيع .

٤- وكان يتشيد بأصحاب الحسين عليه السلام لتخليد ذكر أباهم: ففي أمالى الصدوق /٥٤٧/ (عن ثابت بن أبي صفية قال: نظر سيد العابدين علي بن الحسين إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فاستعبر ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب .

ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين ! ازدلف إليه ثلاثة ألف رجل يزعمون أنهם من هذه الأمة كل يتقارب إلى الله عز وجل بدمه ، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً ! ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخيه بنفسه حتى قطعت يداه ، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب . وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيمة) .

وفي كامل الزيارات ٢١٣: (كان علي بن الحسين عليه السلام ميل إلى ولد عقيل ، فقيل له: ما بالك تميل إلىبني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي فأرق لهم) .

٥- وكان يزور قبر الحسين عليه السلام في كربلاء ويدعو إلى زيارته: وقد تقدم أنه عليه السلام جعل طريق قافلة الأسرى على كربلاء في عودته من الشام ، وزاروا قبر الحسين عليه السلام وأقاموا عنده المأتم في زيارة الأربعين .

وعندما ترجع إلى كتاب كامل الزيارات ، وهو من أقدم الكتب في موضوعه وأوثقها ، تجد عدداً من الروايات عن الإمام زين العابدين عليه السلام يؤكّد فيها عليه السلام على زيارة قبر النبي صلوات الله عليه وآمين وأمير المؤمنين عليه السلام ، ويوجه المسلمين إلى إقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه ، وزيارة قبره ، ويشرح لهم فضل أرض كربلاء والفرات . ففي ٢١٣، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (بكى علي بن الحسين على أبيه حسين بن علي عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة ، وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين ! قال: إنما أشكو بشي وحزني إلى الله واعلم من الله مالا تعلمون ، إني لم أذكر مصرعبني فاطمة إلا خنتني العبرة لذلك...) .

أشرف مولى علي بن الحسين وهو في سقيفة له ساجد يبكي فقال له: يا مولاي يا علي بن الحسين أما آن لحزنك أن ينتصبي؟ فرفع رأسه إليه وقال: ويلك ، شكري يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت حتى قال: يا أسفًا على يوسف! إنه فقد ابناً واحداً وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي! وفي ٤٧: قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (قال رسول الله صلوات الله عليه وآمين: من زار قبري بعد

موتي كمن هاجر إلى في حياتي ، فإن لم تستطعوا فابعثوا إلى السلام ، فإنه يبلغني). وفي ٢٠١ : (أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده ، بواء الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً).

وفي ٢٣٤ ، قال عليه السلام : (من أحب أن يصافحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفنبي فليزور قبر أبي عبد الله الحسين بن علي في النصف من شعبان ، فإن أرواح النبيين عليهما السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم ، منهم خمسة أولوا العزم من الرسل ، قلنا: من هم ، قال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهما السلام . قلنا له: ما معنى أولي العزم ، قال: بعثوا إلى شرق الأرض وغربها ، جنها وإنسها).

وفي ٤٤٤ : قال عليه السلام رائدة أبي قدامة: (بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبد الله الحسين أحياناً...ال الحديث..) وقد تقدم .

وفي ١٨٤ عنه عليه السلام في بكاء الأرض على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليهما السلام . وفي ١٠٨ ، عن بركة نهر الفرات وأن فيه ثلاثة مثاقيل مسک من مسک الجنة . وفي ٤٥١ ، أن الله اتخذ أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق أرض الكعبة ويتخذها حرماً ، وأنها عندما تزلزل الأرض زلزالها ، ترفع وتجعل في أفضل روضة من رياض الجنة .

٢٩ - من تزويرات ابن تيمية والذهببي ضد الإمام وأهل البيت عليهما السلام

لا يتسع المجال لاستيفاء تحريرات المخالفين وتزويرهم لسيرة الإمام زين العابدين عليهما السلام ، فهي كثيرة ، وغرضها العام التخفيف من ظلم قريش عامة وبني أمية خاصة ، والتنقيص من مقام علي وأهل البيت عليهما السلام والطعن فيهم .

ومن أمثلتها المفضوحة أن المؤرخين اتفقوا على أن عمر بن سعد بعد أن قتل الحسين عليهما السلام وأهل بيته وأصحابه ، أسر الإمام زين والعبادين عليهما السلام ومن بقي منهم مع نسائهم وأطفالهم وبعث بهم مع الرؤوس الطاهرة إلى ابن زياد في الكوفة ، وأن ابن زياد راسل يزيداً فأمره أن يرسلهم إليه فأرسلهم إلى الشام .

لكن إذا أردت إنكار ذلك؟ في ذلك ابن تيمية على طريقة بسيطة استعملها في رده على العلامة الحلي فذكر! وهي أن تضم شيئاً لم يقع إلى الجريمة ، ثم تنفيه بعبارة ملتوية تشملهما ! فهو يقول لك إذا قتل من تحبه شخصاً فإمكانك أن تقول: زعموا أنه قتله وشرب دمه وهذا والله كذب . وأنت تقصد شربه من دمه ، وأنت صادر! قال ابن تيمية في منهاجه: (ومثل هذا الكذب الظاهر قول بعض الكاذبين إنه لما سبّ بعض أهل البيت حملوا على الجمال عرايا فنبت لهم سمامات من يومئذ وهي البخاتي ! وأهل البيت لم يُسبّ أحد منهم في الإسلام ، ولا حمل أحد من نسائهم مكشوف العورة). انتهى.

أقول: علم الله أنني لم أقرأ طول عمري ولم أسمع ، مع أنني من بلاد الشام التي عاش فيها ابن تيمية ، أن أحداً من الشيعة أو السنة قال إن البخاتي نبت لها سمام ثان من ركوب سبايا أهل البيت عليهما السلام عليها ، ولا سمعت أحداً قال إنهن سببن عرايا ! حتى قرأت ذلك من ابن تيمية !

ولاتسأّل من أين جاء بهذا القول ! فقد يكون أحد نقله له عن عامي أبيه ، وقد يكون اخترعه من عنده ليقول: (وأهل البيت لم يُسبَ أحد منهم في الإسلام) ! فبني سبي يزيد لنساء أهل البيت عليهما السلام نفي أسرهم أو يخففه ، ويقول أنا صادق لأن يزيداً أسرهم وعفا عنهم ولم يسبهم ، فالنبي عليه السلام يتكلّم عباداً وإماء ، ويزيد لم يفعل ذلك فاستحق الشكر عند ابن تيمية ! فمن أجل تبرئة إمامه يزيد حرف ابن تيمية معنى السبي وجعله التملك وليس الأسر ! مع أن العرب يقولون سباهم ثم أطلقهم ولم يتملكهم .

أما الناصبي الآخر الذهي فقد استعمل طريقة أخرى فأغمض عيونه كلها عن أعمال يزيد وعماله ، وركز على (إكرامه) للإمام زين العابدين عليه السلام وجعل أسر يزيد له ولأسرى أهل البيت عليهما السلام من كربلاء إلى الكوفة ثم إلى الشام ، وتقييد الإمام عليهما السلام بأغلال في يديه ورجليه وصلت إلى عنقه ، جعل ذلك إحضاراً لهم لإكرامهم ! قال في سيرته: ٣٨٦/٤: (وحدث عن أبيه الحسين الشهيد ، وكان معه يوم كائنة كربلاء وله ثلات وعشرون سنة ، وكان يومئذ موعداً فلم يقاتل ولا تعرضوا له ، بل أحضروه مع آله إلى دمشق ، فأكرمه يزيد ورده مع آله إلى المدينة...). وقال في سيرته: ٣٢٠/٣: (وكان ابنه علي زين العابدين مريضاً فسلّم ، وكان يزيد يكرمه ويرعاه). انتهى.

فهل فهمت رسالة هذا الشركسي الأموي ، عندما قال ذلك: كان زين العابدين مريضاً فلم يقاتل فلم يتعرضوا له ، لأنهم أتقياء لا يتعرضون إلا للمقاتلين ! وقد سلم من القتل ولم يكن خطراً على حياته في كربلاء ، ولا في الكوفة ولا في الشام ، وإنما أحضره يزيد إليه لكي يكرمه ، وكان يرعاه كما يرعى أولاده !

أما تقييد الإمام زين العابدين عليه السلام ورفاقه بالحديد ، ورفع رأس الحسين عليه السلام

ورؤوس أصحابه على الرماح ، وتزيين الشام وإعلان يوم وصولهم يوم عيد ،
وعَقْد يزيد مجلساً في قصره ودعوته وجهاه الشام ليشهدوا دخول رأس
الحسين عليه وتشفيه به وضربه شفتيه بعود خيزران ، ثم دخول الإمام زين
العابدين في اثنى عشر أسيراً مكبلين ، ونساؤه وأطفاله مرّطون بالجبار ،
وكل الإذلال والإهانات.. فهي أعمال من أجل إكرام يزيد للإمام زين العابدين
وأهل البيت !

إنها نماذج بسيطة من تحريف علماء بنى أمية وتزويرهم للتاريخ !



الفصل الرابع:

تلاميذ الإمام زين العابدين ع^{عليه السلام}و أصحابه

١- تلاميذه عليه السلام والرواية عنه

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٦٠/٤١: (علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الحسن ، ويقال أبو الحسين ، ويقال أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله . زين العابدين . روى عن أبيه وعمه ، وعبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، والمسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وأم سلمة وصفية بنت حبي ، زوجتي النبي (ص) وسعید بن المسيب ، وسعید بن مرجانة ، وعمرٍو بن عثمان بن عفان .

روى عنه: الزهرى ، وزيد بن أسلم ، ويحيى بن سعيد الأنصاري وحكيم بن جبیر ، وعبد الله بن مسلم بن هرمز ، وابنه أبو جعفر محمد بن علي . وقدم دمشق بعد قتل أبيه الحسين بن علي ، ومسجده المنسوب إليه فيها معروف ، واستقدمه عبد الملك بن مروان في خلافته ، يستشيره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز القراطيس). وسيأتي أنه عليه السلام وجّه عبد الملك لحل أزمة الطراز والعملة مع الروم.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣٨٧/٤: (حدث عنه أولاده: أبو جعفر محمد ، وعمر ، وزيد المقتول ، وعبد الله ، والزهرى ، وعمرٍو بن دينار ، والحكم بن عتبة ، وزيد بن أسلم ، ويحيى بن سعيد ، وأبو الزناد ، وعلي بن جدعان ، ومسلم البطين ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعااصم بن عبيد الله ، وعااصم بن عمر بن قتادة بن النعمان ، وأبوه عمر ، والقعقاع بن حكيم ، وأبو الأسود

يتيم عروة وهشام بن عمروة ، وأبو الزبير المكي ، وأبو حازم الأعرج ، وعبد الله بن مسلم بن هرمز ، ومحمد بن الفرات التميمي ، والمنهال بن عمرو ، وخلق سواهم . وقد حدث عنه أبو سلمة ، وطاووس وهما من طبقته . قال ابن سعد: هو علي الأصغر ، وأما أخوه علي الأكبر فقتل مع أبيه بكرباء . وكان علي بن الحسين ثقةً مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً . روى ابن عيينة عن الزهرى قال: ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين.. الخ).

وذكر نحوه الذهبي في تاريخه: ٤٣٢/٦، وترجم له الذهبي في عشر صفحات . ومع أن الذهبي ناصبـ فهو معجبـ بالإمام عليه السلام وصنفـ فيه كتابـاً لم يصلـ إلينـا ! قالـ في شرحـ الأزهـارـ: (وقدـ صنـفـ الـذـهـبـيـ فيـ منـاقـبـ زـينـ الـعـابـدـيـنـ كـتـابـاـ).

٢- تلميذه محمد بن شهاب الزهري

الزهري كبير علماء بني أمية ، وكبير الرواة في صحاح المذاهب ، فله في صحيح بخاري وحده أكثر من ١٢٠٠ روایة ! وكان تلميذاً للإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام يذوب فيه ويبكي لذكره ، وهو مدین له في توجيهه إلى مصلحة دنياه وآخرته لو صدق وأطاع . (كان الزهري يقول: علي بن الحسين أعظم الناس على منه). (الطبقات: ٥، و تاريخ دمشق: ٣٩٨/٤١، والنهاية: ١٢٦٩، وذيل المذيل: ١١٩)

والظاهر أنه يقصد أن الإمام علي عليهما السلام أتجاه من اليأس الذي أصابه عندما كان والياً لبني أمية وقتل شخصاً فاستولى عليه تأنيب الضمير والوسوسة ، قال ابن حجر في الصواعق: (وقارف الزهري ذنباً فهام على وجهه ! فقال له زين العابدين: قسنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك ! فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالته، فرجع إلى أهله وماله). و تاريخ دمشق: ٣٩٨/٤١، وفيه: (وضرب فسطاطاً وقال لا يُظلي سقف بيته ، فمرأ به علي بن حسين فقال... فكان الزهري يقول: علي بن حسين أعظم الناس على منه) .

وكان الزهري يحدث عن علم الإمام علي عليهما السلام ومناقبه ، وما رأى منه من كرامات ومعجزات ، حتى كان بعض أمراء بني أمية إذا رأوه يقولون له: (يا زهرى ما فعلت لك؟)! (مناقب آل أبي طالب: ٣٩٨/٣).

وقد خصه الإمام علي عليهما السلام بحديث في أقسام الصوم ، ما زال أصل الأبحاث الفقهية في أنواع الصوم وأحكامها ، وقد ألف فيه أحد العلماء الحقوقيين الدكتور نصر الله إبراهيمي ، رسالة خاصة وافية .

قال الصدوق عليهما السلام في الهدایة: (عن الزهري أنه قال: دخلت على علي بن

الحسين فقال: يا زهري من أين جئت؟ فقلت: من المسجد ، فقال: فهم كتم ؟ قلت: تذاكرنا أمر الصوم فاجتمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس شيء من الصوم واجب إلا صوم شهر رمضان . فقال عليهما السلام: يا زهري ليس كما قلتم ، إن الصوم على أربعين وجهاً: فعشرة أوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان ، وعشرة أوجه منها صيامهن حرام ، وأربعة عشر وجهاً منها صاحبها فيها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وصوم الإذن على ثلاثة أوجه ، وصوم التأديب ، وصوم الإباحة ، وصوم السفر ، وصوم المرض .

فقلت: فسَرْهُنَّ لِي ، فقال عليهما السلام: أما الواجب: فصيام شهر رمضان ، وصيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان عامداً متعمداً ، وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق ، قال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدِّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوًّا لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِسْنَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَعَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ..

وصيام شهرين متتابعين في كفارة الظهار لمن لم يجد العتق، قال الله تبارك وتعالى: فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ، وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين واجب لمن لم يجد الإطعام ، قال الله تبارك وتعالى: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَارَةٌ أَيْمَانُكُمْ إِذَا حَلَقْتُمْ.. كل ذلك متتابع وليس بمترافق... إلى آخر الحديث).

وعندما جعل عبد الملك الزهري مفتياً ومدوناً للسنة ، وسكن الشام ، أرسل إليه الإمام عليهما السلام رسالة ينصحه فيها أن يتبعه إلى آخرته ، ولا يجعل نفسه جسراً

لبني أمية ! وهي موعظة بلغة لعلماء السلاطين في كل عصر ! وهي طويلة جاء فيها: (كفانا الله وإياك من الفتن ، ورحمك من النار ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يرحمك .. فقد أثقلتك نعم الله بما أصح من بذلك وأطال من عمرك ، وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابه ، وفقهك فيه من دينه وعرفك فيه من سنة نبيه ، فانظر أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها ، ولا تحسبي الله قابلاً منك بالتعذير ، ولا راضياً منك بالقصیر ، هيهات هيهات ، ليس كذلك ! أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: *كتبتي للناس ولا تكتمونه* .

واعلم أن أدنى ما كتبت وأخفى ما احتملت أن آتست وحشة الظالم ، وسهّلت له طريق الغمّ بذلوك منه حين دنوت ، وإجابتك له حين دعيت .. فما أخوافي يا شمك غداً مع الخونـة ، وأن تـسأـل عـما أخـذـت يـاعـانتـك عـلى ظـلـمـةـ ، إـنـكـ أـخـذـتـ مـا لـيـسـ لـكـ مـمـنـ أـعـطاـكـ ، وـدـنـوـتـ مـمـنـ لـمـ يـرـدـ عـلـىـ أحدـ حـقـاـ ، وـلـمـ تـرـدـ باـطـلـاـ حينـ أـدـنـاكـ ، وأـحـبـتـ مـنـ حـادـ اللهـ !

أو ليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظلومهم ، وجسراً يعبرون عليك إلى بلا ياهـمـ ، وسـلـاماً إـلـىـ ضـلـالـهـمـ وـدـاعـيـاً إـلـىـ غـيـرـهـمـ ، وـسـالـكـاـ سـبـلـهـمـ ، يـدخلـونـ بـكـ الشـكـ عـلـىـ الـعـلـمـاءـ ، وـيـقـنـادـونـ بـكـ قـلـوبـ الـجـهـالـ إـلـيـهـمـ ، فـمـاـ أـقـلـ مـاـ أـعـطـوكـ فـيـ قـدـرـ مـاـ أـخـذـوـاـ مـنـكـ ، وـمـاـ أـيـسـ مـاـ عـمـرـواـ لـكـ فـكـيـفـ مـاـ خـرـبـواـ عـلـيـكـ .. فـانـظـرـ لـنـفـسـكـ فـإـنـهـ لـاـ يـنـظـرـ إـلـيـهـاـ غـيـرـكـ وـحـاسـبـهاـ حـسـابـ رـجـلـ مـسـؤـولـ . وـانـظـرـ كـيـفـ شـكـرـكـ لـمـنـ غـذـاـكـ فـيـ نـعـمـهـ صـغـيرـاـ وـكـبـيرـاـ... ولا تحسب أني أردت توبيخك وتعنيفك وتعييرك، لكنني أردت أن ينشـعـ اللهـ مـاـ قـدـ خـاتـ منـ رـأـيـكـ وـيـرـدـ إـلـيـكـ مـاـ عـزـبـ مـنـ دـيـنـكـ ، وـذـكـرـتـ قـوـلـ اللهـ تعـالـىـ

فِي كِتَابِهِ: وَذَكَرَ فَيْلَنَ الْذَّكَرِيَ تَنَعُّمُ الْمُؤْمِنِينَ... فَنَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي عَافَانَا مَا ابْتَلَاكُ بِهِ وَالسَّلَامُ). (تحف العقول لابن شعبة الحرازي ٢٧٤).

وقال الغزالى في الإحياء: ١٤٣/٢: (ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له في الدين إليه: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن...الخ). وعن شرح النهج، ٤٣/١٧، والكتشاف، ٢٩٦/٢، وتفصير الآلوسي، ١٥٤/١٢، والنزاع والتخاصم، ٢٢٥، ومثله فيض القدير، ٥١٥/٢، وبدائع السلوك/ابن الأزرق/٣٨، والسيوطى في: ما رواه الأساطين في عدم المجرى إلى المسلمين، ١٤، والمحجة البيضاء، ٢٦٠/٣.

لكن أبي نعيم رواه بسنده في حلية الأولياء، ٢٤٦/٣، قال: (كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهرى: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن...ونسخته أطول مما رواه الغزالى وغيره ، وكذلك ابن عساكر في تاريخه، ٤١/٢٢ ، وابن الجوزي في صفة الصفو، ١٦٠/٢).

وأبو حازم هذا هو سلمة بن دينار ، من أصحاب الإمام زين العابدين والإمام الباقر والصادق عليهما السلام: مستدركات رجال الحديث: ٣٥٥/٨) وهو إمام عند أتباع المذاهب ، وقد أفضوا في مدحه وروروا عنه أنه كان يقول: (ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين). (تذكرة الحفاظ: ٧٥/١، وتاريخ الذهبي: ٤٣٣/٦).

ومن بعيد أن تكون الرسالة له ، لأن الزهرى أكبر منه سنًا فقد ولد سنة بضع وخمسين وتوفي سنة مئة وبضع وعشرين (تاريخ دمشق: ١٦٧٢) فيحتمل أن يكون أبو حازم حمل رسالة الإمام عليهما السلام أو أمره أن يرسلها باسمه لثلا يغضبه منه الخليفة ! قال السيد الميلاني في نفحات الأزهار: ٢١٣/١٢: (الصحيح أن الكاتب هو الإمام على بن الحسين السجاد عليه الصلوة والسلام كما في كتاب (تحف العقول عن آل الرسول) لكن في المتن الوارد في كتب القوم زيادات على المتن الوارد في الكتاب المذكور . فلامر ما كتموا اسم الكاتب أو نسبوه إلى غيره وزادوا فيه) !

الزهري ناصبي مبغض لعلى عليهما السلام محب لحفيده !

كان الزهري ناصبياً يبغض أمير المؤمنين عليهما السلام، ومع ذلك كان يذوب في حفيده الإمام زين العابدين عليهما السلام! قال في شرح النهج: ٤٠٢٤، والغارات: ٥٧٧٢: (وكان الزهري من المنحرفين عنه عليهما السلام روى جرير بن عبد الحميد ، عن محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً فنلا منه ! فبلغ ذلك على بن الحسين فجاء حتى وقف عليهما فقال: أما أنت يا عروة فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك ! وأما أنت يا زهري فلو كنت بمكة لأربتك كير أبيك !). اتهما

وهو نص يدل على وقاحة الزهري وأن حبه وتقديسه للإمام عليهما السلام يمنعه من الطعن في جده أمير المؤمنين عليهما السلام! كما أن علاقة الإمام عليهما السلام مع الزهري لم تمنعه من الرد القاصم عليه والطعن في نسبة ونفيه عن قريش ! فمعنى: (لأربتك كير أبيك) أي متّفع الحداده الذي كان يعمل به أبو الزهري ، وقريش لم يكن فيهم حداداً أو قيئ ، لأنهم يحتقرن الحداده والحاياه وغيرها ، ومعناه أن أبو الزهري لم يكن قريشاً بل ملصقاً بقريش ! وقد يكون يهودياً لأن مهنة الحداده كانت لليهود والنصارى وبعض اليهوديين ! ففي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٢٣٧: (الحاداده وهي صناعة يأنف منها العرب ويزدرونها ويرونها من الحرج والممقوته الحقيرة). وفي ١٧١٨: (اختلف أهل الطائف عن غيرهم من أهل الحجاز في ميلتهم إلى الحرف اليدوية مثل الدباغه والتجارة والحدادة وهي حرف مستهجنة في نظر العربي يأنف من الإشتغال بها ، ولكن أهل الطائف

احترفوا). وفي ١٨٣١: (وقد عيَّب على أهل اليمن اشتغالهم بالحرَّف كالحدادة والجياكة والصياغة وما شاكل ذلك من حرف).

وفي تهذيب الكمال: ١٩٠٧، وجمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار: (عن نافع مولى عبد الله بن عمر قال: مر حكيم بن حزام عندما أسنَّ بشابين فقال أحدهما لصاحبِه: إذهب بنا نتخرُّف بهذا الشيْخ ! فقال له صاحبه: وما ت يريد إلى شيخ قريش وسيدها ؟ فعصاه فقال له: ما بقيَ أبعد عقلك ؟ قال: بقيَ أبعد عقلي أني رأيت أباك قيناً يضرِّب الحديـد بمكـة ! قال: فرجع إلى صاحبه وقد تغير وجهه فقال له: قد نهيتـك ! قال نافع: وكان حكيم لا يـكون حدـاداً ، وشهادته نـفي النـسب مقبولة لأنـه غير متـهم .

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ: (كان رسول الله (ص) يعلم قيناً بمكـة و كان أـعجمـي اللـسان و كان إـسمـه بـلـاعـم فـكانـ المـشـرـكـونـ يـرونـ رسول الله (ص) يـدخلـ عـلـيـهـ وـيـخـرـجـ مـنـ عـنـهـ فـقاـلـواـ إـنـمـاـ يـعـلـمـهـ بـلـاعـمـ ! فـأـنـزلـ اللهـ هـذـهـ الآيةـ). (تفسير الطبرـي: ٢٣٢/١٤ ، وـمنـاقـبـ آلـآبـيـ طـالـبـ: ٤٦/١).

ويلاحظ أن الزهري سكت ومسحها بشاربيه ، مما يثبت أنه لصيق بقريش ! ويؤيدـهـ اـعـتـرـافـ الزـهـرـيـ الـأـتـيـ بـأـنـهـ كـانـ فـقـيرـاـ لـاـ يـأـخـذـ عـطـاءـ ، لـأـنـهـ غـيرـ مـسـجـلـ فيـ دـيوـانـ الدـوـلـةـ ، معـ أـنـهـ لـاـ يـوـجـدـ فـرـشـيـ غـيرـ مـسـجـلـ !

ومن طريف ما رواه عبد الرزاق عن الزهري: (سئل ابن شهاب عن رجل قيل له: يا بن القين ولم يكن أبوه قيناً ؟ قال: نرى أن يجلد الحد ! فقد أفتى بأن مهنة الحدادـةـ شـتـمـ ، لأنـ الحـدـ عـلـىـ التـهـمـةـ وـلـيـسـ عـلـىـ الـكـذـبـ !

هذا ، ويحتمل أن الزهرى كان يروى حدثى عروة عن عائشة فى الطعن
بعلى عليهما ! قال عروة: حدثنى عائشة قالت: كنت عند رسول الله (ص) إذ أقبل
العباس وعلى فقال: يا عائشة إن هذين يموتان على غير ملني !).
والثانى: قالت عائشة: (كنت عند النبي(ص)إذ أقبل العباس وعلى فقال: يا
عائشة إن سرك أن تنظرى إلى رجلى من أهل النار فانظري إلى هذين قد
طمعا! فنظرت فإذا العباس وعلى بن أبي طالب).

وقد يكون امتنع من روایتهما بعد غضب الإمام زین العابدین عليهما ! فقد روى
عبد الرزاق عن معمر قال: (كان عند الزهرى حدثان عن عروة عن عائشة فى
على فسألته عنهما يوماً فقال: ما نصنع بهما وبحديثهما ، والله أعلم بهما ! إني
لأتهمهما فيبني هاشم) ! (شرح النهج: ٦٤/٤، والقصول المهمة لابن الصباغ: ٥٣/١).

وقد ترجم آية الله الميلاني للزهرى في نفحات الأزهار: ٢١٣/١٢ . وذكر بعض
قوادحه وأولها أنه من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليهما واستشهد برواية
الغارات وشرح النهج . وثانية، روایته عن عمر بن سعد قاتل الحسين عليهما كما
ذكروا في ترجمته... قال ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟!

وثالثها ، مجالسته لبني أمية وعمله لهم ، وحكم من خالط الظالمين
وجالسهم وعمل لهم وأخذ جوازهم واضح ... وذكر السيد الميلاني أنه وفدي
على عبد الملك في حدود سنة ٨٠ ، فأعجب بعلمه ووصله وقضى دينه ...
واستشهد بكلمات علمائهم في حكم من أغان الجائز .

ورابعها، أنه كان مدلساً ، فلا يوثق بقوله عن فلان ، ولا بحديثه ، وقد
استشهد بأقوال علماء العرج والتتعديل كالذهبى وقدامة السرجسي وغيرهما.
كما ذكر السيد الميلاني أن الزهرى معرقٌ في نسبه لأهل البيت عليهما ، لأن

جده كان مع المشركين في بدر ، وكان أحد الذين تعاقدوا على قتل النبي ﷺ ! وأن أباه كان مع مصعب بن الزبير .

هذا ، وقد اعترف الزهري بأنه يكتم أحاديث النبي ﷺ في فضائل علي ع ! فقد روى أسد الغابة: ٣٠٧١، عن الزهري عن أبي جنيدة الأنباري قال: (فلمما نزل غدير خم قام في الناس خطيباً وأخذ بيده علي وقال: من كنت وليه فهذا ولية . اللهم وال من والاه وعاد من عاده . قال عبيد الله فقلت للزهري: لا تحدث بهذا بالشام وأنت تسمع ملء أذنيك سب علي ! فقال: والله إن عندي من فضائل علي ما لو تحدثت به لقتلته ! أخرجه ثلاثة) !

وروى أحمد في فضائل الصحابة: ٥٩١/٢، والطبراني في الرياض النيرة: ٤٢٠، بسنده صحيح عن معمر قال: (سألت الزهري: من كان كاتب الكتاب يوم العدبية؟ فضحك وقال هو علي ، ولو سألت هؤلاء يعني بي أمية قالوا: عثمان) .



الحججة تامة على الزهرى في الإمامة عليهما السلام!

كان الزهرى يعرف جيداً إماماً المعصومين من العترة عليهما السلام، فالحججة عليه تامة فيهم ، حيث روى في كفاية الأثر /٤١٢: (عن عاصم بن حميد ، عن معمر ، عن الزهرى قال: دخلت على علي بن الحسين في المرض الذي توفي فيه ، إذ قدم إليه طبق فيه الخبز والهنباء فقال لي: كله . فقلت: قد أكلت يا ابن رسول الله . قال: إنه الهندباء . قلت: وما فضل الهندباء ؟ قال: ما من ورقة من الهندباء إلا وعليها قطرة من ماء الجنة ، فيها شفاء من كل داء . قال: ثم رفع الطعام وأوتى بالدهن فقال: إدهن يا أبا عبد الله . قلت: قد ادھنت . قال: إنه هو البنفسج . قلت: وما فضل البنفسج على سائر الأدھان ؟ قال: كفضل الإسلام على سائر الأديان . ثم دخل عليه محمد ابنه فحدثه طويلاً بالسر فسمعته يقول فيما يقول: عليك بحسن الخلق . قلت: يا ابن رسول الله إن كان من الأمر ما لا بد لنا منه ، ووقع في نفسي أنه قد نعي نفسه ، فإلى من نختلف بعده؟ قال: يا أبا عبد الله إلى ابني هذا وأشار إلى محمد ابنته ، إنه وصي ووارثي وعيية علمي ومعدن العلم وباقر العلم . قلت: يا ابن رسول الله ما معنى باقر العلم ؟ قال: سوف يختلف إليه خلاص شيعتي ويفتر العلم عليهم بقراً .

قال: ثم أرسل محمداً ابنته في حاجة له إلى السوق ، فلما جاء محمد قلت: يا ابن رسول الله هذا الذي أوصيت إليه أكبر أولادك؟ فقال: يا أبا عبدالله ليست الإمامة بالصغر والكبر ، هكذا عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا وجدنا مكتوباً في اللوح والصحيفة . قلت: يا ابن رسول الله ، فكم عهد إليكم نبيكم أن تكون

الأوصياء من بعده؟ قال: وجدنا في الصحيفة واللوح اثني عشر أسامي مكتوبة بإمامتهم وأسامي آبائهم وأمهاتهم ، ثم قال: يخرج من صلب محمد ابني سبعة من الأوصياء فيهم المهدي) . انتهى .

كما روى ابن حمزة في الثاقب في المناقب: ٣٦٢، عن الزهرى قوله: (كان لي أخ في الله تعالى ، وكنت شديد المحبة له ، فمات في جهات الروم فاغتبط به وفرحت أن استشهد وتمنيت أني كنت استشهدت معه ، فنممت ذات ليلة فرأيته في منامي فقلت له: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر الله لي بجهادي وحبي محمداً وآل محمد... وزادني بشفاعة علي بن الحسين... فلما انتهيت قلت: لعله أضغاث أحلام فعاودني النوم فرأيت ذلك الرجل يقول: أشككت؟ لا تشك فإن الشك كفر ولا تخبر بما رأيت أحداً ، فإن علي بن الحسين يخبرك بمنامك هذا كما أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر بمنامه في طريقه من الشام . فانتبهت وصلت فإذا رسول علي بن الحسين صلوات الله عليه فصرت إليه فقال: يا زهرى، رأيت البارحة كذا وكذا.. المنامين جميعاً على وجههما). انتهى .

لكن الزهرى لم يكن أهلاً للتوفيق ، فصار كبير علماء البلاط الأموي ، ومن يومها لم يحدث عن أستاذه الإمام علي عليه السلام ولا عن أهل البيت عليهما السلام إرضاً لبني أمية ! فإذا عوتب على ذلك ، كذبَ وقال إن الإمام زين العابدين عليه السلام قليل الحديث ! عن معمر قال: قلت للزهرى: مالك لا تكثر الرواية عن علي بن حسين؟ فقال: كنت أكثر مجالسته ولكنه كان قليل الحديث). (تاريخ دمشق: ٣٧٦/٤١).

(ابن عيينة عن الزهرى قال: كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين ، وما رأيت أحداً كان أفقه منه ، ولكنه كان قليل الحديث). (سير الذئب: ٣٨٩/٤، وتهذيب الكمال: ٣٨٢/٢٠، وتاريخ الإسلام: ٤٣٥/٦، وال نهاية: ١٢٤/٩، وعامة من ترجم له من السنين).

وقد كذب الزهرى نفسه فكيف يكون أفقه من رأه ، والفقه مبني على الكتاب وسنة النبي ﷺ ، ثم يكون قليل التحدث بالسنة؟ بل سمع منه وكتب عنه الزهرى كثيراً ، لكنه أخناه ولم يحدث منه ، خوفاً من أسياده !
قال الزهرى: كان عروة يتألف الناس على حديثه). أي يستعمل أساليب الإغراء لترويج حديثه ، غلا بد أن الزهرى الفقير استفاد منه . (سير الذئب: ٤٣١/٤).
أما علي بن الحسين عليهما السلام يكن يتألف على حديثه ، وأحاديثه ليست من البضاعة المطلوبة التي يكتبه الزهرى للباطل ، فيرسلها الخليفة إلى بلاد المسلمين لينشروها ! (قال علي بن المدينى: له (الزهرى) نحو من ألفى حديث .
وقال أبو داود: حديثه ألفان ومئتا حديث). (سير الذئب: ٣٢٨/٥).

الزهرى قلم السلطة الأموية لكتابه السنة !

أوضحنا في كتاب: (السؤال وإشكال: ٢/مسألة ١٢٤)، أن عمر بن الخطاب منع الأمة من كتابة حديث النبي ﷺ بل من مجرد التحدث عنه في المسجد ! واستبدلها بإسرائيليات تميم الداري التي كان يلقاها في المسجد النبوى يومين أسبوعياً ! ثم زاده عثمان يوماً آخر ، ثم أضاف معه كعب الأحبار وأعطاه يومين في الأسبوع !

واستمر منع تدوين الحديث أكثر من قرن ، حتى كلف عمر بن عبد العزيز علماء السلطة إلى كتابة حديث النبي ﷺ وحديث عمر بن الخطاب معاً ! قال الدارمى: (كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن أكتب إلى بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله وب الحديث عمر ، فإني قد خشيت درس العلم وذهابه). (الطبقات: ٤٨٠/٨).

ومات ابن حزم فتولى المهمة ابن شهاب الزهرى، قال في جامع بيان العلم: ٧٦١:

(سمعت ابن شهاب يحدث سعد بن إبراهيم: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً).

وفي طبقات ابن سعد ٣٨٨/٢ ، وسير الذهبي ٣٨٩/٤: (صالح بن كيسان إنه قال: اجتمعنا أنا والزهري ونحن نطلب العلم؟ فقلنا: نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبي (ص) قال: ثم قال الزهري: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة ! قال: فقلت أنا لا ، ليس سنة لا نكتبه ، فكتب ولم أكتب فأنجع وضيغت).

يقصد أبو الزناد أن بضاعة الزهري راجت أكثر من بضاعته !
لكن أبو الزناد روّج بضاعته بعد ذلك ، فصار مثل الزهري وأسوأ ، وصار يسمى عندهم الإمام أبو الزناد عبدالله بن ذكوان ، وهو أخ أبي المؤذنة قاتل عمر !



الزهري.. من فقير صغير إلى مترف كبير!

كان الزهري فقيراً معدماً ، فقد حدث عن نفسه فقال: (نشأت وأنا غلام لا مال لي ، ولا أنا في ديوان). (سير الذهبي: ٣٢٨٥) وقوله إنه كان غلاماً فقيراً غير مسجل في ديوان ، يدل على أنه مولى لقرش وليس قرشياً ، فما من قرش في يومها إلا وكان مسجلاً في الديوان وله راتب ! وهو يؤكد أنه أبوه قفين ، ولعله يهودي ! ثم يقول الزهري: (وفدت إلى مروان ، وأنا محتمل). (سير الذهبي: ٣٢٧٥).

ويظهر أنه لم يستفد من مروان ، فعاد إلى الملك عبد الله قال: (فرحلت إلى الشام ، فدخلت مسجد دمشق في السحر وأمنت حلقة وجاء المقصورة عظيمة ، فجلست فيها فنسبني القوم فقلت: رجل من قريش ، قالوا: هل لك علم بالحكم في أمهات الأولاد ؟ فأخبرتهم بقول عمر بن الخطاب فقالوا: هذا مجلس قبيصة بن ذؤيب وهو حاميك ، وقد سأله أمير المؤمنين وقد سألنا فلم يجد عندنا في ذلك علمًا فجاء قبيصة فأخبروه الخبر فنسبني فانتسبت وسألني عن سعيد بن المسيب ونظراته فأخبرته. قال فقال: أنا أدخلك على أمير المؤمنين فصلى الصبح ثم انصرف فتبعته ، فدخل على عبد الله وجلس على الباب ساعة حتى ارتفعت الشمس ثم خرج الآذن فقال: أين هذا المدیني القرشي؟ قلت: ها أنا ذا ، فدخلت معه على أمير المؤمنين فأجد بين يديه المصحف قد أطبه وأمر به فرفع وليس عنده غير قبيصة جالساً فسلمت عليه بالخلافة ، فقال: من أنت ؟ قلت: محمد بن مسلم ، وساق آباءه إلى زهرة فقال: أوه قوم نغارون في الفتنة ! قال: وكان مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير، ثم قال: ما عندك في أمهات الأولاد ؟ فأخبرته عن سعيد فقال: كيف سعيد وكيف حاله ؟ فأخبرته ، ثم

قلت: وأخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن العارث بن هشام فسأل عنه ، ثم حدثه الحديث في أمهات الأولاد عن عمر . فالتفت إلى قبيصة فقال: هذا يكتب به إلى الآفاق . فقلت: لا أجده أخلي منه الساعة ولعلي لا أدخل بعدها فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يصل رحمي ، وأن يفرض لي فعل قال: إيهَا الآن ! إنهض لشأنك ، فخرجت والله مؤيساً من كل شئ خرجت له ، وأنا يومئذ مُقلٌّ مُرْمِلٌ ، ثم خرج قبيصة فأقبل علي لأنماً لي وقال: ما حملك على ما صنعت من غير أمري ؟ قلت: ظنت والله أني لا أعود إليه ، قال: إئتنى في المنزل فمشيت خلف دابته والناس يكلمونه ، حتى دخل منزله فقلما لبث حتى خرج إلى خادم بمئة دينار، وأمر لي ببلغة وغلام وعشرة أثواب ، ثم غدوت إليه من الغد على البغله . (سير الذهي: ٣٣١٥).

ثم تطورت أحوال الزهري فصار يأتي إلى الخليفة في الشام فيعطيه المبالغ الكبيرة ، قال في العقد الفريد: (فأعطاني مالاً كثيراً ، قال فاستأذنته في الخروج إلى المدينة فأذن لي ومعي غلام لي ومعي مال كثير في عيبة فقدت العيبة فاتهمت الغلام فوعده وتواعده فلم يقر لي بشئ . قال: فصرعته وقعدت على صدره ووضعت مرافقى على وجهه وغمزته غمزة وأنا لا أريد قتلها فمات تحتي وسقط في يدي ! وقدمت المدينة فسألت سعيد بن المسيب وأبا عبد الرحمن وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله فكلهم قال: لا نعلم لك توبة . فبلغ ذلك علي بن الحسين فقال: عليَّ به ، فأتيته فقصصت عليه القصة فقال: إن لذنبك توبة: صم شهرين متتابعين وأعترق رقبة مؤمنة وأطعم ستين مسكيناً ، فعلت . ثم خرجت أريد عبد الملك وقد بلغه أني أتلفت المال ، فأقمت بيابه أياماً لا يؤذن لي بالدخول ، فجلست إلى معلم لولده وقد حذق ابن

لعبد الملك عنده وهو يعلم ما يتكلّم به بين يدي أمير المؤمنين (أي أكمل تعليمه وأراد أن يدخل على أبيه ليعطيه جائزة) إذا دخل عليه (الطفل) فقلت لمؤبدة: ما تأمل من أمير المؤمنين أن يصلك به فلك عندي ذلك ، على أن تكلم الصبي إذا دخل على أمير المؤمنين فإذا قال له: سل حاجتك يقول له: حاجتي أن ترضى عن الزهري ! ففعل فضحك عبد الملك وقال: أين هو قال: بالباب . فأذن لي). انتهى . وفي تاريخ دمشق: ٥٨/٦٧، أن عبد الملك: (أمر الزهري أن يسير معه إلى مكة ، ووضع عن الزهري من ديوان مال الله سبعة عشر ألف دينار).

وفي تاريخ دمشق: ٢٧٤/١٠٢، و ٣٦١/١٤١، أن الزهري كان على سفرة عبد الملك فأراد أن يقوم فأجلسه عبد الملك ، ثم قدمت المائدة فلما فرغوا من الأكل قدموه البطيخ فروى له الزهري عن النبي (ص) أنه قال: (البطيخ قبل الطعام يغسل البطن غسلاً وينذهب بالداء أصلًا). فأعطاه مائة ألف درهم .

وفي سير الذئبي: ٥/٤٠: (قضى هشام عن الزهري سبعة آلاف دينار وقال: لا تعد لمثلها... قيل للزهري: إنهم يعيرون عليك كثرة الدين ، قال: وكم ديني؟ قيل: عشرون ألف دينار ، قال: ليس كثيراً وأنا مليء ، لي خمسة أعين كل عين منها ثمن أربعين ألف دينار). والكشف الحيث .٦١

وفي تاريخ الذئبي: ٨/٤٣: (أن الزهري قال لهشام: إقض ديني . قال: وكم هو؟ قال: ثمانية عشر ألف دينار ، قال: إني أخاف إن قضيتها عنك أن تعود ! فقال: قال رسول الله (ص): لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ! فقضها عنه . قال سعيد: فما مات الزهري حتى استدانا مثلها ، فبعث بيعث كذا فقضى دينه).

أمروه بتدوين السنة إلا عن أهل البيت

ثم سكن الزهري في الشام وصار كبير علماء البلاط، ومسؤول تدوين السنة فكان يكتب الدفاتر ويرسلها الخليفة إلى البلاد أمراً بنشرها والعمل بها ، دون غيرها ! وأقبلت الدنيا على الزهري بألوانها، قال: (سعيد بن عبد العزيز: كنا نأتي الزهري بالراهب، وهي محلة قبليَّ دمشق، فيقدم لنا كذا وكذا لوناً.. قال محمد بن إشكيوب: كان الزهري جندياً . قلت (الذهبي): كان في رتبة أمير). (سير الذهبي: ٣٤١٥).

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: (وفي لفظ للإمام أحمد: ثنا عبد الرزاق سمعت معمراً يقول: كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزانته، يعني من علم الزهري . قلت: يعني الكتب التي كتبت عنه لآل مروان). وسير الذهبي: ٣٤٥، وتنكرة الحفاظ: ١١٢١، والطبقات: ٢، و تاريخ دمشق: ٣٤٥٥، و ٥٩٠، و ٤٠٠، و نهاية ابن كثير: ٣٧٩، و جامع بيان العلم: ١٧٧٢.

وفي كاشف الذهبي: (شعيب بن أبي حمزة...مولىبني أمية...فعنده عن الزهري ألف وسبعمائة حديث ، وكان بديع الخط . قال ابن معين: كتب عن الزهري إملاءً للسلطان ، مات ١٦٣).

الزهري يزّين للناس الحج إلى القدس بدل مكة !

تقدّم في المجلد الثالث أن عبد الملك بن مروان حوالَ الحج إلى بيت المقدس ، وأن الإمام زين العابدين عليه السلام واجه هذا التحرير الأموي لأركان الإسلام ! ويظهر أن رسالة الإمام عليه السلام للزهري كانت في تلك الفترة ، لأن الزهري كان يضع الأحاديث ويزّين للمسلمين فعل عبد الملك !

قال ابن واضح اليعقوبي في تاريخه: ٢٦١٢، وهو من أكثر المؤرخين دقة وتثبتاً:

(ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة فضج الناس وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا ! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهرى يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد بيت المقدس . وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام . وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة ! فبني على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية). انتهى.

أقول: هذا النص يوجب الشك في أصل حديث (لاتشد الرحال) ! أما من يراه حديثاً صحيحاً فلا بد أن يعترف بتوظيف الأمويين له ، وأن الزهرى كان يطبعهم حتى في هدم ركن من أركان الإسلام !
ختاماً ، هذا هو الزهرى الإمام عند مذاهب الخلافة، الذي يدعى أنه يحب الإمام زين العابدين عليه السلام ويكره ذكره! فيتهى جبه له عند فتات بنى أمية !

٣- مذهب الزهري وأشباهه في حب أهل البيت عليهما السلام!

إذا تأملت في شخصية الزهري والذهبي وابن كثير وأمثالهم من علماء بني أمية المثقفين ، يأخذك العجب من موقفهم ، فهم يشهدون على أنفسهم بأن الحجة عليهم تامة في الإمام زين العابدين عليهما السلام وبقية العترة الطاهرة !

فهو باعترافهم صاحب معجزات ، وعنده الإسم الأعظم . وهو باعترافهم أتقى أهل زمانه وأفقهم وأفضلهم ، وصاحب الشخصية الربانية المميزة الجذابة ، وورث النبي عليهما السلام ، وابن الحسين السبط ، سيد شباب أهل الجنة .

وهم يحبونه ، وبعضهم يزعم أنه يذوب فيه كالزهري ، وبعضهم يقول إنه أولى بالخلافة ويؤلف عنه كتاباً كالذهبي ، وبعضهم يروي معجزاته الباهرة كابن كثير! ومع ذلك يتناسون أنه يجهز بأحقية أهل البيت عليهما السلام وظلماتهم ، ويُتم حجتهم عليهم ! وعندما يجيء دور التلقى منه والحديث عنه ، يقول الزهري عالم البلاط الأموي: نعم إنه أفقه الجميع ، لكن أحاديثه قليلة مع الأسف ، لذلك لا أروي فقه الإسلام وعقائده عنه ، بل عن مخالفيه وأعدائه !

ويقول الذهبي: نعم هو أفضل من الجميع ، لذلك كان يكرمه سيده ومولاه يزيد بن معاوية ! قال في سيرته: (وكان له جلاله عجيبة وحق له والله ذلك ، فقد كان أهلاً للإمامية العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله . وقد اشتهرت قصيدة الفرزدق وهي سمعانا أن هشام بن عبد الملك حج قبيل ولايته الخلافة...الخ). وقال في سيرته: (وكان ابنه علي زين العابدين مريضاً فسلم . وكان يزيد يكرمه ويرعاه) !

ومعنى ذلك أن حبهم للإمام زين العابدين عليه السلام يتهمي عندما يصل الأمر إلى بنبي أمية ! ثم لا يتركون الإمام عليه السلام وشأنه ، بل يريدون إخضاعه لأسيادهم ! فمَثَلُهُمْ كشخص يقول لك: إني أحبك كثيراً كثيراً ، لكنني أخضع حبي لك لحبك لخصومك وأعدائك ! وأنت أيضاً يجب أن تخضع لهم ! إن هذا الشخص في الحقيقة مبغض ، وإن زعم أنه يحبك ويذرف عليك الدموع ! إن هذا (الحب) ليس ولاء ولا حباً ، لأنه مشروط بشرطين: الأول: أن لا يعارضه حب بنبي أمية ومن شاكليهم .

والثاني: أن يخضع أهل البيت عليهما السلام لبني أمية ! وأمثلة ذلك في ترجماتهم للإمام زين العابدين عليه السلام كثيرة ، نأخذ منها نماذج من تذكرة حفاظ الذهبي: ٧٤/١:

١- سعيم الدائب لتبرير جرائم قتلة أهل البيت عليهما السلام !

قال الذهبي: (زين العابدين أبو الحسين الهاشمي المدني رضي الله عنه ، حضر كربلاء مريضاً فقال عمر بن سعد: لا تعرضا لهدا ، وكان يومئذ ابن نيف وعشرين سنة). (يعني أن ابن سعد من عليه بالحياة! وكأنه كان يستحق القتل!) روى عن أبيه وعمه الحسن وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والمسور وابن عمر وعدة . (أي هو تلميذ لهؤلاء في العلوم الدينية وهم شيوخه) !

قال الزهري: مارأيت أحداً كان أفقه من علي بن الحسين لكنه قليل الحديث وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة وأحبيهم إلى عبد الملك .

(وبذلك يبرر الزهري لنفسه لماذا يذكر الإمام بغير أحياناً ، بأنه كان مطيناً لعبد الملك! فيقول هو أكثر بنبي هاشم اعتدالاً وال الخليفة يحبه ! (كان أقصد أهل بيته وأحسنهم طاعة وأحبيهم إلى مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان). (الطبقات: ٥/٢١، وتاريخ بخاري الصغير: ٢٤٦١، والتعديل والتجريح: ١٠٧٩٣، وتاريخ دمشق: ٣٧١٤١، وتهذيب

الكمال: ٣٨٦/٢٠ ، وسیر الذہبی: ٣٨٩/٤ ، وتاریخ أبي زرعة: ١٠٣) .

ثم قال الذہبی: وقال أبو حازم الأعرج: ما رأیت هاشمیاً أفضل منه . (ولم يفضل قرشیاً حتى لا يفضله على بنی أمیة ! بينما فی تقریب التہذیب: ٩٩٢/١: وسیر الذہبی أيضًا: ما رأیت قرشیاً أفضل منه) !

ثم روی الذہبی عن أبي حازم: وكان یسمی زین العابدین لعبادته . (وهذا تدلیس من أبي حازم والذہبی حيث أغمضا عن تسمیة النبی ﷺ له بزین العابدین ، وحدیثه عندهما فی أعلى درجات الصحة ، لأنه عن الزهری ، عن ابن المسیب ، عن ابن عباس عن النبی ﷺ) !

وقال الذہبی فی سیره: ٣٨٧/٤: (وكان يومئذ (يوم كربلاء) موعوكاً فلم يقاتل ، ولا تعرضوا له ، بل أحضروه مع آله إلى دمشق فأكرمه يزيد ، ورده مع آله إلى المدينة . (وهذا تدلیس وتزویر من الذہبی ، حيث لم یذكر ما لقبه الإمام وسبايا العترة النبوية الطاهرة ﷺ فی كربلاء والکوفة والطريق ودمشق وقصر يزيد ، بل مدح يزيداً بأنه منَّ عليهم وأكرمههم) !

٢- وأن یشتبوا أن علم الأئمة عليهم السلام ليس ربانياً بل تعلموا عند غيرهم !

قال الذہبی: (ابن وهب عن مالک ، قال: كان عبید الله بن عبد الله (بن أبي رافع) من العلماء ، وكان إذا دخل في صلاته فقدع إليه إنسان لم یقبل عليه حتى یفرغ ، وإن علي بن الحسين كان من أهل الفضل وكان يأتيه فيجلس إليه ، فيبطوئ عبید الله في صلاته ولا یلتفت إليه ، فقيل له: عليٌّ وهو من منه ! فقال: لا بد لمن طلب هذا الأمر أن یعنی به . (وهذا توهین للإمام عليه السلام أيًا كان عبد الله هذا ، فلا توجد رواية للإمام عليه السلام عنه ، وأن أبي رافع من خاصة الشیعۃ) ! وكان يجالس زید بن أسلم مولی عمر فقيل له: تدع قریشاً وتجالس عبد بنی

عدي ! فقال: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع... كان علي بن الحسين يدخل المسجد فيشق الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جابر: غفر الله لك ، أنت سيد الناس تأتي تتحخطى حتى تجلس مع هذا العبد ! فقال علي بن الحسين: العلم يتغنى ويؤتى ويطلب من حيث كان .

عن مسعود بن مالك، قال لي علي بن الحسين: تستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جابر ؟ قلت: ما حاجتك إليه ؟ قال: أشياء أريد أن أسأله عنها ، إن الناس يأتوننا بما ليس عندنا) .

وفي تذكرة الحفاظ: (قال البخاري: كان علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم ، فكلم في ذلك فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه). أقول: أما سعيد بن جابر فقد قتله الحاجاج لأنه من أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام ، وأما زيد بن أسلم مولى عمر فلم يرو أحداً للإمام عليهما السلام عنه ! بل ذكروا في ترجمة ابن أسلم أنه هو يروي عن علي بن الحسين عليهما السلام كما نص عليه الذهبي نفسه في تذكرة الحفاظ: ١٣٢١، وكذا الإكمال/ ١٩٥) .

وقال الذهبي في سيره: (زيد بن أسلم، الإمام الحجة القدوة ، أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه ، حدث عن والده أسلم مولى عمر ، وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله ، وسلمة بن الأكوع ، وأنس بن مالك ، وعن عطاء بن يسار ، وعلي بن الحسين، وابن المسيب ، وخلق). انتهى.

وفي نشر طي التعريف: (وكان زيد بن أسلم مولى، وكان زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم يتحخطى مجالس قومه حتى يأتيه فيجلس عنده ! فقيل له: يغفر الله لك أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه! فقال: إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيث ما كان!

رواه الحافظ أبو نعيم في حلية ياسناده ، ونحوه ذكر الإمام النواوي في تهذيبه حكاية عن تاريخ البخاري ، وفيه: فقيل له تخططى مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب ؟ فقال إنما يجلس المرء إلى من ينفعه في دينه). انتهى.

فالملهم عندهم أن يتقصوا من مقام الأئمة عليهم السلام ولو بالكذب الصريح ، ويرفعوا من مقام ابن مولى عمر الذي مات سنة ١٣٦ (نذرية الحفظ: ١٣٢١) ويقولوا إن الإمام زين العابدين عليه السلام كان تلميذ ابن عبد عمر ، الذي يصغره بأربعين سنة ! فكان يتعلم منه رواية الحديث ، أو يتعلم منه التقوى !

وقد رروا كثيراً عن زيد بن أسلم هذا ، ومن طريف ما رواه عنه سنة عمر في تكبير الشوارب مقابل سنة النبي صلوات الله عليه وسلم في حفتها !

قال في الإكمال/ ١٢١: (رأيت مالك بن أنس وافر الشارب فسألته عن ذلك؟ فقال: حدثني زيد بن أسلم عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن عمر بن الخطاب كان إذا غضب قتل شاربه ونفخ) !

وقال في مجمع الروايند: ١٦٧/٥، عن الطبراني ووثقه ، والطبراني الكبير: ٦٦٧، وكنز العمال: ٩٢١/٣، عن أبي عبيد ، وغيرها . وفي فتح الباري: ١٢٣/٦، والمجموع: ٢٣٤/١٥: (أتى أعرابي من أهل نجد عمر فقال: يا أمير المؤمنين بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام فعلام تحميها! فأطرق عمر وجعل ينفع ويقتل شاربه وكان إذا كره أمراً قتل شاربه ونفخ) . ومثله مغني ابن قدامة: ١٦٧/٦، وغيره.

أما في مصادرنا فزيد بن أسلم: (مولى عمر بن الخطاب كان يجالسه كثيراً... تابعي ، فيه نظر ، من أصحاب علي بن الحسين). (نقد الرجال: ٢٨٢/٢) .

٣- أن يَرْعُمُوا أنَّ الْأَئِمَّةَ كَانُوا يَتَوَلَُّونَ أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ!

قال الذهبي في سيرة: ٣٩٤/٤: (قال أبو حازم المدني: ما رأيت هاشمياً أفقه من

علي بن الحسين ، سمعته وقد سئل: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله (ص)؟ فأشار بيده إلى القبر ثم قال: بمنزلتهما منه الساعة.. جاء رجل فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ قال: عن الصديق تسأله؟! قال: وتنسميه الصديق؟! قال: ثكلتك أمك قد سماه صديقاً من هو خير مني، رسول الله (ص) والمهاجرون والأنصار ، فمن لم يسمه صديقاً فلا صدق الله قوله ! إذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما ، فما كان من أمر ففي عنيبي.. قدم قوم من العراق فجلسوا إلى ذكرى أبي بكر وعمر فسبوهما ، ثم ابتكروا في عثمان ابتراكاً ، فشتمتهم). انتهى.

وهذا مثال لسيفهم الحديث لنشر تولي أبي بكر وعمر عن لسان الإمام عليهما السلام، متناسين ما صرح عنه عليهما السلام من موقف شديد منهم !

٤- أن ينفوا شفاعة على والأئمة وعصمتهم عليهم السلام:

من ذلك قول الذهبي في سيرته: (عن القاسم بن عوف قال: قال علي بن الحسين: جاءني رجل فقال: جئتك في حاجة وما جئت حاجة ولا معتمراً ! قلت: وما هي؟ قال: جئت لأسألك متى يبعث علي؟ فقلت: يبعث والله يوم القيمة ، ثم تهمه نفسه). فهم يريدون بذلك رد الأحاديث التي يقول إن علي عليهما السلام يبعث بظهور ولده المهدى عليهما السلام ، أو في الرجمة ، ويقولوا إنه لا يبعث إلا في القيمة ، ويكون مشغولاً بنفسه فكيف يشفع لغيره !

ثم قال الذهبي عن الإمام زين العابدين عليهما السلام: (وهو أحد الأئمة الإثنى عشر الذين تجلهم الشيعة الإمامية ، وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين . فلا عصمة إلا للملائكة والبيتين). انتهى.

لاحظ أن الذهبى لم يناقش عقيدة الشيعة بعلم الأئمة عليهما السلام بجميع الدين، لأنه

لابجد مثلاً على جهل إمام ولو بمسألة واحدة ، بينما ذلك متواتر في أئمته !
لذلك هرب من علم الأئمة عليهم السلام وانتقد قول الشيعة بعصمتهم عليهم السلام ونفها بحججة
أن العصمة محصورة بالملائكة والنبيين عليهم السلام !

لكن الذهبي نفسه عندما تحدث عن أبي بكر وعمر نسي قوله هذا ، ولم يحصر العصمة بالملائكة والنبيين عليهم السلام بل قال في كتابه: الموقفة في علم مصطلح الحديث /٨٤ (والعصمة للأئمّة عليهم السلام ، والصديقين ، وحكام القسط) ! انتهى .

فهو يقصد بالصديقين أبا بكر فقط ، وبحكام القسط عمر فقط ، لأنّه لا يقول بعصمة كل صديق ولا عصمة كل حاكم عادل ! فقد وصف هو وغيره كسرى بالملك العادل ، وأعطوا وصف الملك العادل لعدة سلاطين تراكمه وشراكته وفيهم رافضي قوي الرفض على حد قوله هو طلائع بن رزيك سلطان مصر !
فلا بد أنه وسّع العصمة هنا لتشمل الشيختين فقط ، وضيقها هناك ليتفاها عن أهل البيت عليهم السلام فقط ! (راجع نفحات الأزهار: ٢٤٧/٤ للسيد الميلاني).

٥- وبيت قصيدهم من هذا الكذب الكثير !

أن يقولوا إن زين العابدين عليه السلام على مقامه الرباني كان تلميذاً لأحد عبيد عمر وإنه كان يتولى أبا بكر وعمر ! قال الذهبي في سيرته: ٣٦٧/٥: (عن يحيى بن سعيد:
سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته يقول: يا أيها الناس
أحبونا حب الإسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً... يا أهل العراق
أحبونا حب الإسلام ولا تحبونا حب الأصنام ، فما زال بنا حبكم حتى صار
علينا شيئاً). انتهى. وهو يقصد أن أهل البيت عليهم السلام نهوا عن حبهم الذي يكون معه براءة من ظلمهم ، بل كانوا يتولون ظالميهم ويأمرون شيعتهم بذلك !

وقد صرخ بذلك ابن حجر في الصواعق: ١٦٦/١، فقال: (وصرحوا أنّه أهل البيت عليهم السلام)

بتكذيب من نقل عنهم خلافه (أي خلاف تقديس أبي بكر وعمر) ومع ذلك يرى أن ينسب إليهم ما تبرؤا منه ورأوه ذمًا في حقهم ، حتى قال زين العابدين علي بن الحسين: أيها الناس أحبونا حب الإسلام فوالله ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً وفي رواية حتى نقصضتنا إلى الناس ، أي بسبب ما نسبوه إليهم مما هم براء منه . فلعن الله من كذب على هؤلاء الأئمة ورمائهم بالزور والبهتان). ونحن نقول: آمين . اللهم العن من كذب عليهم ومن ظلمهم ، وبرر ظلمهم ! اللهم العن أول ظالم لآل محمد وآخر تابع له على ذلك .



كـ - تلاميذه وحواريه الشيعية

لم يترجم أتباع الخلافة لأصحاب الإمام علي عليهما السلام وتلاميذه الشيعة ، إلا لأفراد منهم وبشكل مختصر أو مشوه ، مع أنهم كثيرون وفيهم شخصيات كبيرة ! وقد أورد الشيخ الطوسي رضي الله عنه من بينهم في كتابه الرجال ١٠٧ / ١٠٨ ، مئة وسبعين راوياً ، ابتداءً من إبراهيم بن عبد الله بن معد بن العباس بن عبد المطلب برقم ١٠٥٨ ، إلى حباية الوالية أو أم البراء ، برقم ١٢٢٨ . وأورد غيره أكثر من هذا العدد .

ولا يتسع المجال لذكرهم جميعاً وفيهم شخصيات علمية واجتماعية مهمة ، يحتاج الواحد منهم إلى كتاب مستقل ، مثل يحيى بن أم الطويل أخ الإمام علي عليهما السلام من الرضاعة ، وحكيم بن جبير بن مطعم ، وسعيد بن المسيب بن حَزَن المخزومي ، وسعيد بن جبير الوالبي مولاهم ، وأبو خالد الكابلي ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبي حمزة الشمالي ، وأل زرارة .

وستذكر أبرز الحواريين منهم ، الذين بنى بهم الإمام علي عليهما السلام المجتمع الشيعي ، في فصل مواجهته لانحرافاتبني أمية ، وإعلانه لصرح التشيع .



الفصل الخامس:

علاقاته مع شخصيات المجتمع ورجال الدولة

١- علاقته مع العباد والمتصوفين

كان للإمام عثيمية علاقات وثيقة بعدد كبير من علماء السلطة وشيخ المتصوفة على اختلاف مشاربهم ومساربهم ، كالشبلبي ، وابن المبارك ، ومالك بن دينار ، وثبت البناي ، وصالح المري ، وعتبة الغلام ، وحبيب الفارسي ، وصالح الأعمى ، ورابعة العدوية ، وسعدانة ، وجعفر بن سليمان ، والحسن البصري وغيرهم.. ولهم معهم قصص ومواعظ بلية .

وله حديث مشهور في معيار الصدق والزيف في طالب العلم والعابد أوله: (إذا رأيتم الرجل قد حَسِنَ سُمْتَهُ وَهَدَيَهُ، وَتَمَاهَوْتَ فِي مَنْطَقَهُ، وَتَخَاضَعَ فِي حَرْكَاتِهِ، فَرُوِيَّاً لَا يَغْرِيَكُمْ، فَمَا أَكْثَرُ مِنْ يُعْجِزُهُ تَنَاهُ الدُّنْيَا وَرَكُوبُ الْحَرَامِ مِنْهَا لِضَعْفِ نِيَّتِهِ وَمَهَانَتِهِ وَجَبَنَ قَلْبِهِ، فَنَصَبَ الدِّينَ فَخَّاً لَهَا) ! (الاحتجاج: ٥٣/٢) .
وكان هؤلاء المتصوفة يفتخرن بصداقته عثيمية والرواية عنه ، بل بمجرد رؤيتهم له ، وينقلون مواضعه وأدعيته ومعجزاته .

وكان بعضهم ينافسه لكنه يقنع بكلامه: (لقيه عباد البصري في طريق مكة فقال: تركت الجهاد وضعيوبه وأقبلت على الحاج ولينه و: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَآمْسَأَهُمْ.. الآية. فقال عثيمية: إقرأ ما بعدها: التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِمُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحَدُودِ اللَّهِ.. الآية. ثم قال: إذا ظهر هؤلاء لم تؤثر على الجهاد شيئاً!) (مناقب آل أبي طالب: ٢٩٨/٣). على أن الجهاد في مفهوم الإمام عثيمية أعم من الفتوحات والقتال ، ففي التهذيب: ١٦٧/٦، أن شخصاً قال: (ما كنت أرى أن الشهيد إلا من قتل في سبيل الله . فقال علي بن الحسين عثيمية: إن الشهداء إذن لقليل ! ثم قرأ هذه

الآية: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ . ثم قال: هذه لنا ولشيعتنا). انتهى. مضافاً إلى أن الجهاد الذي يدعوه إليه هذا الصوفي كان المرابطة فقط ، فقد أوقف عبد الملك حركة الفتوحات وكان يعطي الجزية للروم كل يوم ألف دينار ! (عدة القاري: ٩٧/١٥).

كما كان الإمام عليه السلام حريصاً على إعطاء قيمة للعبادة والتعبد لله تعالى ، حتى لو كان من متصوفين ، فقد (مرأى برجل وهو قاعد على باب رجل فقال له: ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال: البلاء . قال: قم فأرشدك إلى باب خير من بابه وإلى رب خير لك منه ! فأخذ بيده حتى انتهى به إلى مسجد رسول الله صلوات الله عليه وسلم ثم قال: إستقبل القبلة وصل ركعتين، ثم ارفع يديك إلى الله عز وجل فأثن عليه وصل على رسوله صلوات الله عليه وسلم ثم ادع بأخر الحشر ، وست آيات من أول الحديد ، وبالآياتين في آل عمران ، ثم سل الله سبحانه ، فإنك لا تسأل شيئاً إلا أعطاك). (دعوات الرواندي: ٥٤).

أقول: من المؤكد أن الله تعالى يستجيب دعاء العبد في حالة اضطراره وانقطاعه ، يضاف اليه خصوصية الدعاء الذي علمه إياه الإمام عليه السلام ، بل المرجع عندي أن سر الإستجابة أن الإمام عليه السلام أمره بذلك الدعاء .

قال الذبيحي في سيره: (عن طاووس: سمعت علي بن الحسين وهو ساجد في الحجر يقول: عيّدُك بفنائك ، مسكنك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك . قال: فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلا كُشف عنِي). انتهى.

وله عليه السلام حديث مع الشبلي فيما ينبغي أن يكون عليه الحاج، جاء فيه: (استقبله الشبلي فقال عليه السلام: حججت يا شبلي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله ، فقال عليه السلام: أنزلت المنيقات وتجردت عن مخيط الثياب واغسلت؟ قال: نعم ، قال عليه السلام:

الفصل الخامس: علاقاته مع شخصيات المجتمع ورجال الدولة.....١٤٧

فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟
قال: لا ، قال ﷺ: فحين تجردت عن محيط ثيابك نويت أنك تجردت من
الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟ قال: لا ، قال ﷺ: فحين اغتسلت نويت
أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا ، قال ﷺ: فما نزلت الميقات ولا
تجردت عن محيط الثياب ولا اغتسلت !

ثم قال ﷺ: تنظفت وأحرمت وعقدت بالحج؟ قال: نعم ، قال ﷺ: فحين
تنظفت وأحرمت وعقدت الحج نويت أنك تنظفت بنورة التوبة الخالصة لله
تعالى؟ قال: لا ، قال ﷺ: فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل
محرم حرم الله عز وجل؟ قال: لا ، قال ﷺ: فحين عقدت الحج نويت أنك قد
حللت كل عقد لغير الله؟ قال: لا ، قال له ﷺ: ما تنظفت ولا أحرمت ولا
عقدت الحج ! ثم قال له ﷺ: أدخلت الميقات وصليت ركعتي الإحرام
ولبست...الخ . (التحفة السنية للجزائري (مخاطر) ١٨٤).

○ ○

٢- علاقته مع عبدالله بن عمر

لم أجده الكثير في علاقته ﷺ مع عبدالله بن عمر ، إلا ما رواه في تهذيب
الكمال: ٣٨٩/٢٠: (وقال عبد الله بن عمر ، عن الزهرى: حدثت علي بن حسين
بحديث فلما فرغت قال: أحسنت بارك الله فيك هكذا حدثناه . قلت: ما أراني
إلا حدثتك بحديث أنت أعلم به مني . قال: لا تقل ذاك ، فليس من العلم ما لا
يعرف ، إنما العلم ما عرف وتوطأ على الألسن). وتاريخ دمشق: ٤٣٧/٤١، وتهذيب
الكمال: ٣٨٨/٢٠، والسيوطى في تدريب الراوى: ١٨٢/٢.

وهو يدل على إعجاب عبدالله بن عمر بقول الإمام ﷺ وتعريفه للعلم

بالحديث بأنه ما اشتهر وعُرف واتفقت ألسن عدد من الرواية على نقله ، ولا عبرة برواية السراوي التي لا يتابعه عليها أحدٌ . وهو يكشف عن وجود رواة شاذين ينشرون أحاديث مكذوبة ، وأكثرهم موظفون عند السلطة .

كما روى ابن عمر عن الإمام زين العابدين عليه السلام بعض الأحاديث بواسطة الزهري، منها ما في شعب الإيمان: ٤٥/٧ ، بسنده عن: (عبد الله بن عمر العمرى عن ابن شهاب عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي أن رسول الله(ص) قال: من حسن إسلام المرأة تركه ما لا يعنيه). ومسند أحمد: ٣٩١/٦، عن عبد الله بن عمر ، والطبراني الصغير: ١١١/٢، وفي علل الدارقطني: ١٠٨/٣، تفاوت الاسم بين عبد الله وعبد الله والعمري .

وروى في مناقب آل أبي طالب: ٢٨١/٣، أن عبد الله بن عمر دخل على زين العابدين عليه السلام وقال: يا ابن الحسين أنت الذي تقول إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي لأنه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها؟ قال: بلـ... ذكر أنه طلب منه آية، فأخذته بطريق المعجزة إلى البحر وكلمه الحوت ثم قال له الإمام عليه السلام ارجع أيها الحوت إلى وكرك ، واستوى الماء). ونواذر المعجزات: ١١٧/٢.

○ ○

٣- علاقته مع يزيد بن معاوية

كان الخليفة الأموي دائمًا يحرص على التظاهر بحب أهل البيت عليهم السلام ويقول إنه وبنى هاشم أبناء عم ، لأنهم جميعاً منبني عبد مناف ، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يحفظ معهم هذا الظاهر ، بعكس علاقته عبدالله بن الزبير ! وأوصى يزيد مسلم بن عقبة قائد حملته على مدينة الرسول صلوات الله عليه أن يأخذ البيعة من الأنصار على أنهم عبيد أرقاء ليزيد بيعهم إن شاء ! إلا علي بن الحسين عليه السلام فأخذ منه البيعة على أنه أخو يزيد وابن عمه ! وقد تقدم دور الإمام عليه السلام في مواجهة الطاغية يزيد .

٤- علاقته مع معاوية بن يزيد

أما علاقة الإمام عليه السلام بمعاوية الثاني بن يزيد رحمه الله فلم أجده فيها نصاً ، وقد ورد ذكر أخيه الأصغر خالد بن يزيد لما أمر يزيد جلوازه أن يقتل الإمام عليه السلام فشاهد خالد معجزة هلاك الجلواز ، فأمره يزيد بكتمان ما حدث !

كذلك ورد ذكر خالد في مجلس يزيد عندما دعا الإمام عليه السلام إلى الغداء وكان معه عمرو بن الإمام الحسن عليه السلام فطلب منه يزيد أن يصارع ولده خالداً .

لكن لم أجده ذكراً لمعاوية الثاني مع الإمام عليه السلام ، مع أنه كان في العشرين من عمره ، وكان شيعياً مؤمناً بإمامية العترة عليها السلام ، فعندما قتله بنو أمية وبقضوا على أستاذه عمر المقصوص قالوا له: (أنت علمته هذا ولقتنه إيه وصددته عن الخلافة وزينت له حب علي وأولاده وحملته على ما وسمنا به من الظلم..

فقال: والله ما فعلته ولكنه مجوبٌ ومطبوغٌ على حب علي) (جوامير المطالب: ٢٦١/٢).

وتقدم أن معاوية الثاني رحمه الله عمل كل ما بوسعه وضحى بملكه ودمه رحمه الله من أجل أن يخوّله بنو أمية بإعطاء الخلافة إلى صاحبها الشرعي ، وكان يقصد الإمام زين العابدين عليه السلام ، فلا يبعد أن تكون علاقته بالإمام عليه السلام من أيام أسره في دمشق ، وبواسطة أستاذه عمر المقصوص رحمه الله الذي هو من تلاميذ أبي ذر رحمه الله ، لكنها كانت علاقة في غاية السرية ، خوفاً من بطش يزيد !

○ ○

٥- علاقته مع مروان بن الحكم

تقدمت جوانب عن علاقة الإمام عليه السلام بمروان وابنه عبد الملك ، ومواجهته لطغيانهما وخططهما ضد الإسلام ، وأن عبد الملك قد تحرّر في قتل الإمام عليه السلام خوفاً على سلطانه ! وقد كانت علاقتهما مع الإمام عليه السلام إيجابية أحياناً فكانا

يمدحانه ويظهران مودته ، بل يتقربان اليه !

١- كان مروان يحدثه عن دفاع جده على عثمان ، فقد رووا بسند صحيح أنه قال له: (ما كان في القوم أحداً أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعني علياً عن عثمان ! قال قلت: فما لكم تسبونه على المنبر؟! قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك) ! (تاريخ الذهبي: ٤٦٠/٣، وتاريخ دمشق: ٨٤٣٨/٤٢، وأنساب الأشراف: ١٨٤، والصواعق المحرقة: ١٦٣، وشرح النهج: ٢٢٠/١٣، وعشمانية الجاحظ: ٢٨٣، وسمط التحوم: ٧٧٧، وقالوا إسناده قوي).

وفسر عبد العزيز بن مروان قول أبيه إن الأمويين لا يستقيم لهم أمر إلا بسب علي عليهما السلام ولسعه على المنابر ! فروى عنه ابنه عمر كما في أنساب الأشراف: ٢٠٦٣/٢: (نشأتُ على بغض عليٍّ لَا أعرف غِيرَهُ، وَكَانَ أَبِي يَخْطُبُ إِذَا ذُكِرَ عَلَيْهِ نَالَ مِنْهُ تَلْجُّجُ ! فَقَلَتْ: يَا أَبَّهُ إِنَّكَ تَمْضِي فِي خَطْبَتِكَ إِذَا أَتَيْتَ ذِكْرَ عَلَيْهِ عَرَفْتَ مِنْكَ تَقْصِيرًا ! قَالَ: أَفْطَنْتَ لِذَلِكَ؟ قَلَتْ: نَعَمْ . قَالَ: يَا بْنِي إِنَّ الَّذِينَ مِنْ حَوْلَنَا لَوْ نَعْلَمُهُمْ مِنْ حَالٍ عَلَيْهِ مَا نَعْلَمْ ، تَفَرَّقُوا عَنَا).

٢- وكان يحدثه أن جيش عائشة مدینون بحياتهم لغفو علي عليهما السلام: قال مروان للإمام عليهما السلام: (ما رأيت أحداً أكرم غالباً من أبيك ! ما هو إلا أن ولينا يوم الجمل فنادي مناديه: لا يقتل مدبر ولا يُذَفَّ على جريح). (الأم للشافعي: ٢٢٩/٤، ومجموع النووي: ٢٠٢/١٩، وسنن البيهقي: ١٨١/٨).

وفي رواية البلاذري في أنساب الأشراف: ٢٦٢: (انهزموا فقام صالح لعلي فقال: لا يقتل مدبر ولا يُذَفَّ على جريح ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن طرح السلاح فهو آمن . قال: فدخلت داراً ثم أرسلت إلى حسن وحسين وابن جعفر وابن عباس فكلموه ، فقال: هو آمن فليتوجه حيثما شاء . قلت: لاتطيل نفسك حتى أبأيعه ، قال: فبأيعته ثم قال: إذهب حيث شئت). لكنه ذكر في هامشه من

نهج البلاغة أن مروان استشفع بالحسين عليه السلام فكلماه فعما عنه فقال له: (بِيَا يَعْكُ
بِيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: أَوْ لَمْ يَبْيَعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لَا حَاجَةٌ لِي فِي بَيْعَتِهِ ،
إِنَّهَا كَفِ يَهُودِيَّةً ! لَوْ بَيْعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبِّتِهِ ! أَمَا إِنْ لَهُ إِمْرَةً كَلْعَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهِ
وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ ، وَسَلَقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَمِنْ وَلْدِهِ يَوْمًا أَحْمَر... يَحْمِلُ رَأْيَهُ
ضَلَالَةً بَعْدَ مَا يَشِيبُ صَدَغَاهُ ، وَإِنْ لَهُ إِمْرَةً كَلْعَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهِ.. الخ.).

٣- كما اعترف للإمام زين العابدين عليه السلام بأنه قتل طلحة في حرب الجمل!

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (قال لي مروان بن الحكم: لما رأيت الناس
يوم الجمل قد كشفوا قلت والله لأدركن ثارى ولأفوزن منه الآن ! فرميت طلحة
فأصبت نسأه فجعل الدم ينزف فرميته ثانية فجاءت به ، فأخذوه حتى وضعوه
تحت شجرة فبقي تحتها ينزف منه الدم حتى مات). (كتاب الجمل للمفيد /٤٠٤).

٤- روى له تحرير عائشة على قتل عثمان طمعاً بالخلافة لابن عمها !

ففي شرح الأخبار: ٣٤٢١: عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أُرْسَلَ إِلَيَّ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ
الْمُلْكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَأَتَيْتَهُ فَأَقْبَلَ يَسَّالِنِي فِرَأَيْتَهُ رَجُلًا قَدْ لَقِيَ أَهْلَ الْعِلْمِ
وَحَادِثَتِهِمْ ، فَإِذَا هُوَ لِيَسْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ: خَرَجَتْ
عَائِشَةُ تَطْلُبُ بَدْمَهُ . فَقَلَّتْ لَهُ: أَيُّ رَجُلٍ كَانَ فِيْكُمْ مَرْوَانُ بْنُ الْحُكْمِ؟ فَقَالَ:
ذَاكَ سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا . قَلَّتْ لَهُ: فَأَيُّ رَجُلٍ تَرَوْنُ عَلَيْهِ بْنَ الْحُسَيْنِ؟ قَالَ: صَدُوقًا
مَرْضِيًّا . قَلَّتْ لَهُ: فَإِنِّي أَشَهِدُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ بْنَ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ حَدَّثَنِي أَنَّهُ سَمِعَ مَرْوَانَ
بْنَ الْحُكْمِ يَقُولُ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَعَبْدُ الرَّحْمَانَ بْنَ عَوْفٍ إِلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تَرِيدُ
الْحَجَّ وَعُثْمَانَ قَدْ حُصِرَ ، فَقَلَّتْ لَهُ: قَدْ تَرَيْنَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ حُصِرَ ، فَلَوْ
أَقْمَتْ فَنَظَرَتْ فِي شَأْنِهِ وَأَصْلَحَتْ أَمْرَهُ ! فَقَالَتْ: قَدْ غَرَّبَتْ غَرَابِيَّ وَأَدَنَتْ
رَكَابِيَّ وَفَرَضَتْ الْحَجَّ عَلَيْهِ نَفْسِي فَلَسْتُ بِالَّتِي أَقِيمُ ، فَجَهَدْنَا عَلَيْهَا فَأَبْتَ !

فقمت من عندها وأنا أقول ، وذكر بيتأ من شعر تمثل به ، فقال: فقالت: أيها الرجل الممثل بالشعر إرجع ، فرجعت فقالت: لعلك ترى أنني إنما قلت هذا الذي قلت وأنا أشك في عثمان ! وددت والله أنه مخيط عليه في بعض غرائبي هذه ، حتى أكون التي أقذفه في اليم !

ثم ارتحلت حتى نزلت ماء يقال له: الصلصل ، وبعث الناس عبد الله بن العباس على الموسم وعثمان محصور ، فمضى حتى نزل ذلك الماء فقيل لها: هذا ابن عباس قد بعث به الناس على الموسم ، فأرسلت إليه فقالت: يا ابن عباس إن الله عز وجل أعطاك لساناً وعلمًا ، فأناشدك الله أن تخذل الناس عن قتل هذا الطاغية عثمان غداً ! ثم انطلقت إلى مكة ، فلما أن قضت منسكتها وانقضى أمر الموسم بلغها أن عثمان قد قتل وأن طلحة بن عبيد الله بوييع ، قالت: إيهَا ذا الإصبع ، فلما بلغها بعد ذلك أن علياً بوييع قال: وددت أن هذه تعنى السماء وأشارت إليها وقعت على هذه وأشارت إلى الأرض !

قال أبو جعفر صلوات الله عليه: فهذا حديث مروان وسماعي إيه من علي بن الحسين ! قال: مما خرجت من البيت حتى ترك سعيد بن عبد الملك ما كان في يديه من أمر عثمان . انته.

أقول: سعيد بن عبد الملك بن مروان ، وفي بعض المصادر سعد ، هداء الله على يد الإمام الباقر عليه السلام فكان من شيعته الخلّص ، وقد ورد مدحه في مصادر الطرفين ، قال ابن حبان في ثقاته: ٣٦٩٦ (روى عنه هشام بن عروة وأهل المدينة وكان يقال له سعيد الخير لم يسلك إخوته فيما كانوا فيه).

وفي تاريخ دمشق: ٢١٣/٢١: (وكان سعيد مثالهاً ووليَ الغزو في خلافة أخيه هشام بن عبد الملك ، ووليَ فلسطين للوليد بن يزيد ، وكان حسن السيرة

وكان له بدمشق أملاك منها محله الراهن... بلغني أن سعيداً بقى إلى حين
دعا يزيد بن الوليد الناقص إلى نفسه في سنة ست وعشرين ومائة).
وفي تاريخ الذهبي: (وكان ديننا مثالها ، ولـي الغزو زـمن أخيه هـشـام ،
ولـه بالموصل مـسـجـدـ وـدارـ ، مـاتـ فـي حـدـودـ سـنةـ ستـ وـعـشـرـينـ ومـائـةـ). وـنـحـوهـ
وـأـفـيـ الصـفـديـ: (١٥٠، والـنـجـومـ الزـاهـرـةـ: ٣٢٢/١، والـتـحـفـةـ الـلـطـيفـةـ: ٤٠٢/١).

وفي الإختصاص للمفید ٨٥: (عن أبي حمزة قال: دخل سعد بن عبد الملك وكان أبو جعفر عليهما السلام يسميه سعد الخير، وهو من ولد عبد العزيز بن مروان على أبي جعفر عليهما السلام فيينا ينشج كما تنشج النساء قال: فقال له أبو جعفر عليهما السلام: ما يبكيك يا سعد؟ قال وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن؟! فقال له: لست منهم أنت أموي منا أهل البيت ، أما سمعت قول الله عز وجل يحكى عن إبراهيم: فمن تبعني فإنه مني). وذكر من مصادره في هامته : الكشي ٣٦٥، والبيون والخارج ، وكشف الغمة ، عن دلائل الحميري .

وروى في الكافي: ٥٢٨، رسائل بلغة متبادلة بينه وبين الإمام الباقر عليهما السلام تدل على إيمانه ومقامه ، سئل عنها إن شاء الله في سيرة الإمام الباقر عليهما السلام ، لأنها تتضمن موقفه من الإنحراف الكبير بالإسلام ، الذي ارتكبه أهل السقيةة .

٥- وكان مروان يحدث الإمام عن جرأة جده علي عليهما السلام على عثمان ! ففي
النسائي: ٣٤٥/٢ (سمعت علي بن الحسين يحدث عن مروان أن عثمان نهى عن
المتعة وأن يجمع الرجل بين الحج والعمرة ، فقال علي: ليك بحجية وعمره معاً
، فقال عثمان: أتفعلهما وأنا أنهى عنهما ؟ فقال علي: لم أكن لأدع سنة رسول
الله (ص) لقوس أحد من الناس). والنسائي: ٣٤٥/٢ ، وأبي يعلى: ٤٥٣/١ ، والإستذكار: ٦٥/٤ ، وابن
شبة: ١٠٤٣/٣ ، وتذكرة الذهبي: ٧٨٧/٣ ، ونحوه في سيره: ٢٩٤/١٤ ، وتاريخه: ٤٤٥/٢٦ ، وقال: إسناده
صحيح وهو شئ غريب ، إذ فيه رواية على بن الحسين عن مروان ، وفيه تصويب

مروان اجتهد على على اجتهاد عثمان مع كون مرwan عثمانيًّا . وعنه طبقات الشافعية: ٦٨٣.

٥- بعد شهادة الإمام الحسين عليهما السلام وعدة الإمام زين العابدين عليهما السلام إلى المدينة

عرض عليه مرwan ستة آلاف دينار قرضاً ذكر إن أبا الحسين عليهما السلام أرادها منه:

(عن جعفر بن محمد قال: لما شَخَّصَ حُسْنَى إِلَى مَكَّةَ سَأَلَ مَرْوَانَ سَتَةَ آلَافَ دِينَارٍ فَلَمْ يَسْلُفْهُ ، فَلَمْ يَزُلْ فِي نَفْسِ مَرْوَانٍ ، فَلَمَّا قُتِلَ حُسْنَى وَرَجَعَ عَلَى بْنِ حُسْنَى إِلَى الْمَدِينَةِ لِقَاءَ مَرْوَانَ فَقَالَ: إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَحْمَةَ اللَّهِ كَانَ سَأَلَنِي سَلْفًا سَتَةَ آلَافَ دِينَارٍ فَمَنْعَتْهُ وَلَمْ يَزُلْ فِي نَفْسِي ، وَقَدْ قَدِمْتُ مِنْ كُوبَأً وَلَكَ حَوَائِجَ فَخَذَهَا فَاسْتَعْنَ بِهَا صَلَةً أَوْ سَلْفًا ! قَالَ: مَا لَيْ بِهَا حَاجَةٌ . قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ . قَالَ: أَخْذَهَا سَلْفًا ، فَبَعْثَتْ بِهَا إِلَيْهِ مَرْوَانَ فَقَالَ عَلَيْهِ: أَخْذَتْهَا لِأَعْمَرَ بِهَا دُورَ بْنِي عَقِيلٍ ، وَكَانَتْ دُورَ آلَ أَبِي طَالِبٍ حُرْقَتْ بِمَزِيدِ الْعَلَى (مَحْلَةٌ فِي الْمَدِينَةِ) فَلَمْ يَحْرُكْهَا وَبَقِيَ الْمَالُ فِي خَرَائِطِهِ (الخَرِيطَةُ كَالْعَلَبَةِ الْجَلْدِيَّةِ) فَلَمَّا قَامَ عَبْدُ الْمَلِكَ سَأَلَ عَلَيْهَا عَنِ الْمَالِ فَقَالَ: عَنْدَنَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ: إِنَّ أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ عَهْدٌ إِلَيْهِ أَنْ لَا أَقْبَضَ مِنْكَ الْمَالَ فَهُوَ لَكَ . قَالَ: لَا أُرِيدُهُ وَإِنَّهُ لِفِي خَرَائِطِهِ . فَقَالَ بَلْ هُوَ صَلَةٌ مِنِي فَأَخْذَهُ عَلَيْهِ) . (تاریخ دمشق: ٢٤٧/٥٧).

أقول: ذكر المحدثون والمؤرخون أنه لما وصل خبر قتل الحسين عليهما السلام ضجَّ أهل المدينة ضجَّ واحدةً غضباً على يزيد وحزناً ، لكن والي المدينة الأموي سعيد بن العاص بادر فأحرق بعض دور آل أبي طالب في منطقة مزيد العلى .

قبل الإمام عليهما السلام القرض من مروان ليبني تلك الدور .

قال البلاذري في أنساب الأشراف: ٨١٩: (ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين كثر النواضح والصوراخ عليه ، واشتتد الوعاية في دور بنى هاشم ، فقال عمرو بن سعيد الأشدق: واعية بواعية عثمان ، وقال مروان حين سمع ذلك:

عَجَّبْتُ نِسَاءً بْنِي زَيْدَ عَجَّبَ كَعَجَّيجِ نِسْوَتِنَا عَذَّاكَةَ الْأَرْبَبِ
وقال عمرو بن سعيد: وددت والله أن أمير المؤمنين لم يبعث إلينا برأسه .
فقال مروان: بنس ما قلت هاته: يا حبذا بَرْدُكَ فِي الْيَدِيْنِ وَلَوْنُكَ الْأَحْمَرُ فِي
الْخَدِيْنِ ! انتهى . وروي أن مروان أنشد:
(ضررت دُوْسِرَ فِيهِمْ ضرَبَةٌ أَنْتِيْتُ أَوْتَادَ مَلِكٍ فَاسْتَقَرَ). (نهاية الارب: ٤٥٣٤).
(بعد خروج الحسين أمر عمرو بن سعيد بن العاص صاحب شرطه على
المدينة ، أن يهدم دور بني هاشم ، وبلغ منهم كل مبلغ). (الأغاني: ١٥٥٤).
(ووَلَى عَمْرُونَ بْنَ سَعِيدَ شَرْطَهُ عَمْرُونَ بْنَ الرَّزِيْرِ بْنَ الْعَوَامِ ، وَأَمْرَهُ بِهَدْمِ دُورِ
بْنِي هَاشِمٍ وَآلِ الزَّبِيرِ ، فَفَعَلَ) ! (الأغاني: ٨٢٥).

٧- وعندما طرد أهل المدينة مروان وبني أمية ، قبل الإمام علي عليهما السلام أن يحمي عائلة مروان فجعلهم مع عائلته في بيتح . قال الطبرى: ٣٧٢/٤ (عن محمد بن عمر قال: لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلام مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل ! وكلم علي بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رحمة وحرمي تكون مع حرملك ، فقال: أفعل فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بيتح ، وكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين مع صداقته كانت بينهما قديمة).

٨- وبعد اجتياح جيش يزيد المدينة كافأ مروان الإمام علي عليهما السلام فحرض على قتله !
عندما تقرأ أن مرواناً دخل مع الإمام علي عليهما السلام على قائد جيش يزيد بعد احتلاله المدينة ، تصور أن مرواناً قدر جميل الإمام زين العابدين عليهما السلام لأنه حمى له عائلته عندما طرده أهل المدينة ، وأن موقفه كان لمصلحة الإمام علي عليهما السلام ، حتى تتفاجأ أنه كان في غاية الخسنة ! فكان يحرض الطاغية على قتل الإمام علي عليهما السلام ! ولما

رأى أنه احترمه وأخبره أن يزدأً أوصاه به ، غيرَ كلامه وأخذ يمدح الإمام عليه السلام ! قال القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار: (فلما قدم مسرف إلى المدينة أرسل إلى علي بن الحسين وعنهه مروان بن الحكم ، وقد علم ما ذكره من وعيده فجعل يغريه به فلما دخل عليه قام إليه فاعتنته وقبل رأسه وأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه بوجهه ليسأله عن حاله وأحوال أهله ، فلما رأى ذلك مروان جعل يشي على علي بن الحسين ويدرك فضله ! فقال مسرف: دعني عن كلامك ! فإني إنما فعلت ما فعلت من بره وإكرامه وقضاء حوائجه لما قد أمرني به أمير المؤمنين . ثم قال لعلي بن الحسين: إنما جعلت الإجتماع معك لما سبق إليك عنِّي لثلا تستوحش مني ، وأنا أحب الإجتماع معك والأنس بك والتبرك بقربك والنظر فيما تحب من صلتوك وبرك ، وأنا على ذلك، لكنني أخاف أن يستوحش أهلك إن طال عندي مقامك ، فانصرف إليهم ليسكنوا ويعلموا ويعلم الناس مالك عند أمير المؤمنين وعندِي من الجميل . ثم قال: قدموا دابته . قالوا: ماله دابة ! قال مسرف: قدموا له دابتي . فقدموها له بين يديه وعزم عليه أن يركبها فركب وانصرف إلى أهله ، وهم والناس ينظرون ما يكون منه فيه .).

٩- وقد استغل الأمويون وأتباعهم العلاقة الحسنة للإمام عليه السلام مع مروان ،
 فزعم ابن كثير في النهاية: ٢٨٣/٨، و ١٢٢/٩، أن الإمام عليه السلام كان فقيراً فأعطاه مروان مالاً وشجعه على تكثير نسله ، لأنه لم يبق غيره من ذرية الحسين عليه السلام ، وأقرضه مئة ألف درهم ليشتري جواري فierzق منها أولاداً ، وأوصى ابنه أن لا يأخذها منه بعد موته ، فتزوج الإمام عليه السلام وولد له أولاد ، فكل أولاده من أموال مروان ! لاحظ قوله في: (قال له مروان بن الحكم: لو اتخذت السراري يكثر

أولادك ، فقال: ليس لي ما أتسرى به ، فأقرضه مائة ألف فاشترى له السراري فولدت له وكثير نسله ، ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من علي بن الحسين شيء مما كان أقرضه ، فجتمع الحسينين من نسله رحمة الله . ونحوه تاريخ الذهبي: ٤٥٦، و تاريخ دمشق: ٣٧٤/٤١، و تهذيب الكمال: ٢٨٧٢.

يقولون لك بهذا الكذب: إن السادة الحسينيين كلهم من أموال مروان ! فهم
مدينون بوجودهم لأسيادهم بنى أمية العظماء !

٦- مع عبد الملك بن مروان

كان عبد الملك بن مروان معجباً بالإمام زين العابدين عليه السلام مغرياً به ، يعتقد فيه أنه ولِي الله وحْجه ، فقد رأى منه معجزات ، وطلب منه أن يسكن عنده في الشام أو يكثر زيارته فأبى (الخراج: ٢٥٥) وأراد أن يناسبه ويتزوج ابنته أو أخته فأبى (مناقب آل أبي طالب: ٤٢/٢) وعندما كان يأتيه الزهرى من المدينة يسأله عبد الملك عن علي بن الحسين؟ (تاریخ دمشق: ٣٧٢/٤).

قال الزهري: (دخلت مع علي بن الحسين على عبد الملك بن مروان ، قال
فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين فقال:
يا أبو محمد لقد بان عليك الإجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنة وأنت بضعة
من رسول الله (ص) وقرب النسب وكيد السبب ، وإنك لذو فضل عظيم على
أهل بيتك وذوي عصرك ، ولقد أوتيت من العلم والفضل والورع ما لم يؤته
أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك ، وأقبل يبني عليه ويطريه . قال
فقال علي بن الحسين: كلُّ ما ذكرته ووصفته من فضل الله وتأييده وتوفيقه
فأين شكره على ما أنعم؟ إلى أن قال: والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتي

على صدرى لن أقوم الله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه ، التي لا يحصيها العادون ، ولا يبلغ حد نعمة منها على جميع حمد الحامدين ، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شئ عن شكره وذكره في ليل ونهار ولاصر ولا علانية . لو لا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصهم علي حقوقاً لايسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم ، لرمي بطرفى إلى السماء وبقلبي إلى الله ، ثم لم أردهما حتى يقضى الله على نفسي وهو خير الحكمين ! وبكى ، وبكى عبد الملك . (فتح الأبواب لابن طاووس ١٦٩).

فأى معرفة هذه ؟ وأى حب الله هذا الذي يمكن صاحبه أن يرمي بطرفه إلى السماء ، ويرمي بقلبه إلى الله طول حياته ، فيكون عمره تسبيحة واحدة ؟ إنها قمة المعرفة والعبادة ، لا ما يدعنه المدعون ويلقون به ألسنتهم ! ومع كل ذلك ، فقد طلب الحجاج حاكم العراق والحجاج من عبد الملك أن يأذن له بقتل الإمام علي لأنه الأب الروحي للحركات المناهضة للأمويين ، فأجابه مروان بأنه لا يريد أن يسلبه الله ملكه كما فعل بيني سفيان بقتلهم أباه الحسين عليهما السلام ! وهو يدل على نفوذ الإمام علي على الناس في العراق وغيره .

طلب عبد الملك من الإمام درع النبي عليه السلام وسيفه

طلب منه عبد الملك سيف رسول الله عليه السلام ودرعه ، وسلط عليه الحجاج فهدد الإمام علي بالقتل فأعطيه درعاً وسيفاً ، وعندما جاء عبد الملك للحجاشتكتى له غلظة الحجاج وظلمه ، وأخذ منه ثمن السيف ، وشهادة بأنه وارث رسول الله عليه السلام دون غيره . (الثاقب في المناقب ٣٦٣).

وتدل رواية المناقب ٢٠٢٣، على أن عبد الملك كتب أولاً للإمام علي مباشرة ، فرفض : (بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله عليه السلام عند زين العابدين ، فيبعث

يستوهبه منه ويسأله الحاجة فأبى عليه ، فكتب إليه عبد الملك يهدده وأنه يقطع رزقه من بيت المال فأجابه عليه: أما بعد فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون ، وقال جل ذكره: إنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانِ كَفُورٍ . فانظر أينا أولى بهذه الآية؟!). انتهى.

أقول: لاحظ أن الإمام علي بن أبي طالب قد ذكر أول الآية: إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ، لأنه يشعر بمحاسنه لنفسه في رسالته للطاغية . أما سيف النبي عليه السلام ودرعه وقيمه الذي عليه دمه في أحد ، وبقية مواريث الأباء عليهما السلام ، فقد ثبت عندنا أن الله جمعها لنبيه عليه السلام ومنها جمع الكتب والصحف المنزلة ، وورثها النبي بأمر ربه لعتره الطاهر عليه السلام ، فهي عندهم علامة الإمامة الربانية .

فيظهر أن عبد الملك سمع بذلك فأراد أن يستولي على سيف النبي عليه السلام ودرعه ، فكتب إلى الإمام علي عليه السلام ولما رفض أن يعطيه سلطانه للحجاج ، فأعطاه الإمام علي عليه السلام سيفاً ودرعاً آخر . وسيأتي ذكره في سيرة الإمام الباقر عليهما السلام إن شاء الله وادعاء الحسينين أنه عندهم .

اعتراض عبد الملك على الإمام علي عليهما السلام لأنَّه أعتق أمته وتزوجها

(كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة (جاسوس) يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها ، وإن علي بن الحسين عليهما السلام أعتق جارية ثم تزوجها فكتب العين إلى عبد الملك ، فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين: أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وأستتجبه في الولد ، فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت، والسلام . فكتب إليه علي بن الحسين عليهما السلام: أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفي بتزوجي مولاتي ، وتزعم أنه كان في نساء قريش من تمجد به في الصهر وأستتجبه في

الولد ، وإنه ليس فوق رسول الله ﷺ مرتفعًا في مجد ولا مستزادًا في كرم ، وإنما كانت ملك يماني خرجت عن يدي بأمر التمسمت فيه ثواب الله تعالى ، ثم ارتجعتها على سنة نبيه ﷺ ، ومن كان زكيًا في دين الله فليس يخلُّ به شيء من أمره ، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم ، فلا لؤم على أمرء مسلم ، إنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام .

فَلَمَا قَرَا الْكِتَابَ رُمِيَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ سَلِيمَانَ فَقَرَأَهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَشَدَّ مَا فَخَرَ عَلَيْكَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ! فَقَالَ: يَا بْنَيَّ لَا تَقْلِي ذَلِكَ فَإِنَّهَا أَلْسُنٌ بْنَيَ هَاشِمٍ الَّتِي تَقْلُقُ الصَّخْرَ وَتَغْرِفُ مِنْ بَحْرٍ! إِنَّ عَلِيًّا بْنَ الْحَسَنِ يَا بْنَيَ يَرْتَفَعُ مِنْ حِيثِ يَنْضَعُ النَّاسُ). (الْكَافِي: ٥، ٣٤٤؛ وَصَحَّحَنَا فِيهِ عَبْرَةً عَلَى نَسْخَةِ أَعْيَانِ الشِّیعَةِ: ٥٣٨/١)، وَكِتَابُ زَهْرَ الْآدَابِ لِلْقَرْبَوَانِيِّ: ٤٤، وَمِنَاقِبُ آلِ أَبِي طَالِبٍ: ٣٠٠/٣).

عبد الملك يأمر واليه فى المدينة باذلال بنى هاشم!

من طغيان عبد الملك بن مروان أنه أراد إهانة آل علي وآل الزبر ، وترسيخ العداوة بينهما ، فبعث إلى واليه في المدينة أن يجبرهم على شتم أنفسهم ، أو شتم بعضهم بعضاً عند منبر النبي ﷺ !

قال في تاريخ دمشق: (وكان عبد الملك بن مروان قد غضب غضبةً له فكتب إلى هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ، وهو عامله على المدينة ، وكانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك وأم ابنه هشام ، فكتب إليه أن أقم آل علي يشتمون علي بن أبي طالب ! وأقم آل عبد الله بن الزبير يشتمون عبد الله بن الزبير !

فقد كتبه على هشام فأبى آل علي وأآل عبد الله بن الزبير وكتبوا وصاياتهم
فركبت أخت لهشام إليه وكانت جزلة عاقلة فقالت: يا هشام أترأك الذي

يهلك عشيرته على يده ! راجع أمير المؤمنين . قال: ما أنا بفاعل !
قالت: فإن كان لا بد من أمر فمر آل علي يستمرون آل الزبير ومر آل الزبير
يستمرون آل علي ! قال: هذه أفعالها ، فاستبشر الناس بذلك وكانت أهون
عليهم ! وكان أول من أقيم إلى جانب المرمر الحسن بن الحسن ، وكان رجلاً
رقيق البشرة عليه يومئذ قميص كتان رقيقة ، فقال له هشام: تكلم بسب آل
الزبير فقال: إن لآل الزبير رحمة أبلها بيلالها وأربها بربابها ، يا قوم مالي
أدعوك إلى النجاة وتدعوني إلى النار؟! فقال هشام لحرسي عنده: إضربه
فضربه سوطاً واحداً من فوق قميصه فخلص إلى جلده فشرخه حتى سال دمه
تحت قدمه في المرمر ! (أي في مسجد النبي ﷺ عند المنبر الشريف) !
فقام أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي فقال: أنا دونه أكيفيك أيها الأمير !
قال في آل الزبير وشتمهم !

ولم يحضر علي بن الحسين كان مريضاً أو تماض . ولم يحضر عامر بن
عبد الله بن الزبير ، فهم هشام أن يرسل إليه فقيل له إنه لا يفعل أقتله ،
فأمسى عنه ! وحضر من آل الزبير من كفاء ! وكان عامر يقول: إن الله لم يرفع
 شيئاً فاستطاع الناس خفضه ! أنظروا إلى ما يصنع بنو أمية ، يخفضون علياً
ويغرون بشتمه ، وما يزيده الله بذلك إلا رفعه .

وروى القصة في بغية الطلب: ٢٣١/٥، وسمط النجوم: ١٣٧، ونسب قريش: ٣٠، وفيه:
(فمشى القوم بعضهم إلى بعض آل علي إلى آل الزبير، وآل الزبير إلى آل
علي فقالوا: إن هؤلاء يقيموننا غداً فيسب بعضنا بعضاً فيشتوفون بذلك فالله
والرحيم ! فقال آل الزبير لآل علي: أنتم تقامون قبلنا فما قلت فلنا مثله . فكان
أول من أقيم حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب... فقام في المرمر وهشام

بن إسماعيل المخزومي على المنبر وال عبد الملك بن مروان ، فقال: سُبَّ
آل الزبير ، فأبى.. الخ). انتهى.

أقول: مع أن عبد الملك أعقلبني مروان ، فقد غلبه حقده وقدرته ، وقد
قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أصناف السكر أربعة: سكر الشباب ، وسكر المال
وسكر النوم ، وسكر الملك) . (تحف العقول ١٤٤).

كان عبد الملك يلْجأ إلى الإمام علي عليه السلام في أمور الدولة المهمة

فقد أرسل هرقل الروم إلى عبد الملك مهدداً الرسالة التالية: (أكلت لحم
الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة ! ولأغزونك بجنود مائة ألف ومائة
ألف ومائة ألف ، أو تؤدي الجزية ! فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث
إلى زين العابدين يتوعده ! ويكتب إليه ما يقول فعل ، فقال علي بن
الحسين: إن الله لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم ثلاثة لحظة ليس منها
لحظة إلا يحيي فيها ويميت ويعز ويذل ويفعل ماشاء ، وإنني لأرجو أن
يكفيك منها لحظة واحدة ! فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك ، فكتب عبد
الملك بذلك إلى ملك الروم، فلما قرأه قال: ما خرج هذا منك ولا أنت كتبت
به ! ما خرج إلا من بيت نبوة) ! (مناقب: ٢٩٩٣، وتاريخ دمشق: ٣٣٢٥٤، والحلية: ٣:
١٧٦، وصفة الصفرة: ٧٨٢، وربيع الأبرار: ٢٢٧، والوافي بالوفيات: ٧٤، وكتن العمال: ٢٩١٤).

وفي تاريخ اليعقوبي: ٣٠٤/٢ (وكتب ملك الروم إلى عبد الملك يتوعده ، فضاق
عليه الجواب ، وكتب إلى الحجاج ، وهو إذ ذاك على الحجاج: أن ابعث إلى
علي بن الحسين فتوعده وتهلاكه وأغلظ له ثم انظر ماذا يجيئك فاكتبه به إلى !
ففعل الحجاج ذلك فقال له علي بن الحسين: إن الله في كل يوم ثلاثة لحظة
وستين لحظة ، وأرجو أن يكتفيك في أول لحظة من لحظاته . وكتب بذلك

إلى عبد الملك ، فكتب به إلى صاحب الروم كتاباً فلما قرأه قال: ليس هذا من
كلامه ، هذا من كلام عترة نبوته). انتهى.

أقول: من دهاء عبد الملك أنه أراد حفظ علاقته مع الإمام علي عليهما السلام فكتب إلى
جلوازه الحاج أن يهدده ، ليستفيد من جوابه ، فيكتب به إلى ملك الروم !
وقد نسب الحُسَاد القصة تارة إلى محمد بن الحنفية كما في رواية ثانية في
تاريخ دمشق: ٣٢٥٤، وتارة إلى عبدالله بن الحسن ، كما في رواية العقد الفريد/
٢٩٣، مع أنه رواها عنه في البحار: ١٢٤٦، عن الإمام زين العابدين عليهما السلام.

ولعل القصة التالية التي نسبوها إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، كانت أيضاً
مع الإمام زين العابدين عليهما السلام، فعندما خرج عبد الرحمن بن الأشعث في إيران
على عبد الملك ، تخوف أن يكون هو صاحب رايات خراسان التي أخبر النبي
عليه السلام أن زوال ملك الأمويين يكون على يدهم ! قال الطبرى: (أرسل عبد
الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره فقال: أما إذا كان الفتى من سجستان فليس
عليك بأس ، إنما كنا نخوف لو كان من خراسان) ! انتهى. وإنما قلنا ذلك لأن
لم يعهد عن خالد بن يزيد خبرته بالأحاديث وأخبار المهدى الموعود عليهما السلام.

الإمام علي عليهما السلام يحل مشكلة النقد والعلامة الصناعية

والمشكلة الأهم التي وقعت لعبد الملك وتقدمت الإشارة إليها في قول ابن
عساكر: ٤١/٣٦: (واستقدمه عبد الملك بن مروان في خلافته يستشيره في جواب
ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز القراطيس).

فقد هدد ملك الروم عبد الملك بسبب حذفة الطراز الرومي وهو كالختم أو
(الماركة المسجلة) يطبع على الورق في صناعته وعلى بعض البضائع المهمة .
وكان مكتوباً فيه إسم الآب والإبن والروح القدس ، فكتب عبد الملك بدله

سورة التوحيد ، فغضب ملك الروم وكتب إليه يهدده إن لم يرجع الطراز كما كان ، وكتب له يهدده بأن ينقش على الدينار الرومي شتم النبي ﷺ ، وكانت معاملة المسلمين ما زالت بالدينار الرومي !

وملك الروم هو ملك القسطنطينية ، وهو لاوي بن فلنت الذي كان معاصرأً لعبد الملك ، كما في مروج الذهب ٧٤٦/٢٠ ، وتاريخ دمشق: ١٤٥/٢٠ ، وغيرهما .

قال ابن عبد البر في التمهيد: ١٧٠/٢٢: (وفيها يعني سنة ست وسبعين أمر عبد الملك بن مروان أن ت نقش الدنانير والدرام.. وزن الدنانير قبل أن تضرب كانت اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة وكانت العشرة وزن سبعة .

وقال غير الواقدي: كانت الدنانير في الجاهلية وأول الإسلام بالشام وعند عرب الحجاز كلها رومية تضرب ببلاد الروم عليها صورة الملك واسم الذي ضربت في أيامه مكتوب بالرومية ، وزن كل دينار منها مثقال كمثقالنا هذا ، وهو وزن درهم ودانرين ونصف وخمسة أسباع حبة . وكانت الدرام بالعراق وأرض المشرق كلها كسروية عليها صورة كسرى واسمه فيها مكتوب بالفارسية ، وزن كل درهم منها مثقال ، فكتب ملك الروم واسمه لاوي بن فلفط إلى عبد الملك..).

وقال البلاذري في فتوح البلدان: ٢٨٣/١: (وكانت الأقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه إلى الربوبية تعالى الله علوأً كبيراً ، وتجعل الصليب مكان باسم الله الرحمن الرحيم . فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتد عليه تغيير عبد الملك ما غيره). انتهى.

وقال الشهيد في الذكرى: (المعتبر في الدنانير المثقال ، وهو لم يختلف في الإسلام ولا قبله ، وفي الدرهم ما استقر عليه في زمن بنتي أمية ، بإشارة زين

العابدين عليهما السلام بضم الدرهم البغلي إلى الطبرى وقسمتهما نصفين، فصار الدرهم ستة دوانيق ، وكل عشره سبعة مثاقيل، ولا عبرة بالعدد في ذلك). (وسائل الشيعة: ٧٩، ونحوه البيان: ١٤٩، ونحوه البيان: ١٨٥).

ويعناه أن الإمام عليهما السلام أمر عبد الملك أن لا يهتم بتحديد هرقل وأن يصدر ديناراً ودراهماً وطنية ، ويلزم المسلمين بالتعامل بها ، ويبطل التعامل بالدينار الرومي كلياً . ويوحد الدرهم ليحل بذلك مشكلة اختلاف وزنها في نفس الوقت .

وقد نسبت بعض روايات مصادر السنين ذلك إلى الإمام محمد الباقر عليهما السلام، لكن المتفق عليه أن الحادثة وقعت في سنة ست وسبعين كما نص عليه ابن عبد البر وغيره ، ويعناه أنها كانت في زمن الإمام زين العابدين عليهما السلام لأنه توفي سنة بضع وسبعين ، ومات عبد الملك قبله في سنة ست وثمانين .

والظاهر أن الإمام زين العابدين عليهما السلام أرسل إلى عبد الملك ولده الإمام محمد الباقر عليهما السلام لمعالجة المشكلة والإشراف على مواصفات الدينار الإسلامي ، وتوحيد الدرهم وطريقة السبك الدقيقة ، فنسب الرواة الموقف إليه .

ولذلك شبيه عندما طلب ابن عبد الملك من الإمام الباقر عليهما السلام أن يحضر إلى الشام لمناظرة قدرى أعييام ، فاعتذر عن السفر وأرسل له ولده الإمام الصادق عليهما السلام فانتظره وخصمه بقوله تعالى: إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . (تفسير العياشي: ٢٣/١).

وأشهر النصوص لمسألة العملة والطراز في مصادر التاريخ ، ما رواه البيهقي في المحاسن المساواة: ٣٤٨، عن الكسائي التحوي، قال: (دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في إيوانه ، وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقاً ، وأمر بتفرققه في خدم الخاصة ، وبهذه درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثنى فقال: هل علمت من أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة؟

قلت: يا سيدى هذا عبد الملك بن مروان . قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا علم لي ، غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة . فقال: سأخبرك ، كانت القراطيس للروم ، وكان أكثر من بمصر نصرايَا على دين الملك ملك الروم ، وكانت تطرز بالروميه وكان طرازها (أبَا وابنَا وروحاً قد يشا) فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضي على ما كان عليه ، إلى أن ملك عبد الملك فتنبه عليه وكان فطناً ، فبيانا هو ذات يوم إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه ، فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال: ما أغلط هذا في أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الأواني والثياب وهما تعلمان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها ، من عمل هذا البلد على سنته وكثرة ماله وأهله تخرج منه هذه القراطيس ، فتدور في الآفاق والبلاد وقد طرذت بشرك مثبت عليها ! فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك وأن يأخذ صناع القراطيس بتطريزها بصورة التوحيد، وشهد الله أنه لا إله إلا هو . وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير . وكتب إلى عمال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من خالف ، فلما أثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل إلى بلاد الروم منها، انتشر خبرها ووصل إلى ملوكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه فاستشاط غضباً ، وكتب إلى عبد الملك: إن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك ، للروم ، ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته ، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأ وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا ، فاختر من هاتين الخلتين أيهما شئت

وأحببت ، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك وأحببت أن يجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف الأعلام حاجةأشكرك عليها ، وتأمر بقبض الهدية ، وكانت عظيمة القدر .

فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه أن لا جواب له ولم يقبل الهدية ، فانصرف بها إلى صاحبه ، فلما وفاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك وقال: إنني ظنتك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجنبني عن كتابي فأضعفتك لك الهدية ، وأنا أرغب إليك في مثل ما رغبت فيه من رد هذا الطراز إلى ما كان عليه أولاً . فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يعجبه ورد الهدية .

فكتب إليه ملك الروم يقتضي أحوجية كتبه ويقول: إنك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعني بحاجتي ، فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول ، وقد أضعفتها ثلاثة وأنا أحلف بال المسيح لتأمنن برد الطراز إلى ما كان عليه أو لأمرن بنقش الدنانير والدرارهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي ، ولم تكن الدرارهم والدنانير نقشت في الإسلام ، فينقش عليها من شتم نبيك ما إذا قرأته ارفض جبينك له عرقاً ! فأحب أن تقبل هديتي وترد الطراز إلى ما كان عليه وتجعل ذلك هدية برتني بها ، وتبقى على الحال بيني وبينك .

فلما قرأ عبد الملك الكتاب غلظ عليه وضاقت به الأرض وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام ، لأنني جنبت على رسول الله (ص) من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر ، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب ! إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودرارهم . وجَمَعَ أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به ، فقال له روح بن زنبع (وهو

نديم عبد الملك): إنك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر ولكنك تعمد تركه ! فقال: ويحك من؟ قال: الباقي من أهل بيت النبي(ص) ! قال: صدقت ولكنه أرجح على الرأي فيه ، فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أشخص إلى محمد بن علي بن الحسين مكرماً ومتعبه بمائتي ألف درهم لجهازه وبثلاثمائة ألف درهم لنفقةه وأرجح علته في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه ، واحتبس الرسول قبله إلى موافاته عليّ .

فلما وافي أخبار الخبر ، فقال له عليّ (هكذا ولعل أصله محمد بن علي): لا يعظممنَّ هذا عليك فإنه ليس بشئ من جهتين: إحداهما أن الله جل وعز لم يكن ليطلق ما يهددك به صاحب الروم في رسول الله (ص) . والأخرى وجود الحيلة فيه . قال: وما هي؟ قال: تدعوه في هذه الساعة بصناع يضربون بين يديك سكاكاً للدرهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله (ص) أحد هما في وجه الدرهم والدينار والآخر في الوجه الثاني ، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه ، والستة التي تضرب فيها تلك الدرهم والدنانير ، وتعتمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الثلاثة الأصناف التي العشرة منها عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جمِيعاً واحداً وعشرين مثقالاً ، فتجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصبُّ سنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدرهم على وزن عشرة، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل. وكانت الدرهم في ذلك الوقت إنما هي الكسرية التي يقال لها اليوم البغلية لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسكة كسرية في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية: نوش خر. أي كل هنباً

وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالاً ، والدرهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة .

ففعل عبد الملك ذلك ، وأمره محمد بن علي بن الحسين أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام ، وأن يتقدم إلى الناس في التعامل بها ، وأن يتهددوا بقتل من يستعمل بغير هذه السكك من الدرام والدنانير وغيرها ، وأن تبطل وترد إلى موضع العمل ، حتى تعاد على السكك الإسلامية .

ففعل عبد الملك ذلك ، ورد رسول ملك الروم إليه يعلمه بذلك ويقول: إن الله جل وعز مانعك مما قدرت أن تفعله ، وقد تقدمت إلى عمالی في أقطار الأرض بهذا وكذا ، وبإبطال السكك والطراز الرومية .

فقيل لملك الروم: إفعل ما كنت تهددت به ملك العرب . فقال: إنما أردت أن أغrieve به بما كتبت به لأنني كنت قادرًا عليه والمال وغيره برسوم الروم ، فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام ! وامتنع من الذي قال وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين إلى اليوم). وقد نصل الموضع السيد الأمين في أعيان الشيعة: ٩٩١، والدميري في حياة الحيوان: ١٠١، والإتليدي في إعلام الناس بما وقع للبرامكة: ٢٨٢، ورواه مختصرًا ابن القراء في رسول الملوك: ٧٨، وغيرهم .

كان عند عبد الملك هامش حرية استفاد منه الإمام علي والشيعة

رووا أن الشاعر كثيرون عزّة الله الذي كان صديقاً لعبد الملك ، استفاد من هذا الهامش . قال في الدرجات الرفيعة: (حدث ابن قتيبة قال: بلغني أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان فسألته عن شئ فأخبره به ، فقال بحق علي بن أبي طالب إنه كما ذكرت؟ فقال: يا أمير المؤمنين لو سألتني بحقك لصدقتك ! قال: لا أسألك إلا بحق أبي تراب ! فحلف له به فرضي.. ولما عزم عبد الملك

على الخروج إلى حرب الزبير أنشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه ويبعث غيره فأبى ، فلم تزل تلح عليه في المسألة وهو يمتنع من الإجابة ، فلما يشئت منه بكى وبكي من حولها من جواريها وحواشيها ، فقال عبد الملك: قاتل الله كثيراً كأنه رأى موقفنا هذا حين قال:

إِذَا مَا أَرَادَ الْغُزوَ لَمْ يُشْنِ هَمَّةٌ فَتَاهَ عَلَيْهَا نَظَمْ دَرِيزِنَاهَا
نَهَتِهِ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهَيَ عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مَا شَجَاهَ قَطَنَاهَا

ثم عزم عليها أن تقصر فأقصرت وخرج لقصده ، فنظر إلى كثير في ناحية عسكره يسير مطرقاً فدعا به.. فقال: ذكرتُ الساعة بيتبين من شعرك فإن أصبحتَ ما هما فلك حكمك ! فقال: نعم أردت الخروج فبكى عاتكة وبكي حشمها فذكرت قولي: إِذَا مَا أَرَادَ الْعَزْمَ..الخ. فقال: أصبحت فاحتكم فأعطيه ما أراد .

ثم نظر إليه عبد الملك يسير في عرض الموكب متفكراً فقال: علي يا ابن أبي جمعة فقال: إن عرفتك في أي شيء كنت تفكر فلي حكمي ! فقال: نعم . قال: كنت تقول أنا في شر حال ، خرجت في جيش من أهل النار ليس على ملتي ولا مذهبني ، يسير إلى رجل من أهل النار ليس على ملتي ولا على مذهبني بلتنقى الخيalan فتصيبيني سهم غرب فأتلف ، فما هذا؟!

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت ما كان في نفسي فاحتكم! قال: حكمي أن أصلك في عشرة آلاف درهم وأررك إلى منزلك فأمر له بذلك). وللأغاني: ٢٩٩.

٧- علاقة الإمام عَلَيْهِ السَّلَام مع الحجاج بن يوسف الثقي

تقديم في المجلد الثالث شهادة عبد الملك في الحجاج ، وقول الجصاصون وهو من أكابر علمائهم: (لم يكن في العرب ولا آل مروان أظلم ولا أكفر ولا أفاجر من عبد الملك، ولم يكن في عماله أكفر ولا أظلم ولا أفاجر من الحجاج !)

(أحكام القرآن: ٨٦/١). وروى الآبي في نثر الدرر/٣٨٥: (قال عبد الملك: لقد كنت أمشي في الزرع فأنتقي الجندب أن أقتله ، وإن الحجاج ليكتب إليّ في قتل فنام (جماعات) من الناس ، فما أحفل بذلك) ! انتهى.

فالحجاج جزار الخليفة وأداة طغيانه ! ومع أن إسمه الحجاج فقد كان يحضر الحج ولا يحج! ففي الطبرى: (حج بالناس الحجاج فرأيته واقفاً بالهضبات من عرفة على فرس وعليه الدرع والمغفر ، ثم صدر فرأيته عدل إلى بئر ميمون ولم يطف بالبيت ! وأصحابه متسلحون ، ورأيت الطعام عندهم كثيراً ، ورأيت العير تأتي من الشام تحمل الطعام الكعك والسويق والدقيق فرأيت أصحابه مخاصيب ! ولقد ابتعنا من بعضهم كعكاً بدرهم فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة ، وإننا لثلاثة نفر). انتهى.

وكان يتجاهر أحياناً بكفره ، لكنه محميٌّ من الخليفة ! وبلغ من استهتار الحجاج أنه كان يستهزئ بال المسلمين لزيارتهم قبر النبي ﷺ قال: (تبأ لهم ! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية ! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ! لا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله) ! (شرح النهج: ٢٤٢/١٥).

وعندما كان يحاصر الكعبة ويضربها بالمنجنيق (جاءت صاعقة فوقع بالمنجنيق ، فامتنع أصحابه من الرمي ! فقال الحجاج: إن هذه نار القربان دلت على أن فعلكم متفق !) ! (محاضرات الأدباء، ١٤٣٣).

وفي مروج الذهب: ٧٨٧/١: (عن الصلت بن دينار ، قال: سمعت الحجاج يقول: قال الله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ . فهذه شهادة وفيها مثوية. وقال: وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا (الثغرين: ١٦) وهذه لعبد الله وخليفة الله ونجيب الله عبد الملك ، أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب فدخلوا في غيره ، وكانت

دماؤهم لي حلالاً !

عذيري من أهل هذه الحمراء ، يلقى أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول:
إلى أن يبلغها يكون فرج الله ، لأجعلنهم كالرسم الدائر وكالأنس الغابر !
عذيري من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب ، أما والله لو أدركته
لضربت عنقه ! يعني عبد الله بن مسعود !

من عذيري من سليمان بن داود يقول لربه: رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا
يُنْبَغِي لآحدٍ منْ بَعْدِي، كان والله فيما علمت عبداً حسوداً بخيلاً . انتهى .
أقول: لم يفهم الحجاج الغليظ الذهن عصمة الأنبياء عليهم السلام وأن الله تعالى كان
أخبر سليمان عن ملك خاص ، يجعله نموذجاً للناس قبل حكم الإمام
المهدي عليه السلام ولا يتكرر ، فدعوا أن يكون هو صاحبه !

وقصص كفر الحجاج وطغيانه كثيرة ! ففي نفس المصدر: قال الحجاج يوماً
لعبد الله بن هاني ، وهو رجل من أودي حي من اليمن... شهد معه تحريق البيت
وكان من أنصاره وشيعته: والله ما كافأناك بعد... ثم روى إجبار الحجاج رئيس
قبيلة فزارة ورئيس قبيلة همدان أن يزوجاه بتديهما ، ثم قال له: (قد زوجتك
بسنت سيدبني فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما أود هنالك ! فقال: لا
نقل أصلح الله الأمير ذلك فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب ! قال: وما هي
هذه المناقب؟ قال: ما سبب أمير المؤمنين عثمان في ناد لنا فقط ، قال: هذه والله
منقبة ! قال: وشهدتنا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً ، وما شهدناها
مع أبي تراب منا إلا رجل واحد وكان والله ما علمته امراً سوء ! قال: وهذه والله
منقبة ! قال: وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبي تراب ولا تولاه ، قال: وهذه والله
منقبة ! قال: وما منا امرأة إلا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها

ففعلت ، قال: وهذه والله منقبة ! قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وقال وأزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة ! قال: وهذه والله منقبة ! قال: وما أحد من العرب له من الملاحة والصياغة ما لنا ، وضحك ! وكان دمياً شديد الأدمة ، مجدراً في رأسه ، أعجر ، مائل الشدق ، أحول ، قبيح الوجه ، وحش المنظر).انتهى. وعِقَابُ اللَّهِ لَهُنَا النَّاصِبُ أَشَدُ وَأَخْزَى !

وقد زاد الحجاج في بغض أهل البيت عليه السلام على أسياده بنى أمية ، فكان ملكياً أكثر من ملكه عبد الملك ! وقد كتب له يستأذنه أن يقتل الإمام عليه السلام فلم يقبل خوفاً على ملكه! فقتل الحجاج خواص أصحاب الإمام عليه السلام كيحيى بن أم الطويل (الكافي: ٢٨٠/٢) وسعيد بن حبير ، وعدداً من الأخيار وسيأتي ذكر بعضهم ! وفي تاريخ الباقوري: ٢٧٢/٢: (وختم (الحجاج) عنانق قوم من أصحاب رسول الله عليه السلام لذلهم بذلك ، منهم جابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد الساعدي ، وجماعة معهم . وكانت الخواتيم رصاصاً).

وفي الطبرى: ٣٥٥/٥: (واستخف بأصحاب رسول الله (ص) فاختم في عنانقهم) .

○ ○ ○
ومع كفر الحجاج وبغضه لأهل البيت عليه السلام ، فقد فقد حدثت له آية اضطر معها إلى أن يطلب من الإمام زين العابدين عليه السلام أن يضع الحجر الأسود في محله ، وذلك عندما أعاد بناء الكعبة سنة أربع وسبعين (أبو الفداء: ٢٥١) ، بعد أن قتل عبدالله بن الزبير وتهدمت الكعبة من ضرب جيشه وقبله جيش يزيد .

ففي الكافي: ٢٢٢/٤، بسنده صحيح عن أبيان بن تغلب قال: (لما هدم الحجاج الكعبة فرق الناس ترابها ، فلما صاروا إلى بناها فأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حبة فمنعت الناس البناء حتى هربوا ، فأتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد مُنْعِنْ بناءها ، فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال: أنشد الله عبداً عنده مما ابتلينا به

علم لما أخبرنا به ، قال: فقام إليه شيخ فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجلرأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى ! فقال الحجاج: من هو؟ قال: علي بن الحسين ! فقال: معدن ذلك ! فبعث إلى علي بن الحسين فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إيه البناء ، فقال له علي بن الحسين: يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهيتها ، كأنك ترى أنه تراث لك ! إصعد المتبصر وأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلا رده . قال: ففعل فأنسد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شيء إلا رده ، قال: فردوه فلمارأى جمع التراب أتى علي بن الحسين فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا . قال: فتغيّبت عنهم الحياة ، وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد ، قال لهم علي بن الحسين: تنحوا فتحروا فدنا منها فغطّاها بثوبه ثم بكى ، ثم غطّاها بالتراب بيد نفسه ، ثم دعا الفعلة فقال: ضعوا بناءكم ، فوضعوا البناء فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب فألقى في جوفها ، فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج) . والفقية: ١٩٣/٢، والعلل: ٤٤٨/٢، والمناقب: ٢٨١/٣.

وفي الخرائج: ٢٦٨/١، (أن الحجاج بن يوسف لما خرب الكعبة بسبب مقاتلة عبد الله بن الزبير ثم عمروها ، فلما أعيد البيت وأرادوا أن ينصبووا الحجر الأسود ، فكلما نصبه عالم من علمائهم أو قاض من قضاهم أو زاهد من زهادهم يتزلزل ويقع ويضطرب ولا يستقر الحجر في مكانه . فجاءه علي بن الحسين عليه السلام وأخذه من أيديهم وسمى الله ثم نصبه فاستقر في مكانه ، وكبار الناس). وفي الفقيه: ٢٤٧/٢، أن الحجاج لما فرغ من بناء الكعبة سأله علي بن الحسين أن يضع الحجر في موضعه ، فأخذه ووضعه في موضعه .) وفي كامل الزيارات: ١٨/١، في قصة سرقة القرامطة للحجر الأسود وإرجاعه وتنصيب

الإمام المهدى عليه السلام في مكانه ، قال: (يُنْصَبُهُ فِي مَكَانِهِ الْحَجَّةُ فِي الزَّمَانِ عَلَيْهِ كَمَا
فِي زَمَانِ الْحَجَّاجِ وَضَعْهُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ فِي مَكَانِهِ فَاسْتَقِرْ...). انتهى .
أقول: إقرأ جيداً قول ذلك الشيخ المكي في رواية الكافي الصحيحة: (إن
يُكَسَّ عِنْدَ أَحَدٍ عِلْمٌ فَعِنْدَ رَجُلٍ رَأَيْتَهُ جَاءَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَأَخْذَ مَقَادِرَهَا ثُمَّ مَضَى !
فَقَالَ الْحَجَّاجُ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: عَلِيٌّ بْنُ الْحَسِينِ ! فَقَالَ: مَعْدُنُ ذَلِكَ)، فهو يدل
على أن الإمام علية السلام كان معنياً ببناء الكعبة وأنها جاءت وقاس أساسها . كما يدل
على أسرار أودعها الله تعالى في الكعبة وبقائها والحجر الأسود ، وبعض
أحكامها، وارتباط أمرها بأهل بيت الله تعالى وبيت النبي عليهما السلام .

وأخيراً، فقد قال عمر بن عبد العزيز: (لو جاءت كل أمة بخبثها وجثنا
بالحجاج ، لزدنا عليهم) ! (نشر الدرر للآباء/٢٨٦). ونسبي عمر أن الحجاج عبد مأمور
لجهه عبد الملك ، فخبيثه فرع من خبيثه !

○ ○

٨- علاقته علية السلام مع الناصبي المتطرف ابن الزبير

تزوج العوام بن خوبيل الزهري ، بصفية بنت عبد المطلب عممة النبي عليهما السلام ،
وولدت له الزبير والسائب عبد الكعبة ، وقتل أبوهم في حرب الفجوار قبل
الإسلام ، فرَبُّتُمُوهُمْ فِي كَنَفِ أَبِيهَا وَإِخْوَتِهَا أَعْمَامُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكان لها ابنة
من زوجها السابق المتوفى الحارث بن حرب بن أمية .

وأسلمت صفيه وأولادها وهاجروا الى المدينة ، واستشهد ابنها السائب في
حرب اليمامة ، واشتهر الزبير وتزوج بأسماء بنت أبي بكر . وكان في جوّ
أخواليه بني هاشم ، واعتبر السقيفة مؤامرة على وصية النبي عليهما السلام بالخلافة لعلي
والعترة عليهما السلام ، وكان موقفه شديداً ضد أبي بكر وعمر ، وشهر سيفه في وجه

الذين جاؤوا إلى بيت على عليه السلام لأخذ البيعة ، ومنهم عمر وخالد وغيرهما .

(سير الذهبي: ٢٧١/٢، والطبقات: ١١٩/٤، والمحبر: ١٨٩، والوافي: ٥٤/١٥، وراجع شرح الأخبار: ٢٢٠/٣، والبحار: ٢٦٢/٢٢، وقاموس الرجال: ٢٨٩/١٢) .

لكن الزبير تغير رأساً على عقب ، عندما استطاعت زوجته أسماء وابنه عبد الله ، أن يؤثرا عليه ويحولاه إلى صديق للسلطة والحزب القرشي ، فأخذ يبتعد عن أخواله بنى هاشم إلى أن صار عدواً لهم ! (فكان على يقول: ما زال الزبير من أهل البيت حتى نشأ له عبد الله). (أسد الغابة: ١٦٢/٣). وفي الخصال ١٥٧ (حتى أدرك فرجه فنهاه عن رأيه). وفي الإمامة والسياسة: ١٤/١ (حتى نشأ بنوه فنصرفوه عننا). وفي الأصول الستة عشر: ٢٣، (ولقد حلق رأسه وهو يقول لانباع إلا عليه). أي كان مستعيناً أيام السقيفة ، قبل أن يتحول إلى العكس !

وكانت عاقبته أنه بايع علياً عليه السلام ثم نكث بيته وخرج مع طلحة وعائشة إلى البصرة لحربه ، فطلبه علي عليه السلام قبل أن يلتجم القتال وذكره بحديث النبي صلوات الله عليه وسلم فانسحب عائداً إلى المدينة ، ورافقه شخص يدعى ابن جرموز وقتله !

فكان كائني عليه السلام نقضتْ غَلَّها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً . أعادنا الله من سوء العاقبة !

أما ابنته عبد الله بن الزبير فكان تابعاً لأمه أسماء وختاله عائشة ، ولم ينسحب من معركة الجمل مع أبيه ، بل واصلها مع خالته بحماس ، ونجا بأعجوبة من سيف مالك الأشتر عليه السلام وجرح جرحاً بليغاً في رأسه ، وعندما انتصر عليهم أمير المؤمنين عليه السلام عفا عنهم جميعاً . قال في شرح النهج: ٧٩/٤: (وعبد الله هو الذي حمل الزبير على الحرب وهو الذي زين لعائشة مسيرها إلى البصرة ، وكان سباباً فاحشاً يبغضبني هاشم ويلعن ويسب علي بن أبي طالب). انتهى.

وعندما خرج ابن الزبير على يزيد وتحصن في الكعبة ، كان شديداً على

بني هاشم أكثر من شدته على بني أمية ! حتى أنه هدد من كان منهم في مكة بالحرق إن لم يبايعوه ! وكان بينه وبين ابن عباس سجالات ، منها قول ابن عباس في خطبة له: (وا عجبًا كل العجب لابن الزبير ! يعيّب بنى هاشم وإنما شرفَ هو وأبوه وجده بمصاہرِهم ، أما والله إنه لمسلوبُ قريش ! ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفة بنت عبد المطلب ؟! قيل للبغل: من أبوك يا بغل؟ فقال: خالي الفرس . ثم نزل). (شرح النهج: ١٢٩/٢٠).

وتقديم أنه سجن بنى هاشم ومنهم ابن عباس في مكة وهدمهم بحرق السجن عليهم إن لم يبايعوه! وأنه ترك النبي ﷺ كلياً في خطبه وصلاته ! وأجاب من استنكر عليه: (إن له أهيل سوء إذا ذكر استطالوا ومدوا أعناقهم لذكره) ! (ال الصحيح من السيرة: ١٥٣/٢، عن العقد الفريد: ٤١٣/٤، وأنساب الأشراف: ٢٨٤، وغيرهما).

وفي تاريخ اليعقوبي: (وتحامل عبد الله بن الزبير على بنى هاشم تحملًا شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء ، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته ! فقيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟! فقال: إن له أهل سوء يشربون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به).

وقال لابن عباس: (لقد كتمت بغضك وبغض أهل بيتك منذ أربعين سنة ! فقال ابن عباس: ذلك والله أبلغ إلى جاعريتك ! بغضي والله أضرك وأثرك إذ دعاك إلى ترك الصلاة على النبي ﷺ في خطبك ، فإذا عوتبت على ذلك قلت إن له أهيل سوء فإذا صليت عليه تطاولت أعناقهم وسمت رؤوسهم ! فقال ابن الزبير: أخرج عنى فلا تقربني ! قال: أنا أزهد فيك من أن أقربك ولآخرجن عنك خروج من يذمك ويقلبك ، فلحق بالطائف فلم يلبث يسيراً حتى توفي). (أنساب الأشراف: ٨٥٧). ومعنى جاعريتك: أنه لا يشبه خروولته بنى هاشم فهو كجمور التمر .

الإمام عاشقي يتجنب شر ابن الزبير وي تخوف منه

في حلية الأولياء: (عن أبي حمزة الشعري قال: أتيت بباب علي بن الحسين فكرهت أن أضرب ، فقدت حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد على السلام ودعا لي ، ثم انتهى إلى حائط له فقال: يا أبو حمزة ترى هذا الحائط؟ قلت: بلـ يا ابن رسول الله . قال: فإني اتكلـت عليه يوماً وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في تجاه وجهـي ثم قال: يا علي بن الحسين مالي أراك كثيـراً حزيناً ، أعلى الدنيا فهو رزق حاضـر يأكل منها البر والفاجر؟ فقلـت: ما عليها أحـزن لأنـه كما تقول ، فقال: أعلى الآخرة هو وعد صادق يحكم فيها ملـك قاهر؟ قـلت: ما على هذا أحـزن لأنـه كما تقول ، فقال: وما حزنـك يا علي بن الحسين؟ قـلت: ما تخـوف من فتـنة ابن الزـبير ! فقال لي: يا علي هل رأـيت أحدـاً سـأـل الله فـلم يـعطـه ؟ قـلت: لا ، ثم قال: فـخـاف الله فـلم يـكـفـه؟ قـلت: لا. ثم غـاب عنـي ، فـقـيل لي يا علي هذا الخـضرـانـيـنـاـجـاكـ). وكشف الغمة: ٢٨٩/٢، والكافـي: ٦٣٢، والإرشـاد: ١٤٨/٢، وأـمـاليـ المـفـيدـ: ٢٠٤، وكـنزـ الفـوانـدـ: ٢١٤، والـخـرـاجـ: ١/٦٩، وـدـعـوـاتـ الرـاوـونـدـيـ: ١٣١، وتـارـيـخـ دـمـشـ: ٣٨٣/٤١، والتـذـكـرـةـ الـحـمـدوـنـيـةـ: ٣٧، وـرـواـهـ عـدـدـ مـصـادـرـهـ وـنـسـبـهـ إـلـىـ رـجـلـ فـيـ بـسـانـ فـيـ مـصـرـ كـمـصـنـفـ اـبـنـ شـيـةـ: ٢٠٧/٨، وـالـهـرـافـتـ: ٨٨، وـالـاصـابـةـ: ٢٧٢/٢).

وبسبب تخـوف الإمام عاشـقـيـهـ أنـ ابنـ الزـبـيرـ كانـ أـكـثـرـ قـسوـةـ مـنـ طـغـةـ الـأـمـوـيـنـ ، وـأـشـدـ بـغـضاـ لـأـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـ ! وـكـانـ أـيـامـهـ مـلـيـئـةـ بـالـطـشـ وـالـتـصـرـفـاتـ غـيرـ المنـطقـيـةـ ، فـيـ كـلـ الـمـنـاطـقـ الـتـيـ حـكـمـهـ فـيـ الـيـمـنـ وـالـحـجـازـ وـالـعـرـاقـ .

قال مطرـفـ بنـ عـبـادـ اللهـ: (الـبـثـ فـيـ فـتـنةـ بنـ الزـبـيرـ تـسـعـاـ مـاـ أـخـبـرـتـ فـيـهاـ بـخـيرـ ، وـلاـ استـخـبـرتـ فـيـهاـ عـنـ خـيرـ). (الـطـبـقـاتـ: ١٤٢/٧). وـقـالـ فـيـ تـارـيـخـ دـمـشـ: (فـكـانتـ فـتـنةـ ابنـ الزـبـيرـ مـنـ لـدـنـ مـوـتـ يـزـيدـ بنـ مـعـاوـيـةـ إـلـىـ أـنـ قـتـلـ تـسـعـ سـنـينـ وـثـلـاثـةـ

أشهر وعشر ليال، وكان ابن الزبير آدم نحيفاً ليس بالطويل ولا بالقصير). انتهى.
وكان الإمام عليه السلام يتجنب الإحتكاك بابن الزبير ، فلم يسكن أيام ثورة أهل
المدينة على يزيد في مكة كما فعل ابن عمر وابن عباس وابن الحنفية
وغيرهم ، ممن لم يشارك أهل المدينة في ثورتهم . ويظهر أن الإمام عليه السلام كان
في تلك الفترة يوزع وقته بين المدينة وينبع والبادية ، حسب ما يقتضي
الوضع ، وقد حرص في أيام دخول جيش يزيد إلى المدينة أن يكون فيها .

ونلاحظ أن بعض آل الزبير يروي عن الإمام عليه السلام كخالد بن الزبير وأولاده ،
فهي شعب البهقي: ٧٤/٢: عن (خالد بن الزبير عن علي بن الحسين عن أبيه عن
علي بن أبي طالب قال قال رسول الله (ص): إنما تكون الصنعة إلى ذي دين
أو حسب. وجihad الضعفاء الحج . وجihad المرأة حسن التعل لزوجها .
والتودد نصف الدين . وما عال أمرؤ اقتصد . واستنزلوا الرزق بالصدقه . وأبى
الله أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث يحتسبون . وقال مرة أخرى: وما
عال أمرؤ فقط على إقتصاد). والمقاصد الحسنة للسخاوي ٥٨/٥ وغيره .

وفي تاريخ الذهبي: ٣٧٦: (وقال الزبير بن بكار: ثنا عمي ومحمد بن الضحاك
ومن لا أحصي ، أن علي بن الحسين قال: ما أود أن لي بنصبي من الذل حمرَ
النعم). انتهى. وترجموا لابن الزبير هذا وضعفوه ! قال الذهبي في سيره: ٦٤٠/١: (خالد
بن محمد من آل الزبير ، عن علي بن الحسين . قال البخاري منكر الحديث .
وقال أبو حاتم: مجهول)..الخ.

أقول: يدل هذا النص وغيره على أن بعض آل الزبير كانت لهم صلات مع
أهل البيت عليه السلام وبعضهم شخصيات كعامر بن عبد الله بن الزبير ، لكن أكثرهم
كانوا على مذهب عبد الله بن الزبير ومذهب أبيه الذي مات عليه .

لكن آية الله الميلاني مد ظله لم يستثن من آل الزبير أحداً فحكم في رسالته
في رد خطبة علي عليهما السلام بـأبي جهل بأن كل أولاد الزبير كانوا معادين لأهل
البيت عليهما السلام . وأن قصة خطبة أمير المؤمنين عليهما السلام بـأبي جهل المزعومة من
وضعهم ! وأنهم جميعاً في النصب سواء ، وإن اشتهر من بينهم عبد الله وظاهر
بغضه وعداؤه لأهل البيت عليهما السلام أكثر من إخوته !

○ ○ ○

وكان الإمام علي عليهما السلام يتحمل أذى آل الزبير ، ففي تذكرة ابن حمدون ٣٠٣ : (قال
رجل لرجل من آل الزبير كلاماً أقذع فيه ، فأعرض الزبيري عنه ، ثم دار كلام
فسبَّ الزبيري علي بن الحسين فلم يجبه ، فقال له الزبيري: ما يمنعك من
جوابي؟ فقال علي: ما يمنعك من جواب الرجل) !

وقال له رجل سبه فلم يلتفت إليه: إياك أعني ، فقال له: وعنك أعرض !

(كتش الغمة: ٣١٩/٢، ونثر الدرر: ١٥٦، والبحار: ١٤٦/١٠).

○ ○ ○

ومع كل مساوى ابن الزبير ترى كثيراً من علماء المذاهب ، خاصة الحنابلة ،
حكموا بأنه خليفة شرعى ، وبأن مروان بن الحكم كان باغياً خارجاً عليه ! ولذا
لاتصح عندهم خلافة مروان ولا ابنه عبد الملك قبل أن يقتل ابن الزبير ! فهو
عندهم خارج باع واجب القتل الى اللحظة التي قتل فيها ابن الزبير عند الكعبة
فأكرمه الله فجعله خليفة لخاتم الأنبياء عليهما السلام !

قال الذهبي في تاريخه: (عبد العزيز بن مروان أبو الأصيبي الأموي ، أمير
مصر وولي عهد المؤمنين بعد أخيه عبد الملك بعهد من مروان ، إن صحتنا
خلافة مروان ، فإنه خارج على ابن الزبير باع ، فلا يصح عهده إلى ولديه ، إنما
تصح إماماً عبد الملك من يوم قتل ابن الزبير) !

وقال في عون المعبد: (فالتحقيق في هذه المسألة أن يُعتبروا أي أن بعد

الأئمة الإثنا عشر) بمعاوية وعبد الملك وبنيه الأربع وعمر بن عبد العزيز ووليد بن يزيد بن عبد الملك بعد الخلفاء الأربعة الراشدين . وقد نقل عن الإمام مالك أن عبد الله بن الزبير أحق بالخلافة من مخالفيه ، ولنا فيه نظر ، فإن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قد ذكرها عن النبي(ص) ما يدل على أن تسلط ابن الزبير واستحلال الحرم به مصيبة من مصابي الأمة ! أخرج حدديثماً أحمد عن قيس بن أبي حازم قال: جاء ابن الزبير إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في الغزو فقال عمر: أجلس في بيتك فقد غزوت مع رسول الله (ص) ، قال فرد ذلك عليه فقال له عمر في الثالثة أو التي تليها: أقعد في بيتك ، والله إنني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد (ص) أخرجه الحاكم . فمن لفظه بطرف المدينة يفهم أن واقعة الجمل غير مراده هاهنا ، بل المراد خروجه للخلافة... ولم يتنظم أمر الخلافة عليه).



٩- مع الشاب المترف عمر بن عبد العزيز

في بصائر الدرجات/١٩٠: (عن عبد الله بن عطاء التميمي قال: كنت مع علي بن الحسين في المسجد فمرّ عمر بن عبد العزيز ، عليه شراكا فضة ، وكان من أحسن الناس وهو شاب ، فنظر إليه علي بن الحسين فقال: يا عبد الله بن عطاء ترى هذا المترف ؟ إنه لن يموت حتى يلي الناس ! قال قلت: هذا الفاسق؟ قال: نعم ، لا يلبت فيهم إلا يسيراً حتى يموت ، فإذا مات لعنه أهل السماء واستغفر له أهل الأرض!). وللأدلة الإمامة/٢٠٤، والثاقب في المناقب/٣٦٠، والخرائج والجرائح/٥٤٢، ومناقب آل أبي طالب/٢٤٣.

وتقصد في علاقته عليه السلام بالمتصوفة قوله لأحدهم وقد قعد على باب الوالي ولعله عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة (ابن ماجة: ٢٢٠/١) قال له الإمام عليه السلام: (ما يقصدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال: البلاء . قال: قم فأرشدك إلى باب خير من بابه وإلى رب خير لك منه ! فأخذ بيده حتى انتهى به إلى مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه). ثم علمه صلاة الحاجة ودعائهما. (دعوات الرواوندي/٥٤، والبحار: ٣٧٥/٨٨).

هذا رأي الإمام عليه السلام في ابن عبد العزيز ، أما رأيه هو في الإمام عليه السلام فكان يراه أفضل الناس في عصره على الإطلاق ! قال في محاضرات الأدباء/٣٤٤/١، وطبعها/٣٦٠: (قال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين (لعنه عندما كان والي المدينة): من أشرف الناس؟ فقالوا: أنتم . فقال: كلا ، أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً، من أحب الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد). ونشر الدرر للأبي/٢٨٦، والمناقب/٣٠٤/٣، وشرح إحقاق الحق/١٣٧/١٢.

والحججة تامة على ابن عبد العزيز في ولاية العترة

في مجموعة ورام: ١٥٩٢: (لما ولَّ عمر بن عبد العزيز ، استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة ، واستعمل ميمون بن مهران على قرقيسا رجلاً يقال له علثة ، قال: فتنازع رجالان فقال أحدهما: معاوية أفضل من علي وأحق ، وقال الآخر: علي أولى بالأمر من معاوية . فكتب عامل قرقيسا إلى ميمون بن مهران بذلك ، فكتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى ميمون بن مهران: أن اكتب إلى عامل قرقيسا أن أقم الرجل الذي قدم معاوية على علي ، بباب مسجد الجامع فاضربه مائة سوط وأنفنه عن البلد الذي هو به ! قال طلق فأخبرني من رأه وقد ضرب مائة سوط وأخرج مليباً حتى أخرج من باب ، يقال له باب الدين). انتهى.

وفي الصواعق المحرقة: ٦٨٢٢: (دخلت فاطمة بنت علي على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فبالغ في إكرامها وقال: والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلى منكم ، ولأنتم أحب إلى من أهلي).

أقول: كان عمر بن عبد العزيز يعتقد أنبني هاشم أشرف الناس كما تقدم ، وأن علياً أفضل الأمة وأزهدتها بعد النبي ﷺ وهذا بحد ذاته حجة عليه أن يعمل لإعادة الحق إلى أصحابه ، ولكنه لم يفعل ! قد روى عنه في مناقب آل أبي طالب: ٣٤١، قال: (ما علمنا أحداً كان في هذه الأمة أزهد من علي بن أبي طالب بعد النبي) . وكمال ابن الأثير: ٤٠١٣.

وقد روى فيه العامة نوعاً من المدح عن الإمام الباقر ع ، قال في تاريخ دمشق: ١٤٦٤٥: (عن عمرو بن قيس الملاني قال: سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز ، فقال: أما علمت أن لكل قوم نجية وأن نجيةبني

أمية عمر بن عبد العزيز ، وإنه يبعث يوم القيمة أمة وحده). وتهذيب الكمال: ٣٩٢١، وتنكرة الحفاظ: ١١٩، وسیر الذہبی: ١٢٠/٥، وحلیۃ الأولیاء: ٥٤٥، وأکثر من ترجم له .

لکن التنبیم الصحیح له ما تقدم أنه متوف فاسق ، يستغفر له أهل الأرض
ویلعنه أهل السماء ، وقد جرى ذکرہ بعد موته عند الشریف الرضی عليه السلام فقال:

دیر سمعان لا عذرلك العوادی فخیر میت من آل مروان مینک
دیر سمعان فیک مأوى أبي حفص فودی لو آنني آوبیک
یا بن عبد العزیز لو بکت العین فتی من أمیة لبکیک
غیر أنسی أقول إنك قد طبت وإن لم يطب ولم يزک بیک
أنت نزّهتنا عن السب واللعنة فلو أمكن الجزاء جزیک
وعجیب أنسی قلیت بنی مسروان طرراً وأنسی ما قلیک
ولو انسی رأیت قبرک لاستحییت من أن أری وما حییک)

(الصانح الكافية لمن يتولى معاوية/١٠٧، ودیر سمعان مكان قرب حصن فيه قبره) .

وقد أکثروا من مدح عمر بن العزیز بأنه كان عادلاً ، وبأنه أصدر مرسوماً
ألغى مرسوم معاوية بوجوب لعن على عليه السلام في صلوات الجمعة وغيرها ، لكن
لعن الأميين وأتباعهم بقى بعد ابن عبد العزیز ، في كثير المناطق !

ومهما بلغ عمر بن عبد العزیز فليس هو أفضل من المؤمنون الذي كان
متخصصاً في الإمامة ، منظراً لها ، مناظراً فيها ! ومع ذلك ارتكب قتل الإمام
الرضي عليه السلام خوفاً من تعلق الناس به ، وانقلابهم على بنی العباس !

وقد روی له المؤرخون والمحدثون مناظرات علمية مفصلة مع کبار فقهاء
المذاهب ، وقد جمعهم لذلك وأفحتمهم واحتج عليهم بالقرآن والسنة ، لإثبات
مكانة العترة النبوية ، وإثبات نص القرآن والنبي صلوات الله عليه وسلم على خلافة على عليه السلام !

١٠ - علاقة الإمام علي عليه السلام مع الخوارج

في مروج الذهب: ٤١٨/٢، أن علياً عليه السلام عندما انتصر على الخوارج قال له بعض أصحابه: (قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر ، فقال: كلا والذى نفسي بيده وإنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها ، حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمنط ، يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله ، ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيمة). انتهى. وقد حددت روايات أخرى مكان آخر خارجة قرب بعقوبة من العراق ، وقد بحثنا ذلك في معجم أحاديث الإمام المهدى عليه السلام: ١١٦٣.

وفي زمن الإمام زين العابدين عليه السلام كان زعيم الخوارج البارز نافع بن الأزرق ثم انشق عليه نجدة بن عامر بن المعروف بنجدة الحروري ، وسيطر على نجد والبحرين وعمان وقسم من اليمن ، لمدة ثلاثة سنوات من ٦٥ إلى ٦٩ هجرية .

ففي العبر للذهبي: ٧٤/١ (وفيها سنة ٦٦) قويت شوكة الخوارج واستولى نجدة الحروري على اليمامة والبحرين). وشذرات الذهب: ٧٤/١.

وفي مسند الشافعى ترتيب السندي: ٨٥/٢: (نجدة الحروري رئيس النجدية والحرورية خرج من جبال عمان ، فقتل الأطفال وسبى النساء ، وأهرق الدماء واستحل الفروج والأموال ، وكان يُكَفِّرُ السلف والخلف ، ويتولى ويتبرأ ، وكان ردياً مُردياً يأخذ بالقرآن ، ولا يقول بالسنة أصلاً). انتهى.

وأكثر ما اشتهر عن نجدة رسالته إلى ابن عباس وجوابها ، روتها عامة كتب الحديث والفقه ، كالصدقون في الخصال: ٢٣٥ ، بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن نجدة الحروري كتب إلى ابن عباس يسأله عن أربعة أشياء هل كان

رسول الله ﷺ يغزو بالنساء وهل كان يقسم لهن شيئاً؟ وعن موضع الخمس؟ وعن اليتيم متى يتقطع يتمه؟ وعن قتل الذراري؟ فكتب إليه ابن عباس: أما قولك في النساء فإن رسول الله ﷺ كان يُحذّيهن ولا يقسم لهن شيئاً، وأما الخمس فإننا نزعم أنه لنا وزعم قوم أنه ليس لنا فصبرنا ، فأما اليتيم فانقطاع يتمه أشدّه وهو الإحتلام إلا أن لا تؤنس منه رشدًا فيكون عندك سفيهاً أو ضعيفاً فيمسك عليه ولية . وأما الذراري فلم يكن النبي ﷺ يقتلها ، وكان الخضر يقتل كافرهم ويترك مؤمنهم ، فان كنت تعلم منهم ما يعلم الخضر فأنت أعلم). وفي سنن النسائي: (عن الزهرى ، عن يزيد بن هرمز أن نجدة الحروري حين خرج من فتنة بن الزبير أرسل إلى بن عباس يسألة عن سهم ذي القربى لمن هو؟ فقال: لنا لقرب رسول الله (ص) قسمه رسول الله (ص) لنا وقد كان عمر عرض علينا شيئاً رأيناه دون حفنا ، فأبينا أن نقبله ! وكان الذي عرض عليهم أن يعين ويقضى عن غارتهم ويعطي فقيرهم ، وأبى أن يزيدهم على ذلك). ونبيل الأوطار: (٢٣٠/٨، وأحمد: ١/٣٢٠، وأبو داود: ٢/٢٦، وشرح مسلم للنووى: ١٢/٦)، وراجع في نجدة: تاريخ الذهبي: ٤٩٥، و٦٧٥، والنهایة: ٣٤٩/٨.

كما اشتهر أن عكرمة غلام ابن عباس ذهب إلى نجدة وبقي عنده تسعة أشهر، وتبني أفكاره في بغض علي عليه السلام وتکفير كل من خالفهم من المسلمين ! (مقدمة فتح الباري: ٤٢٥، وفيه أن ابن عباس قال عنه لما راجع: جاء الخبيث ! والطبقات: ١٠٣٥: ١١٥، وفي سير الذهبي: ١١٥: قال علي بن المديني: كان عكرمة يرى رأى نجدة الحروري. وذكر ذلك من ترجم لعكرمة ، كمیزان الاعتدال: ٩٦٣، وتاريخ دمشق: ١٢٠/٤١) والإسناد كار: ٥٠١/٢. فاعجب لمن اتخذوا عكرمة إماماً وملؤوا تفاسيرهم وفقهم بأرائه ! ولم أجد رواية عن احتكاك بين نجدة والإمام زين العابدين عليه السلام ، ومعناه أن الإمام عليه السلام كان يتوقى ذلك ، وكان نجدة مشغولاً عنه في مناطق حكمه

وحرروبه ، وقد هاجم مكة سنة ٦٧، وحارب ابن الزبير ، وحج سنة ٦٨، وله مناظرات مع إمامه السابق نافع بن الأزرق ، ومع ابن الزبير .

وروى الطبرى: ٥٩٥/٤، والطبقات: ١٠٣٥: أن موسم حجّ سنة ٦٨: كان فيه أربعة أمراء وأن الناس طالبوهم أن يكفوا عن بعضهم حتى يحج الناس، قال: (وفي هذه السنة وافت عرفات أربعة ألوية... ثم تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حداء ابن الزبير ونجدة الحروري خلفهما ولواء بنى أمية عن يسارهما) .

وقال الذهبي في تاريخه: ٤٣٥/٥: (وأما نجدة الحروري فإنه قدم في العام الماضي في جموعه من الحرورية على ابن الزبير وقاتلوا معه). انتهى.

وفي تاريخ العقوبي: ٢٦٨/٢: (وأقام الحج للناس في هذه السنين في سنة ٦٣ عبد الله بن الزبير، وفي سنة ٦٤ ابن الزبير ، وقيل يحيى بن صفوان الجمحي ، وفي سنة ٦٥ وسنة ٦٦ وسنة ٦٧ ابن الزبير ، وفي سنة ٦٨ وافت أربعة ألوية بعرفات: ولواء مع محمد بن الحنفية وأصحابه ، ولواء مع ابن الزبير ، ولواء مع نجدة بن عامر الحروري ، ولواء مع بنى أمية ، وفي سنة ٦٩ وسنة ٧٠ وسنة ٧١ ابن الزبير). انتهى.

ولعل الإمام علي^{عليه السلام} يحج في السنوات الصعبة أو حج مستخفياً، حيث لم أجده شيئاً عن لقائه أو احتكاكه أو مناظرته مع نجدية أو ابن الزبير أو الأمويين، لكن وجدت له حدثاً مع شخص من خوارج البصرة رواها في الإحتجاج: ٤٠/٢: جاء رجل من أهل البصرة إلى علي بن الحسين^{عليه السلام} فقال: يا علي بن الحسين إن جدك علي بن أبي طالب قتل المؤمنين ! فهملت عينا علي بن الحسين دموعاً حتى امتلأت كفه منها ، ثم ضرب بها على الحصى ، ثم قال: يا أخا أهل البصرة ، لا والله ما قتل علي مؤمناً ولا قتل مسلماً ، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكسموا الكفر وأظهروا الإسلام ، فلما وجدوا على الكفر أعوانا

أظهروه ! وقد علمت صاحبة الجمل والمستحفظون من آل محمد صلوات الله عليه أن أصحاب الجمل وأصحاب صفين وأصحاب النهروان ، لعنوا على لسان النبي الأمي صلوات الله عليه وقد خاب من افترى ! فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين إن جدك كان يقول: إخواننا بغوا علينا ! فقال علي بن الحسين صلوات الله عليه: أما نقرأ كتاب الله: إِلَيْهِ عَادُ أَخَاهُمْ هُودًا. فهم مثلهم ، أنجحى الله عز وجل هوداً والذين معه ، وأهلك عاداً بالريح العقيم) . انتهى .

أقول: اتفق فقهاؤنا وعامة فقهاء المسلمين، على تكفير الغلاة الذين يؤلهون أهل البيت صلوات الله عليهم ، ومثلهم التواصب الذين يعادون أهل البيت صلوات الله عليهم. لكن ابن تيمية خالف الإجماع وخص الحكم بالغلاة دون التواصب والخارج ! واحتج بصلة ابن عمر خلف نجدة الحروري ! (منهاج السنة: ١١٥). وهذا من أدلة نصبه !



الفصل السادس:

مكانة الإمام زين العابدين علیه السلام في الأمة

١- الإمام زين العابدين عليهما السلام محبوب الجماهير

أحدث قتلُ الحسين عليهما السلام زلزالاً في الأمة ! فنقمت على يزيد وبني أمية ، واتجهت بعواطفها نحو أهل البيت النبوي عليهما السلام فرأيت في علي بن الحسين عليهما السلام شخصيةً مميزةً في عبادته وزهرده وعلمه ، فاحترمته وأحبته ، خاصةً أنه سلك طريق العبادة والموعظة لثبت أصول الدين ولم يتوجه إلى الثورة على السلطة . وقد ظهرت محبة الناس له في موسم الحج عندما أراد ولـي العهد الأموي أن يستلم الحجر الأسود فلم يستطع من زحام الناس ، ولما جاء زين العابدين عليهما السلام انفسح له الناس احتراماً وهيبة ! فكان هذا المشهد استفنا للناس على حبهم للإمام عليهما السلام ، وعدم إفساحهم لهشام استفنا على عدم حبهم للأمويين !

وعبر الفرزدق عن ضميرهم بقصيده العصماء التي ارتجلها يومذاك، غضب عليه هشام وأراد قتله لكنه حبسه ، حتى دعا له الإمام عليهما السلام فأطلقوه !

وقد روى هذه الحادثة عامة مؤلفي السير والتاريخ وعدد من المحدثين ، وأضاف بعضهم ملاحظات مفيدة كالذهبي في سيره: ٣٩٨/٤، قال: (وكان له جلالة عجيبة وَحَقَّ لِهِ وَاللهُ ذَلِكُ ، فقد كان أهلاً للإمامية العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله . قد اشتهرت قصيدة الفرزدق وهي سمعانا ، أن هشام بن عبد الملك حج قبل ولاته الخلافة ، فكان إذا أراد استلام الحجر زوسم عليه وإذا دنا علي بن الحسين من الحجر تفرقوا عنه إجلالاً له ، فوجم لها هشام وقال: من هذا ؟ فما أعرفه ! فأنشأ الفرزدق يقول:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته... والبيت يعرفه والحلّ والحرم...

ثم أورد أبياتاً من مطلعها ، وقال: فأمر هشام بحبس الفرزدق فحبس بعسفان ،

وبعث إليه علي بن الحسين باثني عشر ألف درهم وقال: أعدْرْ أبا فراس ، فرَدَّها وقال: ما قلت ذلك إلا غضباً لله ولرسوله ﷺ ، فردها إليه وقال: بحفي عليك لِمَا قبلتها ، فقد علم الله نيتك ورأي مكانك ، فقبلها) .

كما أوردها في تاريخه: ٤٣٨/٦: وقال: (وليس للحسين رضي الله عنه عقب إلا من زين العابدين ، وأمه أمة ، وهي سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس... قال أبو جعفر الباقر: عاش أبي ثمان وخمسين سنة . وقال الواقدي: حدثني حسين بن علي بن الحسن أن أباه مات سنة أربع وتسعين، وكذا قال البخاري ، وأبو عبيد ، والفالاس ، وروي عن جعفر بن محمد) .

وقال في النهاية: ١٢٦/٩: (وقد رويَ من طرق ذكرها الصولي والجريري وغير واحد، أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه وأخيه الوليد ، فطاف بالبيت فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فيبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستلمه تنجى عنه الناس إجلالاً له وهيبةً واحتراماً ، وهو في بزة حسنة وشكل مليح ، فقال أهل الشام لهشام: من هذا؟ فقال لا أعرفه ، استنقاصاً به واحتقاراً ، لئلا يرغب فيه أهل الشام ! فقال الفرزدق وكان حاضراً أنا أعرفه، فقالوا: ومن هو؟ فأشار الفرزدق يقول..). وأورد منها ٢٧ بيتاً.

ورواها السبكي في طبقات الشافعية: ٢٩٠/١، بسنده عن ابن عائشة ، وفيه: (فطاف بالبيت فجهد أن يصل إلى الحجر فيستلمه فلم يقدر عليه ، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه أهل الشام ، إذ أقبل علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرجًا ، فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر تنجى له الناس حتى يستلمه ! فقال رجل

من أهل الشام: من هذا الذي قد هبه الناس هذه الهيبة؟! فقال هشام: لا أعرفه مخافة أن يرحب فيه أهل الشام ! وكان الفرزدق حاضراً فقال الفرزدق: لكنني أعرفه ! قال الشامي: من هو يا أبي فراس؟ فقال الفرزدق: وأورد السبكي ٢٩ بيتاً . ومثله الإختصاص للمفید: ١٩١. واختیار معرفة الرجال: ٣٤٣/١.

وفي أبجد العلوم للقتوجي: ٧٧٣: (منها قصيده في مدح الإمام زين العابدين ، التي سارت بها الركبان، وشرحها جم جم من الأعيان...)

وفي شذرات الذهب: ١٤٢١: (عن أبي عمرو بن العلاء قال: شهدت الفرزدق وهو يجود بنفسه ، مما رأيت أحسن ثقة بالله منه ! وترجح له الزلفي والفائدة وعظيم العائدة بحميته في أهل بيته رسول الله (ص) لزين العابدين ، لما أراد استلام الحجز في زحمة الناس فانفرجوا عنه هيبة ومحبة ، ولم تنفرج لهشام بن عبد الملك، فقال شامي من هذا ؟ فقال هشام: لا أعرفه خاف أن يرحب عنه أهل الشام ! فقال الفرزدق: أنا أعرفه ! فقال الشامي: من هو يا أبي فراس؟ فقال: هذا سليل حسين وابن فاطمة بنت الرسول من انجابت به الظلم....). انتهى.

وأتم روایاتها في المناقب: ٣٠٦٣، قال: (الحلية ، والأغاني ، وغيرهما: حج هشام بن عبد الملك فلم يقدر على الإستلام من الزحام فنصب له منبر وجلس عليه وأطاف به أهل الشام ، فيبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين وعليه إزار ورداء ، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة ، بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز ، فجعل يطوف فإذا بلغ موضع الحجر تنهى الناس حتى يستلمه هيبة له ، فقال شامي: من هذا يا أمير؟ فقال: لا أعرفه ، لئلا يرحب فيه أهل الشام ، فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكنني أنا أعرفه ، فقال الشامي: من هو يا أبي فراس؟ فأنشأ قصيدة ذكر بعضها في الأغاني والحلية والحماسة، والقصيدة بتمامها:

يا سائلِي أينَ حلَّ الجُودُ والكِرْمُ = عندي بِيَانٌ إِذَا طَلَابِيَ قَدَمُوا
 هَذَا الَّذِي تَعْرَفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِهُ = وَالْبَيْتُ يَعْرَفُهُ وَالْحَلُّ وَالْحَرَمُ
 هَذَا ابْنُ خَيْرٍ عِبَادُ اللهِ كَلَّهُمْ = هَذَا التَّقِيُّ التَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
 هَذَا الَّذِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ وَالدُّهُ = صَلَى عَلَيْهِ إِلَهِي مَا جَرِيَ الْقَلْمُ
 لَوْ يَعْلَمُ الرَّكْنُ مِنْ قَدْ جَاءَ يَلْثِمُهُ = لَخَرَّ يَلْثِمُهُ مِنْهُ مَا وَطَى الْقَدْمُ
 هَذَا عَلَيٌّ رَسُولُ اللهِ وَالدُّهُ = أَمْسَتْ بِسُورِ هَدَاهُ تَهْتَدِي الْأَمْ
 هَذَا الَّذِي عَمِّهُ الطَّيَارُ جَعْفُرُ وَالْمَقْ = تَوَلَّ حَمْزَةُ لِيَثْ حَجَّهُ قَسْمُ
 هَذَا ابْنُ سِيدَ النِّسَوَانِ فَاطِمَةُ = وَابْنُ الْوَصِيِّ الَّذِي فِي سِيفِهِ نَقْمُ
 إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشُ قَالَ قَاتِلُهَا = إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَتَهْتَهِي الْكِرْمُ
 يَكَادُ يُمْسِكُهُ عَرْفَانُ رَاحِتَهُ = رَكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
 وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرَهُ = الْعَرْبُ تَعْرَفُ مِنْ أَنْكَرَتِ الْعِجْمُ
 يَنْتَهِي إِلَى ذَرْوَةِ الْعَزِّ الَّتِي قَصَرَتْ = عَنْ نِيلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعِجْمُ
 يَغْضِي حَيَاءً وَيَغْضِي مِنْ مَهَابِتِهِ = فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْسِمُ
 يَسْجَبُ نُورُ الدَّجِيْجِ عَنْ نُورِ غَرَبَتِهِ = كَالشَّمْسِ يَسْجَبُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلْمُ
 بِكَفِهِ خَيْرَ زَانٍ رِبْحَهُ عَبِقٌ = مِنْ كَفَّ أَوْرَعَ فِي عَرْبِنِيهِ شَمْمُ
 مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِدِهِ = لَوْلَا التَّشْهِدُ كَانَ لَاءُهُ نَعْمُ
 مُشْتَقَّةً مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبَعَتْهُ = طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيمُ وَالشَّيْمُ
 حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فَدَحُوا = حَلُوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عَنْهُ نَعْمُ
 إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوِي جَمِيعُهُمُ = وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا زَانَهُ الْكِلْمُ
 هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ = بِجَهَدِهِ أَنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خَنْمُوا
 اللهُ فَضْلَهُ قِدْمًا وَشَرَفَهُ = جَرِي بِذَاكِ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلْمُ

من جَدَهُ دانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ = وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دانَتْ لَهُ الْأَمْمَةُ
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ وَانْقَشَعَتْ = عَنْهَا الْعَمَائِيَّةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلْمُ
 كُلُّتَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفَعُهُمَا = تَسْتُوْكَفَانَ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ
 سَهْلُ الْخَلِيلَةِ لَا تُخْشِي بِسُوادَرَهُ = يَزِينُهُ خَصْلَتَانِ الْحَلْمُ وَالْكَرْمُ
 لَا يَخْلُفُ الْوَعْدَ مِيمُونًا نَقِيبَتُهُ = رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيمُ حِينَ يَعْرَمُ
 مِنْ مَعْشِرِ حَبَّهُمْ دِينُ وَبَغْضُهُمُ = كُفَّرُ وَفَرِبُّهُمْ مَنْجِي وَمُعَنْصِمُ
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالْبَلْوَى بِحَبَّهُمُ = وَيُسْتَزَادُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالْعَمَّ
 مَقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرَهُمُ = فِي كُلِّ فَرْضٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الْكَلِمُ
 إِنْ عَدَ أَهْلُ الْتَّقْوَى كَانُوا أَنْتَهُمُ = أَوْ قَبْلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قَبْلَهُمْ
 لَا يَسْتَطِعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمُ = وَلَا يَدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُّمُوا
 هُمُ الْغَيْوَثُ إِذَا مَا أَزْمَتَهُمُ = وَالْأَسْدُ أَسْدُ الشَّرِّي وَالْبَاسُ مَهْتَدِمُ
 يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحْلَّ الذَّمُ سَاحَتِهِمُ = خَبِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدِيَ الْنَّدَى هُضْمٌ
 لَا يَقْبَضُ الْعَسْرُ بِسُطْرًا مِنْ أَكْفَاهُمُ = سَيَّانٌ ذَلِكَ إِنْ أَثْرَوُ وَإِنْ عَدْمُوا
 إِنَّ الْقَبَائِلَ لَيْسَ فِي رِقَابِهِمُ = لِأَوْلَيَّهُ هَذَا أَوْ لَهُ نَعْمَ
 مِنْ يَعْرُفُ اللَّهُ يَعْرُفُ أَوْلَيَّهُ ذَا = فَالْأَدِلَّةُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأَمْمَةُ
 يَبْوَأُهُمُ فِي قَرِيشٍ يُسْتَضَاءُ بِهَا = فِي النَّاثِبَاتِ وَعِنْدِ الْحَلْمِ إِنْ حَلَمُوا
 فَجَدَهُ مِنْ قَرِيشٍ فِي أَرْمَتِهَا = مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ بَعْدَهُ عَلَمٌ
 بَدَرَ لَهُ شَاهِدٌ وَالشَّعْبُ مِنْ أَحَدٍ = وَالْخَنْدَقَانُ وَيَوْمُ الْفَتْحِ قَدْ عَلَمُوا
 وَخَيْرٌ وَخَيْرٌ يَشْهَدُانَ لَهُ = وَفِي فُرِيْظَةِ يَوْمِ صَلَيْمٍ قَسَمُ
 مَوَاطِنٍ قَدْ عَلَتْ فِي كُلِّ نَاثِبٍ = عَلَى الصَّحَابَةِ لَمْ أَكْتُمْ كَمَا كَتَمُوا
 فَنُفِضَ هَشَامٌ وَمُنْعِ جَائزَتِهِ، وَقَالَ: أَلَا قَلْتَ فِينَا مُثْلِهَا؟ قَالَ: هَاتِ جَدًا كَجَدِهِ وَأَبَا

كأبيه وأمامه حتى أقول فيكم مثلها ! فحبسه بسفان بين مكة والمدينة ، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إليه باشئي عشر ألف درهم وقال: أعتذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به ، فردها وقال: يا ابن رسول الله ما قلت هذا الذي قلت إلا غضباً الله ولرسوله عليه السلام وما كنت لأرزاً عليه شيئاً ! فردها إليه وقال: بحقني عليك لئلا قبلتها فقد رأى الله مكانك وعلم نيتك فقبلها ، فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الجبس ، فكان مما هجاه به قوله:

أَيْحِبْسِنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْتَّسِيِّ = إِلَيْهَا قَلُوبُ النَّاسِ تَهْسُو مِنْبِهَا
يَقْلُبُ رَأْسَأَ لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ = وَعِنْهَا حَوْلَاءَ بَادِعَيْوَهَا
فَأَخْبَرَ هَشَامَ بِذَلِكَ فَأَطْلَقَهُ ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرِ الْعَلَافِ أَنَّهُ أَخْرَجَهُ إِلَى الْبَصَرَةِ).
والخراءج: ٢٧١، وفيه: (فردداها وقال: ما قلت ذلك إلا ديانة . فبعث بها إليه أيضاً وقال:
شكراً الله لك ذلك. فلما طال الجبس عليه وكان يوعده بالقتل! شكر إلى علي بن
الحسين عليه السلام فدعاه له فخلصه الله فجاء إليه وقال: يا بن رسول الله إنه معاً اسمى من
الديوان . فقال: كم كان عطاوك ؟ قال: كذا . فأعطاه لأربعين سنة وقال عليه السلام: لو
علمت أنك تحتاج إلى أكثر من هذا لأعطيتك . فمات الفرزدق بعد أن مضى أربعون
سنة) ! ونحوه الصراط المستقيم: ١٨١/٢

وابن خلكان: ٩٥/٦ ، وفيه: (وتنسب إليه مكرمة يرجى له بها الجنة ، وهي أنه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه ، نظاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثره الرخام... الخ.). وبنابع المودة: ٢٧٣، وفيه: (وأخرج أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء، والطبراني في الكبير، والحافظ السلفي وغير واحد من أهل السير والتاريخ... قال شيخ الحرمين أبو عبد الله القرطبي: لو لم يكن لأبي فراس عند الله عز وجل عمل إلا هذا دخل الجنة به لأنها كلمة حق عند سلطان جائز).

وشرح ديوان الحماسة: ٨٧٥/١٥٥ ، وثمرات الأوراق: ١٥٥، عن أبي الفرج ، وفيه: (فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنهى الناس كلهم إجلالاً له ، فاستلم الحجر وحده ، فنظاظ ذلك هشاماً ، وبلغ منه ! فقال رجل من أهل الشام: من هذا أصلح الله الأمير؟ قال لا أعرفه و كان عارفاً ولكن خاف من رغبة أهل الشام...). والأغاني: ٣٧٨/١٠ ، وفيه: (عن الشعبي قال: حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة ، وكان هشام

بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غمار الناس في الطواف فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرأة صينية تتراهى فيها عذارى الحي وجوهها؟ فقالوا هذا علي بن الحسين....). وتاريخ دمشق: ٤١٤١، وأورد منها ٢٦١ بيتاً. وكذا تهذيب الكمال: ٤٠٠٢٠، وفضل روايتها وتحميسها في أعيان الشيعة: ٦٣٤/١، و: ٣٧١/١، و: ٣٩٧/٨، ومستدر كاتب: ٣٠١٣٢.

إن مشهد روحانية الإمام علي^{عليه السلام} الذي رسمه الفرزدق بريشه، ما زال شاهداً على أن جماهير الأمة كانت تأجج حباً وعاطفة لأهل البيت^{عليهم السلام}، وأن قلوبها كانت معهم، وإن كانت سيفها مع الحكام! وقد اغتاظ هشام بن عبد الملك حسداً للإمام زين العابدين^{عليه السلام} ! ثم اغتاظ أتباعه من أن القصيدة سرَّتْ في الأمة كالنسيم في الهجير والستور في الظلمة ، وتناثلها الناس وأعجبوا بها وما زالوا إلى يومنا هذا ! لذلك قام الحساد الكاذبون بإسقاط ذكر هشام منها ، وقالوا إن الفرزدق رأى زين العابدين^{عليه السلام} فأنسد فيها! تاريخ دمشق: ٤٠١/٦١٠ ، ومجمع الزوائد: ٢٠٩/٩ ، عن الطبراني ، والمرتضى في أماله: ٤٨١ ، عن المرزباني ، لكن في أخبار شعراء الشيعة: ٦٤ ، فيه ذكر هشام .

وبعضهم أنكر الحادثة من أصلها ، وزعم أن الآيات لداود بن سلم أو لخالد بن يزيد في قشم بن العباس ! وأصل هذه الكذبة من الزبير بن بكار الزبيري ، وقد رد عليه ابن عبد البر في الاستيعاب ^{٩٣٥٠٥٢}، وطوعة: (وقال الزبير في الشعر الذي أوله: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته.. والبيت يعرفه والحل والحرم.. إنه قاله بعض شعراء المدينة في قشم بن العباس... وقد ذكرنا في بهجة المجالس... ولمن هو ، والاختلاف فيه ، ولا يصح أنه قشم بن العباس ، وذلك شعر آخر على عروضه وفاته وما قاله الزبير فغير صحيح). كما رد عليهم الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه الإمام الصادق ^{٢٢}. فقال: (لقد روت كتب التاريخ والسير والأدب هذه القصيدة منسوبة إلى الفرزدق الشاعر ، ولم يتشكك الرواة والمؤرخون في نسبتها إليه ، وأكثر كتب الأدب لم تز عجاجة شك حولها). انتهى. ومنعاد أنهم حوروا الحادثة والقصيدة حسداً ، ليجعلوها في بني الزبير أو بني العباس أو بني أمية ! وهذه عادتهم عندما تصلح فضائل أهل البيت ^{عليهم السلام} إلى الناس ولا يستطيعون إنكارها ! وهذا وقد استغرب ابن كثير في النهاية: ^{٢٢٦٨}، رواية الطبراني للأيات في مدح الإمام الحسين ^{عليه السلام} لأن الفرزدق التقى به ^{عليه السلام} وهو متوجه إلى كربلاء ولم يلت به في الحج . لكن قد يكون التقى بالحسين في سنة سابقة وقابل بعض آياتها فيه ، ثم أكملها في ولده زين العابدين ^{عليه السلام}.

٢- الإمام زين العابدين عليه قدس الأمة

روى أبو نعيم في حلية الأولياء، ١٣٩٣، وابن الجوزي في صفة الصفوة: ٩٨/٢: قصيدة الفرزدق المستقدمة في مدح الإمام زين العابدين عليه وقال بعدها: (عن صالح بن حسان قال: قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أورع من فلان ، قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا ، قال ما رأيت أحداً أورع منه ! وقال الزهري: لم أر هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ، وما رأيت أحداً كان أفقه منه . وعن طاوس قال: رأيت علي بن الحسين ساجداً في الحجر فقلت رجل صالح من أهل بيت طيب لأسمعن ما يقول ، فأصغيت إليه فسمعته يقول: عَبْدُكَ بِفَنَائِكَ ، مَسْكِينُكَ بِفَنَائِكَ ، سَائِلُكَ بِفَنَائِكَ ، فَقِيرُكَ بِفَنَائِكَ ! فو الله ما دعوت الله بها في كرب إلا كشف الله عنني !

وعن أبي جعفر قال: كان علي بن الحسين عليه يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ، وتهيج الريح فيسقط مغشياً عليه . وعن عبد الغفار بن القاسم قال: كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد فلقه رجل فسبه ، فثارت إليه العبيد والموالي ، فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الرجل ، ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعنيك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى عليه خميسة كانت عليه وأمر له بآلف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد أنك من أولاد الرسول). انتهى.

والنصوص عديدة في حب الأمة وتقديسها للإمام زين العابدين عليه ، وقد تقدم في المجلد الثالث، الفصل الرابع عشر، أن عبد الملك بن مروان والزهري وبعض النواصي الآخرين كالذهباني وابن حجر ، شهدوا بمعجزات الإمام زين

العابدين عليه السلام، وأنه كان يملك الإسم الأعظم !

قال ثابت الباني: (كنت حاجاً وجماعة عباد البصرة مثل أئوب السجستاني وصالح المري وعبدة الغلام وحبيب الفارسي ومالك بن دينار ، فلما أن دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً ، وقد اشتد بالناس العطش لقلة النيث ، ففرز إلينا أهل مكة والحجاج يسألوننا أن نستنقى لهم ، فأتينا الكعبة وطفنا بها ، ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها ، فمُنّعنا الإجابة !

في بينما نحن كذلك إذ نحن بفني قد أقبل وقد أكربه أحزانه وألققته أشجانه ، فطاف بالکعبه أشواطاً ثم أقبل علينا فقال: يا مالك بن دينار ، ويَا ثابت الباني ويَا صالح المري ، ويَا عبدة الغلام ، ويَا حبيب الفارسي ، ويَا سعد ، ويَا عمر ويَا صالح الأعمى ، ويَا رابعة ، ويَا سعدانة ، ويَا جعفر بن سليمان ! فقلنا: ليك وسعديك يا فتى . فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعا وعليه الإجابة ، فقال: أبعدوا عن الكعبة ، فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه ! ثم أتى الكعبة فخر ساجداً ، فسمعته يقول في سجوده: سيدي يحبك لي إلا سقيتهم الغيث ! قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم النيث كأفواه القرب ! فقلت: يا فتى من أين علمت أنه يحبك؟ قال: لو لم يحبني لم يسترني ، فلما استزارني علمت أنه يحبني فسألته بجهه لي فأجابني . ثم ولى عنا وأشار يقول:

من عرفَ الرَّبَ فلمْ تُغْنِ مَعْرِفَةَ الرَّبِ فذَاكَ الشَّفِي

ما خسرَ ذُو الطَّاعَةِ مَا نَالَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَا ذَاقَ

ما يَصْنَعُ الْعَبْدُ بِغَيْرِ التَّقْبِيِّ وَالْعَزَّ كُلُّ الْعَزَّ لِلْمُتَقْبِيِّ

فقلت يا أهل مكة من هذا الفتى؟ قالوا: علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب). (الإحتجاج: ٤/٨، والصحيفة السجادية: ٢/٨٠، ومستدرك الوسائل: ٦/٩٠).

٣- لماذا لم يستفد الإمام علي عليه السلام من شعبيته لإقامة الدولة الإسلامية؟

الناظر في الوضع السياسي للأمة الإسلامية بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام بقليل ، يرى أن يزيد بن معاوية هدم بسياسته الحمقاء كل ما بناه له أبوه ، وأثار عليه نقمة المسلمين وعلى أسرته ، بل مسح الأرض بسمعةبني أمية !

بعد قتله الإمام الحسين عليه السلام ارتكبَ مجزرة المدينة واستباحها ، ثم هاجم ابن الزبير في مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها ! وما لبث أن مات وهو سكران يلهمو فشراً به فرسه ولم يجدوا جثته ، أو انفجر دماغه من كثرة الخمر !

لذلك بُرِزَ نجم ابن الزبير وانتشرت البيعة له ، واستقى الخوارج ، وتحرك المسلمون في العراق لأخذ ثار الحسين عليه السلام من النظام الأموي .

في تلك المرحلة كانت الظروف مهيأةً بامتياز للإمام زين العابدين عليه السلام ليقود الثورة علىبني أمية للأخذ بثأر أبيه عليهما السلام ، وإنقاذ الأمة من الظلم والإضطهاد ، وإقامة خلافة علوية عادلة يرضى بها الجميع . لكنه لم يفعل !

بل كان من اليسير عليه بعد أن نجح المختار وإبراهيم بن الأشتر في تحرير العراق وإقامة دولة لأهل البيت عليهما السلام طالب بشارهم ، أن يذهب إلى الكوفة ويدير هذه الدولة ويتوسّعها ، ولكنه لم يفعل !

هنا يتحرّق البعض: لماذا لم يتوجه الإمام زين العابدين عليهما السلام لقيادة الجماهير ، أليس هو أشجع الناس؟ أليس بنو هاشم أشجع البشر؟! ولماذا رفض أن يتسلّم دولةً جاهزةً متحفزةً ، يطالبه بذلك قادتها؟!

ألا ي يجب عليه أن يأخذ بشار أبيه عليهما السلام من شاركوا في سفك دمه؟

ألا يجب عليه أن يقيم الدولة الإسلامية التي تطبق أحكام الإسلام؟

ألا يجب عليه أن ينهض لإنصاف المظلومين ، ووضع حدًّا لاستبعاد بنى أمية

للسالمين ، فيعيد اليهم حقوقهم المسلوبة ، وثرواتهم المنهوبة؟

فلمَّا لم يتحرك الإمام عليهما السلام وكذلك غيره من الأئمة عليهما السلام الذين كانت ظروفهم

مساعدة ، فينفدو الجماهير عمليًّا ويقيموا الدولة ، أو يقودوا الدولة الموجودة؟

لعل الإمام زين العابدين عليهما السلام أوضح مثل بين الأئمة عليهما السلام في سعة شعبيته

وضعف القوى المعادية له ، لذا كان أول ما يخطر في ذهنه وأنت تقرأ مكانته

وعربيته في الأمة: لماذا لم يستفدى منها لإقامة الدولة الإسلامية؟

كنا يوماً نتحدث مع السيد الشهيد الصدر رحمه الله عن وجوب العمل السياسي

لإقامة دولة إسلامية، وتقصير الفقهاء في بحث ذلك حسب خيالنا ، فقال الشهيد

محمد هادي السبتي: لو لم يكن العمل لإقامة دولة إسلامية واجباً شرعاً لعملت

لذلك ، فكيف أتحمل أن أرى هذا الواقع السياسي للأمة وسلط المستعمرين

عليها ، ولا أعمل لإنقاذهما؟ فرأيه بعدهم .

وفي بعض المصور ومنها عصرنا ، زاد التحفز للعمل السياسي والثورة ،

ومطالبة المراجع والعلماء أن ينزلوا إلى الشارع حتى صار من شروط المرجع

عند هؤلاء المتحفزين أن ينزل أمامهم إلى الشارع لمقاومة المستعمر أو النظام !

بل هم مستعدون لأن يضطهدوا المرجع إن كان غير مقتنع برأيهم ولم يفت

لهم على رغبتهم ، وكم اتهموا المراجع بالخوف والجبن ونحوه من الأئمَّة !

وهكذا صادر العوام المتحفزوون هذه المسألة الفقهية التخصصية ، فاجتهدوا

فيها وعملوا لفرض رأيهم على الفقهاء !

وهذه الظاهرة الجديدة قديمة في الواقع ! فهي المسألة التي سيَّرَتْ الإختلاف

والإنقسام في الأمة من صدر الإسلام إلى يومنا !
وبسببها تكونَ الخوارج ، لأنهم أرادوا قتال معاوية قبل التحكيم ، فلم يستجب لهم أمير المؤمنين عليه السلام لأنه وقع معه هدنة بضغط الخوارج أنفسهم !
وبسببها تكونَت حركة التوابين وحركة المختار ، وتكونَ المذهب الزيدى ،
وقامت حركة الحسبيين والعباسيين... الخ.

وبسببها انقسم الناس في عصرنا إلى حركات وأحزاب ، وتقليديين وثوريين
وموالين ومعارضين ، ووصفوا بعضهم بعضاً بالواعين وغير الواعين .

لكن رأي الإمام زين العابدين وبقية الأئمة عليهم السلام أخر ! فلا مهمة الإمام عليه السلام الأكثر أهمية هي السعي الى السلطة ! ولا تلك الشعبية في المستوى المطلوب . أما وجه موقفه وعمله عليه السلام فإن فهمناه فيها ، وإن لم نفهمه فلا عجب في ذلك ، لأننا نعتقد بعصر الإمام الريانية وتسديد الله تعالى لتصرفاته .

ونحن الى الان ما فهمنا ظاهر شخصية المعصوم عليهما السلام فضلاً عن عالمه الداخلي ، وكيف ينظر الى الأمور وكيف يفكر ويعمل ؟!

نعم إن الإمام يشترك معنا في التكاليف العامة ، لكن لا يصح أن تسقط عليه تكليفنا وواجبنا عليه ، أو ما نفهم أنه واجبنا !

ت تكون القضية بالنسبة اليها في عصر الغيبة من مسائل:

أولها، هل الدعوة الى الإسلام عملٌ تخصصي ، محصور بفئة خاصة من المسلمين ، أم مفتوحٌ لكل الناس ؟ وبتعبير آخر: هل أن إقامة الحكم الإسلامي فريضة على كل الناس ، أم واجبٌ وحقٌّ لفئة منهم ، دون غيرهم ؟
وثانيها، ما هو الفرق بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبين الدعوة إلى الله تعالى ؟ وما الفرق بين المخاطبين بهاتين الفريضتين ، وأحكامهما ؟

وثلاثها، هل أن وجوب جهاد المستعمر والجائز ، فريضة عامة مفتوحة لكل من تصدى لها ودعا الناس إليها ، فقيهاً كان أم غير فقيه ؟ بحجة أنها جهاد داعسي لا يحتاج إلى إذن أحد ؟ أم هو فريضة لا تصح ولا تجوز إلا بقيادة جامعة الشروط تأخذ شرعيتها من فقيه مرجع ، وتحتاج إلى رأي خبراء في السياسة والقتال عدول يقدرون إمكانية الجهاد الداعسي وفادته لأهل المنطقة ولعامة المسلمين ، ويقودونه ويحفظونه من الإنحراف والإضرار بالناس ، ومن استغلال الفئات المترسبة التي تصادر جهاد المسلمين وتحوله إلى مصلحتها ؟

ورابعها، من الذي يملك الشرعية في قيادة المسلمين من الحركات والزعamas فيكون المخالف له باغيًا يجب نفيه وقتاله ؟ وهل تتحقق الشرعية بالسبق بالعمل كقاعدة ((الوقف لمن سبق)) فيكون المنافس للحركة الأقدم باغيًا ؟ أم بتعيين المرجع الجامع للشروط ، أم بانتخاب الأمة ، أم بانتخاب أهل الحل والعقد ، أم بالغلبة وفرض الأمر الواقع ؟

وخامسها ، من هم أهل الحل والعقد ، ومن يعينهم ، وما هي صلاحياتهم ؟

وسادسها ، ما هي آلية النظام الإسلامي ، هل هو مجلس يعينه رئيس الحركة صاحبة الشرعية ، أو مجلس منتخب من المسلمين ، وحكومة معينة منه .. الخ.

إنها مسائل مهمة وخطيرة ، لم تتفق بشأنها ثانات الأمة فيما مضى ولا اليوم ، ولا ت يريد أن تستفق ! بل لا يريد أكثرهم البحث فيها ، لأنها تكشف عدم شرعية عمله أو حركته أو حزبه ، وهو يريد أن يتصدى للعمل ويدعى الشرعية !

اللهم إلا قلة قليلة يهتمون بالفقه والفكر ، وبغيرها ذمتهم عند ربهم في عملهم للإسلام وبذل جهدهم ودمهم في سبيل الله تعالى ، فهؤلاء فقط يهتمون ببحث شرعية العمل الإسلامي ، ويلتزموه بنتيجتها !

٤- أهداف المعصومين عليةماهُ عالیة وبعيدة النظر

أما بالنسبة إلى المعصومين ، النبي ﷺ والأئمة عليةماهُ عالیة ، فالأمر فيهم يختلف ، لأنهم يعملون بفقه أعمق ، وحسب خريطة ربانية ، وبرنامجهم يتفق مع أحكام الشريعة كما نفهمها نحن ، لكنه أحياناً يختلف عما نفهم !

في عمل النبي ﷺ والمعصوم عليةماهُ عالیة لا بد أن نعرف مقاصد الله تعالى وخطته لمستقبل الإسلام والبشرية ، وقد قال تعالى: أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، فعلم الله رسوله ﷺ تكوين الأمة شبيهاً بإنشاء سفينة ، وإطلاقها في بحر شعوب العالم ومجرى التاريخ .

وقد أمره ربه أن يبلغ الناس أن ریان هذه السفينة بعده هم أهل بيته عليةماهُ عالیة الذين اصطفاهم ربهم وظهرهم وأورثهم الكتاب ، لكن إن لم يقبلو بهم فلا يجبرهم ، فليكن الربان من يكون حتى يبلغ الله أمره ، ويبعث للناس مهديه الموعود عليةماهُ عالیة ! إن المعصوم عليةماهُ عالیة يفهم وجه الحكم بأوسع وأعمق مما نفهمه نحن ، فكيف يصح أن نحكم على عمله وهدفه بفهمنا الناقص؟! مع أن عمله موجه من ربه ، فهو من نوع عمل صاحب مشروعه عز وجل ، وهو عمل بلغ أقصى درجات الإعجاز والإتقان كما نرى في هذا الكون الواسع !

فإذا كان من الغباء أن نُبسط عمل الله في الطبيعة ونسطح فيزياء وقوانينه ، فمن الغباء الأكبر أن نسطح أعمال الأنبياء والأئمة عليةماهُ عالیة ، وهو بقوانين أعمق من قوانين الطبيعة بكثير ، وإن لم نفهمها بعد !

مثلاً: في الثلاث عشرة سنة التي قضها النبي ﷺ في مكة ، مررت عليه فرصة ذهبية ، كان بإمكانه فيها أن يقاتل المشركين ويرفع الظلم عنه وعن المؤمنين ،

أو يقتل بعض الجبارية الطغاة ! لكنه لم يفعل ، بل رفض ذلك ! فما السبب ؟
 السبب أن الخطة الربانية للنبي ﷺ أعلى من فهمنا ، وأنها لا تخضع لتحميس
 المتخمسين ولا لتشبيط المثبطين ! وقد كشف لنا الله تعالى أولئك الذين كانوا
 ينتمون للقتال في مكة فيهم (قوم) منافقون ! فعندما دعاهم النبي ﷺ إلى
 مواجهة قريش في بدر نكسوا فنزل فيهم قوله تعالى: أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ قُيلَ لَهُمْ
 كُفُوا أَيْدِيهِمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتَالَ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
 يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخْشَيْةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبُّنَا لَمْ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقَتَالَ لَوْلَا
 أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْلِمُونَ
 فَتِسْلَامًا . (السا: ٧٧). قال الطبرى في تفسيره: (نزلت في قوم من أصحاب
 رسول الله (ص) كانوا قد آمنوا به وصدقواه قبل أن يفرض عليهم الجهاد... فلما
 فرض عليهم القتال شق عليهم) !

وفي برهان الزركشي: ٤٢٢/١: (فَمَا هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ حَدِيثًا ! هذه
 الإشارة للفريق الذين نافقو من القوم الَّذِينَ قُيلَ لَهُمْ كُفُوا أَيْدِيهِمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ).
 وفي أسباب النزول لابن حجر: ٩١٨/٢: (وقال مقاتل بن سليمان: نزلت في عبد
 الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وهم من بني زهرة ، وقدامة بن
 مظعون ، والمقداد بن الأسود ، وذلك أنهم استأذنوا في قتال كفار مكة لما
 يلقون منهم من الأذى فقال: لم أؤمر بالقتال ، فلما هاجر إلى المدينة وأذن
 بالقتال ، كره بعضهم ذلك) .

وفي تفسير الرازى: ١٠/١٨: (هذه الآية صفة للمؤمنين أو المنافقين ؟ فيه قولان:
 الأول ، أن الآية نزلت في المؤمنين ، قال الكلبى: نزلت في عبد الرحمن بن
 عوف والمقداد وقدامة بن مظعون وسعد بن أبي وقاص ، كانوا مع النبي (ص)

قبل أن يهاجروا إلى المدينة ، ويلقون من المشركين أذى شديداً فيشكون ذلك إلى رسول الله (ص) ويقولون: إنذن لنا في قتالهم ، ويقول لهم رسول الله(ص): كُفُوا أَيْدِيكُمْ فَإِنِّي لَمْ أُؤْمِرْ بِقَتَالِهِمْ ، وَاشْتَغِلُو بِإِقَامَةِ دِينِكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَمْرَأُوا بِقَتَالِهِمْ فِي وَقْعَةِ بَدرٍ كَرِهُهُ بَعْضُهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ... الثَّانِي: أَنَّ الْآيَةَ نَازَلَتْ فِي حَقِّ الْمُنَافِقِينَ ، وَاحْتَجَ الظَّاهِبُونَ إِلَى هَذَا القُولَ بِأَنَّ الْآيَةَ مُشَتمَّلَةَ عَلَى أُمُورٍ تَدَلُّ عَلَى أَنَّهَا مُخْتَصَّةُ الْمُنَافِقِينَ... وَالْأُولَى حَمَلَ الْآيَةَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ، لَأَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَهُ: وَإِنْ تُصَبِّهُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ . (السـٰمـٰء: ٧٨).
وَلَا شَكَ أَنَّ مِنْ هَذَا كَلَامَ الْمُنَافِقِينَ... فَالْمَعْطُوفُ فِي الْمُنَافِقِينَ وَجْبٌ أَنْ يَكُونَ الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِمْ فِيهِمْ أَيْضًا). انتهى.

وقد روى الحاكم: ٦٦٧٢، تفسيرها بابن عوف وأصحاب له ، وصححه على شرط بخاري . وكذا النسائي: ٣٧٦، والبيهقي: ١١٩.

أقول: عندما فاتت المسلمين قافلة أبي سفيان التجارية ، وبلغ النبي ﷺ أن قريشاً جاءت لحربه ، استشار أصحابه هل يواصل الطريق لمواجهة قريش؟ فأشار عدد منهم بالرجوع لأن قريشاً بزعيمهم ماذلت منذ عزّت ! ولم يكن المقداد رضي الله عنه من هؤلاء ، فقد نقل بخاري قوله للنبي ﷺ: (يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدين ، ولكن امض ونحن معك ! فكانه سرّي عن رسول الله). (بخاري: ١٨٧٥).

ومعناه أن النبي ﷺ كان غاضباً من غيره ، وهم المنافقون أهل آية: كُفُوا أَيْدِيكُمْ !

○ ○

شاهدنا من ذلك أن النبي ﷺ يعمل بخطبة ربه فيأمر بكف اليد في موضعه ولا يخضع للمتحفزين ، ويأمر بالقتال في موضعه ولا يخضع للمثبطين ، وكذا

أوصياؤه الأئمة المعصومون عليهما السلام، ولذلك طبق الأئمة عليه على أصحابهم
فقالوا إن أصحاب الحسن عليهما السلام قيل لهم كُفُوا أَيْدِيكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وأصحاب
الحسين عليهما السلام كتب عليهم القتال . (الأصول السنة عشر/١٢٢، والكافـي: ٣٣٠/٨) وطبقها الإمام
الصادق عليهما السلام على الشيعة في عصره . (الكافـي: ٢٨٩/٨).

وقد تقدم جواب الإمام زين العابدين عليه السلام من أشكالـا عليهـاـ كـيفـ أـغـنـىـ
شـخـصـاـ عـنـدـمـاـ أـرـشـدـهـ فـاشـتـرـىـ سـمـكـتـيـنـ فـيـ جـوـفـهـمـ لـوـلـؤـتـانـ ، وـلـمـ يـعـنـ نـفـسـهـ؟ـ!
فـقـالـ عـلـيـهـ (جـهـلـهـ اـللـهـ أـمـرـهـ وـأـمـرـ أـولـيـاهـ مـعـهـ ، إـنـ الـمـرـاتـبـ الـرـفـيـعـةـ لـاـتـنـالـ إـلـاـ
بـالـتـسـلـيمـ لـهـ جـلـ ثـنـائـهـ وـتـرـكـ الـإـقـرـاطـاحـ عـلـيـهـ وـالـرـضـاـ بـمـاـ يـدـبـرـهـ بـهـ ، إـنـ أـولـيـاءـ اـللـهـ عـزـ
صـبـرـوـ عـلـىـ الـمـحـنـ وـالـمـكـارـهـ صـبـرـاـ لـمـاـ يـسـاـوـهـ فـيـهـ غـيرـهـ ، فـجـازـاـهـ اـللـهـ عـزـ
وـجـلـ عـنـ ذـلـكـ بـأـنـ أـوـجـبـ لـهـ نـجـحـ جـمـيعـ طـلـبـاتـهـ ، لـكـنـهـ مـعـ ذـلـكـ لـاـ يـرـيدـونـ
مـنـهـ إـلـاـ مـاـ يـرـيدـهـ لـهـمـ). (أـمـالـيـ الصـدـوقـ ٥٣٩).

لاحظ قوله عليهما السلام: (لا يريدون منه إلا ما يريد لهـمـ) الذي يدل على أن الله عز
وجل يبلغـهمـ ما يـدـبـرـهـ بـهـ وـمـاـ يـرـيدـهـ مـنـهـ!ـ وـقـدـ أـرـادـ اـللـهـ تـعـالـىـ مـنـهـ عـلـيـهـ أـنـ
يـغـنـيـ ذـلـكـ الـمـؤـمـنـ فـقـعـلـ ، وـلـمـ يـرـدـ مـنـهـ أـنـ يـغـنـيـ نـفـسـهـ فـلـمـ يـفـعـلـ!ـ وـكـذـلـكـ لـمـ
يـرـدـ مـنـهـ أـنـ يـقـومـ بـثـورـةـ عـلـىـ بـنـيـ أـمـيـةـ ، وـلـاـ أـنـ يـدـيرـ دـوـلـةـ الـثـائـرـينـ الـمـطـالـبـيـنـ بـثـارـ
الـحسـينـ عـلـيـهـ ، فـلـمـ يـفـعـلـ!

أما كيف يبلغ الله الإمام المعصوم عليهما السلام ما يـدـبـرـهـ بـهـ وـيـرـيدـهـ مـنـهـ ، فـمـاـ أـوـسـعـ
الـطـرـقـ عـلـيـهـ تـعـالـىـ ، وـلـهـ جـنـوـدـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـكـانـ اللهـ عـزـيزـاـ حـكـيـماـ.



ومثال آخر: يرى بعضـهمـ أـنـ الـإـمـامـ الـحـسـينـ عـلـيـهـ بـصـلـحـهـ مـعـ مـعـاوـيـةـ وـتـنـازـلـهـ عـنـ
الـسـلـطـةـ ، خـضـعـ لـبـنـيـ أـمـيـةـ ، وـأـذـلـ الـمـؤـمـنـينـ وـعـرـضـهـمـ لـلـإـبـادـةـ!

بينما صرَّحَ عَلَيْهِ أَنَّهُ بِقِبَلَةِ الصلحِ أَبْقَى عَلَى الشِّعْبَةِ كَطَائِفَةً فِي الْأُمَّةِ وَأَنْقَذَهُمْ مِنْ إِبَادَةِ مَحْفَقَةٍ ! (قال ثقيف البكاء: رأيت الحسن بن علي عَلَيْهِ اتَّخِذَ عِنْدَ مُنْصَرِفَهُ مِنْ مَعَاوِيَةَ وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ حَجْرَ بْنَ عَدَى فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَذْلُومَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ: مَا كُنْتَ مَذْلُومَهُ ، بَلْ أَنَا مَعْزُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّمَا أَرْدَتَ الْبَقِيَا عَلَيْهِمْ . ثُمَّ ضَرَبَ بِرِجْلِهِ فِي فَسَاطَتِهِ فَأَرَانَا فِي ظَهَرِ الْكُوفَةِ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دَمْشِقَ ، وَمَضَى حَتَّى رَأَيْنَا عُمَرَ بْنَ الْعَاصِ بِمَصْرَ وَمَعَاوِيَةَ بِدَمْشِقَ ، فَقَالَ: لَوْ شَتَّتَ لِزَعْتَهُمَا وَلَكُنْ هَاهُ هَاهُ ! مَضَى مُحَمَّدًا عَلَى مَنْهَاجٍ وَعَلَيْهِ عَلَى مَنْهَاجٍ ، وَأَنَا أَخَالِفَهُمَا ! لَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنِّي) . (الدر النظيم لابن أبي حاتم العاملبي / ٥٠٢) .

وفي ذخائر العقبى / ١٣٩: لم أذل المؤمنين ولكن كرهت أن أقتلهم في طلب الملك . وفي البحار / ٢٨٧/٧٥: ما أنا بمذل المؤمنين ولكنني معز المؤمنين ، إني لما رأيتمكم ليس بكم عليهم قوة سلمت الأمر لأبقي أنا وأنتم بين أظهرهم كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها .

وفي الأخبار الطوال / ٢١: لست مذل المؤمنين ، ولكنني معزهم ، ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب ونكولهم عن القتال .

وفي مستدرك الحاكم / ١٧٥/٣: لم أذل المؤمنين ولكنني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك . ومصنف ابن أبي شيبة / ٦٣١/٨، والإستيعاب / ٣٨٧/١، ونحوه تاريخ بغداد: ٣٠٥/١٠ . وفي: رجال الكشي / ٣٢٧/١: قال: (سمعت أبي يقول قال رسول الله عَلَيْهِ اتَّهَى لَنْ تَذَهَّبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَلِي أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ وَاسِعُ الْبَلْعُومِ رَحِبُ الصَّدْرِ يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَهُوَ مَعَاوِيَةً فَلَذِلِكَ فَعَلَتْ) . انتهى .

فالإمام الحسن كأبيه وأخيه وابن أخيه زين العابدين عَلَيْهِ اتَّهَى ، يستطيعون بطريق

المعجزة أن يقضوا على خصومهم ، لكن منها جهم جميعاً أنهم: (لَا يریدون منه عز وجل إِلَّا مَا يریده لَهُمْ) وقد أراد الله من الإمام الحسن عليه السلام أن يرى هؤلاء المعترضين نموذج قدرته على المعجزة فقط ، ولم يرد منه أن يستعملها ، وقد أراد منه عندما كان طفلاً أن يدعو الطير فتجبيه وأمر الطير أن تظلله ! قال أبو سعيد الخدري عليه السلام: (رأيت الحسن بن علي عليهما السلام وهو طفل والطير تظلله ، ورأيته يدعو الطير فتجبيه). (دلائل الإمام للطبراني الشيعي ١٦٧، ونواذر المعجزات ١٠٠، والدر النظيم ٥٠٢).

○ ○ ○

ومثال آخر: أن الإمام الصادق عليه السلام صرّح بأنه من أجل الإبقاء على الشيعة كطائفة في مجرى حياة الأمة ، تعمد أن يوقع الإختلاف بينهم ليكونوا فتنين فلا يشتملهم غضب السلطة وخطر الإبادة ! قال في جواهر الكلام: (و يومي إليه قوله عليه السلام: أنا أوقعت الإختلاف بينكم كي لا تعرفوا فتؤخذوا). والفوائد الحازمية ٣٥٦.

كما وجه عليه السلام الشيعة في بعض المناطق أن يصلوا الظهر والعصر في وقتين مختلفين عمداً ، ليكون بينهم اختلاف ، فلا يكتشفهم أعداؤهم فيأخذوهم !

في الكافي: (سأله إنسانٌ وأنا حاضر فقال: ربما دخلت المسجد وبعض أصحابنا يصلون العصر وبعضهم يصلون الظهر ! فقال: أنا أمرتهم بهذا ! لو صلوا على وقت واحد عرفوا فأخذ برقابهم). والإستبصار: (٢٥٧/١)، والوسائل: (٤/١٣٧).

○ ○ ○

إن ما تقدم هو ما يمكن للنبي عليه السلام والإمام عليه السلام قوله للناس لرفع مستوى وعيهم لكنهم كما نصّت أحاديث صحيحة لا يستطيعون أن يقولوا لهم كل شيء !

قال الإمام الرضا عليه السلام: (لا يقدر العالم أن يخبر بما يعلم فإنه سر الله أسره إلى جبرائيل، وأسره جبرائيل إلى محمد عليهما السلام وأسره محمد عليه السلام إلى من شاء الله). (بصائر الدرر ٣٩٨). وفي الكافي: (٢٥٧/١)، سأله رجل: أتعلمون الغيب؟ فقال: قال أبو

جعفر عليه السلام: يُبَسِّطُ لَنَا الْعِلْمَ فَنَعْلَمُ وَيَقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَمُ ، وقال: سُرُّ الله عز وجل أسرة إلى جبرئيل عليه السلام وأسره جبرئيل إلى محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وأسره محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى من شاء الله .) . ونحوه في تحف العقول . ٣١٠ /

فواجينا أن نتلقى منهم عليهم السلام لا أن نفرض عليهم تحفتنا وتخوفنا ومعادلاتنا ! أو نؤرخ لهم كأنهم مثلكم أصحاب حزب ، هدفهم الوصول الى الحكم ! إنهم مشروع رباني ومنظومة يديرها الحكيم الخبير عز وجل ، بعلمه وحكمته المطلقيين ! والجانب الذاتي فيهم موجود ، لكن الأمور التي يسمع المعصوم لنفسه أن يجتهد فيها جزء قليل من مساحة عمله الواسع الكبير !

أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَلَا رَأَيَ فِي الدِّينِ، إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مِّنَ الرَّبِّ وَنَهَى). (الاحتجاج: ٢٩٠/١) ، وهذا بعد لقاعدة: لا يقاس بمحمد وآل محمد أحد !

٥- هل أجاز الإمام الصادق عليه السلام ثورة زيد رضي الله عنه

أجمع علماؤنا على مدح زيد بن علي عليهما السلام . قال المفید فی الإرشاد: (١٧١/٢):
وكان زید بن علی بن الحسین عین إخوته بعد أبي جعفر عليهما السلام وأفضلهم ، وكان
عادباً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً ، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر ، ويطلب بثارات الحسین عليهما السلام).

وأورد السيد الخوئي فی معجم رجال الحديث: (٣٦٠/٨)، روایات مدحه، وقال:
(وإن استفاضة الروایات أغتننا عن النظر في إسنادها.. ثم قال: (بقي الكلام في
الروایات التي تدل على عدم رضا الصادق عليه السلام بخروج زید ، أو على منفعة فيه
وهي ما يلي...) ثم أورد تسعة روایات ، وردّها سندًا ، أو دلالة .

والمسألة المهمة هنا: هل أجاز الإمام الصادق عليه السلام زید أن يثور على بنی
آمية ، أم تصرف زید من عند نفسه ، وتضامن معه الإمام عليه السلام ومدحه وترحم عليه
لأنه اجتهد وخرج على حاكم جائز ، ولم يدع الى نفسه ، ولو ظفر لوقته وسلم
الأمر الى أهله ، على حد تعبير الإمام الصادق عليه السلام؟!

وقد رويت روایات عديدة عن الإمام زین العابدین عليه السلام أنه أعد ولده زید رضي الله عنه
للثورة ، وكذلك عن الإمام الباقر عليهما السلام والصادق عليهما السلام ، لكن لا يوجد في مصادرنا
رواية صحيحة صريحة في إجازتهم لزيد رضي الله عنه ، وغاية ما يمكن الإستدلال به
رواية عيون أخبار الرضا عليهما السلام: (عن أبي عبدون قال: لما حمل زید بن
موسى بن جعفر إلى المأمون، وقد كان خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العباس،
وهب المأمون جرم لأبيه علي بن موسى الرضا عليهما السلام وقال له: يا أبا الحسن لئن

خرج أخوك وفعل ما فعل ، لقد خرج قبله زيد بن علي فُقتل ، ولو لا مكانك مني لقتلته ، فليس ما أتاه بصغرير ! فقال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين لا تنس أخى زيداً إلى زيد بن علي ، فإنه كان من علماء آل محمد ، غصب الله عز وجل فجاهد أعداء حتى قتل في سبيله ، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليهما السلام أنه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي عليهما السلام يقول: رحم الله عمى زيداً إنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصطوب بالكتامة فشأنك ! فلما ولى قال جعفر بن محمد عليهما السلام: ويل من سمع واعيته فلم يعجبه ! فقال المأمون: يا أبو الحسن أليس قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغیر حقها ما جاء ؟ فقال الرضا عليه السلام: إن زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق ، وإنه كان أتقى الله من ذلك ! إنه قال: أدعوك إلى الرضا من آل محمد عليهما السلام، وإنما جاء ما جاء فيمن يدعى أن الله تعالى نص عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ، ويضل عن سبيله بغیر علم . وكان زيد والله من خوطب بهذه الآية: وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو أجنباً كمْ . انتهى.

فقول الإمام الصادق عليهما السلام: (ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصطوب بالكتامة فشأنك ! فلما ولى قال جعفر بن محمد عليهما السلام: ويل من سمع واعيته فلم يعجبه). يدل على أن الإمام عليهما السلام أجازه لكنه أخبره بأن ثورته ستفشل ويقتل ويصلب ، وقد رضي زيد عليه السلام بهذه التضحية .
بل يدل قوله عليهما السلام: (وويل لمن سمع واعيته فلم يعجبه) على وجوب نصرته على من سمع بخروجه ، أو كان قريباً من الكوفة وأمكنه نصره !
ويؤكّد ذلك قول الإمام الرضا عليه السلام: (وكان زيد والله من خوطب بهذه الآية:

وَجَاهُهُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ)، فقد طبق الإمام عليهما السلام الجهاد على خروج زيد^{رض}، وهو يدل على وجوبه عليه وهو أكثر من الإجازة . لكن في الرواية مناقشة في دلالتها وسندتها ، كما أن غيرها مما يصلح للإسناد لا يخلو من مناقشة في سنته أو دلالته .

وظاهر كلام السيد الخوئي^ر المتقدم أنه استفاد من الروايات أن الإمام الصادق عليه السلام قد أجازه زيد^{رض} بالخروج ، لكن الشهيد الأول^ر صرخ به فقال في التواعد والقواعد: (لو أدى الإنكار إلى قتل المنكر حرم ارتكابه لما سلف . وجوازه كثير من العامة لقوله تعالى: وَكَائِنٌ مِّنْ نَبِيٍّ فَاتَّلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ مُدْحَمُهُمْ بِأَنَّهُمْ قُتِلُوا بِسَبِّ الْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ . وهذا مسلم إذا كان على وجه الجهاد . قالوا: قتل يحيى بن زكريا^{رض} لنهيه عن تزويج الريبيه . قلنا: وظيفة الأنبياء غير وظائفنا . قالوا: قال رسول الله^ص أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، وفي هذا تعريض لنفسه بالقتل ولم يفرق بين الكلمات أهي نص في الأصول أو الفروع ، من الكبائر أو الصغائر . قلنا: محمول على الإمام أو نائبه أو بإذنه ، أو على من لا يظن القتل . قالوا: خرج مع ابن الأشعث جمع عظيم من التابعين في قتال الحجاج لإزالة ظلمه وظلم الخليفة (ابن) عبد الملك ، ولم ينكروا ذلك عليهم أحد من العلماء . قلنا: لم يكونوا كل الأمة ولا علمنا أنهم ظنوا القتل ، بل جوزوا التأثير ورفع المنكر ، أو جاز أن يكون خروجهم بإذن إمام واجب الطاعة ، كخروج زيد بن علي ، وغيره من بنى علي^{رض}) . ونجد التواعد للمقداد السوري^ر ٢٦٨

وهذا نص في أن الأئمة^ع أجازوا ثورة زيد وغيره ، والظاهر أنه يقصد بغierre الحسين صاحب فتح^{رض} ، وهو الحسين بن علي بن الحسن عليهما السلام ، وقد

ثار على موسى بن المهدى العباسى ، وورد فيه مدح عن الأئمة عليهم السلام.

أقول: الأصل في المسألة عند الشك في إجازة المعصوم بعمل ، هو العدم فلا يجوز نسبته اليه حتى ثبت ، يضاف اليه أنه ثبت بالأحاديث الصحيحة أن الخط العام العملى للأئمة عليهم السلام هو عدم الإجازة . كما تدل عليه صححية العicus بن

القاسم الشمشورة في رسالة الإمام الصادق عليه السلام لشيعته ونصها:

(عليكم بستقى الله وحده لاشريك له ، وانظروا لأنفسكم ، فواهـ إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي فإذا وجد رجلاً هو أعلم بعنهـ من الذي هو فيهاـ يخرجهـ ويجيئ بذلكـ الرجلـ الذي هو أعلم بعنهـ من الذيـ كانـ فيهاـ !
واهـ لو كانت لأحدكم نفسـان يقاتـلـ بواحدـةـ يجـربـ بهاـ ، ثمـ كانتـ الأخرىـ باقـيةـ ، فـعـملـ عـلـىـ ماـ قـدـ اـسـتـبـانـ لهاـ !ـ وـلـكـنـ لـهـ نفسـ وـاحـدةـ إـذـاـ ذـهـبـتـ فـقـدـ وـاهـ ذـهـبـتـ التـوـبـةـ !ـ فـأـنـتـمـ أـحـقـ أـنـ تـخـتـارـواـ لـأـنـفـسـكـمـ !ـ

إنـ أـتـاـكـمـ آـتـاـنـاـ فـانـظـرـواـ عـلـىـ أـيـ شـئـ تـخـرـجـونـ وـلـاـ تـقـولـواـ خـرـجـ زـيدـ ،ـ فـإـنـ زـيدـاـ كـانـ عـالـمـاـ وـكـانـ صـدـوقـاـ وـلـمـ يـدـعـكـمـ إـلـىـ نـفـسـهـ إـنـمـاـ دـعـاـكـمـ إـلـىـ الرـضاـ منـ آـلـ مـحـمـدـ عليـهـ السـلامـ ،ـ وـلـوـ ظـهـرـ لـوـفـىـ بـمـاـ دـعـاـكـمـ إـلـىـ .ـ إـنـمـاـ خـرـجـ إـلـىـ سـلـطـانـ مجـتمـعـ لـيـنـقـضـهـ !ـ فـالـخـارـجـ مـنـاـ الـيـوـمـ إـلـىـ أـيـ شـئـ يـدـعـوـكـمـ ؟ـ إـلـىـ الرـضاـ مـنـ آـلـ مـحـمـدـ؟ـ فـنـحـنـ نـشـهـدـكـمـ أـنـاـ لـسـنـاـ نـرـضـىـ بـهـ !ـ وـهـوـ يـعـصـيـنـاـ الـيـوـمـ وـلـيـسـ مـعـهـ أـحـدـ وـهـوـ إـذـاـ كـانـ الـرـايـاتـ وـالـأـلـوـيـةـ أـجـدـرـ أـنـ لاـ يـسـمـعـ مـنـاـ .ـ إـلـاـ مـعـ مـنـ اـجـتـمـعـ بـنـوـ فـاطـمـةـ مـعـ فـوـاهـ مـاـ صـاحـبـكـمـ إـلـاـ مـنـ اـجـتـمـعـوـاـ عـلـىـ إـذـاـ كـانـ رـجـبـ فـأـقـبـلـواـ عـلـىـ اـسـمـ اللهـ عـزـ وـجـلـ ،ـ وـإـنـ أـحـبـيـتـ أـنـ تـأـخـرـواـ إـلـىـ شـعـبـانـ فـلـاـ ضـيرـ ،ـ وـإـنـ أـحـبـيـتـ أـنـ تـصـوـمـواـ فـيـ أـهـالـيـكـ فـلـلـعـلـ ذـلـكـ أـنـ يـكـونـ أـقـوىـ لـكـمـ ،ـ وـكـفـاـكـمـ بـالـسـفـيـانـيـ عـلـامـةـ)ـ(ـالـكـافـيـ ٢٦٣ـ/ـ٨ـ).

وـقـدـ كـنـتـ أـمـيلـ إـلـىـ قـوـلـ الشـهـيدـ الـأـوـلـ قـالـعليـهـ السـلامـ وـظـاهـرـ قـوـلـ السـيـدـ الخـوـيـ فـلـذـكـرـ فـيـ

دلالة تلك الروايات على إجازة الإمام الصادق عليه السلام لزيد بن أبيه ، لكنني وجدتها قابلة للنقاش في دلالتها وصلاحيتها لرفع اليد عن الأصل ونسبة ذلك إلى الإمام عليه السلام.

وأيًّا كان ، فعلى تقدير إجازة الأئمَّة عليهما السلام لثورة زيد بن أبيه وثورة الحسين بن علي صاحب فتح المسجد النبوي فقد كانت إجازة محدودة لتحقيق هدف عَبَّرَ عنه الإمام الصادق عليهما السلام بقوله: (إِنَّمَا خَرَجَ إِلَى سُلْطَانِ مَجَمِعِ لِيَقْضِيهِ) أي ليفتح باب الثورة على الأميين بعد أن شددوا قبضتهم على الأئمَّة ، فلم تشهد البلاد ثورة من بعد ثورة المختار قبل أكثر من خمسين سنة ! فزيادة على فتح الباب لكل الثورات التي جاءت بعده ومنها ثورة العباسين التي نجحت بعد ثورته ببضع عشرة سنة .

وبذلك افتتح الباب لشباب الشيعة المتحفزين للثورة ، وكانوا شريحة واسعة يصعب عليهم أن يصبروا ويحبسوا أنفسهم على برنامج المعصوم عليه السلام وقد وجد هؤلاء في أولاد زيد بن أبيه منفذًا للثورة ، ونشأت بهم الحركة الزيدية والمذهب الزيدى ، الذي تبني في فقهه أن من شروط الإمام أن يقوم بالسيف وبثور على الظالمين ويعمل لتسليم السلطة .

وعلى القول بإجازة ثورة زيد بن أبيه يكون ذلك استثناءً من خط الأئمَّة عليهما السلام ، لغرض تحقيق أهداف في تلك المرحلة التأسيسية من حياة الأئمَّة . فقد جاءت ثورة زيد بن أبيه في سنة ١٢٠ هجرية ، بعد أمجاد أبيه زين العابدين وأخيه الباقر عليهما السلام ، وفي إمامته عمه الإمام الصادق عليهما السلام . وبعد أن سيطر عبد الملك بن مروان على الدولة الإسلامية ، وانتصر على ثورة التوابين والمعتخار في العراق ، وعلى ابن الزبير في العراق والمحاجز ، وورَّثَ الدولة لأولاده ، فأعادوا بسط الظلم الأموي بأشد من زمن معاوية ، وبدأت بوادر حركات الحسينيين والعباسيين .. في مثل هذا الجو أجاز الأئمَّة عليهما السلام لزيد أن يثور ، ثم لم يجيزوا لأحد من بعده إلا

٢١٦..... للحسين صاحب فخر للله إن صع ذلك ! بل كانوا يشددون على المتحفزين من شباب الشيعة أن لا يكونوا حمقى ، وينهونهم أن ينضموا الى الأحزاب السياسية التي تعمل بحجة الخروج على الحاكم الجائر .
هذا ، ولا يتسع المجال لبسط القول في هذه المسألة الفقهية التاريخية .



الفصل السابع:

الإمام علية السلام يواجه خطط التحرير الأموي

١- حيوية يحيى عليه السلام وحياة أهل البيت عليهما السلام

يتضمن هذا الفصل نوعين من نشاط الإمام علي عليه السلام: مواجهته للتحرير الأموي للإسلام ، وبناؤه الإسلام الصحيح . وتعجب وأنت تقرأ سيرته عليه السلام كيف جمع بين هذه الأنشطة الكثيرة ، وهو العابد المتأله ، المستغرق مع ربه !؟

لقد وهب الله لنبيه زكريا ولده (يحييا) عليهما السلام وقال له: يا زَكَرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغَلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ سَمِيًّا ، أي أكثر الناس حيوة الى زمانه ، فكان حيوى العقل والشعور في إيمانه ومعايشه لربه وخشيته منه ، وكان يُخشى عليه إذا سمع أباء يذكّر الناس ويخوّفهم بالعذاب والنار .

أما زين العابدين وأئمة العترة الطاهرة عليهما السلام فحياتهم أرقى من حيوة يحيى وأشمل ، فإن قوله تعالى (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ سَمِيًّا) يدل على أنه لم يوجد قبله بهذه الحيوة لكنه سيكون بعده ! وليس هؤلاء الموعودين بعده إلا محمداً وألله الحمد ! وقد أقسم جابر بن عبد الله الأنصاري عليهما السلام فقال: (والله لذرية علي بن الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب ! إن منه لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً). (مناقب آل أبي طالب: ٢٨٩/٣).

ثم ، قال تعالى عن نبيه داود عليه السلام: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاؤِدَ مَنَا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوَّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ). (س: ١٠) فكان داود يقرأ أدعية الزبور وأذكاره ، فتردد معه الجبال والطيور . وقد شهد الزهري وابن المسيبة وغيرهما فقالوا: (كان القراء لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج على بن الحسين سيد العابدين ، فخرج وخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين فسبع في سجوده ، فلم

يَسِيق شَعْبَرْ وَلَا مَدَرْ إِلَّا سَجَوْهَا مَعَهُ فَقَزَعْنَا ! فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: يَا سَعِيدَ أَفْزَعْتَ؟
قَلَتْ: نَعَمْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ: هَذَا التَّسْبِيحُ الْأَعْظَمُ ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِي
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَقْنِي الذِّنْبُ مَعَ هَذَا التَّسْبِيحِ ، فَقَلَتْ: عَلِمْنَا) .
(رجال الكشي: ٣٣٧). وَقَدْ عَلِمْهُمْ إِيَاهُ الْإِمَامُ تَسْبِيْلُهُ وَهُوَ: (سَبَحَنَكَ اللَّهُمَّ وَحْنَانِكَ ،
سَبَحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَعَالَيْتُ ، سَبَحَنَكَ اللَّهُمَّ وَالْعَزْ إِزَارِكَ ، سَبَحَنَكَ اللَّهُمَّ وَالْعَظَمَةُ
رَدَافُكَ ، سَبَحَنَكَ اللَّهُمَّ وَالْكَبْرَيَاءُ سُلْطَانُكَ ، سَبَحَنَكَ مِنْ عَظِيمِ مَا أَعْظَمْكَ ،
سَبَحَنَكَ سَبَحْتُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، سَبَحَنَكَ تَسْمَعُ وَتَرِي مَا تَحْتَ الشَّرَى ،
سَبَحَنَكَ أَنْتَ شَاهِدُ كُلِّ نَجْوَى ، سَبَحَنَكَ مَوْضِعُ كُلِّ شَكْوَى...الخ.).

لَقَدْ عَلِمْهُمْ الْإِمَامُ تَسْبِيْلُهُ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلِمُوهُ لِلنَّاسِ ، لَكِنْ أَنَّهُ لَهُمْ بِقَلْبٍ تَنْتَلِقُ
مِنْهُ هَذِهِ التَّسْبِيْحَاتِ كَقَلْبِهِ تَسْبِيْلُهُ؟ إِنَّ الْجَبَالَ وَالشَّجَرَ وَالْمَدْرَ إِنَّمَا تَجْاوِبُ مَعَ
الْقُلُوبِ لَا الْأَلْفَاظَ ! راجع: روضة الوعاظين: ٢٩٠، والثاقب في المناقب: ١٦٥، ومناقب آل أبي طالب: ٣،
والصراط المستقيم: ٢٤٦/٣، ومعجم رجال الحديث: ١٤٢/٩، والصحيفة السجادية جمع الأبيتحي: ٢٣.



حاوَلْتُ أَنْ أَتَعْرِفَ عَلَى الْبَرَنَاجِ الْيَوْمِيِّ لِلْإِمَامِ زِينِ الْعَابِدِينِ تَسْبِيْلُهُ لِأَعْرَفَ
كِيفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَغْطِيَ بِنَشَاطِهِ كُلَّ تِلْكَ الْجَوَانِبِ ، فَوُجِدْتُ أَنْ نُومَهُ كَانَ
هَجْوِعًا ، فَقَدْ كَانَ يَنْامُ مُبَكِّرًا فِي غَيْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ: (كَانَ يَنْامُ وَعِنْدَهُ الْمِبْسَأَةُ
فَإِذَا هَدَأَتِ الْعَيْنُ قَامَ ، فَيُسَمِّعُ لَهُ دُويًّا كَدْوِيًّا النَّحلِ) . (أَمَالِيُّ الشَّجَرِي/٢٨٩).
وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَنْامَ يَحْمِلُ مَا يَتِيْرُ لَهُ مِنْ درَاهِمَ وَمَوَادَ طَعَامٍ إِلَى بَيْوَتِ الْفَقَرَاءِ
وَيَقُولُ: إِنَّ الصَّدَقَةَ فِي سَوَادِ اللَّيلِ تَطْفَئُ غَصْبَ الرَّبِّ) . (ثَوَابُ الْأَعْمَالِ/١٤٣، تَارِيخ
دِمْشَقِ: ٣٨٣/٤١، وَتَهْذِيبُ الْكَمالِ: ٣٩٢/٢٠).
(وَكَانَ يَقْضِيُّ مَا فَاتَهُ مِنْ صَلَاتِ النَّهَارِ بِاللَّيلِ... لَا يَدْعُ صَلَاتَ اللَّيلِ فِي الْحَضْرِ
وَالسَّفَرِ) . (صَفَةُ الصَّفْوَةِ: ٩٥/٢، وَالْمَنْتَظَمُ: ٤، وَالْخَلَافُ: ٥٢٤/١، وَالْوَسَائِلُ: ٢٧٧/٤).

(كان إذا صلى من الليل دعا فقال: إلهي غارت نجوم سماواتك ، ونامت عيون خلقك ، وهدأت أصوات عبادك .) (دعائم الإسلام: ٢١٢/١: ٢١٢).

(كان أبي يصلى الليل حتى يزحف إلى فراشه). (كشف الغمة: ٣٠٤/٢: ٣٠).

(كان يتبعه للسحر ويقوم في الليلة مراراً) . (أمال الشجري: ٢٨٩).

(كان أبي يصلى من الليل ، فإذا أصبح خفف خفقة ، ثم يدعو بالسواك ، ثم يتوضأ ، ثم يدعو بالغداة فيصيب منه قبل أن يخرج) . (أمال الشجري: ٢٢٤).

ولا ينام بين الطموعين: (روي عنه الثانية أنه كان يقول: إن بين الليل والنهار روضة يرتعي في رياضها الأبرار ، ويتنعم في حدائقها المتقون .) (الدر النظيم: ٥٨٦).

وقال المختار لمبعوثه: (إنه يصلى من الليل ، وإذا أصبح وصلى صلاة الغداة هجع ، ثم يقوم فيستاك ويؤتى بعده . فإذا أتيت بابه فاسأله عنه فإذا قيل لك إن المائدة بين يديه فاستاذن عليه ، وضع الرأسين على مائدته وقل له: المختار يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا ابن رسول الله قد بلغك الله ثارك ، ففعل الرسول ذلك ، فلما رأى زين العابدين الرأسين على مائدته خر ساجداً وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي وبلغني ثاري من قتلة أبي ، ودعا للمختار وجزاره خيراً) . مناقب آل أبي طالب: ٢٨٥/٣.

أما في شهر رمضان فكان الإمام الثانية (يصلى عامة الليل في شهر رمضان ، فإذا كان السحر دعا بهذا الدعاء.. إلهي لا تؤذبني بعقوبتك...). (صبح الم亨ج: ٥٨٢).

(ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان يقول من أول الليل إلى آخره: اللهم ارزقني التجافى عن دار الغرور والإنباتة إلى دار الخلود ، والإستعداد للموت قبل حلول الفوت). (إقبال الأعمال: ٤٠٢/١: ٤٠٢).

وكان في مكة يحيى ليله بالعبادة: (رأيت علي بن الحسين في فناء الكعبة

في الليل وهو يصلني فأطال القيام حتى جعل بيتكاً مرة على رجله اليمنى ومرة أخرى على رجله اليسرى) . (الحادائق: ٦٣٨).

وكان يجمع أولاده وخدمته ليلة النصف من شعبان: (يجمعنا جميعاً ليلة النصف من شعبان ، ثم يجزئ الليل أجزاء ثلاثة فيصلني بنا جزء ، ثم يدعو ونؤمن على دعائه ، ثم يستغفر الله ونستغفره ونسأله) . (صبح المتهجد/ ٨٥٣).

ويروي حديث جده عليه السلام: (من أراد شيئاً من قيام الليل فأخذه مضجعه فليقل: اللهم لا تؤمني مكرك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين، أقوم إن شاء الله ساعة كذا وكذا ، وَكَلَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ تِلْكَ السَّاعَةِ). (الجغرفيات/ ١٥).

ومن برنامجه عليه السلام/ المداومة على زيارة قبر جده ويدعوه عنده (الكافني: ٥٥١/٤).
ويجلس في المسجد ، فهو مزاره ومعبه ومنبره ، فقد كان يحدث فيه ، ويخطب ويعظ الناس كل يوم جمعة ، فمن سعيد بن المسيب قال: (كان علي بن الحسين يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله عليه السلام، وحفظ عنه وكتب...). (الكافني: ٨/ ٧٢ ، وأمالي الصدوق/ ٥٩٣).

وربما كان يصلني الجمعة مع الحاكم لكنه لا يأتـم به: (كان يشهد الجمعة مع أئمة الجور ولا يعتذر بها ، ويصلـي الظهر لنفسـه) . (دعائم الإسلام: ١/ ١٨٢).

وكان يشهد الجنائز ، ويـزور القـبـع ، وشهـداءـ أحـد ، ويـذهبـ كلـ سـنةـ إـلـىـ الحـجـ ، ويـذهبـ إـلـىـ زـيـارـةـ قـبـرـ جـدـهـ أـمـيرـ المؤـمنـينـ عليـهـ السـلامــ فـيـ التـجـفـ ، وـقـبـرـ أـبيـهـ الحـسـينـ عليـهـ السـلامــ فـيـ كـرـبـلـاءـ ، وـيـزـورـ مـسـجـدـ الـكـوـفـةـ وـيـصـلـيـ فـيـهـ . وأـحـيـاـنـاـ يـذـهـبـ إـلـىـ يـنـبـعـ وـغـيـرـهـاـ .. وـمـعـ هـذـاـ الـبـرـنـامـجـ كـلـهـ ، كـانـ الإـمـامـ عليـهـ السـلامــ يـقـومـ بـنـشـاطـهـ الوـاسـعـ ، فـيـ مـراـقبـةـ وـضـعـ السـلـطـةـ وـوـضـعـ الـأـمـةـ الـفـكـرـيـ وـالـإـجـتمـاعـيـ ، وـعـمـلـ ماـ يـحـبـ تـجـاهـهـ !

٢- من مواجهات الإمام علي عليه السلام للتحرير الأموي

كان المشروع الأموي يهدد وجود الإسلام كدين ، لأنه يتبنى في عمقه مادية يهودية ، كما يتبنى سياسة إبادة أهل البيت النبوى عليهما ويشيعهم !

لهذا كان للإمام علي عليهما هدفان: أولهما، تبييت الإسلام وترسيخه كدين في نفوس المسلمين وشعوب البلاد المفتوحة ، فكانت حياته عليهما كلها ثورة فكرية وروحية على الفكر المادي الجاهلي ، وعلى روحية الطاغوت الأموي !

كان هدفه عليهما أن يثبت أصول الإسلام وعقائده بالله تعالى وعلمه وقدرته وعدله المطلق ، وبقية أسمائه وصفاته الحسنى ، وبنبأة نبينا عليهما ومقامه عند ربها ، والإعتقد بالآخرة ، وجزائها وعدلها ونعمتها ، إلى أركان الإسلام العملية من الصلاة والصيام والحج والزكاة.. فجميع ذلك كان في معرض الضعف بموجة التحرير الأموي وتأثير الثقافة اليهودية !

والهدف الثاني ، نشر ظلامة أبيه الحسين وأهل البيت عليهما وربط الأمة بهم ، ومقاومة خطة معاوية في تربية أجيال الأمة على لعن علي بن أبي طالب عليهما وتتصوירه أنه قاتل العرب ، وسفاك دماء صناديد قريش ، وأن النبي عليهما كان يكرره لأنه كان ضده ! وأنه قد عصى النبي عليهما وكفر به ، فيجب فصله عن النبي عليهما ولعنه على المنابر ، هو وأبناؤه حتى لا يطمع أحد منهم في الحكم ! وفي نفس الوقت طمأن الإمام علي عليهما الأمويين بأنه لا يريد الثورة عليهم ، فكان يفصل حسابه عن الثائرين عليهم ، لكنه لم يقف ضد من خرج على الدولة طلباً بثار الإمام الحسين عليهما ، وبسبب ذلك كان الخليفة الأموي متثيراً فيه ، فلا هو ثائر يعطي على نفسه الحجة لقتله ، ولا هو مطيع للسلطة كعلماء البلاط !

وقد تقدم أن الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان: (إن أردت أن يثبت ملكك فاقتتل على بن الحسين)! لأنه يراه المرجع الروحي لكل تحركات الهاشمين والشيعة ضدبني أمية ، ومنها حركة التوابين والمختار ، وأنه مadam حياً فستنشأ حركات بشعار ثارات الحسين عليهما السلام يبريكه مع سلب مسؤوليته عنها! ويدل جواب عبد الملك: (جنبي دماء آل أبي طالب قاتلي رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين نزع الله ملكتهم). (محاسن البيهقي ٣٩) على أنه يوافق الحجاج على رأيه ، لكنه قرر أن لا يقتله خوفاً على ملوكه !

وقد استفاد الإمام زين العابدين عليهما السلام من هذا الهامش ، فنشط في نشر سلوك التأله والتعبد وتعميقه في المسلمين ، كما نشط في مواجهة خطط السلطة ضد علي وأهل البيت عليهما السلام ، وتوعية الأمة على مكانتهم في الإسلام . ومع ذلك استعمل الدبلوماسية مع النظام الأموي .

ومفردات الواحد من هذه الخطوط كثيرة في سيرته عليهما السلام ، ونكتفي منها ب نقاط:

١- ارتاع لما سمع قوماً يشبهون الله بخلقه:

فالرواية التالية تدل على أن التجسيم والتشبيه الأموي انتشر في عقائد المسلمين ودخل في بحثهم في المسجد النبوى ! وقد يكون الإمام عليهما السلام تعمد أن يجلس في حلقة أحد علماء السلطة فسمعه يتكلم بالتشبيه والتجسيم ، فانتقض ونهض إلى قبر النبي عليهما السلام وخطب ربه منزهاً معلماً المسلمين عقيدتهم الصافية! قال المفید عليهما السلام في الإرشاد: (كان في مسجد رسول الله عليهما السلام ذات يوم إذ سمع قوماً يشبهون الله تعالى بخلقه ففرغ لذلك وارتاع له ، ونهض حتى أتى قبر رسول الله عليهما السلام فوق عنده ورفع صوته ينادي ربه ، فقال في مناجاته له: إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئة فجهلوك ، وقدرتك بالتقدير على غير ما به

أنت فشيهوك ، وأنا برىء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ، ليس كمثلك شيء إلهي ولسم يدركوك ، وظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك ، وفي خلقك يا إلهي مندوحة أن يناروك ، بل ساوروك بخلقك فمن ثم لم يعرفوك ، واتخذوا بعض آياتك رياً ب بذلك وصفوك، فتعاليت يا إلهي عما به نعمتك). اتهم والظاهر أن الراوي لم يحفظ جيداً ما قاله الإمام علي فنقل ما حفظه ، لكن أهم ما في الحديث قوله إن الإمام علي فزع لما سمعه ارتاع ونهض ولم يدخل في بحث مع هؤلاء المحسنة من أتباع السلطة ، بل ذهب إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكوا إليه وإلى الله تعالى هذا الباطل ، ويبرأ اليه ما منه ! وهي حركة ابتكارية تبعد الإمام علي عن المواجهة المباشرة مع علماء السلطة ، وتؤثر في المسلمين لما فيها من استنكار للباطل ، وبيان العقيدة الصحيحة .

٢- وقف علي بن أبي طالب في وجه أحاديث رؤية الله تعالى التي نشرها كعب:

قال أبو حمزة الشمالي: (سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن الله جل جلاله: هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى الله عن ذلك! قلت: فلم أسرى بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء؟ قال: ليريه ملائكة السموات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه . قلت: فقول الله عز وجل: ثمَّ دَنَ فَتَدَّلَّ ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى؟ قال: ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دنا من حجب النور فرأى ملائكة السموات، ثم تدلّى فنظر من تحته إلى ملائكة الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض كقباب قوسين أو أدنى). (أمالى الصدقى ٢١٣، وعلل الشرائع: ١٣١١).

٣- واجه بدعة المحسنة بأن القرآن جزءٌ من ذات الله تعالى !

روى أبو نعيم في الحلية: ١٨٨٣: (عن عبدالله بن محمد بن علي قال: سئل على

بن الحسين عن القرآن فقال: ليس بخالق ولا مخلوق ، وهو كلام الخالق عز وجل .). انتهى. ورويَ هذا المعنى عن أمير المؤمنين وعن عدد من الأئمة . لكن علماء التشبيه والتجسيم الأموي المروجين لقدم القرآن، حاولوا تحريف كلامهم أو جعله يؤيد مذهب السلطة ! ولعل أول هؤلاء الزهري، حيث روى الحكمي في معارج القبول: ٢٧٦/١، رواية أبي نعيم ثم قال: (وقال الزهري: سألت علي بن الحسين عن القرآن؟ فقال: كتاب الله وكلامه). انتهى. فلم يرو الزهري نفي الإمام عليه السلام أن يكون القرآن خالقاً !

وكذلك أخذ المشبهة قول الإمام عليه السلام وكتابه يؤيد مذهبهم ! فرواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة: ١٥٢/١، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة: ٢٣٧/٢. راجع تفسير السمعاني: ٤٦٧/٤، والإنصاف للكوثري: ٢١، والأبعاد الخفية لمصطلح الحشوية والمشبهة والرهابية للشراقي: ١٥/٥

٤- وقف على عليه السلام في وجه الإرجاء الأموي: وأصل الإرجاء من اليهود حيث زعموا أن الله تعالى اختار العنصر اليهودي: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَاماً مَعْدُودَةً . وزعموا أن الاعتقاد بالله تعالى يكفيهم ولو كان بدون عمل! فأخذ ذلك خلفاء قريش وابتدعوا سعة الشفاعة ومذهب الإرجاء الذي يكتفي من الإنسان بالتوحيد لدخول الجنة ! وقد شرحا ذلك في العقائد الإسلامية: ٣٤١/٣.

٥-واجهه أفكار الفلسفة المادية الفارسية واليونانية ، وكان يروي مناظرة جده رسول الله عليه السلام مع أهل الأديان: اليهود ، والنصارى ، والدهرية ، والثنوية ، ومشركي العرب . (توحيد الصدوق: ٣٩٧، والبحار: ٢٥٧/٩).

ويروي قصة اليوناني المدعى للفلسفة والطب مع أمير المؤمنين عليه السلام. (توحيد الصدوق: ٣٩٧، والاحتجاج: ٣٤٢/١، والبحار: ٧٠/١٠).

٦- أدان إخفاءهم البسملة ثم إنكار أنها من القرآن: (عن أبي حمزة قال

قال علي بن الحسين: يا ثمالي إن الصلاة إذا أقيمت جاء الشيطان إلى قرین الإمام فيقول هل ذكر ربه؟ فإن قال نعم ذهب ، وإن قال لا ، ركب على كتفيه فكان إمام القوم حتى ينصرفوا ! قال: فقلت جعلت فداك أليس يقرؤن القرآن؟! قال: بل ليس حيث تذهب يا ثمالي، إنما هو العجور بسم الله الرحمن الرحيم). (تهذيب الأحكام: ٢٨٩/٢).

٧- واجه الإمام علي بن أبي طالب منع تدوين السنة والتحديث عن النبي ﷺ: فقد كان قانون الشیخین بمنع تدوین الحديث والتحديث عن النبي ﷺ، ساریاً من زمان عمر ، وأکد عليه معاویة ومروان عبد الملك وأولاده ، ولم يبدأ رفع الحظر إلا بعد وفاة الإمام علي بن أبي طالب في حکومة عمر بن عبد العزیز ، عندما کلف الزھری أن یكتب سنة النبي ﷺ وسنة عمر ، وكان یبعث ما یکتبه الى الأمصار ! لكن الإمام علي بن أبي طالب کان أکجاده من أهل البيت یحدث ويبحث الناس على التحدیث وكتابه السنّة ویتحدى مرسوم السلطة. وكان یروی حدیث جده ﷺ: (من حفظ على أمّي أربعين حدیثاً یتفعّون بها بعثه الله يوم القيمة فقيها عالماً). (الأربعون حدیثاً للشہید الأول: ١٩). وكان الإمام علي بن أبي طالب یصحح ما یکتبه تلامیذه ، قال ثمالي: (قرأت صحیفة فيها کلام زهد من کلام علي بن الحسین علیه السلام) وکتب ما فيها ، ثم أتیت علي بن الحسین فعرضت ما فيها عليه فعرفه وصححه ..). (الصحیفة السجادیة للأبظھی: ٦٠٢).

٨- واجه الإمام علي بن الحسن البصري وهو من علماء السلطة: ووالد الحسن البصري یسار غلام لزید بن ثابت من سبی میسان، وهي مدينة العمارة الفعلية قرب البصرة ، وفيها قبر نبی الله العزیر علیه السلام وفيها یهود . وأمه أمة لأم المؤمنین أم سلمة . ولد الحسن البصري في أواخر خلافة عمر وكان ذکیاً موصوفاً

بالجمال ، قالوا كانت أم سلمة تبعث أمه في الحاجة فيكي وهو طفل فتسكته أم سلمة بثديها فيدرُّ له لبن. وقد نشأ في أم القرى قرب بيماء ثم سكن البصرة بعد حرب الجمل فعرف بالبصري . (سير الذئب: ٥٦٤/٤، والإكمال: ١٨٤/١).

ولعل البصري كان شيئاً بحکم نشأته ، ثم انحرف باتجاه الأمويين ، ثم صار من علماء السلطة ! وكان موقف الأئمة عليهم السلام منه حازماً لأنه كان يتقرب إلى بني أمية ويكذب لهم ضد أهل البيت عليهم السلام! فقد قال عن أمير المؤمنين عليه السلام: (لو كان علسي يأكل من حشف المدينة لكان خيراً له مما صنع). ولما عותب على ذلك قال: (كلمة باطل حقن بها دمًا ، والله لقد فقدوه سهماً من مرامز طيب ، والله ليس بسرقة لمال الله ، ولا بتؤمة عن أمر الله ، أعطى القرآن عزائمه فيما عليه قوله ، أحل حلاله وحرم حرامه ، حتى أورده ذلك على حياله غلقة ورياحص مونفة) (حلية الأولياء: ٨٤/١).

وكان موقف أم سلمة منه سليباً ، قال صاحبه أبو مسلم: (خرجت مع الحسن البصري وأنس بن مالك حتى أتينا بباب أم سلمة رضي الله عنها فقعد أنس على الباب ، ودخلت مع الحسن البصري فسمعت الحسن وهو يقول: السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته . فقالت له: وعليك السلام ، من أنت يابني؟ فقال: أنا الحسن البصري . فقالت: فيما جئت يا حسن؟ فقال لها: جئت لتحدثنيني بحديث سمعته من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في علي بن أبي طالب. فقالت أم سلمة: والله لأحدثنك بحديث سمعته أذناني من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وإلا فصمتنا ، ورأته عيناي وإلا فعميتا ، ووعاه قلبي وإلا فطبع الله عليه ، وأخرس لسانني إن لم أكن سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول لعلي بن أبي طالب: يا علي ، ما من عبد لقي الله يوم يلقاه جاحداً لولا يتك إلا لقى الله بعيادة صنم أو وثن ! قال فسمعت

الحسن البصري وهو يقول: الله أكبر ، أشهد أن علياً مولاي ومولى المؤمنين !
فلما خرج قال له أنس بن مالك: ما لي أراك تكبر؟ قال: سألت أمنا أم سلمة أن
تحدثني بحديث سمعته من رسول الله في علي فقالت لي كذا وكذا ، فقلت:
الله أكبر ، أشهد أن علياً مولاي ومولى كل مؤمن ! قال: فسمعت عند ذلك أنس
بن مالك وهو يقول: أشهد على رسول الله(ص) أنه قال هذه المقالة . ثلات
مرات أو أربع مرات . (أنالي الصدوق .) (٣٩٢/).

ويلاحظ أن الحديث يشبه من جحد ولایة على الشیء مع معرفته بها ، بأنه عابد صنم أو عابد وثن ، ويدل على التفریق بينهما ، حسب حالة الشخص .
ورووا أن البصري قال: (بَشِّ الشَّيْءَ الْوَلَدُ إِنْ عَاشَ كَذَّبَنِي، وَإِنْ ماتَ مَدَّنِي) !
فبلغ ذلك زین العابدين عليه السلام فقال: كذب ، والله نعم الشیء الولد ، إن عاش فداء حاضر ، وإن مات فشفیع سابق . (الدعوات للراوندي ٢٨٥).

وكان الإمام علي يخاف من البصري أن يتقصى من مقام النبي ﷺ إرضاءً لبني أمية: قال في الدر المثور: ٢٠٣٥/٥: (أخرج الحكيم الترمذى ، وابن جرير وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الدلائل ، عن علي بن زيد بن جدعان قال: قال لي علي بن الحسين: ما يقول الحسن في قوله: وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَنْتَ مُبْدِيه؟ فقلت له فقال: لا ولكن الله أعلم بي (ص) أن زينب ستكون من أزواجك قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد يشكوا إليه قال: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتْقِنَ الله.. فقال قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه). انتهى.

وتفسیر الشعبي: (وهذا التأويل مطابق للتلاوة ... فلو كان أضمر رسول الله محبتها أو أراد طلاقها ، لكان لا يجوز على الله تعالى كتمانه مع وعده أن يظهره ، فدل ذلك على أنه إنما عותب على قوله: أمسكْ عَلَيْكَ زُوْجَكَ وَأَنْ

الله ، مع علمه بأنها ستكون زوجته ، وكتمانه ما أخبره الله سبحانه به حيث استحبى أن يقول لزيد: إن التي تحتك ستكون امرأتي). والبنوي: ٥٣١/٣، وقال: (وهذا هو الأولى والأثيق بحال الأنبياء وهو مطابق للنلاوة). وابن كثير: ٤٩٩/٣.

وأشد موقف للإمام عليه من الحسن البصري: عندما خرَّب عليه مجلسه الذي عقدته له السلطة الأموية عند الكعبة ، ليخطب في الحجَّاج ويوجههم إلىبني أمية ، ف جاء الإمام عليه ووقف قباله وسأله أسئلة اضطر على إثرها أن ينزل عن منبره ويترك الناس يطوفون حول بيته ربهم عز وجل !

قال في مناقب آل أبي طالب: (ورأى الحسن البصري عند الحجر الأسود يقصن فقال عليه: يا هناء (معناه ياهنا ، وفي رواية: ياحسن) أترضى لنفسك الموت؟ قال: لا ، قال: فعلمك الحساب؟ (هل تعرف نتيجة حسابك) قال: لا ، قال: فثم دار للعمل؟ (غير دار الدنيا) قال: لا ، قال: فلله في الأرض معاذ غير هذا البيت؟ قال: لا قال: فلم تشغل الناس عن الطواف؟ ثم مضى ! قال الحسن: ما دخل مسامعي مثل هذه الكلمات من أحد قط ! أتعرفون هذا الرجل؟ (وهو يعرفه جيداً) قالوا: هذا زين العابدين ، فقال الحسن: ذُرْيَةَ بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ ! انتهِ.

والرواية مختصرة ولا بد أنها هزت الناس في الموسم ، وتناقل الحجاج أن زين العابدين عليه نهى الحسن البصري عن الخطابة والقصص ، لأن عمله يمنع الناس عن الطواف والصلوة عند بيته ربهم ، ولم تستطع السلطة عمل شيء ! ورووا القصة بروايات أخرى كالإحتجاج: ٤١/٢ ، وفيها أن الحسن البصري قال: (أهل بيته .. فما رأى الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس). انتهِ

٩ - وَبَنَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَعُرْوَةُ بْنُ الزَّبِيرِ لِخَذِيلِهِمَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ !

فقد كان الإمام عليه شفاعة بالصدقية الطاهرة فاطمة الزهراء عليه وبروبي في مقامها

حديث النبي ﷺ: (إذا كان يوم القيمة نادى مناد: يا عشر الخلائق غضوا أبصاركم ونكسو رؤوسكم حتى تمر فاطمة بنت محمد ، فتكون أول من يكسي ، وتستقبلها من الفردوس إثنا عشر ألف حوراء ، وخمسون ألف ملك على نجائب من الياقوت..الخ.).(مسائل علي بن جعفر/٣٤٥).

وفي تلخيص الحجير لابن حجر: ٢٤٨/٥: (وللحاكم من حديث علي بن الحسين عن علي أن فاطمة بنت النبي (ص) كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلّى وتبكي عنده).انتهـ.

وكانـت السـلطة تحـاولـ الحـاطـ منـ مقـامـ فـاطـمـةـ الزـهـراءـ صـلـواتـ اللهـ عـلـيـهـ ،ـ وـأـنـ تـفـضـلـ عـلـيـهـاـ غـيـرـهـاـ مـنـ بـنـاتـ النـبـيـ ﷺـأـوـ نـسـائـهـ !ـ وـتـدـلـ الـرـوـاـيـةـ التـالـيـةـ عـلـىـ أـنـ الإـلـامـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ عـلـيـهـ كـانـ يـرـاقـبـ نـشـاطـ الـمـخـالـفـيـنـ وـيـتـدـخـلـ بـقـوـةـ عـنـدـماـ يـسـتـطـعـ ،ـ فـقـدـ بـلـغـهـ أـنـ الزـهـريـ يـطـعـنـ فـيـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ وـأـنـ عـرـوـةـ بـنـ الـزـبـيرـ يـحـدـثـ عـنـ عـائـشـةـ أـنـ النـبـيـ ﷺـقـالـ عـنـ اـبـتـهـ زـيـنـبـ :ـ (ـهـيـ أـفـضـلـ بـنـاتـيـ)ـ !ـ فـجـاءـ إـلـىـ الـمـسـجـدـ النـبـويـ وـكـذـبـهـاـ وـوـبـخـهـاـ ،ـ فـتـرـاجـعـ عـرـوـةـ وـاعـتـذرـ !ـ

روى ذلك الحاكم: ٤٤/٤ و ٢٠١/٢، بـسـنـدـ صـحـيـعـ عـلـىـ شـرـطـ الشـيـخـيـنـ ،ـ قـالـ: (ـعـنـ عـرـوـةـ بـنـ الـزـبـيرـ عـنـ عـائـشـةـ زـوـجـ النـبـيـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ لـمـ قـدـ الـمـدـيـنـةـ خـرـجـتـ اـبـتـهـ زـيـنـبـ مـنـ مـكـةـ مـعـ كـنـانـةـ أـوـ اـبـنـ كـنـانـةـ ،ـ فـخـرـجـوـاـ فـيـ أـثـرـهـاـ فـأـدـرـكـهـاـ هـبـارـ بـنـ الـأـسـوـدـ فـلـمـ يـزـلـ يـطـعـنـ بـعـرـهـاـ بـرـمـحـهـ حـتـىـ صـرـعـهـاـ ،ـ وـأـلـقـتـ مـاـ فـيـ بـطـنـهـاـ وـأـهـرـيـقـتـ دـمـاـ !ـ فـاشـتـجـرـ فـيـهـاـ بـنـوـ هـاشـمـ وـبـنـوـ أـمـيـةـ فـقـالـتـ بـنـوـ رـبـيـعـةـ فـكـانـتـ تـقـولـ لـهـاـ هـنـدـ:ـ بـسـبـبـ أـبـيـ الـعـاصـ ،ـ فـكـانـتـ عـنـدـ هـنـدـ بـنـ عـتـبـةـ بـنـ رـبـيـعـةـ فـكـانـتـ تـقـولـ لـهـاـ هـنـدـ:ـ بـسـبـبـ أـبـيـكـ !ـ فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ (ص)ـ لـزـيـنـبـ بـنـ حـارـثـةـ:ـ أـلـاـ تـنـطـلـقـ تـجـيـئـنـيـ بـرـبـكـ ؟ـ قـالـ:ـ بـلـىـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ ،ـ قـالـ:ـ فـخـذـ خـاتـمـيـ فـأـعـطـاهـ إـيـاهـ فـأـنـطـلـقـ زـيـنـ وـبـرـكـ

بعيره ، فلم يزل يتلطف حتى لقي راعياً فقال: لمن ترعى؟ فقال لأبي العاص ، فقال: فلمن هذه الأغنام؟ قال لزينب بنت محمد ! فسار معه شيئاً ثم قال له: هل لك أن أعطيك شيئاً تعطيه إياها ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم فأعطيه الخاتم ، فانطلق الراعي فأدخل غنمه وأعطاهما الخاتم فعرفته فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل ، قالت: فأين تركته؟ قال بمكان كذا وكذا ، قال فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه فلما جاءته قال لها: إركبي بين يديه على بعيره ، قالت: لا ولكن إركب أنت بين يدي فركب ، وركبت وراءه حتى أتت فكان رسول الله(ص) يقول: هي أفضل بناتي أصيّبت في ! فبلغ ذلك علي بن الحسين ، فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغني عنك تحدثه تتقصّ فيه حق فاطمة بنت أبي طالب؟ فقال: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغارب وأنني أنتقصّ فاطمة بنت أبي طالب هو لها وأما بعد فلك أن لا أحدث به أبداً . قال عروة: وإنما كان هذا قبل نزول آية: أَدْعُوكُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ! هذا حديث صحيح على شرط الشیخین).

ومجمع الزوائد: ٢١٣٩، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بعضه ، ورواوه البزار ورجاله رجال الصحيح . والطبراني في الأوسط: ٨٠٥، وتاريخ دمشق: ١٤٨٣، وتاريخ الذهبي: ١٢٢٢، وال نهاية لابن كثير: ٤٠٠٣، وفي سيرته: ٥١٨/٢، وسمط النجوم: ٢٩٥، وذخائر العقى: ١٥٨، عن الفضائي).

وفي هذا الحديث فوائد مهمة:

أولها، رقابة الإمام عليه السلام على حديث عروة وعائشة ، وحكمه بأن عروة كذب

على رسول الله صلوات الله عليه وسلامه !

وثانيها، أحبط الإمام عليه السلام محاولتهم تفضيل غير الزهراء عليها السلام ، حيث نسبت عائشة إلى النبي صلوات الله عليه وسلامه قوله عن زينب: (هي أفضل بناتي ، أصيّبت في !) أي أنها أفضل من فاطمة بنت أبي طالب وأنها هاجرت وأسقطت جنينها بسببي ! وهذه الحركة واحدة من أعمال قامت بها عائشة في تضخيم نفسها وشخصيات نسائية في

مقابل الزهراء وأمها خديجة رض ، كما ضخموا شخصيات قرشية من رجالهم بحجة أنهم صحابة ورفعوهم في مقابل شخصيات عترة النبي ص وأله ص .

ومما يوجب الشك في مدح النبي ص المزعوم لشخصيات السلطة من النساء والرجال أنه لم يروه إلا نفس الممدوحين ، بينما روى الجميع المدح النبوى للصديقية الزهراء والعترة رض ، وأن النبي ص جعلهم وصيته الملزمة للأمة كالقرآن حرفًا بحرف ! وهو موضوع مهم لا يتسع المجال للإفاضة فيه .

وثالثها، أن هبار بن الأسود الذي أربع بنت النبي ص فأسقطت جنبيها ومنعها من الهجرة ، قد هدر النبي ص دمه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ! فمن باب أولى أن يثبت هذا الحكم لمن أربع فاطمة رض فأسقطت جنبيها ! ورابعها، أن عروة وقع في التناقض والإضطراب ! فقد أظهر تعظيمه للصديقية الطاهرة الزهراء رض لأن مقامها الريانى العظيم مجمع عليه عند المسلمين ، ومن ينكره فهو مكذب للنبي ص أي كافر !

ومن جهة ثانية عادم الإمام علي على أن لا يروي هذا الحديث بعدها أبداً ! ومن جهة ثالثة لم يكذب الحديث لأنه يعني تكذيب خالته عائشة ! بل اعتذر عنها بأن النبي ص عَبَرَ عن زينب بأنها ابنته قبل نزول آية تحرير النبي ووجوب نسبة الولد الى أبيه دون متبنيه ! قال عروة: (وإنما كان هذا قبل نزول آية: أَذْعُوهُمْ لَا يَأْتِيهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عَنْهُ اللَّهُ) !

ومعناه أنه بعد نزول الآية فإن النبي ص لم ينسب زينب اليه بعد ذلك ، ولم يقل ابتي أبداً ! وهذا نصٌّ من عروة على أن زينب رببة النبي ص وليست ابنته وهو يؤيد أنها كانت ابنة أخت خديجة رض ربها النبي ص وتربتها كما روی . وذهب الباحث السيد جعفر مرتضى الى أن زينب وأخواتها ربائب للنبي ص .

وأن بنته الوحيدة فاطمة عليها السلام ، وألف في ذلك كتابه: (بنات النبي ﷺ أم ربائبه؟). وخامسها، إن اعتذار عروة بهذا العذر يعني أن خالته عائشة صادقة ، وأن النبي إنما عبر عن زينب بابنته قبل تحرير بآية: أَدْعُوكُمْ لِآبَائِهِمْ ! لكنه عذر لاينفي تفضيل زينب على فاطمة عليها السلام حتى لو كانت ربيته !

وقد بحث السيد جعفر مرتضى في الصحيح من السيرة: ٢٤١٥، حديث عروة وعائشة ، ورد محاولات الطحاوي وغيره لتجيئه .

هذا ، وقد روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام مسائل كثيرة من فقه أهل البيت عليهم السلام تحالف فقه السلطة كتحريم النبي ﷺ الصيام في السفر وتسمية صاموا (العصاة) ! (السلحي: ٢٥٣/٦). وأن النبي ﷺ كان يكبر في صلاته كلما خفض ورفع. (الخلاف: ٣٤٦/١). وسترى عدداً من مواجهاته عليها السلام لتعريف الأمويين ، في العنوان الآتي ، لأن مفرداتهما متداخلة ، وهي كثيرة تستحق دراسة خاصة !



الفصل الثامن:

الإمام عَلِيُّ يُشيد صرخ التشيع

١- استئناف الإمام علي بناء المجتمع الشيعي من جديد

يرى مذهب أهل البيت عليهما السلام أن الانهيار العقائدي وقع في الأمة بعد وفاة النبي صلوات الله عليه، وأن الذين ثبوا على الحق الصراح بأعلى درجات الثبات ، هم عترة النبي صلوات الله عليه ، وأفراد قلائل معهم ، ثم تكاثروا شيئاً فشيئاً !

ويؤيد ذلك ما رواه أتباع الخلافة بأعلى درجات الصحة من أن النبي ﷺ أخبر أنه سيق الإنحراف في أصحابه بعده ولا ينجو منهم إلا مثل هَمَّ النَّعْمَ ، أي النسم المنفردة عن القطيع ، ومعنى أن قطيع الصحابة هالك ، ولا يسلم إلا المعارضون المنفردون عنه ! روى بخاري في صحيحه: (عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يسنا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم ، فقلت أين؟ قال إلى النار والله ! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعذر على أدبارهم الفهقري ! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم ! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله ! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعذر على أدبارهم الفهقري ! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَّ النَّعْمَ) انتهى . وصرحت رواية أخرى للبخاري بأن هؤلاء المطرودين عن الحوض هم الصحابة وكذلك فسرها شراحه ! فروى في: (يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلون عنه فأقول يارب أصحابي ! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعذر ! إنهم ارتدوا على أعقابهم الفهقري) ! وشبيهها في: (الف سؤال وإشكال) . وهي حقيقة خطيرة تصيب الإنسان بالدهشة، لكن الله تعالى أخبرنا أنها ظاهرة طبيعية ، وأن من القوانين الاجتماعية بعد الرسل أن تتأمر أممهم على أوصيائهم

الشرعين وتغصب الحكم منهم وتعزّلهم وتضطهدّهم ! قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أُفْتَنَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَلَكِنَّ اخْتَلَقُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أُفْتَنُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ). (سورة البقرة: ٢٥٣)

ومع ملاحظة هذه الحقيقة المرة لا يصح التهويل على الشيعة بحديث الإمام الباصر عليه السلام: (ارتدى الناس بعد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه إلا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسي ، ثم إن الناس عرفوا ولحقوا بعد) ((الاختصاص للمغيرة: ٢)). فهو نفس مضمون رواية بخارى (هَمَّلَ النَّعْمَ) غاية الأمر أن روایتنا فيها تحديد لعدد همل النعم ، ورواية بخارى فيها تقليل كثير بدون تحديد !

أما تعبير الإمامين الباصر والصادق عليهما السلام بالإرتداد ، فالوجه في تفسيره بغير الكفر واسع ، وأنه يعني التزول عن مستوى الإيمان العالى !
وحتى لو ضاق عن التفسير فهو لا يزيد عن الآية التي نصت على أن الناس يعودون بوفاة الرسل الى الصفر ، ومنهم من يؤمن ومنهم من يكفر !

وبذلك تعرف خطأ اعتذار بعضهم عن الحديث أو محاولة تضليله مع أن سنته في أعلى درجات الصحة ، ومضمونه مستفيض ، حيث رواه الكشي: ٣٨١: (محمد بن إسماعيل ، قال حدثني الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمر ، عن وهيب بن حفص ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد ذلك إلى علي عليه السلام فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين وأنت والله أحق الناس وأولاهم بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، هلم يدك نباعك ، فوالله لنموت قدامك ! فقال علي عليه السلام: إن كتم صادقين فاغدوا غداً على مُحَلَّقين ، فحلق علي عليه السلام وحلق سلمان وحلق مقداد وحلق أبو ذر ، ولم يحلق غيرهم) .انتهى .

وهذا سند صحيح باتفاق علمائنا ، وقد نص على صحة الحديث وغيره في

الباب: السيد الخوئي في معجم رجال الحديث .٣٤١١٩
وروى نحوه في الإختصاص /٦: (سمعت أبا عبد الله يقول: إن النبي ﷺ لما
قبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثة: سلمان والمقداد وأبو ذر
الفخاري ، إنه لما قبض رسول الله ﷺ جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي
طالب عليه السلام فقالوا: لا والله لا نعطي أحداً طاعة بعده أبداً، قال: ولمَ ؟ قالوا: إنا
سمعنا من رسول الله ﷺ فيك يوم غدير خم . قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم . قال:
فأتووني غداً مُحَلَّقين . قال: فما أنتاه إلا هؤلاء الثلاثة ! قال: وجاءه عمار بن ياسر
بعد الظهر فضرب يده على صدره ثم قال له: مالك أن تستيقظ من نومة الغفلة!
إرجعوا فلا حاجة لى فيكم ، أنتم لم تطعيوني في حلق الرأس ، فكيف
تطعيوني في قتال جبال الحديد ، إرجعوا فلا حاجة لى فيكم). انتهى.

وبذلك تعرف ما في قول آية الله الشيخ السبحاني في كتابه أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، قال: (ومن سوء الحظ أن شرذمة قليلة من الصحابة زلت أقدمهم وانحرفوا عن الطريق ، فلا تمكّن دراسة أحوال هؤلاء القليلين وتبين مواقفهم وانحرافهم عن الطريق المستقيم بكرامة الباقيين ، ولعل عدد المنحرفين غير المنافقين لا يتجاوز العشرة إلا بقليل ، أليسوا في ميزان العدل رمي الشيعة بأنهم يكفرون الصحابة ويفسقونهم... ثم قال: بقيت هنا كلمة وهي إذا كان موقف الشيعة وأئمتهم من الصحابة ما ذكر آنفاً ، مما يعني ما رواه أبو عمرو الكشي من أنه ارتد الناس بعد رسول الله ﷺ إلا ثلاثة؟ إذ لو صح ما ذكر ، وجوب الالتزام بأن النبي الأكرم لم ينجح في دعوته، ولم يتخرج من مدرسته إلا قلائل لا يعتد بهم في مقابل ما ضحى به من النفس والنفيس ! والإجابة على هذا السؤال واضحة لمن تفحص عنها سندًا ومتناً ، فإن ما رواه لا يتجاوز

السبع روایات وهي بين ضعيف لا يعول عليه ، وموثق حسب اصطلاح علماء الإمامية في تصنیف الأحادیث وصحیح قابلین للتأویل ولا يدلان على الإرتداد عن الدين والخروج عن الإسلام بل يرمیان إلى أمر آخر...).انتهى.

أقول: الجواب على إشكالهم بأن القول بانحراف أكثر الصحابة يعني عدم نجاح النبي ﷺ في دعوته، بالقول: إن الاستجابة ليست ميزان نجاح الأنبياء ﷺ وإنما يلزم القول إن الله تعالى لم ينجح في خلقه ! لأنه قال: **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاَللّٰهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** (بوفت: ١٠٦) إنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُدِّي وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) (الشرعة: ٧٧) فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) (الروم: ٤٢) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (بس: ٧) وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سـ: ١٣) فالصحيح أن الإشكال لا يرد حتى لو لم يستجب للنبي ﷺ إلا شخص واحد لصريح آية انحراف الأمم بعد الرسول ﷺ وأحاديث انحراف أكثرية الصحابة الصريحة عند الطرفين وأنه لا ينجو منهم إلا مثل همل النعم ، فلا يصح القول: (شرذمة قليلة من الصحابة زلت أقدامهم وانحرفو)... ولعل عدد المنحرفين غير المنافقين لا يتجاوز العشرة إلا بقليل) !

وغرضنا هنا: أن نفس الحالة أصابت الأمة بعد قتل الحسين <عليه السلام>، فأخذتها موجة الخوف والإستخداـء والسكوت ، ولم يبق منها إلا أفراد بدأ بهم الإمام زين العابدين <عليه السلام> بتكونـين المجتمع الشيعي ، ثم التحق بهم الناس وتکاثروا . ولذا استعمل الإمام الصادق <عليه السلام>نفس التعبير عن حالة الأمة بعد النبي ﷺ وبعد الحسين <عليه السلام> فقال: (ارتد الناس بعد الحسين <عليه السلام> إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبيـر بن مطعم ، ثم إن الناس لحقوا وكثروا وكان يحيى بن أم الطويل يدخل مسجد رسول الله ﷺ ويقول: كفـرنا بـكم وباـدـاـيـنـا وـيـنـكـم

الْعَدَاوَةُ إِلَيْهِمْ ضَاءُ .) (الاختصاص: ٤٤، والكتبي: ٣٨٨، وفي رواية: وجابر بن عبد الله .).

وهذا يعني أن موجة طغيان يزيد وخوف الناس بلغت ذروتها في الأمة ، فتأثر بها بعض الناس وسكت الباقون خوفاً ، كما حدث في موجة الخوف من اللقاء بعد وفاة النبي ﷺ ! وهذا يعني أن الإمام زين العابدين ع تبدأ من قريب الصفر في بناء المجتمع الشيعي ، كما فعل جده علي ع .

قد يقال: كيف ينسجم هذا مع القول بأن قتل الحسين ع أحدث زلزالاً في الأمة ، وأن موجته وصلت إلى البلط الأموي حتى أن معاوية بن يزيد عمل لإرجاع الخلافة إلى أهل البيت ع ؟!

والجواب: أن النص يتحدث عن ارتداد الناس في الفترة بعد شهادة الإمام الحسين ع مباشرةً ، وسيبي عوائل العترة النبوية هدية إلى يزيد ! ولعل حالة الذعر استمرت سنة أو نحوها ، كانت الأمة فيها تتربى إلى يزيد بسبب على وأهل البيت ع ، ثم بدأت تفيق من غفلتها وتقصيرها !

إن حصر النماذج العليا الثابتة على خط أهل البيت ع بثلاثة لا يمنع أن يكون في الأمة مخزون من الدين ، أو جب إفاقتها بالتدريب .

قد تسأل: كيف ينسجم ذلك مع ما ورد من أن الإمام الراقي ع هو المؤسس للمجتمع الشيعي والفرقة الناجية ؟

والجواب: أن عمل النبي ﷺ والأئمة ع في بناء الفئة الوعية في الأمة أو الطائفة المحققة ، التي عرفت باسم شيعة علي ع ، يمكن وصف مراحله بعدة أساليب ومن عدة زوايا ، كأن نقول: إن النبي ﷺ يبلغ عن ربِّه عز وجلَّ من هي هذه الفئة الثابتة بعده وحددها بأنها المتبعة لعلي وبقية العترة المعصومة ع ، وشكل مجتمعها الأول وسمائهم شيعة علي ع ، كما روى السنة والشيعة .

ثم جاءت موجة اللقاء بعد وفاة النبي ﷺ فارتدى الناس إلا القلة الذين ثبتوا مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم التحق الناس بهم وتسع وجودهم .
وعندما تفاقم وضع الظلم في زمن عثمان وثار عليه الصحابة والأمة ، أجمعوا على بيعة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فعمل لإعادة العهد النبوى فاتسعت القاعدة الوعائية ، وواجهت معه وقدمت الشهداء ، حتى ضعفت الأمة في أواخر عهده عَلَيْهِ السَّلَامُ وانهارت مرة أخرى في عهد الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ !

وبعد صلح الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ كان الشيعة شريحة واسعة نسبياً في مختلف البلدان ، ولكن أصحاب المستوى العالمي فيهم كانوا قلة ، كما هو الحال في كل أتباع الأنبياء والأوصياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ! وقد استطاع معاوية في عشرين سنة من حكمه أن يقتل أكثر شخصيات هذه الطائفة ، ويجعل الجو معادياً لكل من يذكر علياً وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بخير ، فلم يبق ثابتاً على التشيع إلا الفذ من الناس ! وقد اختار الله تعالى لخيار هؤلاء أعظم كرامته ، فجمعهم مع الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كربلاء ليكونوا شهداء على المسلمين والأمة إلى يوم القيمة .

وبعد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يبق من هؤلاء العظام إلا تلك القلة القليلة الذين بدأ بهم الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ بناء المجتمع الشيعي ! فهو المؤسس للطائفة من جديد بعد شهادة أبيه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ !

أما الإمام الバقر عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد وسع هذه القاعدة وأرسى خطها العقائدي والفكري والسياسي ، حتى صارت واضحة المعالم مميزة بالكامل عن غيرها .
ثم أكمل ذلك الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فوسع الطائفة المحبة ، وأغنها بالفكر والفقه وبلور خطها السياسي ، فتكاملت على يده وصارت وجوداً قوياً راسخاً في الأمة . وقد عرف الشيعة في عهده وبعده عَلَيْهِ السَّلَامُ باسم (الجعفرية) نسبة إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقد سار الأئمة بعد الصادق ع على خطه ، فكانوا يرجعون هذا الوجود المستكامل ، كلّ بما يقتضيه عصره ، لكنّ عملهم سفيّ لنفس البستان ، وتأصيل نفس الخط والأهداف ، حتى يأتي الإمام المهدي ببرنامجه ع الربابي.

٢- رغم الظروف كان الإمام ع يجهر بالتشيع ويُعلّم صرخه !

الإمام زين العابدين ع بقية السيف من موجة الإبادة الأموية لأهل البيت ع ، وما تلها من طغيان واضطهاد لهم وشيعتهم ، حتى جعلوا شتم علي ع ولعنه فريضة على منابر المسلمين !

ومع أنه ع كان يستعمل معهم المداراة والتفهّم وكانت له معهم علاقات واسعة ، لكنه استطاع بأسلوبه أن يجهر بالحق كله ، ويُعلّم صرخَ التشيع !

أ- كان ملتزمًا بالأذان بحجيّ على خير العمل ، ولعله هو الذي أقنع عبدالله بن عمر فكان يؤذن بها ويقول هو الأذان الأول ! وقد صححوه عنه . (نبيل الأوطار: ١٩٢/٢).

ب- وكان يصلّى على تربة كربلاء: (كان له خريطة فيها تربة الحسين ع وكان لا يسجد إلا على التراب). (مناقب آل أبي طالب: ٢٩٠٣، عن المصباح ، وفيه عن الصادق ع ، والسجود على تربة كربلاء مروي عن عدد من الأئمة ع).

ج- وكان يجهر بأنّ أهل البيت النبوي أفضل من آل إبراهيم ع ، وأن ولايتهم والبراءة من أعدائهم فريضة لا يقبل الله عملاً إلا بها ! فقد سأله رجل عن الصلاة: ما سبب قبولها؟ قال: (ولايتنا والبراءة من أعدائنا). (الاحتجاج: ٢٧٤/٣).

ويروي للناس قول النبي ع: (ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم فرحوا واستبشروا ، وإذا ذكر عندهم آل محمد اشمأزت قلوبهم؟! والذي نفس محمد بيده لو أن عبداً جاء يوم القيمة بعمل سبعين نبياً ، ما قبل الله ذلك منه

حتى يلقاء بولايتي وولاية أهل بيتي). (أمالي الطوسي ١٤٠/١).

(عن أبي حمزة قال: قال لنا علي بن الحسين: أي البقاء أفضل؟ فقلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم ، فقال: إن أفضل البقاء ما بين الركن والمقام ، ولو أن رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه ، ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ولقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه شيئاً). (المحاسن: ١١/١).

(أخرج الحافظ الجعابي أن الإمام زين العابدين رضي الله عنه قال: نحن الفلك الجاري في اللجاج الغامرة ، يأمن من ركبها ويغرق من تركها ، وإن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق من يحبنا وهم في أصلاب آبائهم فلا يقدرون على ترك ولايتنا ، لأن الله عز وجل جعل جبلتهم على ذلك). (خلاصة العبرات: ٤/٢٠٢).

وبيين أنهم الشهداء على الناس مع النبي ﷺ: (عن زين العابدين عليه السلام في قوله تعالى: لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ؟ قال: نحن هم). (تفسير نور التلقين: ٥٦٧/٣).

وله دعاء خاص تُسأله عليهما السلام: (رب صل على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك ، وجعلتهم خزنة علمك ، وحفظة دينك ، وخلفاءك في أرضك ، وحججك على عبادك ، وظهرتهم من الرجس والدنس تطهيرأ بيارادتك وجعلتهم الوسيلة إليك ، والمسلك إلى جنتك .

رب صل على محمد وأله ، صلاة تجزل لهم بها من نحلك وكرامتك ، وتكمل لهم الأشياء من عطاياك ونواulk ، وتتوفر عليهم الحظ من عوائدها وفوائدهك . رب صل عليه وعليهم ، صلاة لا أمد في أولها ، ولا غاية لأمدها ، ولا نهاية لآخرها ، رب صل عليهم زنة عرشك وما دونه ، وملء سمواتك وما فوقهن ، وعدد أرضيك...). (الصحيفة السجادية ٤٥٣).

٣- روى أحاديث جده عليهما السلام في الأئمة الاثني عشر عليهما السلام

منها: لما أسلم عبد الله بن سلام اليهودي، وسأل النبي ﷺ عن مسائل عديدة ومنها عن الذين يخالفون النبي ﷺ بعده؟ (تفسير الإمام العسكري، ٤٦٠، وهو حديث طويل). ومنها: ما رواه أبو خالد الكابلي قال: (دخلت على زين العابدين فقلت: أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم والإقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ؟ قال: يا كنكر أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم انتهى الأمر إلينا ثم سكت . فقلت: يا سيدِي روِيَّ لنا عن أمير المؤمنين عليهما السلام أن الأرض لا تخلو من حجة الله على عباده ، فمن الحجة والإمام بعده؟ فقال: ابني محمد واسمه في التوراة البارق يقرر العلم بقراً ، ومن بعده ابني جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق . قلت: وكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه ان رسول الله ﷺ قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فسموه الصادق، فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعى الإمام افتراءً على الله ، فهو عند الله جعفر الكذاب) . (اللقب الرسول وعترته، ١٠٠).

ومنها: شهادته بصدق سليم بن قيس في حديثه أن النبي ﷺ قال لعلي عليهما السلام: أكتب لك ولشريكك من بعدي، وسمى له الأئمة عليهما السلام وفيه: (قال سليم بن قيس: ثم لقيت علي بن الحسين وعنده ابني محمد بن علي الباقي أبو جعفر ، فحدثته بما سمعت من أبيه وما سمعته من أمير المؤمنين ، فقال علي بن الحسين: (قد أقرأني أمير المؤمنين من رسول الله ﷺ وهو مريض وأنا صبي ، ثم قال أبو جعفر: وأقرأني جدي من رسول الله وأنا صبي . قال أبان بن أبي عياش: فحدثت علي بن الحسين بهذا كله عن سليم بن قيس الهلالي ، فقال: صدق ، وقد جاء جابر بن عبد الله الأنصاري إلى ابني محمد وهو يختلف إلى كتاب ،

فقبله واقرأه السلام من رسول الله... قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين قال الله تعالى فيهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْمُنْكَرُونَ . قلت: يا نبى الله من هم؟ قال: هم الأووصياء بعدي، لا يتفرقون حتى يردوا على الحوض، هادين مهديين لا يضرهم كيد من كادهم ، ولا خذلان من خذلهم ، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقونه ولا يفارقهم ، بهم تنتصر أمري وبهم يمطرون وبهم يدفع البلاء وبهم يستجاب لهم الدعاء . قلت: يا رسول الله سَمِّهُمْ لِي . قال: أنت يا علي ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسن ، ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين ، ثم ابنته سمية ..). (الاعتقادات للصدق ١٢٢ ونحو العيون: ٦٧٢).

ومنها: قوله عليه السلام مفتخرًا: (نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين وсадة المؤمنين ، وقادة الغر الممحجلين ، وموالي المؤمنين ، ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها ، وبنا ينزل الغيث وتنشر الرحمة ، ويخرج بركات الأرض ، ولو لا ما في الأرض مما لساخت بأهلها ، ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ولو لا ذلك لم يعبد الله). (كمال الدين: ٢٠٧/١).

٤- وكان ينتقد الأنصار لأنهم نكثوا بيعتهم لرسول الله عليه السلام

روى الطبراني في المعجم الأوسط: ٢٠٧/٢، بسنده عن زين العابدين عن أبيه عن جده عليهما السلام قال: (جاءت الأنصار تباعي رسول الله على العقبة فقال: قم يا علي فباعهم ، فقال علي: ما أباعهم يا رسول الله؟ قال: على أن يطاع الله ولا يعصي

وعلى أن تمنعوا رسول الله وأهل بيته وذراته ، مما تمنعون منه أنفسكم وذراً يكم . انتهى . ولم يرو الطبرى الشرط الآخر: (أن لا ينزعوا الأمر أهله) ، وفي هذا الموضوع أحاديث صحيحة وحجة دامغة على الأنصار ، وأن حماية النبي وعترته وذراته عليهم السلام وعدم منازعتهم الأمر كان بندًا في بيعتهم للنبي عليه السلام .

٥- وكان يبشر بالمهدى عليه السلام وأنه من ولده بوعده الله ورسوله عليه السلام

فيقول في تفسير قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيَبْدَلُنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا: (هم شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة ، وهو الذي قال رسول الله عليه السلام: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوى الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي ، إسمه إسمى ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماء). (مجمع البيان: ١٥٢٧، وتأويل الآيات: ٣٦٩١).

وقال عليه السلام: (فينا نزلت هذه الآية: وأوكلا الأرحام بعضهم أوكي بعض في كتاب الله . وفينا نزلت هذه الآية: وجعلها كلمة باقية في عقبه . والإمامية في عقب الحسين بن علي بن أبي طالب إلى يوم القيمة . وإن للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى). (كمال الدين: ٢٢٣١، واستوفينا أحاديثه في معجم الإمام المهدي عليه السلام). كما كان يتحدث عن دولة أهل البيت الموعودة على يد المهدي، ويصف أصحابه وعمله ودولته عليه السلام .

٦- ورد حديثهم الموضوع: خير القرون قرنى ثم الذي يليه! ..

فقد كان عمر بن الخطاب يشق بکعب الأخبار ، وقد أقنعه کعب أن الخطيباني للإسلام يسير نزولاً ، فأخذ عمر يشبّه الإسلام بالبعير الذي لابد أن يهرم ويimoto فـيقول: (إن الإسلام بدأ جذعاً ثم ثانياً ثم رباعياً ثم سديساً ثم بازاً ،

فما بعد البزول إلا النقصان (مسند أحمد: ٤٦٣/٣)، ويقول: (سيخرج أهل مكة ثم لا يعبر بها إلا قليل ، ثم تمتلىء وتبني ثم يخرجون منها فلا يعودون فيها أبداً) ! (مسند أحمد: ٢٣١) ، وحسنه مجمع الزوائد: ٢٩٨/٣، ورواه بخاري وعهد له بايأ في: ١٥٩/٢ ، بعنوان: باب هدم الكعبة ! ومسلم: ١٨٣/٨.. الخ. راجع ألف سؤال وإشكال: ١/١٠٨ مسألة ١.

ومن هنا نشأت أحاديث أن خير القرون قرن النبي ﷺ ثم الذي يليه ، ثم تنحدر الأمة حتى تهلك وتنتهي ! وغرضهم منها مدح خلفاء قريش وأنهم أفضل الناس بعد النبي ﷺ ! وقد رد أهل البيت عليه السلام هذه المقوله ، ومنهم الإمام زين العابدين ع عليه السلام فكان يروي عن النبي ﷺ أن مثل أمنته كحديقة أطعم منها فوج عاماً وفوج عاماً ، فلعل الفوج الأخير أفضل من الأول .

وقد اشتبه الدكتور عبد العظيم البستوي أو دلس في موسوعته (أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة) فقال تحت الرقم: ٨٧-٤١ (عن زين العابدين علي بن الحسين مرسلاً قال: قال رسول الله (ص): أبشروا ، أبشروا ، إنما مثل أمنتي مثل الثني لا يدرى آخره خير أم أوله ، أو كحديقة أطعم منها فوج عاماً ثم أطعم منها فوج عاماً ، ثم أطعم منها فوج عاماً ، لعل آخرها فوجاً أن يكون أعرضها عرضاً وأعمقها عمقاً وأحسنها حسناً). كيف تهلك أمة أنا أولها والمهدي وسطها والمسيح آخرها. ولكن بين ذلك فجأة أعوج ، ليسوا مني ولا أنا منهم).

ثم حكم البستوي على الحديث بأنه مرسلاً ، والمرسل من أنواع الضعيف ، لأن الإمام زين العابدين ع عليه السلام رواه مباشرة عن النبي ﷺ ولم يدركه ! بينما الحديث مشهور روطه مصادر الطرفين مستفيضاً عن الإمام زين العابدين ع عليه السلام مسندأ عن أبيه الحسين عن أبيه أمير المؤمنين ع عليه السلام عن النبي ﷺ بعده أسانيد ، قال السلمي في عقد الدرر: ٧١ (وعن أبي جعفر محمد بن علي ، عن أبيه ، عن

جده ، أن رسول الله (ص) قال: أبشروا أبشروا ، إنما أمري كالغيث... أخرجه الإمام أبو عبد الرحمن النسائي في سنته). وأسنده الصدوق في كمال الدين ٢٦٩ وعيون أخبار الرضا ٥٧٢: عن علي عليه السلام. وكذا مختصر بصائر الدرجات ٢٠٣ ، وفي نهاية الأثر ٢٣٠ ، عن أبي يحيى بن جعده بن هيبة ، عن الحسين بن علي عليه السلام. وفي العمدة لابن البطريق ٤٣٢: (ومن الجمجم بين الصحاح ستة أيضاً لزين العبدري في الجزء الثالث من أجزاء ثلاثة على حد ربه الأخير... من صحيح النسائي...).

وقد استوفينا مصادره وطرقه في معجم أحاديث الإمام المهدى ٥١٢١ ، ومنها الطيالسي ٢٧٠ وأحمد ١٣٠٣ ، وابن حجر ١٤٣ ، وبيهقي ٣١٩/٤ ، وتأويل مختلف الحديث ١١٥ ، والترمذى ١٥٢/٥ .. الخ.

وفي الفاظه تفاوت ، وسبقه طول الحديث وأنه النبي عليه السلام ذكر فيه الأئمة من بعده عليه السلام وانحراف الأمة عنهم حتى يظهر خاتمهم المهدى عليه السلام.

ولا بد أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يرويه كاماً لإثبات أن الخط البياني في الأمة نزول وصعود ، وليس نزولاً فقط كما يتبنى الأمويون !

٧- وكان يصرّح بأن الله فرض الخمس لأهل بيته عليه السلام

قال في فتح الباري ١٦٧/٦: (الثالث قول زين العابدين الخمس كله للذوي القربي والمراد باليتامي ينامي ذوي القربي وكذلك المساكين وابن السبيل). انتهى.
وقد توالت الأحاديث عن النبي عليه السلام أنه عين الصحابي محمية بن جزء مسؤولاً عن الخمس بعد معركة بدر ، وخصمه يعني هاشم ، وفصل مالية أهل بيته عليه السلام عن الصدقات وبيت المال لعامة المسلمين ! (راجع: نور الثقلين: ١٥٧/٢).

٨- وكان عليه السلام يجهر بأن الصلاة على آل محمد عليهم السلام فريضة

وأن الله تعالى فرضها على المسلمين في صلاتهم ، وأنها وسيلة لقبول صلاتهم ودعائهم ، ولذا جعل الإمام عليه السلام الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام

مطلاعاً ومفتوحاً لكل فقرات أدعنته في صحيفته السجادية .

ولهذا توقف العلماء في نسبة المناجاة الخمسة عشر اليه عليه السلام لأنه ليس فيها الصلاة على النبي وآلـه عليهم السلام . ويحتمل أن تكون هذه المناجيات بالأصل له عليه السلام فأخذها بعض الصوفية ووصلتنا من طريقهم ، وحذفوا منها الصلاة على النبي وآلـه عليهم السلام ، وأضافوا اليها فقرات من تعابيرهم لم تعهد في أدعية الإمام عليه السلام ولا في أدعية أهل البيت عليهم السلام .

وله دعاء في الصلاة على الإمام من أهل البيت عليهم السلام وأتباعه في كل عصر:

(اللهم إنت أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علمأً لعبادك ، ومناراً في سلاذك ، بعد أن وصلت حبله بحبك ، وجعلته الذريعة إلى رضوانك ، وافتضرست طاعته ، وحضرت معصيته ، وأمرت بامتثال أمره ، والإنتهاء عند نهيه ، وألا يتقدم متقدم ولا يتأخر عنه متأخر ، فهو عصمة اللاذين ، وكهف المؤمنين وعروة المتسكين ، وبهاء العالمين .

اللهم فأوزع لوليك شكر ما أنعمت به عليه ، وأوزعنا مثله فيه ، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً ، وافتح له فتحاً يسيراً ، وأعنـه برـنكـ الأعز ، واشـددـ أـزـره ، وقوـ عـضـه ، ورـاعـهـ بـعيـنـكـ ، واحـمـهـ بـحـفـظـكـ ، وانـصـرـهـ بـمـلـائـكـتكـ ، وامـدـدـهـ بـجـنـدـكـ الأـغلـبـ ، وأـقـمـ بـهـ كـتـابـكـ وـحدـودـكـ وـشـرـائـعـكـ وـسـنـنـ رـسـوـلـكـ صـلـواتـكـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ ، وـأـحـسـيـ بـهـ مـاـ أـمـاتـهـ الـظـالـمـونـ مـنـ مـعـالـمـ دـيـنـكـ ، وـاجـلـ بـهـ صـدـأـ الـجـوـرـ عـنـ طـرـيقـتـكـ ، وـأـبـنـ بـهـ الضـرـاءـ مـنـ سـبـيلـكـ ، وـأـزـلـ بـهـ النـاكـبـينـ عـنـ صـراـطـكـ ، وـامـحـ طـرـيقـتـكـ ، وـأـبـنـ بـهـ الضـرـاءـ مـنـ سـبـيلـكـ ، وـأـزـلـ بـهـ جـانـبـهـ لـأـوـلـائـكـ وـاـيـسـطـ يـدـهـ عـلـىـ أـعـدـائـكـ ، وـهـبـ لـنـاـ رـأـفـهـ وـرـحـمـهـ وـتـعـطـفـهـ وـتـحـنـنـهـ ، وـاجـلـنـاـ لـهـ سـامـعـينـ مـطـيعـينـ وـفـيـ رـضـاهـ سـاعـينـ ، وـإـلـىـ نـصـرـتـهـ وـالـمـادـفـعـةـ عـنـ مـكـنـفـينـ ، وـإـلـيـكـ وـإـلـىـ رـسـوـلـكـ صـلـواتـكـ اللـهـ عـلـيـهـ

وآله بذلك متقربيه .

اللهم وصل على أوليائهم المعترفين بمقامهم ، المتبعين منهجهم ، المقتفيين آثارهم ، المستمسكين بعروتهم ، المتمسكين بولايتهم ، المؤتمنين بإمامتهم ، المسلمين لأمرهم ، المجتهدين في طاعتهم ، المنتظرين أيامهم ، العادين إليهم أعينهم ، الصلوات المباركات الزاكيات الناميات الغاديات الرائحات ، وسلم عليهم وعلى أرواحهم ، واجمع على التقوى أمرهم ، وأصلح لهم شؤونهم ، وتب عليهم إنك أنت التواب الرحيم وخير الغافرين ، واجعلنا معهم في دار السلام برحمتك يا أرحم الراحمين . (الصحيفة السجادية / ٢٥٥) .

٩- وكان يبشر شيعة أهل البيت عليهما السلام رغم الإضطهاد الذي يعيشون فيه

(كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إن أحقر الناس بالورع والإجتهاد فيما يحب الله ويرضى: الأوصياء وأتباعهم ، أما ترضون أنه لو كانت فرعة من السماء ، فزع كل قوم إلى مأomenهم ، وفزعتم إلينا وفرعننا إلى نبينا ! إن نبينا آخذ بحجزة ربه ، ونحن آخذون بحجزة نبينا ، وشييعتنا آخذون بحجزتنا) . (المحاسن: ١٨٧) .
وروى عنه عليهما السلام مناقب آل أبي طالب: ٢٩٨٣: (إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم).
وقد أصدر تعليماته للشيعة فقال لهم بصراحة: (إذا كتمت في أنتم جور ناقصوا في أحكامهم ، ولا تشهدوا أنفسكم فتقتلوا ، وإن تعاملتم بأحكامنا كان خيراً لكم) . (نذكرة الفقهاء: ٤٤٨/٩) .

١٠- كذبوا على لسانه عليهما السلام حديث: أحبونا حب الإسلام لا حب الأصنام !

كان المخالفون لأهل البيت عليهما السلام وما زالوا يتضايقون من اعتقاد الشيعة الراسخ بiamامة أهل البيت عليهما السلام الربانية ، ويسلو كلام معهم وتقديسهم لهم ! لذلك وضعوا

على لسانهم أحاديث تنتقد حب المسلمين لهم ، وأحاديث تمدح الصحابة من زعماء قريش! ومن هذه الأحاديث ما روجه المخالفون قديماً وحديثاً أن الإمام زين العابدين ع قال: (يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ولا تحبونا حب الأصنام ! فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيئاً) ! (تاريخ دمشق: ٣٩٢/٤١).

وفي رواية أخرى: (أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً). وفي أخرى: (حدثني مولى لعلي بن حسين أن قوماً دخلوا عليه فأثثنا عليه فقال: ويلكم ما أكذبكم وأجرأكم على الله ! لسنا كما تقولون لنا ولتكنا قوم من صالحـي قومنا ، وكفانا أن نكون من صالحـيم) . (٣٤/٤١).

وفي رواية أخرى: (يا أهل العراق أحبونا بحب الإسلام فوالله ما زال حبكم بنا حتى صار سبباً). وفي أخرى (٣٩٢/٤١). عن عمر بن علي: أنه سأله عمه جعفر بن محمد قال قلت: هل فيكم أهل البيت أحد مفترضة طاعته تعرفون له ذلك ، ومن لم يعرف له ذلك فمات ، مات ميتة جاهلية؟ فقال: لا والله ما هذا فينا ! من قال هذا فينا فهو كذاب ! قال فقلت لعمر بن علي: رحمك الله إن هذه منزلة ! إنهم يزعمون أن النبي (ص) أوصى إلى علي وأن علياً أوصى إلى الحسن وأن الحسن أوصى إلى الحسين ، وأن الحسين أوصى إلى ابنه علي بن الحسين وأن علي بن الحسين أوصى إلى ابنه محمد بن علي؟ قال: والله لقد مات أبي فما أوصى بحرفين ! ما لهم قاتلهم الله والله إن هؤلاء إلا متأكلين بنا) !

١١ - وكان يجهر بفضائل أمير المؤمنين ع في مواجهة سياسة الأمويين

فيروي عن النبي ﷺ أن الله تعالى (خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته ، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه ، قبل خلق الخلق يسبحون الله ويقدسونه) . (الأصول ستة عشر / ١٥).

ويروي عن النبي ﷺ أنه سُئل بأي لغة خاطبك ربك ليلاً المراج؟ قال: خاطبني بـلسان علي عليه السلام). (خاتمة المستدرك: ٢٤٤/١).

ويروي عن أبيه الحسين حديث جده النبي ﷺ في ولادة علي والأئمة عاشورٍ: (قال: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتسي ، ويدخل الجنة التي وعدني ربي ، فليتول علي بن أبي طالب وذرته الطاهرين ، أئمة الهدى ومصابيح الدجى من بعده ، فإنهم لن يخرجوك من باب هدى إلى باب ضلاله) . (البحار: ١٤٢٢: ٢).

ويروي عن النبي ﷺ أن المخاطبين بقوله تعالى: الْقَنِيلَةِ فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كُفَّارٍ عَيْدَ ، هما محمد وعلي عليهما السلام. (تفسير القمي: ٣٢٤/٢). وسألوه: لم أبغضت قريش علياً؟ فقال: لأنه أورد أولهم النار ، وقد آخرهم العار ! . (مكتاب الرسول: ٧٣٢: ٣).

ويروي منقبة علي عليهما السلام في غزوة تبوك بتفصيل لم يروه المخالفون! (الإحجاج: ٦٧٢). ويروي أن النبي ﷺ شبَّه علياً عليهما السلام يوسف في جماله وإبراهيم في سخائه وسلمان في قوته . (أحاديث الصدوق: ٧٥٧).

ويروي الكثير البلين في مقام أمير المؤمنين عليهما السلام وبطولته ، وما خصه به الله ، ومؤامرة قريش (وابتزازهم) خلافته ، ومخالفتهم وصبة النبي ﷺ فيه .

١٢ - وكان يمدح الصحابة المخلصين ويعرض بالمنحرفين

(وكان من دعائه عاشورٍ في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقיהם: اللهم وأتباع الرسل ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب ، عند معارضه المعاندين لهم بالتكذيب ، والإشتياق إلى المرسلين بحقائق الإيمان ، في كل دهر وزمان أرسلت فيه رسولاً ، وأقمت لأهله دليلاً ، من لدن آدم إلى محمد ﷺ ، من أئمة الهدى وقادة أهل النور ، على جميعهم السلام ، فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان .

اللهم وأصحابَ محمد خاصّة ، الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء
الحسن في نصره ، و كانوا فسده وأسرعوا إلى وفاته ، و سابقوه إلى دعوته ،
واستجابوا له حيث أسمّهم حجّة رسالته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار
كلّمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في ثبّيت نبوته ، ومن كانوا منظوريين على محبّته ،
يسرون تجارة لن تبور في موته ، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته ،
وانتفت منهم القرابات إذ سكنا في ظل قرابته .

فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك ، وبما حاشفوا
الخلق عليك ، و كانوا مع رسولك دعاة لك إليك ، واشكراهم على هجرهم فيك
ديار قومهم ، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه .

اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون: ربنا أغفر لنا وإخواننا
الذين سبّونا بالإيمان ، خير جزائك ، الذين قصدوا سماتهم وتحروا وجههم
ومضوا على شاكلتهم ، لم يثنهم ريب في بصيرتهم ، ولم يختلجم شك في قفو
آثارهم ، والإيتمام بهداية منارهم ، مكافئين موازيرن لهم ، يدينون بدينهم
ويهتدون بهديهم . (الصحيفة السجادية/٣٨٠ - الدعاء الرابع).

١٣- ويكشف المكتوبات لتفصيل أبي بكر!

قيل لسيد العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: إن الناس يقولون: إن خير الناس
بعد رسول الله ﷺ وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي عليهما السلام؟
قال: فما يصنعون بخبر رواه سعيد بن المسيب ، عن سعد بن أبي وقاص ،
عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليهما السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا
نبي بعدك؟ فمن كان في زمان موسى مثل هارون؟ . (الهداية/١٦٢، ومعاني الأخبار/٧٤) .

١٤- كذبوا على لسانه أحاديث نبي مدح أبي بكر وعمر!

أشرنا الى أن المخالفين لأهل البيت عليهما السلام كانوا وما زالوا يتضايقون من اعتقاد الشيعة الراسخ بالإمامية لأهل البيت عليهم السلام ، وباقدائهم بهم وتقديسهم لهم في حياتهم وبعد مماتهم ! وهي حالة ترجع الى عهد النبي صلوات الله عليه حيث كانوا يسمون الذين يستفون حول النبي صلوات الله عليه ويتبعدون حرفيًا بأقواله وأفعاله: عَبَادَ مُحَمَّدًا ! وقد سماهم به أبو بكر وسهيل بن عمرو في خطبتيهما في اليوم الثاني لوفاة النبي صلوات الله عليه فقالا: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات).

ثم سموهم شيعة على عليه السلام ، واتهموهم بالغلو ، لقولهم بإمامته من الله تعالى ! لذلك فإن كل ما تراه من أحاديث تنهى عن الغلو في النبي صلوات الله عليه والصلة والتجمع عند قبره ، وأن ذلك بمثابة اتخاذه صنماً ، وأحاديث تنهى عن التوسل والإستشاف بالمبيت ، وأحاديث تبني أن النبي صلوات الله عليه قد خص أهل بيته عليهم السلام بشئ من العلم ، أو الحقوق على الأمة ، وأحاديث ترفع من الصحابة في مقابل أهل البيت عليهم السلام وتمدحهم وتغالي فيهم ، حتى لنفس آيات ذمهم بالمدح ! وأحاديث على لسان أهل البيت عليهم السلام في مدح الصحابة من زعماء قريش ، الذين صاروا حكامًا وتفضيلهم على أنفسهم ، وأحاديث زعموا فيها أن أهل البيت عليهم السلام أقسموا أن النبي صلوات الله عليه لم يورنهم شيئاً ولم يخصهم بشئ.. فضعها كلها تحت المجهر لترى فيها العجائب ، وتصل الى تناقضها وكذبها !

ومنها ما وضعوه على لسان أمير المؤمنين والحسين وزين العابدين عليهم السلام ، كالذي رواه في تاريخ دمشق: ٣٨٩/٤١، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: (جاء رجل إلى أبي ، يعني علي بن الحسين فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ قال: عن الصديق تسأل ! قال قلت: يرحمك الله وتسميه الصديق؟! قال: ثكلتك أمك قد سماه

صدقأً من هو خير مني ومنك: رسول الله (ص) والهاجرون والأنصار ، فمن لم يسمه صديقاً فلا صدق الله قوله في الدار الآخرة ! إذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما ، فما كان من إثم ففقي عنقى).

ومن علائم وضعه أن الإمام عليه غضب وسبَّ من سأله ، على غير عادته ! ولهم يذكر الحديث الذي سمي فيه النبي أبا بكر بالصديق بسند صحيح ! وكالذى رواه في تاريخ دمشق: (عن علي بن الحسين قال: جلس اليَّ قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فمسوا منهما ، ثم ابتدأوا في عثمان فقلت لهم... قوموا عنى لا بارك الله فيكم ولا قرَبْ دوركم ! أنتم مستهزئون بالإسلام ولستم من أهله). لاحظ أن غضب الإمام عليه وصل به إلى الغلو في أبي بكر وعمر وعثمان ، وتكفير من مسَّ بهم وإخراجه من الإسلام !

وروى في تاريخ دمشق: ٣٨٨/٤١، عدة أحاديث في أن الإمام زين العابدين عليه سئل: (كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله (ص))؟ فقال: منزلتهما منه منزلتهمما اليوم). وفي رواية أنه أشار إلى القبر ، وفي أخرى: (فقال كمنزلتهمما اليوم هما ضجيعاه)، وفي رواية: (فقال منزلتهمما الساعة). انتهى. وبعض صيغ هذا الحديث محتملة ، فقد يكون الإمام عليه استعمل التورية في ظرف ما ، وأجاب إن منزلتهمما منه في حياته وفي الآخرة واحدة، وترك للسائل أن يفهم ما يريد !

١٥ - وكندوا على لسانه بأنه طعن في جده عليه عليه!

ففي تاريخ دمشق: ٣٩٠/٤١، عنه عليه أنه قال: (جاعني رجل من أهل البصرة فقال: جئتكم في حاجة من البصرة ، وما جئتكم حاجاً ولا معتمراً ! قال قلت له: وما حاجتك؟ قال: جئت لأسألتك متى يبعث علي بن أبي طالب؟ قال فقلت له: يبعث والله عليٌ يوم القيمة ، ثم تهمه نفسه). انتهى.

أقول: بيت قصيدهم من هذا الحديث المكذوب سؤال واضح للحديث: متى يحشر علي عليه السلام وكيف؟ وسببه وجود حديث صحيح في فضله عليه السلام أرادوا تكذيبه على لسان حفيده الإمام زين العابدين عليه السلام! وكلما رأيت حديثاً يطعن في علي عليه السلام فابحث حديث صحيح في مناقبه عليه السلام وضعوا حديثاً مقابلاً فقد رووا وروينا أن أول من يبعث يوم القيمة النبي صلوات الله عليه ثم على عليه السلام وأنه أول من يكسى بعد النبي صلوات الله عليه من خلع الجنة ، وأنه حامل لوانه وصاحب شفاعة ، وأمر السقاية على حوضه.. فأرادوا تكذيب ذلك وقالوا إن علياً يحشر كبقية الناس ويكون مشغولاً بنجاة نفسه ، وليس له مكانة خاصة ! والحديث الصحيح ما رواه الصدوق في الأمالي ٦٥٦ ، من قول النبي صلوات الله عليه: (يا علي، أنت وشيعتك القائمون بالقسط وخيره الله من خلقه . يا علي أنا أول من ينفض التراب عن رأسه وأنت معي ، ثم سائر الخلق). ومناقب آل أبي طالب: ٣٠٧٢، وتفصير فرات: ٢٦٦، وبشارة المصطفى: ٢٠١.

ورواه ابن حجر في الإصابة: ٢٢١٧، وضيقه ! قال: (عن عباد عن أبي عبد الرحمن حاضن عائشة ، قال قلنا له: ألا تذكر لنا من فضائل علي بن أبي طالب؟ قال: هي أكثر من أن تحصر ! قلنا فاذكر لنا بعضها قال: أفعل: استأذن علي على النبي (ص) وأنا في البيت فسمعته يقول: إنك لأول من ينفض التراب عن رأسه يوم القيمة). انتهى.

لكن يؤيده ما رواه الطبراني في الأولي ٤٠: (قال رسول الله (ص): نحن أول من يبعث وأول من يحاسب). وما رواه في الأوسط: ٢٠٣٥: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وأول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر ، وأول من ينظر إلى الجنة ولا فخر . ما بال أقوام يزعمون أن رحми لا

تفع ، ليس كما زعموا) . انتهى.

لاحظ أن النبي ﷺ كان يرد على نفس هؤلاء الذين زعموا أن شفاعته لاتنال أهل بيته وعشائره ! ولم يذكر فيه مكانة على ﷺ معه ، لكن الحديث التالي ذكره ، وهو ما رواه الدارقطني في العلل والهندى في كنز العمال: ١٥٦/١٣: (عن علي قال: قال رسول الله (ص): إن أول خلق الله يكسي يوم القيمة أبي إبراهيم فيكسي ثوبين أبيضين ، ثم يقام عن يمين العرش ، ثم أدعى فأكسي ثوبين أحضرين ثم أقام عن يسار العرش ، ثم تدعى أنت يا علي فتكسي ثوبين أحضرين ثم تقام عن يميني . أقما ترضى أن تدعى إذا دعيت وتكتسى إذا كسيت وأن تشفع إذا شفعت . الدارقطني في العلل ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: تفرد به ميسرة بن حبيب النهدي والحكم بن ظهير عنه ، والحكم كذاب . قلت: الحكم روى له الترمذى ، وقال فيه البخارى: منكر الحديث ، وروى عنه القدماء سفيان الثورى ومالك فصحح له ، وقد تابع ميسرة عن المنهال عمران بن ميشم ، وهو الحديث الذى قبله). انتهى.

فقد رد المتنسى الهندي على ابن الجوزي ووثق الرواين اللذين تعلل بهما لتضليله . راجع شواهد التنزيل للحسكاني: ٣١/١ ، وتفصيله في العقائد الإسلامية: ٢٢٢/٤ .

ويؤيد ما رروا وروينا أن أول ملف يفتح في محكمة القيمة ملف على ﷺ فهو أول من يجثو للمحاكمة مع خصومه ! رواه بخاري: ٦٥ ، وابن أبي شيبة: ٤٣٧/٦ .

ولم يكتف الكاذبون بتضليلهم للحديث ووضعهم ضده على لسان الإمام زين العابدين ع ، بل وضعوا حدثاً يقول إن الشخص الثاني الذي يبعث مع النبي ﷺ هو أبو بكر ! ففي تاريخ دمشق: ٥٩/٢٧٥: (عن أبي هريرة إن رسول الله (ص) قال: أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكون أول من يبعث ، فأخرج أنا وأبو

بكر إلى أهل البقيع، فيبعثون ثم يبعث أهل مكة ، فأحضر بين الحرمين). ويكتفي
لرده ما تضمنه من تصور بدوي للمحشر!

وروى الطبرى في الرياض النضرة/٣٢: (عن أبي أمامة قال: سمعت أبا بكر
الصديق يقول للنبي: من أول من يحاسب؟ قال: أنت يا أبا بكر ! قال: ثم من؟
قال: عمر ، قال: ثم من؟ قال: علي . قال: فعثمان؟ قال: سألت ربي أن يهب لي
حسابه فلا يحاسبه فوهبه لي). ثم استشكل الطبرى بوجود حديث يقول إن أبا
بكر لا يحاسب أبداً، وحل الإشكال بأنه يحضر الحساب كمراقب ولا يحاسب!
ثم دخل معاوية على الخط فجعل نفسه أفضل من النبي بنى هاشم ! قال:
(بلغنى أنه أول من يبعث جبرائيل فأحابيت أن أكون الثاني). (تاریخ دمشق: ١٥/١١).

إنها أحاديث تناديك بأنها موضوعة ، حسداً للحديث الصحيح في علي عليه السلام!

○ ○

كما وضعوا حديثاً آخر يطعن في علي وفاطمة عليهما السلام على لسان الإمام زين العابدين عليهما السلام مقاذه أن النبي عليه السلام كان يوقظهما لصلاة الليل فيجادلاته فقرأ فيما آية: **وَكَانَ الْأَنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءًا جَدَلًا** !

وغرضهم أن يطعنوا في علي عليه السلام وينفوا حديث أنه عليه السلام كان أول من تهجد مع النبي عليه السلام في سنوات حصارهم في شعب أبي طالب ، وقبله ! ويطعنوا في فاطمة عليه السلام ويستنفوا أن مطلع سورة طه يشملها حيث أن النبي عليه السلام كان يقف في محرابه ويصلى ليله حتى ورمت قدماء ، وكذلك فاطمة عليه السلام، فنزل جبرائيل بقوله تعالى: **طَهَ . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَقَ** .

فهي مقابل ذلك روى بخاري في صحيحه: ٤٣/٤، عن الزهرى قال: (أخبرني علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله (ص) طرقه وفاطمة بنت النبي ليلةً فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله أنفسنا

بـسـيـد الـهـ فـإـذـا شـاء أـن يـعـثـنـا بـعـثـنـا ! فـأـنـصـرـفـ حـينـ قـلـنـا ذـلـكـ وـلـم يـرـجـعـ إـلـى شـيـئـاً ،
 ثـمـ سـمـعـتـهـ وـهـ مـوـلـ يـضـرـبـ فـخـذـهـ وـهـ يـقـولـ : وـكـانـ الـأـنـسـانـ أـكـثـرـ شـيـئـ جـدـلاً !
 وـكـرـهـ بـخـارـيـ بـعـنـاـينـ مـخـلـفـةـ بـنـفـسـ صـيـغـتـهـ وـغـيرـهـ فـيـ : ٢٩٩/٥، ١٥٥/٨، ١٨٧/٢ ، وـمـسـلـمـ .
 وـفـيـ صـحـيـحـ اـبـنـ حـبـانـ : ٣٠٥/٦ (ثـمـ سـمـعـتـهـ وـهـ يـضـرـبـ بـيـدـهـ وـيـقـولـ : وـكـانـ الـأـنـسـانـ أـكـثـرـ
 شـيـئـ جـدـلاً) . نـهـيـ . فـهـمـ يـقـولـونـ لـكـ نـحـنـ لـا نـطـعـنـ فـيـ عـلـيـ وـفـاطـمـةـ ، بـلـ يـطـعنـ
 فـيـهـمـ حـفـيـدـهـمـ وـيـقـولـ كـانـاـ يـتـكـاسـلـاـنـ عـنـ قـيـامـ الـلـيلـ وـيـجـادـلـاـنـ النـبـيـ ﷺ !
 وـقـدـ تـقـدـمـ كـذـبـهـمـ عـلـىـ النـبـيـ ﷺ بـأـنـ اـبـتـهـ زـيـنـ أـفـضـلـ مـنـ فـاطـمـةـ ﷺ !

١٦- وـكـذـبـ عـلـيـ بـخـارـيـ أـوـ شـرـاحـهـ بـأـنـ جـوـزـ أـكـثـرـ مـنـ أـرـبـعـةـ نـسـاءـ !

قال بخاري في صحيحه: (باب لا يتزوج أكثر من أربع، لقوله تعالى مثنى
 وثلاث ورباع . وقال علي بن الحسين: يعني مثنى أو ثلاث أو ربع). انتهى .
 وقال في فتح الباري: (قوله: وقال علي بن الحسين أى ابن علي بن أبي
 طالب: يعني مثنى أو ثلاث أو ربع ، أراد أن الواو بمعنى أو فهي للتنويع ، أو
 هي عاطفة على العامل والتقدير فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى ،
 وانكحوا ما طاب من النساء ثلاث.. الخ. وهذا من أحسن الأدلة في الرد على
 الرافضة لكونه من تفسير زين العابدين وهو من أنتمهم الذين يرجعون إلى
 قولهم ويعتقدون عصمتهم) ! ونحوه عمدة القاري: ٩١٢٠، وتغليق التعليق: ٣٩٨/٤ .

ولم يذكر بخاري سندًا ولا مستندًا لنسبته ذلك إلى الإمام عليه السلام ! ولا ذكر ابن
 حجر ولا غيره مستندًا لتفسيرهم قول الإمام عليه السلام بزعم البخاري بما فسروه ! وقد
 طبل بذلك ابن تيمية وأتباعه ليثبتوا خطأ الإمام زين العابدين عليه السلام وعدم عصمته !
 ورد عليهم السيد الميلاني في نفحات الأزهار: ٢٤٨/٤ ، بأن تفسير الواو في الآية
 بأو هو مذهب المفسرين ، لأن المقصود التخيير وليس الجمع ، كما ترى في

أحكام القرآن للجصاص: ٦٩/٢، وتفسير السمرقندى: ٣٠٧١، وتفسير الرازى: ١٧٥٩ . فأهل البيت عليه السلام حصروا الزواح الدائم بالأربع باستثناء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجوزوا الأكثر من أربع بالمتنة . ورد عليهم السيد الميلاني بأن فقهاءهم المخالفين لأهل البيت عليه السلام هم الذين جوزوا الأكثر من أربع دواماً ! كالقاسم بن إبراهيم والنعمي وابن أبي ليلى، وحكي ذلك عن ابن الصباغ والعمرانى . ومنهم من قال بجواز التزوج بأي عدد شاء ، كما ذكر نظام الدين الأعرج المفسر النيسابورى...الخ. ففهمتهم للإمام زين العابدين عليه السلام ينطبق عليها المثل: ربتي بدائها وانسلت !

١٧ - وكذبوا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث ذم الأفارقة ونسبوه روايته إلى الإمام عليه السلام!

صحَّ عند أئمة المذاهب السنوية حديث: (إنما الأسود لبطنه وفرجه) !
 قال المجلوني في كشف الخفاء: ٢٢٦/١: (و عند الطبراني في الكبير ، عن أم أيمن قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: إنما الأسود لبطنه وفرجه . وعنده أيضاً عن ابن عباس بلفظ: ذكر السودان عند النبي (ص) فقال: دعوني من السودان فإن الأسود لبطنه وفرجه ، وبعضها يؤكّد بعضاً ، بل سند البزار حسن . ولأبي نعيم فيما أسنده الديلمي من طريقه عن أبي رافع رفعه: شر السرقي الزنوج إن شبعوا زنعوا . وقد اعتمد الحديث إمامنا الشافعى فروى في مناقبه البىهقى عن المزنى أنه قال: كنت مع الشافعى في الجامع إذ دخل رجل يدور على النیام . فقال الشافعى للربيع: قم فقل: لك عبد أسود مصاب بآحدى عينيه . قال الربيع: فقمت إليه فقلت له فقال: نعم . فقلت: تعاله ! فجاء إلى الشافعى ، فقال: أين عبدي؟ قال: مرَّ تجده في الحبس . فذهب الرجل فوجده في الحبس . قال المزنى: فقلت له: أخبرنا فقد حيرتنا . فقال: نعم رأيت رجلاً دخل من باب المسجد يدور بين النیام فقلت يطلب هارباً . ورأيته يجيء إلى

السودان دون البيض ، فقلت هرب له عبد أسود . ورأيته يجئ إلى ما يلي العين اليسرى ، فقلت مصاب ياحدى عينيه . قلنا: فما يدريك أنه في الحبس؟ فقال: ذكرت الحديث في العبيد: إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا ، فتأولت أنه فعل أحدهما ، فكان كذلك) . ومجمع الزوائد: ٢٣٥/٤، وفيض القدير: ٧١١/٣، وكذلك حسنة السخاوي في المقاصد الحسنة: ٩٢، وابن حمزة في البيان والتعريف: ٤٩/٢.

ثم نسبوا هذا الحديث إلى الإمام زين العابدين عليه السلام وأنه رواه عن أم أيمن، كما في الأحاديث المثنوي للضحاك: ٣٦٦، بسته عن محمد من آل الزبير قال: خرجنا تلقى الوليد بن عبد الملك مع علي بن الحسين ، حتى إذا كنا ببعض الطريق عرض حبشي لركابنا فقال علي بن الحسين: حدثني أم أيمن أو قال سمعت أم أيمن تقول سمعت رسول الله (ص) يقول: إنما الأسود لبطنه وفرجه) .

وقال ابن أبي حاتم في علل الحديث: ٢٩٢/٢: (سألت أبي عن حديث رواه محمد بن خالد الوهبي عن خالد بن محمد من آل الزبير عن أبيه قال: خرجنا تلقى الوليد بن عبد الملك مع علي بن حسین...؟ قال أبي: هذا حديث منكر وخالد مجھول). وقال العقيلي في الضعفاء: ١٤/٢: (وفي هذا المتن رواية أخرى من وجه أيضاً لain لا يثبت). وقال ابن الجوزي في الموضوعات: ٢٣٢/٢: (خالد بن محمد: قال العقيلي: لا يتابع على حديثه . وقال البخاري: هو منكر الحديث . وقال أبو حاتم الرازمي: هو مجھول) . ونقل ابن حجر في لسان الميزان: ٣٨٦/٢: (قال البخاري منكر الحديث . وقال أبو حاتم مجھول . وذكره ابن حيان في الثقات).

أما نحن فلم يصح عندنا حديث في ذم السودان ، بل روينا في سيرة أمتنا عليهما السلام عن الإمام الرضا عليهما السلام كما في الكافي: ٢٣٠/٨، أن البلخي كان معه في سفر: (فدعنا يوماً بمائدة له فجتمع عليها مواليه من السودان وغيرهم ، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: مه ، إن الرب تبارك وتعالى واحد ، والأم واحدة ، والأب واحد ، والجزاء بالأعمال) .

أصحاب الإمام الخاقان الذين شيد بهم المجتمع الشيعي

وهم كثيرون وفيهم علماء وشخصيات ، يحتاج الواحد منها الى كتاب خاص للدراسة شخصيته وفعالياته ! مثل يحيى بن أم الطويل ، وحكيم بن جبير بن مطعم ، وكلاهما منبني نوفل بن عبد مناف ، وسعيد بن المسيب بن حَزَن المخزومي ، وسعيد بن جبير الوالبي ، وكميل بن زياد التخumi ، وأبو خالد الكابلي ، وأبو حمزة الثمالي ، وجابر بن عبد الله الأنباري ، وأآل زراره .

روى المفيد رحمه الله في الإختصاص، بسنده عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: (إذا كان يوم القيمة نادى مناد: أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه الذين لم ينفروا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان ، والمقداد ، وأبو ذر .

قال ثم ينادي: أين حواري علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبد الله رسول الله؟ فيقوم عمرو بن الحمق الغزاعي ، ومحمد بن أبي بكر ، وميمش بن يحيى التمار مولىبني أسد ، وأويس القرني . قال: ثم ينادي المنادي: أين حواري الحسين بن علي وابن فاطمة بنت محمد رسول الله؟ فيقوم سفيان بن أبي ليلى الهمданى ، وحذيفة بن أسد الغفارى . قال: ثم ينادي: أين حواري الحسين بن علي؟ فيقوم كل من استشهد معه ولم يتخلف عنه .

قال: ثم ينادي: أين حواري علي بن الحسين؟ فيقوم (حكيم بن) جبير بن مطعم ، ويحيى بن أم الطويل ، وأبو خالد الكابلي ، وسعيد بن المسيب .

ثم ينادي: أين حواري محمد بن علي وحواري جعفر بن محمد؟ فيقوم عبد الله بن شريك العامري ، وزرارة بن أعين ، وبريد بن معاوية العجلاني ، ومحمد

بن مسلم الشقفي ، وليث بن البختري المرادي ، وعبد الله بن أبي يعفور ، وعامر بن عبد الله بن جذاعة ، وحجر بن زائدة ، وحرمان بن أعين .

ثم ينادي سائر الشيعة مع سائر الأئمة صلوات الله عليهم يوم القيمة ، فهو لاء أول الشيعة الذين يدخلون الفردوس ، وهو لاء أول السابقين ، وأول المقربين وأول المتحورة من التابعين) . ورجال الكشي: ٤٣١.

(قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمان علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، ويحيى بن أم الطويل ، وأبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر ، سعيد بن المسيب رباء أمير المؤمنين عليه السلام وكان حزناً جلاً سعيد أوصى لأمير المؤمنين عليه السلام . (رجال الكشي: ٣٣٢/١).

وعن الصادق عليه السلام قال: ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة أبو خالد الكابلي ، ويحيى بن أم الطويل ، وجابر بن مطعم ، ثم إن الناس لحقوا وكثروا . وروى يونس عن حمزة بن محمد الطيار مثله ، وزاد فيه وجابر بن عبد الله الأنباري... عن أبي جعفر الأول عليه السلام قال: أما يحيى بن أم الطويل فكان يظهر الفتوة ، وكان إذا مشي في الطريق وضع الخلوق على رأسه ، ويمضي اللبان ويطوي ذيله ! وطلبه الحجاج فقال: تلعن أبا تراب ! وأمر بقطع يديه ورجليه وقتله ! وأما سعيد بن المسيب فنجى ، وذلك أنه كان يفتني بقول العامة ، وكان آخر أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم فنجى . وأما أبو خالد الكابلي فهرب إلى مكة وأخفى نفسه فنجى . وأما عامر بن وائلة: فكانت له يد عند عبد الملك بن مروان ، فلهي عنه . وأما جابر بن عبد الله الأنباري فكان رجلاً من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم فلم يتعرض له وكانشيخاً قد أسن .

وأبا أبو حمزة الشمالي وفرات بن أحنف ، فبقوا إلى أيام أبي عبد الله عَلِيُّ .
وبقي أبو حمزة إلى أيام أبي الحسن موسى بن جعفر عَلِيُّ . (رجال الكشي: ٣٨١) .
أقول: تقدم أن معناه أنهم النماذج العليا الثابتة على خط أهل البيت عَلِيُّ ، بعد
سوجة الإبادة الأموية وشهادة الإمام الحسين عَلِيُّ ، ولا ينافي ذلك أن يكون في
الأمة مخزون من الدين والوعي ، أو يجب إفاقتها بالتدريج .
ونكتفي بترجمة موجزة لبعض هؤلاء العظاماء ، رضوان الله عليهم:

أ- يحيى بن أم الطويل المطمعي

إسم أم الطويل وشِيكَة ، وهي مُربية الإمام زين العابدين عَلِيُّ ، لأن أمها
شهربانويه توفيت وهو طفل ، فحضرته أم يحيى المشهورة بأم الطويل ، وكان
يدعوها أمي (رجال ابن داود: ٢٠٢) وقد عرف يحيى باسم ابن أم الطويل ، وبلقبه
المطمعي ، فقد وصفه به المفيد في الإختصاص /٨ ، قال: (أصحاب علي بن
الحسين عَلِيُّ: أبو خالد الكابلي كنكر ويقال اسمه وردان ، ويحيى بن أم الطويل
المطمعي). والطوسي في رجاله: ١٢٠ ، قال: (يحيى بن أم الطويل المطمعي) ،
وابن شهراسوب في المناقب: ٣١١/٣ ، قال: (وكان بابه يحيى بن أم الطويل
المطمعي). وتبعهم السيد الخوئي فذكر في معجم رجال الحديث: ٣٧/٢١ .

لكن التستري استظرف في قاموس الرجال: ٣٠/١١ ، أن يكون ثماليًا ، قال: (وفي
رجال الشيخ: يحيى بن أم الطويل المطمعي ومثله الإختصاص . والظاهر كونه
تحريفاً وأنه لما عَدَت كتب الرجال في أصحاب علي بن الحسين عَلِيُّ حكيم بن
جيير المطمعي وبحيى بن أم الطويل متصلين كما في رجال البرقي ، كان
المطمعي جزء حكيم بن جيير ، فإنه حكيم بن جيير بن مطعم ، فخلط بهذا .

والمفهوم من خبر رواه الكراجحي في كنزه في خطبة همام عن أبي حمزة الشمالي ، عن رجل من قومه يعني يحيى بن أم الطويل أنه أخبره عن نوف البكالي... الخبر، كونه ثماليًا من قوم أبي حمزة). انتهى.

وكلام التستري موافق للبخاري حيث وصفه بالشمالي وقال في تاريخه الكبير: ٤٣٤: (يحيى بن أم الطويل الشمالي عن عبد الله بن مليل: قال علي قال النبي (ص): أربعة عشر نجاء). انتهى. والشمالي نسبة إلى شمال بطن من قبيلة الأزد اليمانية (أنساب السمعاني: ١٥٠/٥) والمطعمي نسبة إلى جبير بن مطعم من بني عبد مناف . لكن وصفه بالمطعمي في مصادرنا تصريح بنسبة ، ولا يصح رفع اليد عنه بظنون الإشتباه التي ذكرها التستري رحمه الله.

وكذلك مفهوم قول أبي حمزة عن (رجل من قومنا) وتفسير الراوي له باين أم الطويل فكلاهما ظن لا يرد به التصريح ، والمفيد والطوسى وأمثالهم من علمائنا أعرف بيحى من بخاري ، فلعله التبس عليه بأبي حمزة الشمالي رحمه الله المعاصر للمطعمي والمشهور مثله بصحبته للإمام زين العابدين عليه السلام .

وبينبغي الإشارة إلى أن بخاري روى عنه هذا الحديث النبوى هكذا بثلاث كلمات (أربعة عشر نجاء) ! وأصله عندهم: (إنه لم يكن قبلى نبى إلا وقد أعطى سبعة رفقاء ووزراء وأنا أعطيت أربعة عشر نجاء). أحمد: ٨٨١ و ١٤٨١ و ١٤٢١ ، والترمذى: ٣٢٩٥ و الآحاد والثانى: ١٩٠١ ، والطرانى الكبير: ٢١٥٦ و ٢١٦٢ ، والتراتيب الإدارية: ١٩١/١ . ومع أنهم قالوا (ومنهم أبو بكر وعمر) وعدوا البقية علياً وفاطمة والحسينين عليهم السلام وحمزة وجعفر وابن مسعود وبلال وعمران وأبو ذر وسلمان والمقداد) . لكنهم ضعفوا الحديث ، كما في علل الدارقطنى: ٢٦٣٣ ، والعلل المتناثرة: ٣٠ ، لأن الشيعة رروا صيغته عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بلفظ: (ليس في جنة عدن منزل أشرف ولا أفضل

ولا أقرب إلى عرش ربِّي من متنزلي ، نحن فيه أربعة عشر إنساناً: أنا وأخي على وهو خيرهم وأحبيهم إلى ، وفاطمة وهي سيدة نساء أهل الجنة ، والحسن والحسين ، وستة أئمة من ولد الحسين . (كتاب سليم بن قيس ٣٦٤).

وفي كمال الدين ٣٣٥، عن الإمام الصادق عليه السلام: (فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ أَرْبَعَةُ عَشَرَ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحَسِينُ وَالْأَئْمَةُ مِنْ وَلَدِ الْحَسِينِ ، آخَرُهُمُ الْقَائِمُ الَّذِي يَقُومُ بَعْدَ غَيْبِتِهِ فَيُقْتَلُ الدِّجَالُ ، وَيُطَهَّرُ الْأَرْضُ مِنْ كُلِّ جُورٍ وَظُلْمٍ) . والمحضر ٢٢٨.

وكان يحيى عليه السلام من شيعة الإمام زين العابدين عليه السلام المقربين ، بحكم كونه أخ الإمام من الرضا أو الحضانة ، فهو صاحبه من نشأته ، ثم صار تلميذه الخاص وبوابه. وهو الذي دل أبا خالد الكابلي على الإمام عليه السلام فرأى منه معجزة واعتقد بإمامته، بعد أن كان منقطعاً إلى محمد بن الحنفية سبع سنين . (الهدایة ١٢٥).

قال أبو خالد: (القینی یحیی ابن أم الطویل وهو ابن دایة زین العابدین عليه السلام فأخذ بسیدی وصرت معه إليه ، فرأیته جالساً في بیت مفروش بالمعصفر ، مکلس الحيطان...)(عيون المعجزات ٦٤).

وهنا يأتي السؤال: لماذا لم يحضر يحيى مع الإمام عليه السلام في كربلاء ، وقد حضر من هو أصغر منه سنًا؟ والجواب: لعله من استثناءم الإمام الحسين عليه السلام وأمرهم بالبقاء في أماكنهم ، لأن دورهم سيكون بعد شهادته عليه السلام .

ويظهر أن يحيى كان مراقباً من السلطة والناس ، وكانت له أدوار مهمة في المدينة وخارجها ، فكان يظهر بمظهر الشاب غير المتدين ! كما نص عليه الكشي (فكان يظهر الفتنة وكان إذا مثى في الطريق وضع الخلائق على رأسه

ويضيق **اللَّبَانُ** وَيَطْوِلُ ذِيلَهِ ! وهو يدل على أن يحيى كان من أصحاب المهمات الخاصة عند الأئمة **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** من أجل تحقيق أهداف كبيرة !

ومن مهماته الجهر بالحق في وجه علماء السلطة ! فكان يدخل إلى المسجد النبوي ويواجه السلطة وعلماءها بأنهم على الباطل ، ويعلن من عند قبر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ** براءته منهم ! قال الإمام الصادق **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**: (وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَمِ الطَّوِيلِ يَدْخُلُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: إِنَّا بِرَاءٌ مِّنْكُمْ وَمَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَاهُتْنَا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) ! (الإخلاص/٦٤).

ولا يقوّم يحيى بهذا العمل بدون أمر الإمام **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**، فقد كان بباب الإمام الإمام **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** وهو متلزم بتوجيهه تماماً . ولا يأمره الإمام **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** به إلا أن يكون مستعداً للموت ! وتعبير الإمام الصادق **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** (وَكَانَ يَحْيَى يَدْخُلُ وَيَقُولُ...) يدل على تكرار إطلاقه لذلك الشعار ، ولا بد أنه أوجب ضجة من أول مرة وواجهه علماء السلطة في المسجد وغيرهم ، وأن السلطة حملت الإمام **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** مسؤولية ذلك فأعلن يحيى أنه هو المسؤول عن عمله وليس الإمام **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**!

ولا بد أنهم أرادوا اعتقاله فغيّب نفسه ، وقد يكون ذهب بعدها إلى العراق ليقوم بمهمة أكبر في تحريك المسلمين ، فيتحدى الحجاج طاغية بنى أمية ويخطب في ساحة عاصمتها الكوفة ! فقد روى الكليني **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**: ٣٧٩/٢، عن اليمان بن عبيد الله قال: رأيت يحيى بن أم الطويل وقف بالكتابة (ساحة الكوفة) ثم نادى بأعلى صوته: **عَشْرُ أُولَيَاءِ اللَّهِ ! إِنَّا بِرَاءٌ مِّمَّا تَسْمَعُونَ** ، من سب علياً فعليه لعنة الله ! ونحن براء من آل مروان وما يبعدون من دون الله ! ثم يخفض صوته فيقول: من سب أولياء الله فلا تقاعدوه، ومن شك فيما نحن عليه فلا تفاتحوه!

ومن احتاج إلى مسألتكم من إخوانكم فقد ختمواه ! ثم يقرأ: وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رِبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلِيؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكُفُرْ إِنَّا أَعْذَنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادُهَا وَإِنْ يَسْتَغْفِرُوا بِمَا كَالَّمُهُلْ يَشْوِي الْوَجْهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقَا ! انتهٰى وهذا غاية التحدٰي للحجاج في عاصمته ! وقد تضمنت الفقرة التي نقلها الراوي من خطبته أموراً أساسية ، منها الإصرار على ولادة أمير المؤمنين عليه ولعن لاعتيه ، وإعلان البراءة من آل مروان ومعبودهم من دون الله ، وهو خليفتهم وهواهم ! ومنها توجيه الشيعة إلى مقاطعة من يلعن علياً عليه ولوب عن أن يكونوا طائفة متعاونة متآخية في الإيمان ، فيتفقدوا بعضهم ويتتكلّلوا حاجة المحتاج ، فإن لم يفعلوا واحتاج أخوهم إلى استعطائهم ، فمعناه أنهم خانوا أخوتهم وقصروا في حقه !

ولا تذكر الروايات ردة فعل السلطة ، ولا كيف أفلت يحيى من قبضة الحجاج في الكوفة ، وكم بقي فيها؟ لكنها تذكر أنه ذهب إلى عاصمة الحجاج الجديدة واسط ، وهناك ألقى الحجاج القبض عليه ، وأحضره وطلب منه أن يعلن علياً^{عليه السلام} فأبى فامر بقطع يديه ورجليه ثم قتلها ، رضوان الله عليه .

قال محمد بن جرير الطبرى الشيعي فى دلائل الإمامة/١٩٣: (وبوابه عَلَيْهِ يَحْمِى بْنُ أَمِ الطَّوْبِيلِ الْمَدْفُونِ بِوَاسْطَ ، قَتْلَهُ الْحَجَاجُ).^٢

أقول: وقبره وقبير سعيد بن جبير الآن مزار في مدينة الواسط أو الكوت.

2

ويظهر أن فعاليات يحيى وأحداث حياته كانت كثيرة حتى ألفَ فيه أحد كبار العلماء الرواية كتاباً أورده في الدرية: ٣٥٣١، قال: (أخبار يحيى بن أم الطويل ، لأبي عبد الله الدبليي محمد بن وهبان من مشايخ التلوكبرى الذى توفي سنة ٣٨٥ ، ذكره النجاشى ، ويحيى هذا هو الذى طلب الحجاج وأمر بقطع

يديه ورجليه ، ثم قتله) .

بـ سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي

قال الكشي رحمه الله: (قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمان علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ومحمد (حكيم) بن جبير بن مطعم ، ويحيى بن أم الطويل ، وأبو خالد الكلبلي وأسمه وردان ولقبه كنكر . سعيد بن المسيب رياه أمير المؤمنين عليه السلام وكان حزن جد سعيد أوصى لأمير المؤمنين عليه السلام). ونحوه المناقب: (قال زين العابدين عليه السلام: سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدم من الآثار، أي في زمانه). وقال الذهبي في تذكرته: (سعيد بن المسيب ، الإمام ، شيخ الإسلام ، فقيه المدينة ، أبو محمد المخزومي ، أجلُّ التابعين ، ولد لستين مضتها من خلافة عمر وسمع من عمر شيئاً وهو يخطب ، وسمع من عثمان وزيد بن ثابت وعائشة وسعد وأبي هريرة، وخلق ، وكان واسع العلم وافر الحرمة متين الديانة قوًّاً بالحق... وقال أحمد بن حنبل وغيره: مراسلات سعيد صالح ، وقال قنادة ما رأيت أحداً أعلم من سعيد بن المسيب ، وكذا قال الزهري ومكحول وغير واحد، وصدقوا). وفي سيره: (الإمام العلم... وسيد التابعين في زمانه)، انتهى فابن المسيب رحمه الله عند علماء المذاهب السنية إمام في الحديث ، وإمام صاحب مذهب في الفقه ، ومصادرهم مليئة بفتواه وأحاديثه . أما علماؤنا فقد اتفقوا على أنه كان شيعياً ووثقه بعضهم ، وطعن فيه بعضهم وتوقف آخرون ! قال السيد الخوئي رحمه الله في معجم رجال الحديث: (سعيد بن

المسيب بن حَزَنَ أبو محمد المخزومي، سمع منه علي بن الحسين عليه السلام وروى عنه عليه السلام وهو من الصدر الأول (رجال الشيخ في أصحاب السجاد عليهم السلام) وعده البرقي أيضاً في أصحاب السجاد عليهم السلام. وذكر السيد الخوئي قول الفضل بن شاذان الذي رواه الكشي ، ثم أورد بضعة روايات في مدح سعيد وضيقها ما عدا رواية: (قرب الإسناد: ٢٥، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: وذكر عند الرضا عليه السلام القاسم بن محمد خال أبيه وسعيد بن المسيب فقال عليه السلام: كانا على هذا الأمر . أقول: هذه الرواية لا تدل على حسن الرجل فضلاً عن وثاقته ، بل تدل على أنه كان شيئاً موالياً لأهل البيت عليهم السلام...هذه هي عمدة ما ورد في مدح سعيد بن المسيب وقد عرفت أنها غير تامة ، وما قال له الفضل بن شاذان لو اعتمدنا عليه لا دلالة فيه على وثاقة سعيد ، والله العالم..

ثم رد السيد الخوئي عليه السلام روایات الطعن فيه ، كالرواية التي ذكر فيها ابن المسيب أنه لما اجتمع الناس على جنازة الإمام عليه السلام وفرغ المسجد النبوى طمع أن يصلى فيه ركعتين بخشوع كما علمه الإمام زين العابدين عليه السلام ، لكن ظهرت معجزة وكراهة للإمام عليه السلام فسمع تكبيراً من السماء والأرض ، قال: (ووُثِبَ لأصلِي فجاء تكبير من السماء فأجابه تكبير من الأرض فأجابه تكبير من السماء فأجابه تكبير من الأرض ، ففزعَت وسقطَت على وجهي فكبَرَ من في السماء سبعاً وكبَرَ من في الأرض سبعاً ، وصلَى على علي بن الحسين ، ودخلَ الناس المسجد فلم أدرك الركعتين ولا الصلاة على علي بن الحسين فقلت: يا سعيد لو كنت أنا لم أختَر إلا الصلاة على علي بن الحسين إن هذا هو الخسنان المبين ! قال: فبكى سعيد ثم قال: ما أردت إلا الخير ، ليتبَّني كُنت صليت عليه فإنه ما رؤيَ مثله) . وقال السيد الخوئي عليه السلام (هذه الرواية أيضاً مرسلة ، ويزيد

على ذلك أن جميع رواتها بين مهملاً ومعجهاً ، على أنه قد ذكر غير واحد أن سعيد بن المسيب مات سنة ٩٤ أو قبل ذلك ، فهو قد مات قبل وفاة السجاد لأنه إله فإنه سلام الله عليه توفي سنة ٩٥ .

ثم رد السيد الخوئي فاعتذر أيضاً طعن بعضهم فيه بأنه كان يفتى بقول العامة ، وأنه إن صح ذلك فقد يكون تقية ، ثم ذكر أن العلامة وابن داود ترجما ابن المسيب في قسم المعتمدين ، وأن الشهيد الثاني تعجب من ذلك لأن سيرته ومذهبها في الأحكام الشرعية مخالفة لطريقة أهل البيت عليهما السلام وأشبه بطريقة أبي هريرة ، ونقل عن المفيد في كتاب الأركان أن سعيداً كان ناصبياً لرفضه الصلاة على جنازة الإمام زين العابدين عليه السلام !

هذا ، لكن المتأمل في سيرة ابن المسمى عليه الصلوة والسلام الواسعة في مصادر الطرفين ،
يجد أن الروايات المادحة له توجب القول بوثاقته لأنها كثيرة مستفيضة يعنى
بعضها بعضاً ، ولا يضر فيها أن كل واحدة منها بمفردها ضعيفة ، هذا لو سلمنا
أنها كذلك . والإستفاضة والتظافر على معنى يجبران ضعف السند على مبني
السيد الخوئي نفسه عليه السلام فقد قال في كتاب الخمس: ٣٠٨١: (وفي أن الروايات الدالة
على أن المراد به الإمام عليه السلام كثيرة جداً وإن كانت ضعيفة السند بأجمعها فهي
نخصوص مستفيضة متطابقة) . وقال في معجممه: ١٤٠٠، في توثيق عمرو بن الحمق:

(إن ما تقدم من الروايات وإن كانت كلها ضعيفة السند، إلا أنها مستفيضة) بل اكتفى فيه بشهادة البرقي رحمه الله فقال: (مضافاً إلى أن شهادة البرقي على أنه كان من شرطة الخميص فيها كفاية). ومن الواضح أن توثيق ابن المسيب لا يعني قبول ما خالف مذهب أهل البيت عليهم السلام للتفقیہ ، من فقهه ورواياته رحمه الله .

وإذا نظرنا الى مستند ابن المسمى عليه السلام نجد أنه روى أصول مذهب التشيع ، وكثير من روایاته صحيح السند وبعضها في مصادر السنّيين . وهذه نماذج منها:

نلاحظ فيها اعتقاد ابن المسمى بالإمام زين العابدين عليه السلام واحترامه له ، رغم أنه أكبر منه سناً بخمس وعشرين سنة ! ففي الهدایة / ٢٠٧ : (عن سعيد بن المسيب قال: لما استشهد أبو عبد الله الحسين وحج الناس من قابل ، دخلت على سيدى علي بن الحسين . فقلت له يا مولاي قد قرب العج فماذا تأمرني؟ قال: إمض على نيتك فحججت ، فيبينما أنا أطوف بالكمبة فإذا تحن برجل مقطوع اليدين ووجهه كقطع الليل المظلم متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم رب هذا البيت الحرام اغفر لي وما أحسبك تغفر لي ، ولو شفع لي سكان سماواتك وجميع من خلقت لعظم جرمي ! وذكر قصته وأنه شارك في سلب الإمام الحسين عليه السلام وسرق نكبة سراويله !

وفي مناقب آل أبي طالب: (سأل ليث الغزاعي سعيد بن المسيب عن إيهاب المدينة؟ قال: نعم شدوا الخيل إلى أساطين مسجد رسول الله ورأيت الخيل حول القبر ، واتبهب المدينة ثلاثة ، فكنت أنا وعلى بن الحسين ثأري قبر النبي ﷺ فيتكلم علي بن الحسين بكلام لم أقف عليه ، فيحال ما بيننا وبين القوم ونصلى ، ونرى القوم وهم لا يروننا) !

وفي الكافي: (عن سعيد بن المسيب قال: سمعت علي بن الحسين يقول: إن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين فقال: أخبرني إن كنت عالماً عن الناس وعن أشباء الناس وعن النسناس؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا حسين أجب الرجل . فقال الحسين: أما قولك: أخبرني عن الناس ، فنحن الناس ولذلك قال الله تعالى ذكره في كتابه: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، فرسول الله عليه السلام الذي أفاض بالناس . وأما قولك أشباء الناس ، فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منا ، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: فَمَنْ تَبَعَّنِي فَإِنَّهُ مِنِّي . وأما قولك: النسناس ، فهم السواد الأعظم ، وأشار بيده إلى جماعة الناس ، ثم قال: إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) .

وفي الكافي: (سألت علي بن الحسين: ابنَ كم كان علي بن أبي طالب يومَ أسلم؟ فقال: أوَكَانَ كافراً قط؟! إنما كان لعلي حيث بعث الله عز وجل رسوله عليه السلام عشر سنين ولم يكن يومئذ كافراً ، ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله عليه السلام... فقال سعيد بن المسيب لعلي بن الحسين: جعلت فداك كان أبو بكر مع رسول الله حين أقبل إلى المدينة فأين فارقه؟ فقال: إن أبو بكر لما قدم رسول الله عليه السلام إلى قبة فنزل بهم يتضرر قدوم علي عليه السلام ، فقال له أبو بكر: إنهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك وهم يستريحون إقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تتضرر علينا ، فما أظنه يقدم عليك إلى شهر؟! فقال له رسول الله عليه السلام: كلاماً ما أسرعه ولست أرى حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل وأحب أهل بيتي إلى فقد وقاني بنفسه من المشركين . قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأز وداخله من ذلك حسد لعلي ، وكان ذلك أول عداوة بدت منه لرسول الله في

علي ، وأول خلاف على رسول الله ! فانطلق حتى دخل المدينة وتخلّف رسول الله ﷺ . ورواه في مختصر البصائر ١٢٩ ، بسنده صحيح .

وفي كمال الدين ٢٥٦: (عن سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: لِمَنْ مَجَادَلَهُ فِي دِينِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا... قال عبد الرحمن بن سمرة: فقلت: يا رسول الله أرشدني إلى النجا ، فقال: يا ابن سمرة إذا اختلف الأهواء وتفرقت الآراء ، فعليك بعلي بن أبي طالب ، فإنه إمام أمتي وخليفتني عليهم من بعدي ، وهو الفاروق الذي يميز به بين الحق والباطل ، من سأله أجابه ومن استرشده أرشده ، ومن طلب الحق عنده وجده ، ومن التمس الهدى لديه صادفه ، ومن لجأ إليه أمنه ، ومن استمسك به نجا ، ومن اقتدى به هداه . يا ابن سمرة ، سلم منكم من سلم له ووالاه ، وهلك من رد عليه وعاده . يا ابن سمرة إن علياً مني روحه من روحي وطبيته من طبيتي ، وهو أخي وأنا أخيه ، وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، وإن منه إمامي أمتي وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين ، وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائم أمتي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مثلت جوراً وظلماً) . والأمالى ٧٨ .

وفي أمالى الصدوق ٢٨٤: (عن سعيد بن المسيب ، عن أبي الحمراء قال رسول الله ﷺ:رأيت ليلة الإسراء مكتوبأ على قائمة من قوائم العرش: أنا الله لا إله إلا أنا ، خلقت جنة عدن بيدي ، محمد صفوتي من خلقي ، أيدته بعلي ، ونصرته بعلي) .

وفي كفاية الأثر ٣١: (عن سعيد بن المسيب ، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: الأئمة بعدى اثنا عشر ، تسعة من صلب الحسين ، والتاسع

قائمهم . ثم قال: لا ينضنا إلا منافق) .

وفي كفاية الأثر/٣٣: (عن سعيد بن المسيب ، عن أبي سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصلاة الأولى ، ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي ، إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطة فيبني إسرائيل ، فتمسكون بأهل بيتي بعدي والأئمة الراشدين من ذريتي ، فإنكم لن تضلوا أبداً . فقيل يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ فقال: اثنا عشر من أهل بيتي). وفي/٣٨: عن سعيد بن المسيب، عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ للأئمة بعدي اثنا عشر تسعة من صلب الحسين ، تاسعهم قائمهم ، ألا إن مثلهم فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك ، ومثل باب حطة فيبني إسرائيل) .

وفي كفاية الأثر/٩٣: (عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن عثمان بن عفان قال: قال لـي أبي: سمعت رسول الله يقول: الأئمة بعدي اثنا عشر تسعة من صلب الحسين ، ومنا مهدي هذه الأمة ، من تمسك من بعدي بهم فقد استمسك بحبل الله ، ومن تخلى منهم فقد تخلى من الله).

وفي كفاية الأثر/١٣٤: (عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن مالك أن النبي ﷺ قال: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، تقضي ديني وتنجز عداتي وتفاصل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل. يا علي حبك إيمان وبغضك نفاق ، ولقد نبأني اللطيف الخبر أنه يخرج من صلب الحسين تسعه من الأئمة معصومون مطهرون ، ومنهم مهدي هذه الأمة الذي يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت في أوله) .

وفي كفاية الأثر/٣٨: عن سعيد بن المسيب ، عن أبي ذر الغفاري قال: لا يزال

الدعاء محجوباً حتى يصلّى علىٰ وعلىٰ أهل بيتي) .

وفي الإرشاد: ٨٨/١، عنه ﷺ قال: (لو رأيت مقام علي يوم أحد لوجده قائماً على ميمنته رسول الله ﷺ يذب عنه بالسيف ، وقد ولّه غيره الأدبار).

وفي أمالى المفيد: ٩١/ (عن سعيد بن المسيب قال: لما قبض النبي ﷺ ارتجأ مكة بنعيمه ، فقال أبو قحافة: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله قال: فمن ولّ الناس بعده؟ قالوا: ابتك ، قال: فهل رضيتك بنو عبد شمس وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم ، قال: لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع الله ، ما أعجب هذا الأمر تنازعون النبوة وتسلمون الخلافة ! إن هذا الشئ يراد) .

وفي أمالى المفيد: ١٥٢/ (عن سعيد بن المسيب قال: سمعت يحيى بن أم الطويل يقول: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يقول: ما بين لوحى المصحف من آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت في سهل أو جبل ، وإن بين جوانحى لعلماً جمأً فسلوني قبل أن تفقدونى ، فإنكم إن فقدتمونى لم تجدوا من يحدثكم مثل حديثي) .

وفي جامع بيان العلم لابن عبد البر/ ١١٤ وغيره ، عن سعيد بن المسيب قال: (ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب). انتهى .
ولا يبعد أن أصله: ما كان لأحد أن يقول سلوني ، فوقع فيه تصحيف .

وفي أمالى المفيد: ٢٣٥/ (عن سعيد بن المسيب قال: سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن علي بن أبي طالب ، فقال له ابن عباس: إن علي بن أبي طالب صلى القبلتين وباع البيعتين ، ولم يبعد صنمًا ولا وثنا ، ولم يضرب على رأسه بزلمٍ ولا قدح ، ولد علىٰ الفطرة ، ولم يشرك باله طرفة عين .

فقال الرجل: إني لم أسألك عن هذا ، وإنما سألك عن حمله سيفه علىٰ

عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً ، ثم سار إلى الشام فلقي حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم ، ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم !

فقال له ابن عباس: أعلَّى أعلم عندك أم أنا ؟ فقال: لو كان علي أعلم عندك منك لما سألك! قال: فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه ثم قال: نكلتك أملك عليَّ علمي ! كان علمه من رسول الله ﷺ ورسول الله علمه الله من فوق عرشه فعلم النبي ﷺ من الله ، وعلم علي من النبي ، وعلمي من علم علي ، وعلم أصحاب محمد كلهم في علم علي كال قطرة الواحدة في سبعة أبحار .

واستشهد الإمام زين العابدين عـ بحديث المنزلة الذي رواه سعيد ، عندما قيل له: (إن الناس يقولون: إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان ثم علي) ، قال: فما يصنعون بخبر رواه سعيد بن المسيب، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي؟ فمن كان في زمان موسى مثل هارون)! (معاني الأخبار /٧٤، والهداية /١٦٢).

○ ○

وفي تاريخ دمشق: (حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني بعض أصحابنا قال: وقال ابن أبي عتيق للقاسم يوماً: يا ابن قاتل عثمان ! فقال له سعيد بن المسيب: أنقول هذا ؟! فوالله إن القاسم لخيركم ، وإن آباء محمداً لخيركم ، فهو خيركم وابن خيركم) !

وفي تذكرة الحفاظ: (عن المطلب بن السائب قال: كنت جالساً مع سعيد بن المسيب بالسوق ، فمرأ بر يرد لبني مروان ، فقال له سعيد: من رسل بني مروان أنت ؟ قال: نعم ، قال: كيف تركت بني مروان ؟ قال: بخیر ، قال: تركتم بجيرون الناس ويسبعون الكلاب ! فاشرأبَّ الرسول ! فقمت إليه فلم أزل

أزجيه حتى انطلق ، فقلت لسعيد: يغفر الله لك تُشيط بدمك؟ فقال: أسكط يا أحيمق فواهه ليسلمني الله ما أخذت بحقوقه... قال أبو يونس القوي: دخلت المسجد فإذا سعيد بن المسيب جالسٌ وحده ، قلت: ما شأنه؟ قالوا نَهَىَ أن يجالسه أحد ! قلت: قد أفردت سيرة سعيد في مؤلف ، وقد اختلفوا في وفاته على أقوال ، أقواها سنة أربع وتسعين ، أرخها الهيثم بن عدي).

وفي سير الذهبي: ٤/٢٢٦، أنه امتنع أن يأخذ عطاءه من من بني مروان وقال: لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيبي وبين بني مروان) !

وفي ٢٢٩، أن والي المدينة طلب منه أن يبایع لولدي عبد الملك فامتنع فضربه ستين سوطاً ، وطاف به في تبَان من شعر ، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به ويقول: سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنما لنعلم ما عنده خلاف... كما روى أن والي المدينة عامل ابن الزبير دعاه إلى البيعة فقال: لا حتى يجتمع الناس . فضربه ستين سوطاً فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إلى جابر يلومه ويقول: مالنا ولسعيد ، دعه .

جـ- القاسم بن محمد بن أبي بكر

كان محمد بن أبي بكر رض حاكم مصر من قبل أمير المؤمنين رض فغزا معاوية وعمرو بن العاص مصر ، وساعدهم أتباع عثمان هناك ، وانتصروا على المصريين وقتلوا أميرهم محمد بن أبي بكر رض وأحرقوا جنته !

(فلما بلغ ذلك عائشة أم المؤمنين جزعت عليه جزاً شديداً ، وقتلت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج ! وقبضت عيال محمد أخيها وولده إليها ، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها). رواه الثقفي في الغارات: ٢٨٥/١، ثم روى عن أسماء بنت عميس أم محمد بن أبي بكر: (لما أتتها نعي محمد بن أبي بكر وما صنع به كظمت حزناً وقامت إلى مسجدها حتى تشحّب دمها). انتهى.

وفي رواية تشحّب ثديها دماً ، وقد يفسر ذلك إن صح ، بارتفاع ضغط الجسم من الحزن ! لكن الذي زاد ارتفاع ضغط عائشة أن ضررها رملة بنت أبي سفيان ، المعروفة بأم حبيبة أم المؤمنين ، عبرت لها بطريقتها عن فرحتها بقتل أخيها معاوية لأخيها محمد! (لما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه ، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء ! فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بكبس فُسويَّ ، وبعثت به إلى عائشة وقالت: هكذا قد شُوِيَّ أخوك ! فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت ... حلفت عائشة لا تأكل شواء أبداً، فما أكلت شواءً بعد مقتل محمد (سنة ٣٨٧) حتى لحقت بالله (سنة ٥٧٤) وما عاشرت قط إلا قالت: تَعْسَ معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج). (الغارات: ٢٨٧/١، و ٢٩٧/٢، وأنساب الأشراف: ٤٠٣، وحياة الحيوان للدميري: ٤٠٤/١).

وفي سير الذهبي: (إن معاوية لما حج قدم فدخل على عائشة فلم يشهد كلامها إلا ذكران مولى عائشة فقالت لمعاوية: أمنت أن أخبي لك رجلاً يقتلك بأخي محمد؟! قال: صدقت! وفي رواية قال لها: ما كنت لتفعلني). (ونحوه في الطبرى: ٢٠٥/٤، والإستيعاب: ٢٣٨/١، وشرح الأخبار: ١٧١/٢. راجع جواهر التاريخ: ١٤٨/٢).

وقد أجمعـت المصادر السنـية عـلـى مدحـه ووثيقـه ووصـفـته بالفقـاهـة والإمامـة.

قال ابن سعد في الطبقات: (كان القاسم بن محمد يحدث بالحديث على حروفه... كان يتحدث بعد العشاء الآخرة هو وأصحابه.. سمعت مالك بن أنس يقول: قال عمر بن عبد العزيز: لو أن القاسم لها يعني الخلافة... كان يأتي من بيته إلى المسجد ف يصلـي ويـقـعـدـ للناس ويـقـعـدـونـ إـلـيـهـ بـكـرةـ... حدثـيـ خـالـدـ بنـ أبيـ بـكـرـ قالـ: رأـيـتـ عـلـىـ القـاسـمـ بـنـ مـحـمـدـ عـمـامـةـ بـيـضـاءـ ، وـقـدـ سـدـلـ خـلـفـهـ مـنـهـ أـكـثـرـ مـنـ شـبـرـ... لـمـ أـرـ القـاسـمـ بـنـ مـحـمـدـ يـخـضـبـ... مـاتـ القـاسـمـ سـنـةـ ثـمـانـ وـمـائـةـ وـكـانـ ذـهـبـ بـصـرـهـ وـهـوـ اـبـنـ سـبـعينـ أـوـ اـثـنـيـنـ وـسبـعينـ سـنـةـ ، وـكـانـ ثـقـةـ ، وـكـانـ رـفـيـعـاـ عـالـياـ فـقـيـهاـ إـمامـاـ ، كـثـيرـ الـحـدـيـثـ ، وـرـعـاـ . وـكـانـ يـكـنـيـ أـبـاـ مـحـمـدـ).

وفي تاريخ بخاري الكبير: (روى عنه الزهري ونافع وابنه عبد الرحمن ، وقال علي (السيبوي) عن ابن عيينة: كان من أفضل أهل زمانه... ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم ، وما كان الرجل يعد رجلاً حتى يعرف السنة).

وفي تذكرة الحفاظ: (قال يحيى بن سعيد الأنصاري: ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضله على القاسم . وعن أبي الزياد قال: ما رأيت فقيهاً أعلم من القاسم وما رأيت أحداً أعلم بالسنة منه... وعن عمر بن عبد العزيز قال: لو كان لي من الأمر شيئاً لاستخلفت أعميشبني تيم يعني القاسم ، وصدق فإن الخلافة من بعده كانت معهودة إلى يزيد بن عبد الملك من سليمان).

وفي تقريب التهذيب: (ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة ، قال أبوب: ما رأيت أفضل منه من كبار الثالثة . مات سنة ست ومائة على الصحيح).

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: (وقال الزبير: ما رأيت أبا بكر ولد ولدأً أشبه به من هذا الفتى... عن يحيى بن سعيد: ما أدركتنا بالمدينة أحداً نفضله على القاسم... وقال ابن حبان في ثقات التابعين: كان من سادات التابعين من أفضل أهل زمانه علمًا وأدبًا وفقهاً ، وكان صموتاً ، فلما ولد عمر بن عبد العزيز قال أهل المدينة: اليوم تنطق العذراء ! أرادوا القاسم).

○ ○ ○

مع أن القاسم بن محمد بن أبي بكر رض نحو عشرين سنة مع عمه عائشة ، وروى عنها ، لكنه بقي كأبيه محمد وفيأً لعلي والعتبة الظاهرة رض ، وكان يتحمل الإحراج من السلطة الأموية ومؤيدتها لأن أبوه محمدأً شارك في قتل عثمان بن عفان ، ولم يكن يدين عمله ! وتقدم أن سعيد بن المسيب رض تدخلَ عندما قال ابن أبي عتيق للقاسم: يا ابن قاتل عثمان ! فقال له سعيد بن المسيب: أنتقول هذا! فواه إن القاسم لخيركم وإن أبوه محمداً لخيركم ، فهو خيركم وابن خيركم) ! (تاريخ دمشق: ١٦٥/٤٩).

يقول له نعم إن أبوه قاتل عثمان وهو مع ذلك خيركم يابني تيم ، وابنه القاسم خيركم أيضاً ! ومن طريف مواقف القاسم رض عندما ركب عمه عائشة على بغلة وجاءت لمنع دفن الإمام الحسن رض عند قبر جده رض: (فأتاهها القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فقال لها: يا عمة ! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر ، أتریدين أن يقال يوم البغرة الشهباء)! (تاريخ البغوري: ٢٢٥/٢). وفي علل الشرائع: قال الإمام الصادق رض: (أول امرأة ركبت البغل بعد رسول الله صل عائشة ! جاءت إلى المسجد فمنعت أن يدفن الحسن بن علي مع رسول الله صل). انتهى.

وكان القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ابن خالة الإمام زين العابدين عليه السلام فقد كان ابن جابر الحتفي والياً من قبل علي عليه السلام على إيران وأرسل اليه بتبي يزدجرد ، فنحل إحداهم للحسين عليه السلام وهي أم زين العابدين عليه السلام ونحل الثانية لمحمد بن أبي بكر رضي الله عنه فولدت له القاسم . (الإرشاد: ١٣٧/٢، وروضة الوعاظين: ٢٠١).

ومع أنها ماتت في سن الستين لكن القاسم كان يعتقد بiamامة علي بن الحسين وأنه أحد منظومة الإمام من العترة الطاهرة عليها السلام . وكان هو وسعيد بن المسيب وأبا خالد الكابلي من ثقاته كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام . (الكافي: ٤٧٢/١). وقد تقدم تصحيح السيد الخوئي فلا يزال (١٣٨٩)، للرواية عن الإمام الرضا عليه السلام أن القاسم وسعيد بن المسيب: (كانا على هذا الأمر) .

○ ○

وقد خص الله القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه بكرامة عظيمة ، فكانت ابنته أم فروة زوجة الإمام الバقر وأم الإمام الصادق عليهما السلام . ومن هنا تعلق المخالفون بأن أبو بكر جد الإمام الصادق عليه السلام !

ففي العيون: ٤٧٢، في حديث اللوح الذي أهداه الله إلى فاطمة عليها السلام: (أبو محمد علي بن الحسين العدل أمه شهريانو بنت يزدجرد . أبو جعفر محمد بن علي الباقر أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب . أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر) .

○ ○

د- حكيم بن جبیر بن مطعم

قال السيد الخوئي فاطم في معجم الرجال: (حكيم بن جبیر بن مطعم بن عدی بن عبد مناف ، القرشی ، المدنی، من أصحاب السجاد عليهم السلام (رجال الشيخ) وعده البرقی مع توصیفه بالمطعمی في أصحاب السجاد عليهم السلام. انتهى .

وعندما ترجع الى مرويات حكيم بن جبیر بن مطعم عليهم السلام في مصادرنا تجدها أحادیث ناریة في ولایة أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم ! وهي صفة لأكثر مرويات هؤلاء الأصحاب الخاصین للإمام زین العابدین عليه السلام.

وهذا السبب في أن رواة السلطة لم يرووا عن حكيم ، بل لم يترجموه ، مع أنهن ترجموا بالتفصیل لأبناء جبیر بن مطعم: محمد ونافع وأبو سليمان . بل حاولوا أن ينفوا حكيم بن جبیر عن المطعمین ، فجعلوه أسدیاً تارةً ، وزعموا تارةً أن ابنه قال إن أباه غلام لبني أمیة تارة ، وبعضهم جعله غلاماً لثقیف !

وبما أنه ويحیی ابن أم الطویل مطعمیان أو نوفیان ، فينبغی الإشارة الى جدهما مطعم بن عدی بن نوفل بن عبد مناف ، الذي كان من أعلم مشرکی قریش إن كان فيهم عاقل ! ويعرف أولاده ببني نوفل في مقابل بني هاشم ، وبني المطلب ، وبني عبد شمس أي الأمویین .

قال ابنه جبیر بن مطعم: (لما كان يوم خیر وضع رسول الله صلی الله علیه وسَلَّمَ سهم ذي القربی فی بني هاشم وبني المطلب ، وترك بني نوفل وبني عبد شمس ، فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتینا النبي صلی الله علیه وسَلَّمَ فقلنا: يا رسول الله هؤلاء بني هاشم لا ننکر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم ، فما بال إخواننا بني المطلب أعطیتهم وتركتنا وقرباتنا واحدة ؟ فقال رسول الله صلی الله علیه وسَلَّمَ: إنا وبنی

المطلب لا نترى وفي رواية النسائي: إن بني المطلب لم يغارقوني في جاهلية ولا إسلام، وإنما نحن وهم شئ واحد وشبيك بين أصابعه). (الصحيح من المسنون: ٢١٣٥).

ولمَّا ات كل قبائل قريش ومعهم بنو كنانة على مقاطعة بني هاشم ومحاصرتهم حتى يسلموهم محمدأ ليقتلوه ، قدوا مؤتمرهم في مني ، قعوا صحيفه المقاطعة! أبى مطعم أن يوقعها وقال: هذا ظالم . (إعلام الورى: ١٢٥١).

وعندما توفي أبو طالب طمعت قريش بقتل النبي عليه السلام فذهب الى الطائف يعرض عليهم أن يحموه وينصروه حتى يبلغ رسالة ربه فلم يستجيبوا ، ولما رجع (وأشرف على مكة وهو معتمر كره أن يدخل مكة وليس له فيها مجير ، فنظر إلى رجل من قريش قد كان أسلم سراً فقال له... إذا ذهب إلى مطعم بن عدي فسله أن يجيرني حتى أطوف وأسعي ، ف جاء إليه وأخبره فقال: أين محمد؟ فكره أن يخبره بموضعه فقال: هو قريب ، فقال: إته فقل له: إني قد أجرتك فتعال وطف واسع ما شئت . فأقبل رسول الله عليه السلام وقال مطعم لولده < وأختاته وأخيه طعيمة بن عدي: خذوا سلاحكم فإني قد أجرت محمدأ وكونوا حول الكعبة حتى يطوف ويسمى ، وكانوا عشرة فأخذوا السلاح . وأقبل رسول الله عليه السلام حتى دخل المسجد ورأه أبو جهل فقال: يا معاشر قريش هذا محمد وحده وقد مات ناصره فشأنكم به . فقال له طعيمة بن عدي: يا عم لا تتكلم فإن أبا وهب قد أجار محمدأ ! فوقف أبو جهل على مطعم بن عدي فقال: يا وهب أمجير أم صابئ؟ قال بل مجير . قال: إذاً لا يخفر جوارك . (إعلام الورى: ١٣٥١).

(ومكث فيها سنة وستة أشهر في جوار مطعم بن عدي وكان يدعى القبائل في الموسمن). (الدر النظيم: ١١١).

ومات مطعم على الشرك ، وخلفه ولده جبير وكان أبوه خيراً منه ، فقد شجع

غلامه وحشياً على قتل النبي ﷺ أو على عائلاً أو حمزة رضي الله عنهما ، ووعده بجائزة مع جائزة هند أم معاوية ! ولم يسلم إلا تحت السيف عند فتح مكة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ومات سنة تسع وخمسين . (معارف ابن قتيبة ٢٨٥).

فالطبعيون أو النوفليون من بنى عبد مناف ، فهم أبناء عم بنى هاشم وبنى أمية ، وكان منهم شخصيات مع الأمويين ، ونفع عدد منهم فكانوا مع أهل البيت ع منهم يحيى وحكيم .

○ ○

وهذه نماذج من مرويات حكيم رحمه الله وهي تكشف عن تشيعه وجرأته:

(عن حكيم بن جبير قال: قال علي بن الحسين: يا حكيم بلغني أنكم تحدثون بالكوفة أن علياً علية السلام فضل أبي بكر وعمر على نفسه؟! قال قلت: أجل . قال: فهذا سعيد بن المسيب حدثني أنه سمع سعد بن أبي وقاص وهو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، فهل كان فيبني إسرائيل بعد موسى مثل هارون؟ فأين يذهب بك يا حكيم ! وفي رواية: ثم قال: فمن هذا الذي هو من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى؟). (مناقب أمير المؤمنين: ١٢١ و ٥٢٢).

(عن حكيم بن جبير ، عن علي بن زيد بن جذعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن سعد بن مالك أن النبي ﷺ قال: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي ، تقضي ديني وتنجز عداتي وتقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل . يا علي حبك إيمان وبغضك نفاق ، ولقد نبأني اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون مطهرون ، ومنهم مهدي هذه الأمة الذي يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت

في أوله) . (كفاية الأثر / ١٣٤) .

(عن حكيم بن جبير ، عن أبي الطفيل عامر بن وائلة ، عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: علي بن أبي طالب قائد البررة وقاتل الفجرة ، منصور من نصره مخدول من خذله ، الشاك في علي هو الشاك في الإسلام ، وخير من أخلف بعدي وخير أصحابي علي ، لحمه لحمي ودمه دمي وأبو سبطي ، ومن صلب الحسين تخرج الأئمة التسعة ، ومنهم مهدي هذه الأمة) .
ـ (كفاية الأثر / ٤٧) .

(عن حكيم بن جبير ، عن مجاهد... عن ابن عباس قال: كانت لعلي ثمانين عشرة منقبة لو لم يكن له إلا واحدة لنجا ، ولقد كانت له ثمانين عشرة منقبة لم تكن لأحد من هذه الأئمة) . (الخصال / ٥٠٩ ، والمعجم الأوسط / ٢١٢٨ ، وشاهد التنزيل / ٢٣١) .

(عن حكيم بن جبير ، عن اليمان مولى مصعب بن الزبير قال: قال عمر بن الخطاب: من ترون أنهم يولون الأمر غداً؟ قالوا: عثمان بن عفان . قال: فأين هم عن علي بن أبي طالب يحملهم على الطريق المستقيم) . (شاهد التنزيل / ٨٤) .
أقوال: أراد حكيم أن يقول إن خلافة عثمان كانت مرتبة والشوري شكلاً
مادام عمر اعطى حق النقض فيها لعبد الرحمن بن عوف صهر عثمان !

وفي الاستذكار لابن عبد البر: ٣٠٥/٨: (حكيم بن جبير عن خيشمة... وعن عبيبة بن عبد الرحمن عن أبيه قال كان لأبي بكر مطرف خز سداوته حرير فكان يلبسه) .

(عبد الله بن حكيم بن جبير... عن علي عليه السلام أنه قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله هل تقدر على رؤيتك في الجنة كلما أردنا؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن لكلنبي رفيقاً وهو أول من يؤمن به من أمته . وأنت أول من آمن بي ، فأنت لي رفيقي في الجنة . فأنزل الله عز وجل: أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . فقال رسول الله ﷺ: يا علي قد أنزل الله عز وجل جواب ما سألت عنه وجعلك رفيقي في الجنة وأنت الصديق الأكبر ، لأنك أول من أسلم). (شرح الأخبار: ٣٤٩٢).

(عن حكيم بن جبير ، عن علي بن الحسين عليه السلام في قول الله عز وجل: وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكّر . قال: الأذان على عليه السلام). (معاني الأخبار: ٢٩٨، ونقله في تفسير الميزان: ١٧٩٩)، عن الدر المثور لكن جعله عن حكيم بن حميد.

(عن حكيم بن جبير عن أبي الطفيلي عن زيد بن أرقم قال: نزل النبي ﷺ الجحفة فأمر بدوح فنظف ما تحتهن ثم أقبل على الناس فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله فإني أوشك أن أدعى فأجيب بما أنتم قائلون ؟ قالوا: نقول إنك قد بلغته ونصحتك فجزاك الله خيراً كما قدر كل انسان أن يقول قال: أليس تشهدون ألا إله إلا الله وأني عبد الله ورسوله قالوا: بلى . قال: أتشهدون أن الجنة حق وأن النار حق والبعث حق بعد الموت فقالوا: بلى . قال: فرفع رسول الله ﷺ يده فوضعتها على صدره ثم قال: وأنا أشهد معكم . ثم قال: هل تسمعون قالوا: نعم . قال: فإني فرطكم وأنكم واردون على الحوض وأن عرضه أبعد ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد الكواكب أقداح من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد يا رسول الله وما الثقلان قال الأكبر كتاب الله طرفه بأيديكم وطرفه بيد الله فاستمسكوا به لا تزدوا ولا تضلوا . والأصغر عترتي فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، وسألت لهما ذلك ربي فلا تقدموهم فنهلوكوا ولا تقصرو عنهم فنهلوكوا ، ولا تعلمونهم فهم أعلم منكم ؟ ثم قال: هل تسمعون ؟ فقالوا نعم فقال: أليس تشهدون بأنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟

قالوا: بلى. قال: فأخذ ييد علي فرفعها ثم قال: من كنت مولاه أولى به من نفسه فعلي وليه . ثم أرسل لعلي ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . ثم قال زيد بن أرقم حين فرغ من حديث: والله الذي لا إله إلا هو ما بقي تحت الدوح أحد مسمع وبصر إلا سمع ذلك من رسول الله بأذنه ورأه بعينه). (مناقب أمير المؤمنين: ٣٧٥/٢).

(حكيم بن جبیر وجماعة قالوا: شهدنا علياً عليه السلام على المنبر وهو يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله عليه السلام وورثت نبی الرحمة ، ونكحت سيدة نساء أهل الجنة وأنا سید الوصیین وآخر أوصیاء النبیین، لا یدعی ذلك غیری إلا أصابه الله بسوء . فقال رجل من عبس كان جالساً بين القوم: من لا یحسن أن یقول هذا: أنا عبد الله وأخو رسول الله؟! فلم ییرح مكانه حتى تخطبه الشیطان ، فجراً برجله إلى باب المسجد ! فسألنا قومه عنه فقلنا: تعرفون منه عرضاً قبل هذا؟ قالوا: اللهم ، لا .) (الخرائج: ٢٠٩/١).

(حدثني حكيم بن جبیر ، عن أبيه ، عن الشعبي ، عن أبي حمیفة وهب السواني عن حذيفة بن أسد قال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول على المنبر وسائله عن الأئمة إلا أنه لم یذكر سلمان فقال: الأئمة بعدى بعدد نقباءبني إسرائيل ، ألا إنهم مع الحق والحق معهم .) (كتاب الأثر: ١٣٠).

(حكيم بن جبیر ، عن إبراهيم النخعي ، عن علقة بن قيس قال: خطبنا أمير المؤمنین عليه السلام على منبر الكوفة خطبته اللؤلؤة فقال فيما قال في آخرها: ألا وإنی ظاعن عن قريب ومنطلق إلى المغیب ، فارتقبوا الفتنة الأموية والمملکة الکسرویة وإماتة ما أحیاه الله وإحياء ما أماته الله ، واتخذوا صوامعكم في بيوتكم ، وغضوا على مثل جمر الغضا ، واذکروا الله ذکرًا كثیراً فذکره أكبر لو

كتم تعلمون . ثم قال: وتبني مدينة يقال لها زورا بين دجلة ودجل والفرات ، فلو رأيتموها مشيدة بالجص والأجر مزخرفة بالذهب والفضة واللازورد المستسقا والمرموم والرخام وأبواب العاج والأبنوس والخيم والقباب والشارات وقد علبت بالساج والعرعر والسنوبر والمشبب وشيدت بالقصور وتواتت ملك بنى الشيبصان أربعة وعشرون ملكاً....

فقام إليه رجل يقال له عامر بن كثير فقال: يا أمير المؤمنين لقد أخبرتنا عن أئمة الكفر وخلفاء الباطل فأخبرنا عن أئمة الحق وألسنة الصدق بعده . قال: نعم إنه بعهد عهده إلى رسول الله ﷺ أن هذا الأمر يملكونها اثنا عشر إماماً تسعه من صلب الحسين، ولقد قال النبي ﷺ: لما عرج بي إلى السماء نظرت إلى ساق العرش فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته بعلي ، ورأيت اثنى عشر نوراً فقلت: يا رب أنوار من هذه؟ فنوديت: يا محمد هذه أنوار الأئمة من ذريتك . قلت: يا رسول الله أفلأ تستميمهم لي؟ قال: نعم أنت الإمام وال الخليفة بعدي تقضي ديني وتنجز عداتي ، وبعده ابنك الحسن والحسين ، بعد الحسين ابنه علي زين العابدين ، وبعديه ابنه محمد يدعى بالباقر ، وبعد محمد ابنه جعفر يدعى بالصادق ، وبعد جعفر ابنه موسى يدعى بالكاظم ، وبعد موسى ابنه علي يدعى بالرضا ، وبعد علي ابنه محمد يدعى بالزكي ، وبعد محمد ابنه علي يدعى بالنقي ، وبعد علي ابنه الحسن يدعى بالأمين ، والقائم من ولد الحسن سمي وأشبه الناس بي ، يملأها قسطا وعدلا كما ملئت جوراً وظلمأ . قال الرجل: يا أمير المؤمنين فما بال قوم وعوا ذلك من رسول الله ﷺ ثم دفعوك عن هذا الأمر وأنتم الأعلون تسبوا نوطاً بالنبي وفهمأ بالكتاب والسنة؟!.....). (كافية الأثر/٢١٣).

(عن حكيم بن جبیر عن إبراهیم عن علقة قال: قال علي عليه السلام: أمرت بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين ، فاما الناكثون فأهل الجمل ، وأما المارقون فالخوارج ، وأما القاسطون فأهل الشام). (مناقب أمير المؤمنين: ٥٤٤/٢).

(حکیم بن جبیر ، عن جمیع بن عمر ، عن ابن عمر قال: آخا رسول الله بين أصحابه فخرج علي تذرف عیناه و يقول: يا رسول الله آخیت بین أصحابک ولم توافق بینی وبين أحد؟ فقال له النبي عليه السلام: أنت أخي في الدنيا والآخرة). (مناقب أمیر المؤمنین: ٣٤٣/١).

(عن حكيم بن جبیر ، عن علي بن الحسين في قول الله عز وجل: ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله . قال: نزلت في علي عليه السلام حين بات على فراش رسول الله عليه السلام). (أمالی الطوسي: ٤٤٦، ومفصلات شواهد التنزيل: ١٣٠/١).

الحاکم: (حکیم بن جبیر عن علي بن الحسین قال: إن أول من شری نفسه ابتغاء رضوان الله علي بن أبي طالب. وقال علي عند میته على فراش رسول الله: وقيت بنفسي خیر من وطا الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر رسول الإله خاف أن يمکروا به فنجاه ذو الطول الإله من المکر وبيات رسول الله في الغار آمناً مُؤمِّنَ وفي حفظ الإله وفي ستر وبيت أراعيهم ولم يَتَهْمُونَنِي وقد وَطَنَتْ نفسي على القتل والأسر).

وفي تفسیر الطبری: ١٩٧/٢، و ٣٦٥/٢٧: (عن حکیم بن جبیر ، عن سعید بن جبیر ، عن ابن عباس قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء جملة واحدة ، ثم فرق في السنين بعد قال: وتلا ابن عباس هذه الآية: فلا أُنسم بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، قال: نزل مفرقاً).

وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٢٣٧/١: (عن حکیم بن جبیر عن عمران بن أبي الجعد

عن الأسود بن يزيد أنه سمع مؤذناً يقول في الفجر الصلاة خير من النوم فقال:
لا يزيدون في الأذان ما ليس منه !

وفي تفسير مجاهد: ٤٥١/٢، عن حكيم بن جبير: (موقع النجوم: نجوم القرآن).
وفي تفسير الطبرى: ٤٠٣/١، ٢٤٦/١٦، عن حكيم ، عن ابن عباس: (كان السامرى
رجالاً من أهل الإسلام فيبني إسرائيل . فلما فضل هارون فيبني إسرائيل
وفضل موسى إلى ربه ، قال لهم هارون: أنتم قد حملتم أوزاراً من زينة القوم
آل فرعون ، وأمتعة وحلية فتظهرروا منها... لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم
من زينة آل فرعون في النار وتكسرت ، ورأى السامری أثر فرس جبرئيل ،
فأخذ تراباً من أثر حافره ، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها ، وقال: كن عجلأ
جسدأ له خوار ، فكان ، للبلاء والفتنة .).

وفي شواهد التزييل: ٣٩٢/١: (عن حكيم بن جبير، عن أبي بزرة الأسلمي قال:
دعا رسول الله ﷺ بالظهور وعنده علي بن أبي طالب فأخذ رسول الله بيد علي
بعد ما تظهر فأ LZQها بصدره ، فقال: إنما أنتَ مُنذّرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ . ثم قال:
إنك منارة الأنام وغاية الهدى وأمير القراء ، أشهد على ذلك أنك كذلك).

○ ○

أما هذه الأحاديث الصريرة التي يرويها حكيم رضي الله عنه أشدّ منها في الولاية
والبراءة ! لا ننتظر أن يكون موقف رواة السلطة منه إيجابياً ! فقد رووا عنه
أحاديث عديدة وضعفوها ، منها حديث العذير (مجمع الزوائد: ١٦٦/٩).
وروى حديث فرار أبي بكر وعمر يوم خير (مجمع الزوائد: ١٢٤/٩).

وقد تحير الذهبى في تذكرته: ٩٩٥/٣، في حديث: يا علي إن الأمة ستغدر بك
من بعدي ! ونقل عن الدارقطنى قوله: ولم نكتبه إلا عن شيخنا ، وكان ثقة !
وقال في ميزان الإعتدال: ٤١١/٢: (عبد الله بن حكيم بن جبير الأسدى الكوفى .

عن أبيه ، رافقني ، غال كأبيه). وفي شرح النووي: (١٢٢/١): (وقال أحمد: ضعيف منكر الحديث. وقال النسائي: ليس بالقوى. وقال الدارقطني: متروك . وقال الحافظ: ضعيف رمي بالتشيع. (تحفة الأحوذى: ٥٢٧) وقال الرازى: غال في التشيع!

وافقهم جميعاً ابن حنبل في انتقامه من حكيم ، فجعله مولى لبني أمية !

قال ابنه في علله: (٣٩٧/١): (حدثني أبي قال: حدثنا وكيع قال: زعم ابن حكيم بن جبير أن أباه مولى لبني أمية) ! وسرعان ما صدق أحمد هذا الزعم ، فقال ابنه:

(٦٠٠/٢): (سألت أبي فقال: حكيم بن جبير مولى لبني أمية).

وخلفه بخاري فقال في تاريخه الصغير: (٢٠/٢): (قال أحمد... وقال غيره هو أسدى كوفي، كان شعبة يتكلم فيه ، وكان يحيى وابن مهدي لا يحدثان عنه).

وقال في تاريخه الكبير: (١٦٧/٣): (حكيم بن جبير الأسدى الكوفي...روى عنه الثورى كان شعبة يتكلم فيه). ثم ذكر زعم أحمد أنه مولى لبني أمية .

وزاد ابن حجر على أحمد فقال في تقريب التهذيب: (٢٣٤/١): (حكيم بن جبير الأسدى ، وقيل مولى ثقيف ، الكوفي ، ضعيف ، رمي بالتشيع).

أما الألباني فقد تناقض في حكيم فصحح حديثه مرة وضعفه مرة !

راجع: إبراء الغليل: ٢٣٨/٨، وتناقضات الألباني الواضحات للسفاف: ٣٨٧/٢.

بينما وثقه عدد من علمائهم: قال الرازى الجرج والتتعديل: (٢٠١٣/٣): (سألت أبي عن حكيم بن جبير فقال: ما أقربه من يونس بن خباب في الرأي والضعف ، وهو ضعيف الحديث منكر الحديث ، له رأى غير محمود (يقصد في أبي بكر وعمر)...

حدثنا عبد الرحمن قال قلت لأبي: حكيم بن جبير أحب إليك أو ثوير؟ قال ما فيهما إلا ضعيف غال في التشيع ، وهما متقاريان . حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبا زرعة عن حكيم بن جبير فقال: في رأيه شيء . قلت ما محله ؟ قال:

محله الصدق إن شاء الله). وقال أبو حاتم أيضاً: (محله الصدق إن شاء الله).
 (مجمع الزوائد: ٣٢٠/٥).

وفي تحفة الأحوذى: ٤١١/١ و٤١٢: (قد حسَّنَ الترمذى هذا الحديث ، وفيه حكيم بن جبير ، وهو متكلم فيه ، فالظاهر أنه لم يرَ بحديه بأساً ، وهو من أئمة الفن. وروى له سفيان وزائدة ، أى روايا عن حكيم بن جبير ولم ير يحيى بحديه بأساً). (ومناقب الخوارزمي: ١٢٧، وشاهد التنزيل: ١٣١/١، وينابيع المودة: ٢٧٣/١، وحلية الأبرار: ١١٥/٢).

وقال الحاكم: ٥٦٠/١، في حديث: (سورة البقرة فيها آية سيد آي القرآن ، لا تُقرأ في بيته وفيه شيطان إلا خرج منه: آية الكرسي . هذا حديث صحيح الإسناد ولهم يخرجاه ، والشيخان لم يخرجاه عن حكيم بن جبير لا لوهن في روایاته ، إنما تركاه لغلوه في التشيع). انتهى.

في الختام: يبقى أمر لا يؤثر على وثاقة حكيم عليه السلام وهو أن البرقي من علمائنا الطوسي والخوئي نسبوه بالمطعمي ، فيكون نوافلية منبني عبد مناف ، بينما نسبته عدد من مصادرنا ومصادرهم بالأحدى ، والتعدد لا يصح فيه لوحدة مروياته ، فلعله مطعمي وخولته من أسد فنسب اليهم ، أو سكن بينهم في الكوفة وتحالف معهم ، والله العالم .

هـ- كميل بن زياد النخعي

اشتهر كميل بن زياد عليه السلام عند الشيعة بالدعاء الذي علمه إياه أمير المؤمنين عليه السلام فواظب عليه الشيعة ، خاصة ليالي الجمعة ، وعرف باسم (دعاة كميل) .
كما عرف بحديث أمير المؤمنين عليه السلام عندما أخذه معه الى زيارة وادي السلام بظهر الكوفة ، قال كما في تذكرة الحفاظ: (أخذ علي عليه السلام بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان ، فلما أصرحنا جلس ثم تنفس فقال: يا كميل ، القلوب أوعية فخيرها أوعواها ، إحفظ عني ما أقول لك . الناس ثلاثة: فعالم رباني ، وعالم متعلم على سبيل نجاة ، وهمح رعاع أتباع كل ناعق ، يمليون مع كل ريح ، لم يستضيوا بنور العلم ولم يلتجئوا إلى ركن وثيق . العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال..الخ). وتاريخ دمشق: ٢٥١٥/٥٠ . وقد وثقه رواة الخلافة رغم أنه شارك في محاصرة عثمان، فقالوا في ترجمته: (تابع ثقة). (نوات العجل: ٢٢٩٢).

وذكرت مصادرهم ومصادرنا أن الحجاج قتله في أول ولايته على الكوفة ، قال في الطبقات: (وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، فلما قدم الحجاج بن يوسف الكوفة ، دعا به فقتله). وتاريخ النهي: ٣١٩٥/٥٠ .

وفي تاريخ دمشق: ٢٥٧٥٠: (سنة اثنين وثمانين قتل الحجاج كميل بن زياد النخعي... قال المدائني... وهو ابن سبعين سنة).

وفي تاريخ دمشق: ٢٥٦٥٠: (طلب الحجاج كميل بن زياد النخعي طلباً شديداً فلم يقدر عليه ، فقيل له إن أردته فامنع قومه العطاء ، قال فمنع النخع وقال: لا أعطيكم حتى تأتوني به ! فبلغ ذلك كميل بن زياد في موضعه الذي هو مستتر فيه فأرسل إلى قومه: أنا أظهر له فلا تمنعون عطاءكم... فقدمه وأمر أبا الجهم

بن كنانة فضرب عنقه .

وفي معجم السيد الخوئي: (قال ابن داود: كميل بن زياد النخعي من خواصهما (أي أمير المؤمنين والحسن عليه السلام) قال الشيخ المفيد: ومن ذلك ما رواه جرير عن المغيرة قال: لما ولَّيَ الحجاج طلب كميل بن زياد فهرب منه ، فحرم قومه عطاءهم ، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير وقد نفذ عمري ولا ينبغي أن أحرم قومي عطاءهم ، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج ، فلما رأاه قال له: لقد كنت أحب أن أجده عليك سبيلاً، فقال له كميل: لا تصرف علىيَّ أنيابك ولا تهدم علىيَّ ، فوالله ما بقي من عمري إلا مثل كواسر الغبار ، فاقض ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب ، وقد خبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي ، قال: فقال له الحجاج: الحجة عليك إذاً ، فقال له كميل: ذاك إذا كان القضاء إليك ! قال: بلى ، قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان ، إضربوا عنقه فضربت عنقه ! وهذا أيضاً خبر رواه نقلة العامة عن ثقاتهم وشاركتهم في نقله الخاصة).

أقول: لم أجده نصاً يدل على دور كميل بن زياد عليه السلام في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام مع أنه عاصره لأكثر من عشرين سنة ، وقد يكون السبب ظروفه الحرجة حيث كان رئيس قبيلة النخع المعروفة بتشيعها ، أو كبر سنه .

وروى الطبرى: ١٥٧/٥، أن كميلاً كان مع القراء في ثورة ابن الأشعث ، وكان في كتبة القراء ، ولكن ذلك بعيد جداً ، فقد كان عليه السلام ابن سبعين سنة ، وكانت شهادته كما رووا سنة ٨٢ ، ومحركه دير الجمامجم سنة ٨٣.

و- سعيد بن جبیر الأسلدی

وهو من الأصحاب الخاقسين للإمام زین العابدین علیه السلام، روى الطوسي في رجاله: ٣٥١، بسند صحيح عن الإمام الصادق علیه السلام قال: (إن سعيد بن جبیر كان يأتیمْ بعلی بن الحسین علیه السلام و كان على علیه السلام يشي علیه ، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا علی هذا الأمر ، وكان مستقیماً . وذكر أنه لما دخل على الحجاج بن يوسف قال: أنت شقیٌّ بن كُسْبَر؟ قال: أمی كانت أعرف باسمی سمعتني سعيد بن جبیر . قال: ما تقول في أبي بکر و عمر مما في الجنة أو في النار؟ قال: لو دخلت الجنة ورأیت أهلها لعلمت من فيها ! ولو دخلت النار ورأیت أهلها لعلمت من فيها ! قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوکيل . قال: أيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقه . قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم . قال: أبیتَ أن تَصْدِقَنِي ! قال: بل لم أَحْبَّ أن أَكْذَبَكَ).

وفي منتخب مذیل الطبری: ١١٨: (قال يحيی بن معین: هو سعيد بن جبیر ، وجبیر يکنی أبا عمران . وقال بعضهم: هو سعيد بن عمران ، وكان من الشیعہ) .
 وقال السید الخوئی في معجمہ: ١٢٠٩: (سعيد بن جبیر.. أصله من الكوفة ، نزل مکة ، تابعی من أصحاب السجاد علیه السلام... قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمن علی بن الحسین علیه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبیر، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن جبیر بن مطعم ، ويحيی بن أم الطويل ، وأبو خالد الكلابی . وقال في ترجمته: سعيد بن جبیر... عن أبي عبد الله علیه السلام قال: إن سعيد بن جبیر كان يأتیمْ بعلی بن الحسین علیه السلام... الخ).

أما عند أئمة المذاهب الأربعة ، فسعيد إمام وجهيد العلماء ، وصحابهم من البخاري وغيره مملووءة من أحاديثه ، وكتبهم الفقهية من فتاواه . وقد وصفوه بالشهيد ، ونقموا على الحجاج لقتله إياه .

جَهِيدُ الْعُلَمَاء

قال في تذكرة الحفاظ: (كان يقال لسعيد بن جبير جهيد العلماء... لما أتى سعيد بن جبير إلى الحجاج قال: أنت شقيٌّ بن كُسْير قال: أنا سعيد بن جبير ، قال: لأقتلنك ، قال: أنا إذن كما سمعتني أمي ، وقال: دعوني أصلِي ركعتين ، قال: وجْهُوهُ إلى قبلة النصارى ، قال: فَإِنَّمَا تُؤْلَمُ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ... قال ميمون بن مهران: مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض رجل إلا وهو يحتاج إلى علمه . وقال فطر بن خليفة:رأيت سعيد بن جبير أبيض الرأس واللحية) . وفي علل أحمد: (قال إبراهيم: ما ترك بعده مثله ، يعني سعيد بن جبير). وفي ثقات العجلبي: (ما كان يفتني الناس بالكوفة قبل الجمامجم إلا سعيد بن جبير). وفي: (وسمع عبد الملك من سعيد بن جبير ، وكان ألغع).

وقال الذهبي في سيرته: (الإمام الحافظ المقرئ ، المفسر الشهيد... روى عن ابن عباس فأكثر وجوداً... فادخل عليه فقال(الحجاج): ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير ، قال: أنت شقي بن كسرى . قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك . قال: شقيت أنت وشقيت أمك . قال: الغيب يعلمه غيرك . قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى . قال: لو علمت أن ذلك بيديك لاتخذتك إليها ! قال: فما قولك في محمد؟ قال:نبي الرحمة إمام الهدى . قال: فما قولك في علي في الجنة هو أم في النار؟ قال: لو دخلتها فرأيت أهلها عرفت. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهما أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقه . قال: فأيهما

أرضى للخالت؟ قال: علم ذلك عنده . قال: أبىت أن تصدقنى . قال: إنى لم أحب أن أكذبك) . وفي علل أحمد: (حدثني ابن منقذ صاحب الحجاج قال: لما قتلت الحجاج سعيد بن جبير كان ثلاث ليل لا ينام ، يقول: ما لي ولسعيد بن جبير... سأله رجل ابن عمر عن فريضة فقال: إنت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني وهو يفرض فيها ما أفرض... قال سعيد بن جبير: ما مضت على ليلتان منذ قتل الحسين إلا أقرأ فيهما القرآن، إلا مريضاً أو مسافراً).

أفضل تلاميذ ابن عباس

قال الذهبي في سيره: (علي بن المديني، قال: ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير . قيل: ولا طاووس؟ قال: ولا طاووس ولا أحد . وكان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين... مولده في خلافة أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

أقول: حاول بعضهم أن يفضل عليه عكرمة غلام ابن عباس ، لأن عطراة ناصبي وكذبوا على سعيد أنه أقر بذلك ! قال في تذكرة الحفاظ: (روى مغيرة عن سعيد بن جبير وقيل له: تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: نعم عكرمة) ! وال الصحيح ما رواه الذهبي في سيره: (فمر به عكرمة ومعه ناس ، فقال لنا سعيد: قوموا إليه واسألهوا واحفظوا ما تسألون عنه وما يجيئكم ، فقمنا وسائلنا فأجابنا ثم أتينا سعيداً فأخبرناه ، فقال: كذب) !

سعيد من أصحاب المهام الخاصة عند الأئمة

إن مراجعة أحاديث سعيد بن جبير تكشف عن تشيعه القوي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان ذلك معروفاً عنده عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يؤيد شهادة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه قتل من أجل تشيعه وقوله بإمامية زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وهنا يأتي السؤال: كيف صار من تلاميذ ابن عباس الخاصين ، وصار يفتني بفقهه ، وابن عباس عند الأئمة عليهم السلام أحد من فقهاء العامة الذي يفتون برأيهم؟ ثم كيف صار سعيد بن جبیر كاتباً لقاضي الكوفة؟!

والجواب ما قاله والد المجلسي رض في مرآة العقول: (هؤلاء الأجلاء من خواص أصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا مأذونين من قبل الأئمة بترك التقىة لمصلحة خاصة خفية ، أو أنهم كانوا يعلمون أنه لا ينفعهم التقىة ، وأنهم يقتلون على كل حال بإخبار المعصوم أو غيره ، والتقىة إنما تجب إذا نفعت . مع أنه يظهر من بعض الأخبار أن التقىة إنما تجب إبقاء للدين وأهله ، فإذا بلغت الضلالة حداً توجب اضمحلال الدين بالكلية فلا تقىة حينئذ وإن أوجبت القتل. كما أن الحسين عليه السلام لما رأى انطماماً آثار الحق رأساً ترك التقىة والمسالمة). (هامش الكافي: ٣٨٠/٢).

قال الذهبي في سيره: (قال سليمان التيمي: كان الشعبي يرى التقىة ، وكان ابن جبیر لا يرى التقىة). انتهى. وقصده أنه اختار مواجهة السلطان.

ونقلوا عن سعيد أنه كان يواجه المرجنة فيه عن مجالسة من يقول بمذهب الإرجاء الأموي ، الذي يزعم بكفاية التشهد بالقول بدون العمل !

قال بخاري في تاريخه الصغير: (ما رأيت أحداً أعبد من طلق بن حبيب فرآني سعيد بن جبیر معه فقال: لا تجالس طلقاً ! وكان يرى الإرجاء).

سعيد بن جبیر والقراء في ثورة ابن الأشعث

كان سعيد بن جبیر المسؤول المالي في جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، الذي أرسله الحجاج سنة ٨١ لقتال رتيل ملك أفغانستان وتواضعها ، وقد حشد الحجاج فيه عدداً كبيراً من شخصيات العراق وعلمائهم ، حتى كان للقراء لواء خاص بهم لكثراهم ! ولما وصلوا الى جنوب إيران استصعب عبد

الرحمن التوغل في أفغانستان ، بل تكلم هو وبعض من معه على الحجاج بأنه إنما أرسلهم إلى تلك الجبال الوعرة المقطعة ليتخلصون منهم ! فأعلن ابن الأشعث من هناك ثورته على الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان ، وأخذ البيعة لنفسه من جيشه بإسم ناصر المؤمنين ، ورجع إلى البصرة فسيطر عليها ، وتوجه إلى الكوفة ليقاتل الحجاج فاستجده الحجاج بمدد من الشام ، وكانت بينهم معركة كبيرة في دير الجمامجم قرب الكوفة سنة ٨٣ ، وانتصر الحجاج وهرب ابن الأشعث إلى رتيل في كابل ، وبقي عنده أكثر من ستين ، حتى راسله الحجاج وطمعه فقتله وبعث إليه برأسه سنة ٨٥ . (راجع تاريخ الطبرى: ١٥٤/٥).

وفي أحكام القرآن للجصاص: ٨٧١: (وخرج عليه من القراء أربعة آلاف رجل هم خيار التابعين وفقهاوهم ، فقاتلوه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالأهواز ، ثم بالبصرة ، ثم بدير الجمامجم من ناحية الفرات بقرب الكوفة ، وهم خالعون لعبد الملك بن مروان ، لاعنون لهم متبرئون منهم) !

ووصف الطبرى: ١٦٣/٥، تحمس علماء الكوفة وقرائهم للمقاتلين ضد الحجاج فقال: (فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة ، نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال: يا معاشر القراء ، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم ، إني سمعت علياً رفع الله درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون إنه من رأى عدواً يعمل به ، ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ، ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكر بالسيف لتكون كلمة الله العليا ، وكلمة الظالمين السفلة ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين . فقاتلوا مؤلاء المحليين المحدثين المبتدئين ، الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه ،

و عملوا بالعدوان فليس ينكرونه .

وقال أبو البختري: أيها الناس ، قاتلواهم على دينكم ودنياكم ، فواهـ لـن ظهـروا عـلـيـكـم ليـسـدـنـ عـلـيـكـمـ دـيـنـكـمـ ، وـلـيـغـلـبـنـ عـلـىـ دـيـنـكـمـ .

وقال الشعبي: يا أهل الإسلام قاتلواهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم ، فواهـ ما أعلم قـومـاـ عـلـىـ بـسـيـطـ الـأـرـضـ أـعـمـلـ بـظـلـمـ وـلـاـ أـجـوـرـ مـنـهـ فـيـ الـحـكـمـ ، فـلـيـكـنـ بـهـمـ الـبـدـارـ . وـقـالـ سـعـيدـ بـنـ جـبـيرـ: قـاتـلـوـهـمـ وـلـاـ تـأـثـمـواـ مـنـ قـاتـلـهـمـ بـنـيـ وـبـقـيـنـ ، عـلـىـ آـشـامـهـمـ قـاتـلـوـهـمـ ، وـعـلـىـ جـوـرـهـمـ فـيـ الـحـكـمـ ، وـتـجـبـرـهـمـ فـيـ الـدـيـنـ ، وـاستـذـلـلـهـمـ الـضـعـفـاءـ ، وـإـمـاتـهـمـ الـصـلـةـ) . اـتـهـيـ .

وفي تاريخ الطبرى: (لما اجتمعوا بالجماجم سمعت عبد الرحمن بن محمد وهو يقول: ألا إن بني مروان يُعِيرُونَ بالزرقاء ، والله ما لهم نسب أصح منه ، ألا أن بني أبي العاص أعلاج من أهل صفورية ! فإن يكن هذا الأمر في قريش فإني فقلت بيضة قريش، وإن يك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس ومد بها صوته يسمع الناس ، وبرزوا للقتال... ثم إنهم أخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقتلون ، وأهل العراق تأثيم موادهم من الكوفة ومن سوادها ، فيما شاؤوا من خصبهم ، وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد قد غلت عليهم الأسعار وقل عندهم الطعام ، وفقدوا اللحم ، وكانوا كأنهم في حصار ، وهم على ذلك يغادون أهل العراق ويراحونهم ، فيقتلون أشد القتال... فعبأ الحجاج أصحابه ثم زحف في صفوفه ، وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض ، وعبأ الحجاج لكتيبة القراء التي مع جبلة بن زحر ثلاثة كنائب) . اـتـهـيـ .

وذكر بعضهم أن جيش ابن الأشعث كان ستين ألفاً ، وذكر العقوبي: ٢٧٧/٢

أنه كان عشرة آلاف متختبين ، ووصف معركته مع الحجاج فقال: (نزل دير الجمامجم ، وجعلت خيلهما تروح وتغدو للقتال وأهل الكوفة يستعلون على خيل الحجاج وبهزمنهم في كل يوم ، فاشتد على الحجاج ما رأى من ذلك وكتب إلى عبد الملك كتاباً بعث به بأحد سير: أما بعد فيا غوثاء ، ثم يا غوثاء ! فلما قرأ عبد الملك الكتاب كتب إليه: أما بعد فيا ليك ثم يا ليك ثم يا ليك ! ثم وجه بجيشه بعد جيش ، وكانت وقائعهم كثيرة شديدة ، أخراهن وقعة مسكن هزمه فيها الحجاج فمضى منهزاً لا يلوي على شيء حتى صار إلى سجستان... وكان مع عبد الرحمن جماعة من قراء العراق منهم الحسن البصري ، وعامر بن شراحيل الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخمي ، وجماعة من هذه الطبقية... فكانت هزيمته في سنة ٨٣، وجعل الحجاج يتلقط أصحابه ويضرب أعناقهم ، حتى قتل خلفاً كثيراً وعفا عن جماعة ، منهم الشعبي وإبراهيم). انتهى.

ونقلوا عن عبدالله بن عمر أنه ندم عند موته لأنه لم يقاتلبني أمية مع أمير المؤمنين عليهما السلام ، ولم يقاتل الحجاج مع ابن الأشعث والقراء ، فقد نقل عنه الذهبي في سيرته: (ما أنسى على شيء إلا أنني لم أقاتل الفتنة الباغية... لما احتضر ابن عمر قال: ما أنسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاثة: ظمأ الهواجر ومكابدة الليل، وأنني لم أقاتل الفتنة الباغية التي نزلت بنا ، يعني الحجاج).
 (وعن فاطمة بنت علي أنها قالت: ما مات عبد الله بن عمر حتى تاب عن تخلفه عن علي عليهما السلام). (شرح الأخبار: ٧٢٢: ٣٣١).

وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه محترماً حتى عند من خالفه وصانعه بنى أمية ، قال الذهبي في سيرته: (قيل لإبراهيم: قتل الحجاج سعيد بن جبير ! قال: برحمه

الله ، ما ترك بعده خلف (يعني وارثه في العلم) ! قال: فسمع بذلك الشعبي فقال: هو بالأمس يعييه بخروجه على الحجاج ، ويقول اليوم هذا) !

ملاحظات على ثورة ابن الأشعث

١- عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من عائلة ملعونة ، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين ، وابنته جعدة سمّت الحسن ، ومحمد ابنته شرك في دم الحسين عليهما السلام) ! (الكافي: ١٦٧٨).

وهلk الأشعث (بعد مقتل علي عليه السلام بأربعين ليلة). (تاریخ دمشق: ١٤٤٩).

واشترك حفيده عبد الرحمن في دم مسلم بن عقيل عليهما السلام حيث كان أبوه من قادة ابن زياد ، ولما تفرق أهل الكوفة عن مسلم عليهما السلام لجأ إلى بيت العجوز طوعة وكان ابنتها خبيثاً: (فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه ! فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسارة). (الإرشاد: ٥٧٢، وأنساب البلاذري: ٨١، والأخبار الطوال: ٢٤٠، والطبری: ٢٦٠/٤). فأرسله ابن زياد إلى قتال مسلم عليهما السلام حتى أثخنه بالجراح وأخذوه ، ولم يكتف ابن الأشعث بدم مسلم ، فشرك في دم الحسين عليهما السلام وقاد أربعة آلاف في كربلاء !

ويدل قول الإمام الباقر عليهما السلام على أن النبي عليهما السلام لعن الأشعث بن قيس لعنة تسري في ذريته ! ففي الكافي: (عن سدير قال: قال لي أبو جعفر عليهما السلام: يا سدير بلغني عن نساء أهل الكوفة جمال وحسن تجعل فابتغ لي امرأة ذات جمال في موضع، فقلت: قد أصبتها جعلت فداك ، فلانة بنت فلان بن محمد بن الأشعث بن قيس. فقال لي: يا سدير إن رسول الله عليهما السلام لعن قوماً فجرت اللعنة في أعقابهم إلى يوم القيمة ! وأنا أكره أن يصيب جسدي جسد

أحد من أهل النار). انتهى.

٢- كانت قبائل كندة في العراق ثقلاً كبيراً في جيوش الفتوحات ، وفي كل الحروب التي كانت الكوفة فيها طرفاً ، وكانت بشكل عام مطية لرئيسها العام الأشعث ، ومن بعده لابنه محمد وأولاده ، وكان هؤلاء الأشاعثة من الذين قال الله تعالى فيهم: **وَإِذَا رَأَيْتُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَاهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا سَنَعَ لَغَوْلِهِمْ !**

٣- كان الحجاج يكره عبد الرحمن ابن الأشعث ويعتبره متكبراً ، وكان عبد الرحمن يحتقر الحجاج لشدة بطيشه ، ولأنه لا وزن له قليلاً ! (الأخبار الطوال)
٤١٦ ففيحتمل أن يكون هدف الحجاج إبعاده وغيره من الشخصيات من الكوفة وتعريضهم للقتل في جبال أفغانستان !

٤- تدل سرعة استجابة جيش عبد الرحمن له على نفوذه القبلي ، وتدل سرعة استجابة القراء الكبار في العراق والمحجاز ، على تفاقم ظلم الحجاج بعد أكثر من عشر سنوات من حكمه . ويلاحظ أنهم استعملوا شعارات أمير المؤمنين والإمام الحسين عليهما السلام لحركتك الناس لصلاح الأمة ، وقتل بنى أمية ! كما تدل سرعة هزيمتهم على أن قائد ثورتهم ابن الأشعث كان طالب دنيا ، فهو كجده الأشعث المشهور بالتفاق والغدر والفرار ، وقد رسم لنفسه طريق الفرار باتفاق عقده مع رتيل ملك الأفغان قبل أن يبدأ ثورته ! (البغوري: ٢٧٧/٢).

٥- حاول ابن الأشعث أن يجعل نفسه اليهاني الموعود المنتظر ، الذي يبشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه سينصر الإمام المهدي عليه السلام، قال البلاذري في التنبية والأشراف / ٢٧٢: (فلما عظمت جموعه ولحق به كثير من أهل العراق ورؤسائهم وقراؤهم ونساكهم عند قربه منها ، خلع عبد الملك ، وذلك بإصطخر فارس وخلعه الناس جميعاً ، وسمى نفسه ناصر المؤمنين، وذكر له أنه القحطاني الذي

يتظاهر البيهانية ، وأنه يعيد الملك فيها ، فقيل له إن القحطاني على ثلاثة أحرف ! فقال اسمى عبد وأما الرحمن فليس من اسمي) ! انتهى .

ولا يبعد أن يكون ابن الأشعث حاول أن يقنع الإمام زين العابدين عليه السلام بأن يدعوه له بالخلافة فرفض . وروي أنه أقنع الحسن المثنى بأن يدعو إلى خلافته وأنه وافق على ذلك ، قال ابن عبة في عمدة الطالب / ١٠٠ : (وكان الحسن بن الحسن شهد الطف مع عمه الحسين عليه السلام وأثخن بالجراح فلما أرادوا أخذ الرؤوس وجدوا به رمقاً فقال أسماء بن خارجة بن عبيدة بن خضر بن حذيفة بن بدر الفزارى : دعوه لي فإن وهبة الأمير عبيد الله بن زياد لي وإلا رأى رأيه فيه . فتركوه له فحمله إلى الكوفة ، وحكوا ذلك لعبيد الله بن زياد . فقال : دعوا لأبي حسان بن أخته . وعالجه أسماء حتى برئ ثم لحق بالمدينة . وكان عبد الرحمن بن الأشعث قد دعا إليه وبايده ، فلما قتل عبد الرحمن توارى الحسن حتى دس إليه الوليد بن عبد الملك من سقاء سماً فمات وعمره إذ ذاك خمس وثلاثون سنة ، وكان يشبه برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه . لكن المفيد رحمه الله نفى ذلك في الإرشاد : ٢٦٢ : (ومضى الحسن بن الحسن ولم يدع الإمامة ، ولا ادعاه لها مدع ، كما وصفناه من حال أخيه زيد) .

٦- كان الوقت متسعًا لأن يتصل سعيد بن جبير بالإمام زين العابدين عليه السلام ويسأله عن مشاركته في ثورته ، أو يذهب شخصياً من البصرة إلى المدينة ، وقد روى عنه الحسن البصري أنه دخل عليه في البصرة وطرح معه الموضوع قال : (ألا تعجب من سعيد بن جبير ، دخل عليَّ فسألني عن قتال الحجاج ومعه بعض الرؤساء ، يعني أصحاب ابن الأشعث) . (ابن أبي شيبة : ٢٥٠٧) .

ولم نجد أن سعيداً عليه السلام سأله الإمام فأجازه، لكن شهادة الإمام الصادق عليه السلام بإيمانه وطاعته للإمام زين العابدين عليه السلام ترجح أنه كان مجازاً بالمشاركة ، ولعل الإمام عليه السلام أخبره أيضاً بفشل الثورة وبأن الحجاج سيقتله في النهاية . فقد روى أحمد في العلل: ١٣٨/١، عن هشيم عن أبي بشر قال: قال سعيد بن جبير ليقتلني الحجاج ! قال قلت: كيف علمت ذاك؟ قال: رؤيا رأيتها) .



سعيد في سنوات التشريد والمطاردة

قال الطبرى: ٢٦٠/٥: (فلمًا خلع عبد الرحمن العجاج كان سعيد فیمن خلعه معه ، فلما هزم عبد الرحمن وهرب إلى بلاد رتيل هرب سعيد... أظن لما هرب من العجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه أن سعيداً عندك فخذنه ، فجاء الأمر إلى رجل تحرّجَ ، فأرسل إلى سعيد تحول عنى ففتحى عنه ، فأتنى آذربيجان فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون واعتمر (ندم به العمر)... فخرج إلى مكة فأقام بها فكان أناس من ضريبه يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم (وهم عطاء ومجاهد وعمرو بن دينار...) كتب العجاج إلى الوليد: إن أهل النفاق والشقاق قد لجؤوا إلى مكة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم... فكتب الوليد (بن عبد الملك) إلى خالد بن عبد الله القسري ، فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار... حدثنا يزيد بن أبي زياد مولىبني هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه جئ به مقيداً ، فدخل عليه قراء أهل الكوفة ، قلت: يا أبا عبد الله فحدثكم؟ قال: إيه والله ويضحك وهو يحدثنا وبنيته له في حجره... فقتله فلم يلبث بعده إلا نحواً من أربعين يوماً ! فكان إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول يا عدو الله فيم قلتني؟ فيقول: مالي ولسعيد بن جبير؟ مالي ولسعيد بن جبير!)

وقال الذهبي في سيره: ٢٣٧/٤: (طال اختفاءه ، فإن قيام القراء على العجاج كان في سنة اثنين وثمانين ، وما ظفروا بسعيد إلى سنة خمس وتسعين ، السنة التي قلع الله فيها العجاج). انتهى. وقد اختار سعيد أخيراً مكة لأنها لم تكن في سلطان العجاج ، وكان إليها خالد القسري ، فقد روى الحاكم: ١٣٧/٣: (عن مالك

بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير فقلت: يا أبا عبدالله من كان حامل راية النبي ﷺ قال: فنظر إليَّ وقال: كأنك رضيَّ بالبَالِ ! فغضبت وشكوته إلى إخوانه من القراء فقلت: ألا تعجبون من سعيد سأله من كان حامل راية النبي ﷺ ؟ قالوا: إنك سأله وهو خائف من الحجج ، وقد لاذ بالبيت ! فسألته فقال: كان يحملها علي بن أبي طالب ، هكذا سمعته من عبد الله بن عباس . وهو حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاً.

وروى زميله الزهرى أنه جاءه في الحج ، قال: (حج عمر بن عبد العزيز وأنا معه ، فجاءني سعيد بن جبير ليلاً وهو في خوفه فدخل منزله فقال هل تخاف علىَّ صاحبك فقلت لا بل إنْعُنْ). (علل أحادى: ١٨٦١، وفي تاريخ بخارى: ٢٥٤١، أنه أئمه في منى). ويقوى هذا الإحتمال ما رواه ابن خلكان: ٣٧٣/٢، والدميرى أن سعيداً قال يوم أخذوه: (وَشَّى بِي وَأَشِّى وَأَنَا فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، أَكْلَهُ إِلَى اللَّهِ) !

وروى الأذدي في مؤلفه الطريف كتاب الموارين ٥٧ ، إعجاب سفيان الثوري بيقين سعيد ، قال: (سمعت سفيان الثوري: ذكر سعيد بن جبير فقال: ما أعدل به من التابعين أحداً ، ما زال على بصيرة من أمره حتى قتل ! ما أشبهه إلا بعمار). انتهى.

ولعل سعيداً عندما خاطر وذهب إلى الزهرى في الليل فلم يساعده ! كشف نفسه للزهرى فوشى عليه ! فقد كان الزهرى من علماء البلاط ، وكان مرافقاً للأمير عمر بن عبد العزيز ووالى الحجاز القسرى !

ثم روى في كتاب الموارين استنكار الناس إلقاء القبض على سعيد، قال: (عن أبي شوذب قال: أَعْظَمَ النَّاسَ أَخْذَ سعيد بن جبير بمكة، وكان القسرى أخذه فصعد المنبر وهو في جانب الكعبة فقال: لو أنَّ أمير المؤمنين كتب إلى

أن أنقض هذا حجراً حجراً ووضع يده على الكعبة لنقضته حتى أدعه غدراً ترده الإبل) ! وهذا يدل على بني أمية وولاتهم جعلوا طاعة الخليفة فوق الدين! قال الديسوري في الأخبار الطوال :٣٢٨ (وفي السنة الخامسة من خلافة الوليد مات الحجاج بواسط ، وله أربع وخمسون سنة ، وكانت إمرته على العراق عشرين سنة ، منها في خلافة عبد الملك خمس عشرة سنة وفي خلافة الوليد خمس سنين ، وقد كان قتل سعيد بن جبیر قبل موته بأربعين يوماً ، قالوا: وكان يقول في طول مرضه إذا هجر: ما لي ولك يا ابن جبیر) ! وفي الإكمال/١٩٨، أنه تشهد ثم دعا وقال:(اللهم لا تسلطه على أحد بعدي ! فذبح على النطع . قيل: عاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ، ووُقعت الأكلة في بطنه... وكان ينادي بقية حياته: ما لي وسعید بن جبیر ! كلما أردت النوم أخذ برجلي ! ودفن سعيد بظاهر واسط العراق ، قبره بها يزور يتبرك به). وقال الدميري في حياة الحيوان/١٠٩٧: (ولما بلغ الحسن البصري قُتل سعيد بن جبیر قال: اللهم أنت على فاسق ثقيف رقيب ، والله لو أن أهل المشرق والمغرب اشتركوا في قتلهم لأكبهم الله تعالى في النار ، والله لقد مات وأهل الأرض من المشرق إلى المغرب محتاجون إلى علمه... وروي أن الحجاج... في مرضه كلما نام رأى سعيد بن جبیر أخذأ بثوبه وهو يقول: يا عدو الله فيما قلتني؟! فيستيقظ مذعوراً)! هذا ، وفي مصادرهم كثير من مدح سعيد وكراماته .

ترك رواة الخلافة أهم أحاديث سعيد بن جبیر!

إذا قارنت ما رووه عن سعيد مع ما تركوه من حديثه ، تجد أنهم تركوا أحاديثه في أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم المميزة وإمامتهم الربانية ، وأنهم رکن في الإسلام أنزله الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لا يقبل الله عملاً إلا بولاتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ! وكذلك ما رواه من طعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض صحابته !

وهذه سياستهم مع كبار الرواة ، يتلقون من حديثهم ما يتافق مع سياسة الأمويين أو لا يشيرهم ! أو يحرفون نصوص أحاديثهم حتى تخضع لسياستهم ! ومع ذلك يفلت منها كثير يفضح أمرهم !

نماذج من حديثه في مصادره

في أمالی الصدق ١٩١: (عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال: قال علي[ؑ] لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله إنك لتعجب عقلياً؟ قال: إيه والله إني لأحبه حبين جداً له وحب أبي طالب له ، وإن ولده لم يقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين ، وتصلி عليه الملائكة المقربون . ثم بكى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى جرت دموعه على صدره ، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي) .

وفي ٩٣: (عن سعيد بن جبیر ، عن عائشة قالت: كنت عند رسول الله (ص) فأقبل علي[ؑ] بن أبي طالب فقال: هذا سيد العرب ، فقلت: يا رسول الله ألس سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب ، فقلت: وما السيد؟ قال: من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي). ومثله: معاني الأخبار ١٠٣.

وفي ٣٤٢، عن سعيد ، عن ابن عباس: (قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي[ؑ] بن أبي طالب: يا علي ، أنا مدينة الحكمة وأنت بابها ولن تؤتي المدينة إلا من قبل

الباب ، وكذب من زعم أنه يحبني ويفضلك لأنك مني وأنا منك... مثلك ومثل الأئمة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، ومثلكم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم ، إلى يوم القيمة) .

وروى عنه في كمال الدين ٢٨٠: (قال: قال رسول الله ﷺ: إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر: أولهم أخي وأخرهم ولدي ، قيل: يا رسول الله ومن أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب ، قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، والذى بعثتى بالحق نبياً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي ، فينزل روح الله عيسى بن مریم فیصلی خلقه ، وتشرق الأرض بنوره ، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب) .

وروى عنه في كفاية الأثر ١٠: (قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارني منها فجعلنينبياً ، ثم اطلع الثانية فاختار منها علياً فجعله إماماً ، ثم أمرني أن أتحذه أخاً ووصياً وخليفةً وزيراً ، فعلي مني وأنا من علي ، وهو زوج ابنتي وأبو سبطي الحسن والحسين ، ألا وإن الله تبارك وتعالى جعلني وإياهم حججاً على عباده ، وجعل من صلب الحسين أئمة يوصون بأمرى ويحفظون وصيتي ، التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدى أمتي ، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله ، ليظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة فيعلن أمر الله ويظهر دين الحق ، ويؤيد بنصر الله وينصر بملائكة الله ، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً) .

وفي أمالی الصدق ٦١، قال رسول الله ﷺ: (المخالف على علي بن أبي طالب بعدي كافر ، والمسيرك به مشرك... عليٌّ أمير المؤمنين ، وقائد الغر

الْمُحَجَّلِينَ ، وإمام المسلمين ، لا يقبل الله الإيمان إلا بولايته وطاعته .
وفي ٦٦: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لعلي: (يا علي، شيعتك هم الفائزون يوم القيمة... وأولياؤك أولياء الله وحزبك حزب الله... لك كنز في الجنة ، وأنت ذو قرنها) .
وعنه في ٨٣: (قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: معاشر الناس ، إن ربكم جل جلاله أمرني أن أقيم لكم علياً علمًا وإمامًا و الخليفة ووصيًا ، وأن أتخذه أخاً وزيراً... إن علياً صديق هذه الأمة وفاروقها ومحدثها...).

وروى عنه في ٨٥: (قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ولالية علي بن أبي طالب ولالية الله ، وحبه عبادة الله ، واتباعه فريضة الله ، وأوليائه أولياء الله ، وأعداؤه أعداء الله...).
وروى عنه في ١١١: (قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إن علياً وصبي وخليفتي ، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابتي ، والحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة ولدائي ، من والاهم فقد والاني ، ومن عادهم فقد عاداني...).

وروى عنه في ١٣٤ ، أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه هي: بحق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وفي ١٧٥، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر علياً وفاطمة والحسينين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بما سيجري عليهم، وفيه: (ثم لا يزال الأمر به (عليه السلام) حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور... وأما ابتي فاطمة ، فإنها سيدة نساء العالمين... وإنني كلما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي ! كأنني بها وقد دخل السذل بيتها ، وانتهكت حرمتها ، وغضبت حقها ، ومنعت إرثها ، وكسر جنبها وأسقطت جنبها ، وهي تنادي: يا محمداه ، فلا تجاب ، و تستغث فلام تغاث... ف تكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم على محزونه مكروبة مغمومة...).
وفي ١٩٥ ، عن سعيد بن جبير قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب... وذكر مجئ فاطمة بنت أسد ودعاءها عند الكعبة وكيف انشق

الجدار فدخلت وولدت علياً عليهما السلام في الكعبة .

وروى عنه في الأصول ستة عشر / ١٨ ، أن أبا بكر أمر خالداً بقتل علي عليهما السلام تراجع ! وروى عنه في فهرست منتجب الدين ٣٥١ ، قصة ابن عباس البلغة مع قرشيين كانوا يسبون علياً ، وحديث : (من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله فقد كفر) .

نماذج من حديثه في مصادرهم

في صحيح بخاري : ٤٥٤ ، وخمس مواضع أخرى عن (سعید بن جبیر سمع ابن عباس يقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ! ثم بكى حتى بل دمعه الحصى ! قلت : يا ابن عباس ما يوم الخميس ؟ قال اشتدر رسول الله عليهما السلام وجده فقال : إنوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلووا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينفعي عند نبي تنازع ! فقالوا : ماله أهجر ؟ إستفهموه ! فقال : ذروني فالذى أنا فيه خير مما تدعوني إليه). وفي : ١٩٢٥ ، روى عنه في الصحابة الذين يؤخذ بهم إلى النار .

وفي : ٤٤٢٥ ، روى عنه في الذين يعبدون الله على حرف ، نكان أحدهم يسلم فإذا لم تلد امرأته غلاماً ولم تنتج خيله قال : هذا دين سوء وارتدى عن الإسلام ! ورووا عنه حديث بريدة ، وما أدرك ما بريدة الإسلامي ! فقد كان مع جيش خالد بن الوليد الذي أرسله النبي عليهما السلام إلى اليمن وبقي خالد ستة أشهر ولم يستطع فتح شيء ، فأرسل النبي عليهما السلام علياً وكتب إلى خالد أن يكون مع جيشه يأمرته ، ففتح على عليهما السلام وأقام مدة يرتب أمرها ، فكتب خالد رسالة إلى النبي عليهما السلام يشكو فيها علياً وأنه خان الله ورسوله وأخذ من الغنائم جارية ، وبعث الرسالة مع بريدة ومعه ثلاثة يبغضون علياً عليهما السلام وعندما وصلوا إلى المدينة فرح بهم مبغضوا علي عليهما السلام وأمر وهم أن يتكلموا أربعة ويشهدوا للنبي عليهما السلام

ضد علي عليه السلام ليسقط في نظره ويعلن أنه خان أموال المسلمين، وتزوج على ابنة النبي صلوات الله عليه! فكان سعيد بن جبیر رضي الله عنه يروي حديث بريدة عن ابن عباس، ويروي خضب النبي صلوات الله عليه على بريدة وأصحابه وقواصفه على مبغضي علي عليه السلام ، وأنه لا بين لهم أن علياً بأمر الله تعالى خليفة النبي صلوات الله عليه ولو لهم من بعده ، وأنه لا يتصرف من عند نفسه فهو إما مأمور من النبي صلوات الله عليه أو ملهم من ربه ، وأنه من المتعة أصحاب الخمس وحقه منه أكثر من جارية . وأن زواجه أو تسريه لا يغضب فاطمة عليها السلام خاصة عندما يكون في سفر ، لأن ذلك شرع الله تعالى .

وأشد ما في حديث بريدة حكم النبي صلوات الله عليه بأن مبغضي علي عليه السلام منافقون أو كفار عليهم أن يتوبوا ويفجدو إسلامهم ! وبالفعل جدد بريدة إسلامه وتاب من بغض علي عليه السلام وأخذ يحبه ! (راجع العقائد الإسلامية: ٩١/٤، وفيه عن الحاكم: ١٢٩٢/٢ و ٣، و ١٣٠، وتاريخ بخاري: ١٤١/٢، ١٤١/٩، والترمذى: ٢٩٩/٥، والروايد: ١٠٨/٩، وفي: ١٢٧) .
فيمن يحبه ومن يبغضه ، وقصة بريدة فيها أحاديث صحيحة حاسمة في ولادة أمير المؤمنين عليه السلام .

وروى عنه في تذكرة الحفاظ: ٨٣٧/٣ (عن ابن عباس قال: تمنع رسول الله صلوات الله عليه (أي حج حج المتعة) فقال عروة: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ! فقال ابن عباس: ما تقول يا عرية؟ قال: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ! فقال: أراهم سيهلكون !
أقول قال رسول الله صلوات الله عليه ، ويقولون: قال أبو بكر وعمر) !

وعنه صلوات الله عليه في تذكرة الحفاظ: ٥/٢١٤، أن النبي صلوات الله عليه جمع بين الظاهرين والمغربين .
وعنه في تذكرة الحفاظ: ٧٦١/٧ (عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى محمد صلوات الله عليه إني قتلت يحيى بن سبعين ألفاً ، وإن قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً ، وبسبعين ألفاً . غريب ، وعبد الله خرج له مسلم) .

وروى عنه الخطيب في الإكمال: ١٤٨، أن ابن الزبير كان يعيّب على ابن عباس

تجویزه للستة ، فقال ابن عباس سلوا أمه أسماء كيف أتت به؟ فسألوها
فقالت: صدق ابن عباس ، قد كان ذلك !

وفي ١٩٨٧، أن النبي ﷺ سئل عن القرابة الذين أوجب الله مودتهم ، فقال:
عليّ وفاطمة وابنها ، والحديث في الطبراني الكبير . ٣٩٣: ٣٩٣، ٣٥١/١١.

وروى عنه في تاريخ خليفة ١٣٨: (كان مع علي يوم الجمل ثمانين مائة من
الأنصار ، وأربع مائة من شهد بيعة الرضوان).

وروى عنه الذهبي في سيرته: ٤١٥/٣ ، وقوى إسناده وتحير فيه ، أن الوليد بن عقبة
افتخر على علي عليهما السلام فأجابه: (أسكت فإنما أنت فاسق فنزلت: أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا
كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ). انتهى. ولعل هذا هو السبب فيما كذبه من أن عمر
كان يتكلم فينزل كلامه قرآنًا ، وعدوا آيات تكلم بها عمر فنزلت كما نطقها !
وروى عنه في تاريخ المدينة: ٧٠٦/٢ ، قول عمر: أقضانا على ، وأقرؤنا أبي .
وفي: ١٨٢/١ ، أن عمر صادر منحة النبي ﷺ لبني هاشم من أرض خير !

○ ○

هذا ، ولا يتسع المجال لإبراد بقية أحاديث سعيد رحمه الله ، ولا لترجمة بقية كتاب
تلاميذ الإمام زين العابدين عليهما السلام الذين كانت لهم أدوار فكرية واجتماعية كبيرة ،
كأبي خالد الكابلي ، وأبي حمزة الشمالي ، وصوحان بن صعصعة ، وأل زرارة
والصحابيين عامر بن وائلة بن الأسعع الكناني ، وجابر بن عبد الله الأنباري ،
رضوان الله عليهم ، فهو لاء بُنة المجتمع الشيعي مع الإمام عليهما السلام ، بعد حملة
الإبادة الأموية في كربلاء وبعد كربلاء !

○ ○

الفصل التاسع:

عاصر الإمام عليه السلام ثلات ثورات ولم يخضع لضغوطها

١- ثورة أهل المدينة ووقعة الحرة

أهل المدينة يقررون الثورة والإمام عليه يقف على العياد

تقدّم أن سبب وقعة الحرة أن الأنصار أرسلوا وفداً ليكشف لهم حال يزيد وما اشتهر عنه من الفسق والفحور ، فعاد الوفد بتصديق ذلك ، فأجمع الأنصار على خلعه وأمسّروا عليهم عبدالله بن حنظلة غليل الملائكة ، وأمرّ المهاجرون عليهم عبد الله بن مطبي العدو (فتح الباري: ٤٩٩/٨) وطردوا والي المدينة وكل بني أمية ، واستعدوا للقتال !

وقد ذكرنا شيئاً من جرائم جيش يزيد الذي استحل المدينة النبوية ، ونسلط الضوء هنا على موقف الإمام عليه على العياد فيها ، فمن الغريب أن الأنصار مع احترامهم الكبير لأهل البيت عليه واستشهاد بعضهم مع الإمام الحسين عليه واستئثارهم قتلها وإقامتهم العزاء عليه ، واستقبالهم المؤثر للإمام زين العابدين عليه والسبايا.. لكنهم لم يستشوروه في خلع يزيد ، ولا جعلوا ثورتهم بسبب قتل الحسين وأآل الرسول عليه ، مع أن ابن الزبير الموصوف بعدها لعلي عليه دعا الناس إلى نفسه وأظهر الطلب بدم الحسين عليه. (الأخذ بالثار للسيد الأمين: ١٠/١).

فكان الأخرى بالأنصار أن ينهضوا ثاراً لأهل بيته عليه لأنه ثار للنبي عليه يجب على المسلمين كافة القيام به ، ويجب عليهم خاصة لتحالفهم مع النبي عليه وبيعتهم له قبل هجرته ، على حمايته مما يحمون منه أنفسهم وحماية أهل بيته وذراته عليه مما يحمون منه ذراريهم ! (الطبراني الأوسط: ٢٧٢).

لکنهم لم يفعلوا ذلك ، بل جعلوا سبب ثورتهم فساد يزيد وفقده الشرعية لأنه فاسقٌ فاجر ، وكأن أباه معاوية كانت له شرعية ولم يكن فاسقاً فاجراً !

قال أميرهم عبد الله بن حنظلة: (فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء ! إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ، ويبدع الصلاة ، والله لو لم يكن معه أحدٌ من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسناً). (الطبقات: ٤٧٥). فمطلبـه إذن استبدال يزيد بأخر غير فاسق ، وهذا من بساطـته السياسية ، ونقص فـقاـته !

ومن أسلوبـه الخطـاطـي: أنه طرد بنـي أمـيـة من المـديـنـة حتى النـسـاء والأـطـفـال فـلم يـجد مـروـانـاً أحـدـاً يـحفـظ لـه نـسـاءـ وـأـطـفـالـ ! وقد خـاف عـبدـ اللهـ بنـ حـنـظـلـةـ أنـ يـأخذـهـمـ مـعـهـ إـلـىـ مـكـةـ ! (قالـ: لاـ آـمـنـ أـنـ يـدـخـلـ عـلـىـ حـرـبـيـ مـنـ أـجـلـ مـكـانـكـ) فـكلـمـ مـروـانـ عـلـيـ بـنـ الـحسـينـ فـقـالـ: نـعـمـ فـضـمـهـ عـلـيـ إـلـيـهـ وـبـعـثـ بـهـمـ مـعـ عـيـالـهـ .

قالـ: ثـمـ اـرـتـحلـ القـوـمـ مـنـ ذـيـ خـشـبـ عـلـىـ أـقـبـعـ إـخـرـاجـ). (الإـامـةـ وـالـسـيـاسـةـ: ٢٢٩/١). ومن ذـلـكـ: أنه خـارـبـ العـيـونـ وـالـآـبـارـ بـيـنـ المـديـنـةـ وـالـشـامـ لـيـعـطـشـ الجـيشـ الأـمـوـيـ الذـيـ يـقـصـدـ المـديـنـةـ ، لكنـ الـوقـتـ كـانـ شـتـاءـ فـلـمـ يـحـتـجـ الجـيشـ الأـمـوـيـ إـلـىـ عـيـونـ ! قالـ الطـبـرـيـ: (بعثـ أـهـلـ المـديـنـةـ إـلـىـ كـلـ مـاءـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ أـهـلـ الشـامـ فـصـبـوـاـ فـيـ زـقـاـ منـ قـطـرـانـ وـعـوـرـوـهـ ، فأـرـسـلـ اللهـ عـلـيـهـمـ السـمـاءـ فـلـمـ يـسـتـقـواـ بـدـلـوـ حـتـىـ وـرـدـواـ المـديـنـةـ) ! وـابـنـ خـيـاطـ: ١٨٢، وـتـارـيخـ دـمـشـ: ٥٨/١٠٤.

أـمـامـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ الـمـخـلـصـةـ التـيـ تـفـقـرـ إـلـىـ الـفـكـرـ وـالـأـسـلـوبـ وـفـرـصـةـ النـجـاحـ ، كانـ مـوقـفـ الإـمامـ عـلـيـ بـنـ الـحـيـادـ ، فـقـالـواـ إـنـهـ تـرـكـ المـديـنـةـ إـلـىـ يـنـبعـ. (الـطـبـرـيـ: ٤/٣٧٢). وـسـتـعـرـفـ ماـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ عـلـيـ بـنـ الـحـيـادـ كانـ يـومـهاـ فـيـ المـديـنـةـ ، لـكـنـ خـارـجـ دـارـهـ ! وـكـانـ ذـلـكـ مـوقـفـ عـامـةـ بـنـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ (سـيـرـ الذـهـبـيـ: ٣٢٥٣). (لـمـ وـجـهـ يـزـيدـ بـنـ

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه السلام ثلاثة ثلات ثورات ولم يخضع لضغوطها.....٣٢١

معاوية عسکره لاستباحة أهل المدينة، ضمَّ علي بن الحسين إلى نفسه أربع مائة مُنافِيَةً يعولهن ، إلى أن انقرض جيش مسلم بن عقبة ، فقالت امرأة منهن: ما عشت والله بين أبيي بمثل ذلك التشريف). (الذكرة الحمدونية: ٣٨٣، والبحار: ١٠١/٤٦).

لكن ذكر المؤرخون ثلاثة من بني عبد المطلب قُتلوا في وقعة الحرفة ، هم الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن عبد الله بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كما يأتي من الإستيعاب ، ولعلهم لم يكونوا مقاتلين بل هاجم الجنود بيوتهم وأعراضهم ، فدافعوا عنها فقتلوا كما حدث لغيرهم ! وقد توسط عبدالله بن جعفر رحمه الله عند يزيد للانتصار فقال له: (إنما تقتل بهم نفسك ! فقال: أجل ، أقتل بهم نفسي ، وأشفي نفسي) ! (تاريخ دمشق: ٥٨٥/٥٠)! ورواه الذهبي في سيرته: ٣٢٢٣ ، وذكر أن يزيداً أوصى قائد جيشه بأن ينهب المدينة ثلاثة ، ولا يتعرض لعلي بن الحسين عليه السلام.

صحابي بإجماع المسلمين سفالٌ غشوم

أجمع المسلمون على ذم يزيد لاستباحته مدينة النبي صلوات الله عليه في وقعة الحرفة ، وحتى النواصب الذين يبحثون له عن معاذير في قتلة الحسين عليه السلام ، ذمه على قتلته الصحابة والأنصار والتابعين في وقعة الحرفة ! لكنهم غطّوا على (بطلين) مع يزيد، هما أبوه الذي أمره بذلك ، وقائد جيشه مسلم بن عقبة المري الغطفاني . مع أنهم رووا أمر معاوية ليزيد بأن يرمي أهل المدينة بابن عقبة وصححوه ! ففي مجمع الزوائد: (لما حضره الموت قال ليزيد بن معاوية: قد وطأت لك البلاد وفرشت لك الناس، ولست أخاف عليكم إلا أهل الحجاز ، فإن رأيك منهم ريب فوجه إليهم مسلم بن عقبة المري فإني قد

جربته غير مرة فلم أجد له مثيلاً لطاعته ونصيحته... دعا مسلم بن عقبة المري... فورد المدينة فأباها ثلاثة ثم دعاهم إلى بيعة يزيد إنهم أعبد له قنْ في طاعة الله ومعصيته)! (فتح الباري: ٦٠/١٣، وابن خياط: ١٨٢، وسير الذهبي: ٣٢٣)، وفيه: (فقال له النعمان بن بشير: وجئني أكتنك؟ قال: لا . ليس لهم إلا هذا الفشمة). وتجراً النادر منهم كابن حجر ، فحمل جريمة يزيد في الحرة لأبيه معاوية ! قال في فتح الباري: ٦٠/١٣: (وأخرج أبو بكر بن أبي خيثمة بسنده صحيح إلى جويرية بن أسماء: سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون أن معاوية لما احضر دعا يزيد فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا فارهمهم ب المسلم بن عقبة ، فإني عرفت نصيحته ! ثم ذكر ابن حجر الواقعة وهزيمة أهل المدينة وقال: (وبایع مسلم الناس على أنهم خَوَلْ لِيزِيدَ ، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم بما شاء ! ثم نقل قول الطبرى: فأباها ثلاثة ثم دعاهم إلى بيعة يزيد وأنهم أعبد له قنْ في طاعة الله ومعصيته) ! ثم ذكر بيعة ابن عمر ليزيد وندمه ! وأما مسلم بن عقبة **قِيَغُطُونَ** كونه صحابياً لثلا يقال: صحابيّ عادل قتل كثيراً من الصحابة العدول ، وألوفاً من التابعين ! حتى سماه الناس (مسرف بن عقبة) ! لكنه عندهم صحابي أدرك النبي ﷺ (تاريخ دمشق: ١٠٢/٥٨، والإصابة: ٢٣٢/٦) وكان عمره بضعاً وتسعين سنة عندما استباح المدينة ! (تاريخ دمشق: ١٠٥/٥٨) ومعناه أنه كان في زمن النبي ﷺ كهلاً ! لكنهم لم يؤرخوا له في الصحابة تقديرية عليهم ! وقد رووا أن النبي ﷺ قال: (المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرْفٌ ولا عدْلٌ) . وقال: ذمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل). (بخاري: ٢٢١/٢؛ و: ٦٩/٤).

يُسْنَدُ قَالَ مُقَابِلَهُ صَحَابِيهِ الْعَادِلُ مُسْلِمُ بْنُ عَقْبَةَ لِطَاغِيَتِهِ يَزِيدَ: إِبْعَثْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِأَقْلِبَهَا عَلَى رَؤُوسِهِمْ! (فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَهْنِي إِلَيْهِمْ فَوَاللهِ لَأَدْعُنَّ أَسْفَلَهَا أَعْلَاهَا، يَعْنِي مَدِينَةَ الرَّسُولِ (ص) فَوْجَهَهُ فِي خَمْسَةِ أَلْفٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَوْقَعَ بِأَهْلَهَا وَقْعَةَ الْحَرَةِ، فَقَاتَلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَتَالًا شَدِيدًا وَخَنَدَقُوا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَرَامَ نَاحِيَةً مِنْ نَوَاحِي الْخَنَدِيقِ فَتَمَذَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَخَدَعَ مَرْوَانُ بْنُ عَصَمٍ فَدَخَلَ وَمَعَهُ مائَةً فَارِسًا فَأَتَيْتُهُ الْخَيلَ حَتَّى دَخَلَتِ الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يُبَقِّ بِهَا كَثِيرٌ أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ، وَأَبَاحَ حَرَمُ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه وسلم حَتَّى وَلَدَتِ الْأَبْكَارُ لَا يَعْرَفُ مِنْ أَوْلَادِهِنَّ، ثُمَّ أَخْذَ النَّاسَ عَلَى أَنْ يَبَايِعُوهُ عَلَى أَنْهُمْ عَبِيدٌ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ). (اليعقوبي: ٢٥٠/٢). وفي الإمامة والسياسة: ١/١٧٩: (وَجَاءَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ يَعُودُهُ وَأَرَادُ أَنْ يَسْتَبِدَّلَهُ بَآخِرِ فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: نَاصِدْتُكَ اللهُ أَنْ لَا تَحْرُمَنِي أَجْرًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيَّ)!

خطر جيش يزيد على حياة الإمام عليه السلام

استمرت مفاوضات جيش يزيد وأهل المدينة أيامًا من أواخر ذي الحجة سنة ٦٣ (الطبراني: ٣٧٤/٤) وفي هذه المدة غادر كثير من أهل المدينة ، وبعضهم خرجوا منها قبل وصول الجيش الأموي ، وأرسل الإمام زين العابدين عليه السلام عياله ومن حماه في تلك الفترة إلى ينبع . (الخرزاج: ٢٩٠/١). وبقي بعض عياله في المدينة كما يأتي .

وروت المصادر أن الإمام عليه السلام كان يتخوف من وحشية جيش يزيد أن يطغى عليه ، وهذا طبيعي حتى وإن كان الإمام عليه السلام يعرف أنه سينجو من القتل لأنه قد يلاقي غير القتل ، ولأنه يؤمن بالبداء . وحتى لو بلغه عليه السلام أن يزيد أوصى قائدته بعدم التعرض له، فإن ابن عقبة طاغية سفالك للدماء ، مبغض لأهل البيت عليه السلام ، ولا يحترم مروان بن الحكم ولا غيره سوى شخص يزيد ! فمن

الممكن أن يرتكب أي حماقة ثم يغفر له يزيد لتأريخه في خدمة بني أمية ! فالصحيح أن خطر إقدامه على قتل الإمام عليه السلام كان قائماً حتى مع وصيحة يزيد ! وقد رروا كيف عامل ابن عثمان وهو ابن خليفة أموي لمجرد أنه وقف على الحياد ! قال الطبرى: ٣٧٩/٤: (أتى به يومئذ إلى مسلم بن عقبة فقال: يا أهل الشام تعرفون هذا؟ قالوا: لا . قال: هذا العبيث بن الطيب ، هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين . هي يا عمرو ! إذا ظهر أهل المدينة قلت أنا رجل منكم ، وإن ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ! فأمر به فتافت لحيته ، ثم قال: يا أهل الشام ، إن أُم هذا كانت تدخل الجَّعل في فيها وتقول: يا أمير المؤمنين حاجِّتك ما في فمي ! وفي فمها ما ساءها وناءها ! فخلع سبيله ، وكانت أمه من دوس). انتهى.

وقد يكون أراد قتله ، ففي الأخبار الطوال ٢٦٥/٢: (فتافت لحيته حتى ما تركت فيها شعرة ! فقام إليه عبد الملك بن مروان فاستوهبه ، فوهبه له) !

أما صديقه الصحابي معقل بن سنان فقد قتله لأنه سمع منه قبل سنوات ذم يزيد ! قال في تاريخ دمشق: ٥٩/٣٦٤: (وكان له مصادفياً... فقال له مسلم: مرحباً بأبي محمد... أظنك ظماناً وأظن هؤلاء قد أتعبوك ! قال: أجل ، قال: شُوّبوا له عسلاً بثليج من العسل الذي حملتموه لنا من حوارين... ففعلوا وسقوه فقال: سقاك الله أيها الأمير من شراب الجنة . قال: لا جَرَمَ والله لا تشرب بعدها لا أَمَّ لك شراباً ، حتى تشرب من حميم جهنم ! قال: أنشدك الله والرحم... وأمر به فقتل). ونحوه الحاكم: ٥٢٣/٥٢٢. ولعل ابن عقبة كان يرى أن ثورة أهل المدينة من تأثيربني هاشم وكربلاء ، ولذلك: (كان يقال: لا يريد غير علي بن الحسين).

الفصل التاسع: عاصر الإمام علي عليه السلام ثلاثة ثورات ولم يخضع لضغوطها.....٣٢٥

وتفاوت الروايات في مجئ الإمام علي عليه السلام إلى الطاغية ابن عقبة ، فأشار بعضها إلى أن الإمام علي عليه السلام كان غائباً عن المدينة ، وأنه أخر مجئه حتى كان الطاغية ابن عقبة يسأل عنه ويتهده ويتوعده .

قال القاضي النعمان في شرح الأخبار: (انتهى إلى علي بن الحسين أن مسراً استعمل (نصب والي) على المدينة ، وأنه يتواضعه بسوء ، وكان يقول: لم أر مثل التقدم في الدعاء له ، لأن العبد ليس يحضره الإجابة في كل وقت فجعل يكثر من الدعاء لما اتصل به عن مسرف ، وكان من دعائه: ربِّ كم من نعمة أنعمت بها علىَّ قل لك عندها شكري ، وكم من بلية ابتليتني بها قل لك عندها صيري ، وكم من معصية أتبتها فسترتها علىَّ ولم تفضحني . يامن قلَّ له عند نعمته شكري فلم يحرمني ، ويا من قلَّ له عند بلعيه صيري فلم يخذلني ، ويا من رأني على المعاصي فلم يفضحني . يا ذا المعروف الذي لا يستقطع أبداً ، ويا ذا النعم التي لا تحصى عدداً ، صلَّ على محمد وعلى آل محمد ، وبك أدفع نحره ، وبك أستعين من شره). انتهى.

فقوله: (استعمل على المدينة وأنه يتواضعه بسوء) يدل على أن الإمام علي عليه السلام تأخر في بناء مثلاً حتى أكمل جيش يزيد مجزرته وتدميره ، وعَيْن قائده حاكماً عليها وأراد أن يتحرك نحو مكة ! فكان يسأل عن الإمام علي عليه السلام ويتوعده ! لكن لا يمكن قبول هذا التفسير لأن غيرها دل على أن مجئه عليه السلام كان في أوائل إحضار أهل المدينة للبيعة ليزيد ، وقد بدأ ذلك في اليوم الرابع بعد استباحة المدينة ثلاثة أيام ، كما نص عليه غير واحد من المصادر .

قال في الأخبار الطوال: (وابstabاح أهل الشام المدينة ثلاثة أيام بلياليها، فلما كان اليوم الرابع جلس مسلم بن عقبة فدعاهم إلى البيعة ، فكان أول من

أتساه يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ، وجدته أم سلمة زوج النبي(ص) فقال له مسلم: بـا يعني ، قال: أبـا يـعـك على كتاب الله وـسـنـةـ نـبـيـهـ (صـ) فـقـالـ مـسـلـمـ: بـلـ بـاـيـعـ عـلـىـ أـنـكـمـ فـيـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ يـفـعـلـ فـيـ أـمـوـالـكـ وـذـارـيـكـ ماـ يـشـاءـ ! فـأـبـيـ أـنـ بـاـيـعـ عـلـىـ ذـلـكـ ، فـأـمـرـ بـهـ فـضـرـبـ عـنـقـهـ) .

لـذـلـكـ نـرـىـ أـنـ روـاـيـةـ المـسـعـودـيـ التـالـيـةـ أـقـرـبـ إـلـىـ الصـحـةـ ، قـالـ فـيـ مـرـوـجـ الـذـهـبـ (وـنـظـرـ النـاسـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ السـجـادـ وـقـدـ لـاذـ بـالـقـبـرـ وـهـ يـدـعـوـ، فـأـتـيـ بـهـ إـلـىـ مـسـرـفـ وـهـ مـغـتـاظـ عـلـيـهـ ، فـتـبـرـأـ مـنـهـ وـمـنـ آـبـائـهـ ، فـلـمـ رـأـهـ وـقـدـ أـشـرـفـ عـلـيـهـ اـرـتـعـدـ وـقـامـ لـهـ وـأـقـعـدـ إـلـىـ جـانـبـهـ ، وـقـالـ لـهـ: سـلـنـيـ حـوـائـجـكـ ، فـقـيلـ يـسـأـلـهـ فـيـ أـحـدـ مـنـ قـدـمـ إـلـىـ السـيفـ إـلـاـ شـفـعـهـ فـيـ ثـمـ اـنـصـرـفـ عـنـهـ ، فـقـيلـ لـعـلـيـ: رـأـيـنـاكـ تـحـرـكـ شـفـيـكـ فـمـاـ الـذـيـ قـلـتـ؟ قـالـ: قـلـتـ: اللـهـمـ رـبـ السـمـوـاتـ السـبـعـ وـمـاـ أـظـلـلـنـ وـأـرـضـيـنـ السـبـعـ وـمـاـ أـقـلـلـنـ ، رـبـ الـعـرـشـ الـعـظـيمـ ، رـبـ مـحـمـدـ وـآلـهـ الطـاهـرـينـ ، أـعـوذـ بـكـ مـنـ شـرـهـ وـأـدـرـأـ بـكـ فـيـ نـحـرـهـ ، أـسـأـلـكـ أـنـ تـقـوـيـنـيـ خـيـرـهـ وـتـكـفـيـنـيـ شـرـهـ .

وـقـيلـ لـمـسـلـمـ: رـأـيـنـاكـ تـسـبـ هـذـاـ الغـلامـ وـسـلـفـهـ ، فـلـمـاـ أـتـيـ بـهـ إـلـيـكـ رـفـعـتـ مـنـزـلـتـهـ! فـقـالـ: مـاـ كـانـ ذـلـكـ لـرـأـيـ مـنـيـ ، لـقـدـ مـلـئـ قـلـبـيـ مـنـهـ رـعـبـاـ)ـ.ـوـالـرـوـضـ الـمعـطـارـ (٣٢٢ـ/ـ٢ـ)ـ.

وـأـصـرـحـ مـنـهـ روـاـيـةـ الـمـنـاقـبـ (٣ـ/ـ٣ـ/ـ٢ـ٨ـ٤ـ):ـ (ـسـأـلـ لـيـثـ الـخـزـاعـيـ سـعـيدـ بـنـ الـمـسـيـبـ عـنـ إـنـهـابـ الـمـدـيـنـةـ؟ـ قـالـ:ـ نـعـمـ شـدـواـ الـخـيـلـ إـلـىـ أـسـاطـيـنـ مـسـجـدـ رـسـوـلـ اللهـ وـرـأـيـتـ الـخـيـلـ حـوـلـ الـقـبـرـ وـأـنـتـهـبـ الـمـدـيـنـةـ ثـلـاثـاـ ،ـ فـكـنـتـ أـنـاـ وـعـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ نـأـتـيـ قـبـرـ النـبـيـ ﷺـ فـيـتـكـلـمـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ بـكـلـامـ لـمـ أـقـفـ عـلـيـهـ فـيـحـالـ مـاـ بـيـنـاـ وـبـيـنـ الـقـومـ وـنـصـلـيـ ،ـ وـنـرـىـ الـقـومـ وـهـمـ لـاـ يـرـونـنـاـ)ـ!

وـتـؤـيـدـهـ روـاـيـةـ الـمـفـيـدـ (ـلـلـفـيـدـ)ـ فـيـ الـإـرـشـادـ (ـ٢ـ/ـ١ـ٥ـ)ـ:ـ (ـوـجـاءـ الـحـدـيـثـ مـنـ غـيـرـ وـجـهـ:ـ أـنـ

الفصل التاسع: عاصر الإمام علي عليه ثلات ثورات ولم يخضع لضغوطها.....٣٢٧

مسرف بن عقبة لما قدم المدينة أرسل إلى علي بن الحسين فأتاه ، فلما صار إليه قربه وأكرمه وقال له: وصّاني أمير المؤمنين ببرّك وتمييزك من غيرك فجزأه خيراً ، ثم قال: أسرجوه له بغلتي ، وقال له إنصرف إلى أهلك فإني أرى أن قد أفرزعنهم وأتعنناك بمشيك إلينا ، ولو كان بأيدينا ما نقوى به على صلتك بقدر حبك لوصنانك ، فقال له علي بن الحسين عليه ما أذرني للأمير وركب ، فقال لجلسائه: هذا الخير لا شر فيه ، مع موضعه من رسول الله ومكانه منه) . وكشف الغمة: ٣٠٠/٢، والبحار: ١٢٢/٤٦.

رواية شرح الأخبار: ٢٧٣/٣: (فَلِمَا قَدِمَ مُسْرِفًا إِلَى الْمَدِينَةِ أُرْسِلَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْدَهُ مُرْوَانُ بْنُ الْحَكْمَ ، وَقَدْ عَلِمَ مَا ذُكِرَهُ مِنْ وَعِيهِ فَجَعَلَ يُغَرِّيَهُ بِهِ ! فَلِمَا دَخَلَ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهِ فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ وَأَحْوَالِ أَهْلِهِ ، فَلِمَا رَأَى ذَلِكَ مُرْوَانَ جَعَلَ يُشْتِي عَلَيْهِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُذَكِّرُ فَضْلَهُ ! فَقَالَ مُسْرِفٌ: دُعَنِي مِنْ كَلَامِكَ إِنَّمَا فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ مِنْ بَرِّهِ وَإِكْرَامِهِ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ مَا قَدْ أَمْرَنِي بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ: إِنَّمَا جَعَلْتَ الْإِجْتِمَاعَ مَعَكَ لِمَا سَبَقَ إِلَيْكَ عَنِي لِسْلَا تَسْتَوْحِشَ مِنِي ، وَأَنَا أَحَبُّ الْإِجْتِمَاعَ مَعَكَ وَالْأَنْسَ بِكَ ، وَالْبَرَكَ بِقَرْبِكَ ، وَالنَّظَرُ فِيمَا تَحِبُّ مِنْ صَلَتْكَ وَبِرَكَ ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ لَكُنِي أَخَافُ أَنْ يَسْتَوْحِشَ أَهْلُكَ إِنْ طَالَ عَنِي مَقَامُكَ ، فَانْصَرِفْ إِلَيْهِمْ لِيُسْكِنُو وَيَعْلَمُوا وَيَعْلَمُ النَّاسُ مَالِكٌ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِنْدِي مِنَ الْجَمِيلِ . ثُمَّ قَالَ: قَدَمُوا دَابَّتِهِ قَالُوا: مَالِهِ دَابَّةٌ . قَالَ مُسْرِفٌ: قَدَمُوا لَهُ دَابَّتِي ، فَقَدَمُوهَا لَهُ بَيْنَ يَدِيهِ وَعَزَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْكَبَهَا ، فَرَكَبَ وَانْصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ وَهُمْ وَالنَّاسُ يَنْظَرُونَ مَا يَكُونُ مِنْهُ فِيهِ) . والأخبار الطوال: ٢٦٧.

وكذا رواية ابن البطريق في العمدة ٣٢١: (فأنفذ بزيد إليها (المدينة) عشرين ألفاً مع مسلم بن عقبة المري ، فقتل منها ثمانية آلاف من أولاد المهاجرين والأنصار وغيرهم وأباهم ثلاثة ، فلم يبق بها دار إلا انتهت سوى دار على بن الحسين فإنه حماها رجلٌ من أهل الشام تلك الثلاثة الأيام ، فلما كان بعد الثلاثة الأيام أخرج له علي بن الحسين ملأة قد جمع بها حلياً وثياباً من نسائه وقال له: خذ هذا من بنات رسول الله ﷺ ، فقال له: لم أفعل ذلك لسبب بل أرجو الجنة ، فقال: خذه ولك ما طلبت). انتهى.

أقول: هذه الروايات تدل على أن الإمام علي عليه السلام كان في تلك الأيام في المدينة مع بعض عياله ، ومضمونها مناسب مع شخصية الإمام علي عليه السلام وما ثبت عنه من تصرفاته في لقاءاته مع طغاة بني أمية ، كيزيد ومروان عبد الملك .

وفيها دلالات مهمة ، منها أن الإمام علي عليه السلام كان حريصاً في ذلك الظرف الخطر على زيارة قبر النبي ﷺ والصلوة والدعاء في مسجده ، بعد أن أهان حرمة المسجد والقبر الشريف وحوش أهل الشام ، وربطاً خيولهم في أعمدته ! وتدل على أنه يوجد في جيش الشام أفراد شيعة يعرفون مقام أهل البيت عليهما السلام كالذى حمى بيت الإمام علي عليه السلام من النهب والعدوان ، ولا بد أن يكون معه آخر أو آخرون ، لهم نفوذٌ ما في جيش بزيد!

كما أنها تكشف الموقف الحقيقى للوزع بن الوزع مرwan بن الحكم ، فعندما أحضر ابن عقبة الإمام علي عليه السلام وأخذ يشتم العترة النبوية عليهما السلام أخذ مرwan يؤمّن على شتمه ويحرّضه على قتله ، حتى إذا دخل عليه الإمام علي عليه السلام وألقى الله على الطاغية هيبيه والرعب منه ، غير مرwan كلّمه فأخذ يمدح الإمام علي عليه السلام لذلّك لا يمكن قبول رواية أن مرwan رد الجميل للإمام علي عليه السلام وأنه أتى به إلى

مسلم بن عقبة وتوسط له ! قال الطبرى: (قال عوانة: ثم إن مروان أتى
بعلى بن الحسين وقد كان على بن الحسين حين أخرجت بنو أمية منع ثقل
مروان وامرأته وأواها ، ثم خرجت إلى الطائف فهى أم أبيان ابنة عثمان بن
عفان ، فبعث ابنه عبد الله معها فشكرا ذلك له مروان ، وأقبل على بن الحسين
يمشى بين مروان وعبد الملك يلتسم بهما عند مسلم الأمان ، فجاء حتى
جلس عنده بينهما ، فدعا مروان بشراب ليترحمن بذلك من مسلم ، فأتى له
بشراب فشرب منه مروان شيئاً يسيراً ثم ناوله عليه ، فلما وقع في يده قال له
مسلم: لا تشرب من شرابنا ! فأرعدت كفه ولم يأمهن على نفسه وأمسك القدر
بكفه لا يشربه ولا يضمه ! فقال: إنك إنما جئت تمشى بين هؤلاء لأن من
عندي ! والله لو كان هذا الأمر إليهما لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك
وأخبرني أنك كاتبته ، فذلك نافعك عندي ، فإن شئت فاشرب شرابك الذي
في يدك وإن شئت دعونا بغيره ، فقال: هذه التي في كفي أريد ، قال: إشربها
فسشربها ثم قال: إلى هاهنا فأجلسه معه). وفي شرح النجاشي: (ولولا ذلك
لقتليه ، فإن أهل هذا البيت أحدر بالقتل) !

وقد شرح الطبرى: حماية الإمام علي لعائلة مروان عندما طردهم أهل
المدينة قال: (لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كُلّ مروان
بن الحكم بن عمر أن يغيب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل ! وكلم علي بن
الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رحمة وحرمي تكون مع حرملك؟ فقال:
أفعل ، فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين ، فخرج بحرمه وحرم مروان حتى
وضعهم بيبيع ، وكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين مع صداقته كانت بينهما
قديمة) . وروى الطبرى في نفس الموضع: (لما أتى بعلى بن الحسين إلى مسلم

قال: من هذا؟ قالوا: هذا علي بن الحسين ، قال: مرحباً وأهلاً ، ثم أجلسه معه على السرير والطنفسة ثم قال: إن أمير المؤمنين أوصاني بك قبلأً وهو يقول إن هؤلاء الخبائث شغلوني عنك وعن وصلتك ، ثم قال لعلي: لعل أهلك فزعوا ! قال: إيه والله ، فأمر بذاته فأسرجت ثم حمله فرده عليهما). انتهى.

أقول: ما ذكروه من تبليغ الإمام علي عليهما السلام وحمايته لعائلة مروان صحيح متواتر ، لكن مروان كما تقدم كان يحرّض السفاك ابن عقبة على قتل الإمام علي عليهما السلام ، وكان ابن عقبة مثله لولا وصية يزيد ! ذلك أن مروان لا يستطيع أن يفي بجميل أو تعهد ، فهو كما قال أمير المؤمنين علي عليهما السلام عندما عفا عنه في حرب الجمل فأراد أن يباععه: (لا حاجة لي في بيته ، إنها كف يهودية ، لو بايعني بيده لغدر بيته) ! (أنساب الأشراف / ٢٦٢).

○ ○

هذا وقد تفرد العيقobi في تاريخه ٢٥٠/٢، برواية قال فيها: (ثم أخذ الناس على أن يباعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية ، فكان الرجل من قريش يؤتى به ، فيقال باع آية أنك عبد قن لزيد ، فيقول: لا ، فيضرب عنقه ! فأتاه علي بن الحسين فقال: علام يزيد يزيد أن أبائعك؟ قال: على أنك أخ وابن عم . فقال: وإن أردت أن أبائعك على أنني عبد قن فعملت ! فقال: ما أحشّمك هذا ، فلما رأى الناس إجابة علي بن الحسين قالوا: هذا ابن رسول الله ، بابعه على ما يزيد ، فباعوه على ما أراد). انتهى.

وللوهلة الأولى تثير هذه الرواية التعجب ، لأننا نعرف أن الإمام زين العابدين بين جنبيه روح أبيه وجده يزيد ، فكيف يعرض على مسرف أن يباعه على أنه عبد قن لطاغيته يزيد ، خاصة بعد أن أخبره مسرف أنه يزيد منه أن يباع لزيد على أنه أخ له وابن عم؟! لكنني لا أستبعد أن يكون الإمام علي عليهما السلام قال

ذلك تقرباً الى الله تعالى ، لأنه يعلم أنه كلام شكلي وفيه إنقاذ حياة كثرين من الصحابة والتابعين من أهل المدينة، رأهم يقدمون الى السيف كمارأيت في نص المسعودي لامتناعهم عن هذه البيعة المذلة ، فبئن لهم أن الحكم الشرعي يُجيز لهم ذلك ولا حرج على المضطر فيه ! وليفهمهم أن واجب الإمام الحسين عليه السلام في رفض بيعة يزيد غير واجبهم ، ولذلك قالت الرواية: (فَلَمَّا أَنْ رَأَى النَّاسَ إِجَابَةَ عَلَيِّ بْنِ الْحَسِينِ قَالُوا: هَذَا ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ بَايِعُهُ عَلَى مَا يَرِيدُ ، فَبَايِعُوهُ عَلَى مَا أَرَادَ) . فأنقذ الإمام عليه السلام حياتهم مضافاً الى من توسط لهم عند مسرف ، منمن أراد قتلهم ، وقبل وساطته فيهم .

وقد كان الموقف الشرعي من بيعة الذل الأممية ، مطروحاً عند الصحابة والتابعين ، فقد روى ابن عبد البر في التمهيد: ٥٤٦، أن جابر بن عبد الله الأنصاري رض كان متخيراً ، ولعله لم يستطع الوصول الى الإمام عليه السلام ، فسأل أم سلمة رحمها الله ؟ (فقالت: والله إبني لأرها بيعة ضلاله، ولكن قد أمرت أخي عبد الله بن أبي أمية أن يأتيه فبيأعيه ، كأنها أرادت أن تحقن دمه . قال جابر: فأتيته فبايعته). انتهى. ولعل الذين قتلوا ، لو عرفوا الحكم الشرعي لنجحوا !

قال في الإستيعاب: ١٤٣١/٣: (قال أبو عمرو: ومن قُتُل يوم الحرة صبراً فيما ذكر ابن إسحاق والواقدي ووثيمة وغيرهم: الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر بن عبد الله بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأبو بكر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ويعقوب بن طلحة بن عبد الله ، وعبد الله بن زيد بن عاصم ، ومعقل بن سنان ، ومحمد بن أبي الجهم وابنا زينب بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله (ص) ويزيد بن عبد الله بن زمعة، كل

هؤلاء ضربت عنق كل واحد منهم صبراً بأمر مسلم بن عقبة ! وانتهى القتل يومئذ فيما ذكروا نيفاً على ثلاثةمائة كلهم من أبناء المهاجرين والأنصار ، وفيهم جماعة من صحاب رسول الله (ص) وبلغ قتلى قريش يومئذ نحوأ من مائة ، وقتل الأنصار والخلفاء والموالي نحوأ من المائتين ، ونجى الله أبا سعيد وجابرًا وسهل بن سعد .) انتهى .

هذا، وتصلح رواية العقوبي لتفسير الرواية المشكلة في الكافي، عن الإمام الباقي عليه السلام: (إن يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحج فبعث إلى رجل من قريش فأتاه فقال له يزيد: أتقرّ لي أنك عبد لي إن شئت بعثك وإن شئت استرقينك؟! فقال له الرجل: والله يا يزيد ما أنت بأكرم مني في قريش حسباً، ولا كان أبوك أفضل من أبي في الجاهلية والإسلام، وما أنت بأفضل مني في الدين ولا بخير مني، فكيف أقر لك بما سألت؟! فقال له يزيد: إن لم تقرّ لي والله قتلتني! فقال له الرجل: ليس قتلك إباهي بأعظم من قتلك الحسين بن علي عليهما السلام، فامر به فقتل!

ثم أرسل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال له مثل مقالته للقرشي ، فقال له علي بن الحسين: أرأيت إن لم أقر لك أليس قتلتني كما قتلت الرجل بالأمن؟ فقال له يزيد: بلى ، فقال له علي بن الحسين: قد أقررت لك بما سألت أنا عبد مكره ، فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع ! فقال له يزيد: أولى ذلك ، حقنت دمك ، ولم ينفصلك ذلك من شرفك) . انتهى .

وأورد في هامشه تعليقة صاحب مرأة العقول بأن يزيداً لم يدخل المدينة بعد قتل الحسين عليهما السلام ، فستكون الحادثة مع قائد جيشه ابن عقبة كما روى العقوبي . وكلامه في محتمل ، والأقوى عندي وجود خلل في نسخة الكافي

غيرت المعنى ، فقد شكر الشهيد الثاني عليه السلام من اشتباكات الساخن وذكر أنه رأى الكليني عليه السلام في المنام: (فطلبنا من الشيخ أبي جعفر الكليني المذكور نسخة الأصل لكتابه الكافي لنسخه، فدخل البيت وأخرج لنا الجزء الأول منه في قالب نصف الورق الشامي ففتحه فإذا هو بخط حسن معرب مصحح ورموزه مكتوبة بالذهب ، فجعلنا نتعجب من كون نسخة الأصل بهذه الصفة ، فسررنا بذلك كثيراً لما كنا قبل ذلك قد ابتنينا به من رداءة النسخ ، فطلبت منه بقية الأجزاء فجعل يتألم من تقصير الناس في نسخ الكتاب وتصحيحه).

(مقدمة مسالك الأفهام: ٢١١).

فرحة أطفال بنى هاشم والأنصار بهلاك طاغيتين

قال الحافظ محمد بن عقيل في كتابه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: (قال المحدث الفقيه ابن قتيبة رحمه الله في كتاب الإمامة والسياسة ، والبيهقي في المحسن والمساوي ، ولله لفظ للأول: قال أبو معشر: دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي لها فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً ! فقال: والله لتخرجن إلى شيئاً أو لأقتلننك وصبيك هذا ! فقالت له: ويحك إنه ولد أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله ص) ولقد بايعت رسول الله معه يوم بيعة الشجرة على أن لا أسرق ولا أزني ولا أقتل ولدي ولا آتي بهتان أفتريه ، فما أتيت شيئاً ، فاتق الله . ثم قالت: لا يا بُنْيَيْ ، والله لو كان عندي شيء لافتديك به ! قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها ، فضرب به الحائط فانتشر دماغه في الأرض ! قال فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلاً ! وأمثال هذه من أهل الشام ومن مسلم نفسه كثيرة ، فمسلم في هذا كله

منفذ لأمر يزيد ، ويزيد منفذ لأمر معاوية ، فكل هذه الدماء وكل هذه المنكرات الموبقات ودم الحسين ومن معه في عنق معاوية أولاً ، ثم في عنق يزيد ثانياً ، ثم في عنق مسلم وابن زياد ثالثاً !

ولقد صدق من قال: أبقى لنا معاوية في كل عصر فئة باغية فهاهم أشياعه وأنصاره إلى يومنا هذا يقلدون الحقائق ويلبسون الحق بالباطل ! وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فَتُنَشِّطَ فَلَنْ تَمُلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ! أخرج مسلم في صحيحه: من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). انتهى.

وفي الطبقات: ٢٥٥/٥: (فما تركوا في المنازل من أداث ولا حلبي على امرأة ولا ثياب ولا فراش إلا نقض صوفه ، ولا دجاجة إلا ذبحت ولا حمام إلا ذبح ، ثم يسمطون الدجاج والحمام خلف أحدهم ، ثم نخرج من هذا البيت إلى هذا البيت فلقد مكثنا على ذلك ثلاثة ! وإن مسرفاً بالحقيقة والناس في هذا من الأمر حتى رأينا هلال المحرم) ! انتهى.

وغادر جيش يزيد بعد أن: (أباح المدينة ثلاثة واستعرض أهلها بالسيف ، جزراً كما يجزر القصاب الغنم ، حتى ساخت الأقدام في الدم ، وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرية أهل بدر ، وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاء من الصحابة والتابعين ، على أنه عبد قنْ لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، هكذا كانت صورة المبايعة يوم العرفة) . (شرح النهج: ٢٥٩/٣).

أقول: لكن بعد أيام قليلة وصل خبر سار إلى أطفال المدينة المظلومين ، بأن الطاغية مسلم بن عقبة هلك قبل وصوله بجيشه إلى مكة !

ففي تاريخ دمشق: ١١١/٥٨، والمستدرك: ٥٥٠/٣: (فلما كان بعض الطريق حضرته الوفاة ، فدعا الحصين بن نمير فقال: يا برذعة الحمار ! إذا قدمت مكة فاحذر

أن تتمكن قريشاً من أذنك فتبول فيها... قد دعوتك وما أدرى أستخلفك على الجيش أو أقدمك فأضرب عنقك ! فقال: أصلحك الله يجعلني سهماً فارم بي حيث شئت ! قال: إنك أغرايٌ جلفٌ جافٌ ، وإن هذا الحمى من قريش لم يمكنهم رجل قط من أذنيه إلا غلبوه على رأيه ، فسر بهذا الجيش فإذا لقيت القوم فإياك أن تتمكنهم من أذنك ! لا يكون إلا الوقاف ثم الثاقف ثم الانصراف (أي القتال بدون مفاوضة) فمضى حُصين بجيشه ذلك ، فلم يزل جيشه محاصراً أهل مكة). انتهى. (فناوش ابن الزبير العرب في الحرم ، ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبة . وكان عبد الله بن عمير الليبي قاضي ابن الزبير إذا توقف الفريغان قام على الكعبة فنادي بأعلى صوته: يا أهل الشأم ، هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد فاتقوا الله يا أهل الشأم ! فيصبح الشاميون: الطاعة الطاعة، الكرة الكرة، الرواح قبل المساء ! فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة ! فقال أصحاب ابن الزبير: نطفئ النار فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة ! فقال بعض أهل الشأم: إن الحرمة والطاعة اجتمعا فغلبت الطاعة الحرمة. وكان حريق الكعبة في سنة (٦٣). (يعقوبي: ٢٥١/٢).

وبعد أيام أخرى وصلت إليهم بشري أكبر ، بأن الطاغية الأكبر يزيد بن معاوية قد هلك إلى الهاوية . فتبسمت مدينة الرسول الجريحة !

ففي تاريخ الطبرى: ٣٨٥/٤، وبعضه العقاوبي: ٢٥٣/٢: (بينا حصين بن نمير يقاتل ابن الزبير، إذ جاء موت يزيد فصالح بهم ابن الزبير فقال: إن طاغيتكم قد هلك ! فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل . فمن كره فليلحق بشامه... فبعث الحصين بن نمير على عبد الله بن الزبير فقال: موعد ما بيننا وبينك الليلة الأبطح ، فالتفقا فقال له الحصين: إن يك هذا الرجل قد هلك ،

فأنست أحق الناس بهذا الأمر ، هلم فلنبايعك ثم اخرج معي إلى الشام ، فإن هذا الجندي الذين معك هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، فواهلا لا يختلف عليك اثنان وتومن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك ، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرية... وأخذ الحسين يكلمه سراً وهو يجهر جهراً ، وأخذ يقول: لا واش لا أفعل ! فقال له الحسين بن نمير: قبح الله من يُعذّب بعد هذه داهيَا فقطُ أو أديباً ! قد كنت أظن أن لك رأياً ، ألا أراني أكلمك سراً وتتكلمني جهراً ، وأدعوك إلى الخلافة ، وتعدني القتل والهلاكة ! ثم قام فخرج وصاح في الناس فأقبل فيهم نحو المدينة ، وندم ابن الزبير على الذي صنع فأرسل إليه: أما أنا أسيء إلى الشام فلست فاعلاً ، وأكره الخروج من مكة ، ولكن بايعوا لي هنالك فإني مؤمنكم وعادل فيكم ، فقال له الحسين: أرأيت إن لم تقدم بنفسك ووجدت هنالك أنساناً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيئهم الناس ، ما أنا صانع؟ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة... واجتراً أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فذروا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلحام دابته ثم نكس عنها ! فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترقون ! وقالت لهم بنو أمية لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ففعلوا). انتهى.

أقول: من لطف الله تعالى بالأمة أن ابن الزبير لم يقبل عرض الحسين بن نمير قائد الجيش الأموي ! وإلا لتمت له البيعة في الشام وفلسطين ومصر بسهولة بالغة ، وتبعها العراق وإيران وبقية أجزاء الدولة الإسلامية ! ذلك أن ابن الزبير أكثر قسوة من بنى أمية مجتمعين ! وأشد منهم على أهل البيت عليهم السلام بالف مرة ! فقد بلغ به الحقد عليهم أنه ترك ذكر جدهم النبي صلوات الله عليه في خطبه وحتى في تشهد صلاته ، وقال: (إن له أهيل سوء إذا ذكر استطالوا ومدوا

الفصل التاسع: عاصر الإمام علي عليه ثلات ثورات ولم يخضع لضفوطها.....
٣٣٧.....
أعناقهم لذكره) ! (العقد الفريد: ٤١٣/٤، وأنساب الأشراف: ٢٨/٤، وأخبار مكة للأزرقى: ١٠٤/١).

٢- ثورة التوابين

بني التوابون حركتهم على اجتهاد خاطئ !

قامت حركة التوابين على محور فكري واحد هو: التوبة بالقتال حتى الموت من ذنبهم في عدم نصرة الإمام الحسين عليه ، وكان بعضهم بايع سفيره مسلم بن عقيل عليه ، وكتب إلى الإمام الحسين عليه طالبين مجيهه إلى الكوفة !

وصاحب الفكرة سليمان بن صرد العزاعي عليه (٩٣ سنة) فهو رئيسهم بلا منازع، وقد سيطرت على ذهنه فكرة التوبة بهذه الطريقة تطبيقاً لقوله تعالى: إِذَا قَاتَلُوكُمْ مُؤْمِنُوْمْ يَا قَوْمَ إِنَّكُمْ ظَلَّمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاِتَّخَادِكُمُ الْمِجْلَ فَنَوَّبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتَلُوْهُمْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ!(سورة البقرة: ٥٤).
والآية تتحدث عن النبي الله موسى عليه لما رجع من الطور ، ووبيغ قوله لأنهم عبدوا العجل فاعترف عدد منهم بخطفهم وتابوا ، وأنكر آخرون أنهم عبدوا العجل ، فأمر بعض هؤلاء بقتل بعض أولئك ، ولما بدؤوا بالقتال رفع الله عنهم هذا الإمتحان . (تفسير الإمام العسكري عليه ، ٢٥٤، والبيان: ٢٤٦/١) فهي حكمٌ خاصٌّ ببني إسرائيل ، وتنفيذها تم تحت نظر النبي مصصوم عليه ، لكن ابن صرد عليه طبقه على نفسه وعصره وأقنع به جماعته ، فكان يقول: (ألا لا تهابوا الموت ، فوالله ما هابه أمرٌ قط إلا ذل . كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم: يَا قَوْمَ إِنَّكُمْ ظَلَّمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاِتَّخَادِكُمُ الْمِجْلَ فَنَوَّبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتَلُوْهُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ، فما فعل القوم؟ جثوا على الركب والله ومدوا الأعنق ورضوا

بالقضاء ، حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل ! فكيف بكم لو قد دعياكم إلى مثل ما دعى القوم إليه ! إشحدوا السيوف وركبوا الأسنة ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط العجل ، حتى تدعوا حين تدعوا وستستقرروا ! (أي يأتكم أمري) ! قال فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال : أما أنا فواه لو أعلم أن قتلي نفسي يخرجنني من ذنبي ويرضي عنِّي ربِّي لقتلها ، ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونهبنا عنه ، فأشهد الله ومن حضر من المسلمين أن كلما أصبحت أملاكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوِي صدقة على المسلمين أقويهم به على قتال القاسبين .

وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني فقال : وأنا أشهدكم على مثل ذلك ، فقال سليمان بن صرد : حسبكم ، من أراد من هذا شيئاً فليأت بما له عبد الله بن وال التيمي تيم بكر بن وائل ، فإذا اجتمع عنده كلما تريدون إخراجه من أموالكم جهزنا به ذوي الخلة والمسكنة من أشيائكم . (الطبرى : ٤٢٦/٤) .

فقد جتهد هذا الشيخ الصحابي عليه السلام في تطبيق الآية على نفسه ومن أطاعه ، دون أن يرجع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام ولا بد أنه كان يعرف أن الإمام عليه السلام لا يتبنى حركتهم ولا يعطيها الشرعية ، لا بصفته إماماً من الله تعالى ولا بصفته ولسي دم أبيه الحسين عليه السلام ! فأفتى ابن صرد لنفسه ، كما أنه لم يتحقق من ادعاء المختار أنه أخذ (الشرعية) من محمد بن الحنفية عليه السلام !

وبيني أن ذكر هنا أن سليمان بن صرد عليه السلام كان تخلَّفَ عن حرب الجمل مع أمير المؤمنين عليه السلام وأنه كان والمسيب بن نجدة يطالبان الإمام الحسن عليه السلام أن يعلن بطلان عهد الصلح مع معاوية لنقضه الشروط ! ومعناه أنهما كانا يجتهدان مقابل الإمام المعصوم المفترض الطاعة ، فهما شيعيان بالمعنى العام لا الخاص .

قال الطبرى: (ودخل المختار الكوفة وقد اجتمعت رؤوس الشيعة ووجوهاً مع سليمان بن صرد فليس يعلوونه به ، فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه فأخذ يقول للشيعة: إني قد جئتكم من قبل المهدى محمد بن علي بن الحنفية ، مؤتمناً مأموناً متوجباً وزيراً ، فوالله ما زال بالشيعة حتى انشعبت إليه طائفة تعظمه وتجيئه وتنتظر أمره . وعظم الشيعة مع سليمان بن صرد ، فسليمان أثقل خلق الله على المختار ! وكان المختار يقول لأصحابه: أتدرون ما يريد هذا يعني سليمان بن صرد ؟ إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلهم ! ليس له بصر بالحروب ، ولا له علم بها) !

وقال العقوبى: (فلما صار (المختار) إلى الكوفة اجتمعت إليه الشيعة ، فقال لهم: إن محمد بن علي بن أبي طالب بعثني إليكم أميراً ، وأمرني بقتل المحلين ، وأطلب بدماء أهل بيته المظلومين ، وإنى والله قاتل ابن مرjanة والمنتقم لآل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن ظلمهم . فصدقه طائفة من الشيعة وقالت طائفة: نخرج إلى محمد بن علي فتسأله ، فخرجوإليه فسألوه فقال: ما أحب إلىينا ممن طلب بثأرنا وأخذ لنا بحقنا وقتل عدونا ، فانصرفوا إلى المختار فبایعواه وعاقدوه) . انتهى .

على أيِّ فقد أطاع ألوف الناس سليمان بن صرد عليه السلام، وفيهم شخصيات ورؤساء قبائل ، ولم تصدر من الإمام زين العابدين عليه السلام في حقهم كلمة تأيد واحدة ، لكن لم تصلنا كلمة انتقاد أيضاً ، لذلك نترجم عليهم وعلى كل من خرج طالباً ثأر الإمام الحسين عليه السلام ، لأنهم أرادوا أداء واجب فاختطاوا طريقة . ووجه الخطأ عندهم أنه لا يوجد في الإسلام توبة بقتل النفس إلا في القصاص

فلا بد أنهم تأثروا ببعض الأفكار من خارج الإسلام !

وقد حكى ابن الجوزي أن بعض الصوفية استعمل هذه الطريقة ! قال: (كان ببلاد فارس صوفي كبير فابتلي بحدث (غلام) فلم يملك نفسه أن دعته إلى الفجور ! فرافق الله تعالى ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء ، فلما أخذته الندامة صعد على السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلا: فَتَوَبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ! ففرق في الماء) ! (دم الهوى: ٥٧٨ / ٣٣٣). فَقَتَلَهُ لَنْفَسَهُ مَعْصِيَّةً تَضَافَ إِلَى مَعْصِيهِ ، وَلَا تَكْفِرُهَا !

○ ○ ○

كان عدد التوابين الذين خرجوا ثائرين بدم الحسين عليه السلام ثلاثة آلاف ومئة رجل، وعرفوا باسم التوابين لأن قائدتهم الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي رض جعل هدفه شيئاً واحداً هو: قتال قاتلة الحسين عليه السلام حتى الموت ، ليكون ذلك كفارة لتصحيرهم في نصرته ! واعتقد أن ذلك تطبيق لقوله تعالى: فَتَوَبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ! (البقرة: ٥٤).

ولذلك لم يقبل الانضمام إلى المختار للسيطرة على الكوفة وال العراق ، كما لم يقبل أن يتبع قاتلة الإمام الحسين عليه السلام في العراق ، بل قرر مع أصحابه التوجه إلى قتال بني أمية وجيشهم بقيادة ابن زياد ، أبرز قاتلة الحسين عليه السلام بعد يزيد !

(وقام سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجمة الفزاروي ، وخرجوا في جماعة معهما من الشيعة بالعراق ، بموضع يقال له عن الوردة ، يطلبون بدم الحسين بن علي ويعملون بما أمر الله به بني إسرائيل إذ قال: فَتَوَبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ، واتبعهم خلق من الناس ، فوجه إليهم مروان عبيد الله بن زياد وقال: إن غلبت على العراق فأنت أميرها ، فلقي سليمان بن صرد فلم يزل يحاربه حتى قتلها).

(تاریخ البغدادی: ٢٥٧/٢).

وروى الطبرى: ٤٥١/٤، أنهم خرجوا من الكوفة أول ربيع الثاني سنة ٦٥: (فخرج ابن صرد) حتى أتى عسكره فدار في الناس ووجوه أصحابه فلم يعجبه عدة الناس، فبعث حكيم بن منقذ الكندي في خيل، وبعث الوليد بن غضين الكناني في خيل وقال: إذهبوا حتى تدخلوا الكوفة فناديا: يا لثارات الحسين وأبلغوا المسجد الأعظم فناديا بذلك ، فخرجا وكانوا أول خلق الله دعوا: يا لثارات الحسين ! قال فأقبل حكيم بن منقذ الكندي في خيل ، والوليد بن غضين في خيل حتى مرّا ببني كثیر وإن رجالاً من بني كثیر من الأزد يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سهلة بنت سبرة بن عمرو من بني كثیر ، وكانت من أجمل الناس وأحبيهم إليه ، سمع الصوت يا لثارات الحسين ، وما هو من كان يأتيهم ولا استجواب لهم ، فوثب إلى ثيابه فلبسها ودعا بسلامه وأمر بإسراج فرسه ، فقالت له امرأته: ويحك أجيتنـت؟ قال: لا والله ولكنـي سمعت داعي الله فأنا مجيـبه ، أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموت أو يقضي الله من أمري ما هو أحبـ إليـه ! فقالـ لهـ: إلىـ منـ تـدعـ بـنـيـكـ هـذاـ؟ قالـ: إلىـ اللهـ وـحدـهـ لاـ شـرـيكـ لهـ ، اللـهـمـ إـنـيـ أـسـتوـدـعـكـ أـهـلـيـ وـولـدـيـ ، اللـهـمـ اـحـفـظـنـيـ فـيـهـ ..

وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة حتى جاؤوا المسجد بعد العتمة وفيه ناس كثير يصلون ، فنادوا: يا لثارات الحسين وفيهم أبو عزة القابضي وكرب بن نمران يصلـيـ فقالـ: يا لثارات الحسين ! أـينـ جـمـاعـةـ الـقـوـمـ؟ قـيلـ بالـنـخـيلـةـ فـخـرـجـ حتىـ أـتـىـ أـهـلـهـ فـأـخـذـ سـلـاحـهـ وـدـعـاـ بـفـرـسـهـ لـيـرـكـبـهـ ، فـجـاءـهـ اـبـتـهـ الرـوـاعـ وـكـانـتـ تحتـ ثـبـيـتـ بـنـ مـرـثـدـ الـقـاـبـضـيـ فـقـالـ: يـاـ أـبـتـ مـالـيـ أـرـاكـ قـدـ تـقـلـدـتـ سـيفـكـ وـلـبـسـتـ سـلـاحـكـ؟ فـقـالـ لـهـاـ: يـاـ بـنـيـةـ إـنـ أـبـاـكـ يـفـرـ منـ ذـنـبـهـ إـلـىـ رـبـهـ ! فـأـخـذـتـ

تنتحب وتبكي ، وجاءه أصحابه وبنو عمه ، فودعهم ثم خرج فلحق بالقوم .
فلم يصبح سليمان بن صرد حتى أتاه نحو من كان في عسكره حين دخله .
قال ثم دعا بديوانه لينظر فيه إلى عدة من بايعه حين أصبح ، فوجدهم ستة
عشر ألفاً فقال: سبحان الله ما وافانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألفاً ...

فقام سليمان بن صرد في الناس متوكلاً على قوس له عربية فقال: أيها الناس
من كان إنما أخرجهته إرادة وجه الله وثواب الآخرة ، فذلك مثنا ونحن منه
فرحمة الله عليه حياً وميتاً . ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها ، فوالله ما نأتي
فيئاً نستفيؤه ولا غنية نغنمها ما خلا رضوان الله رب العالمين ، وما معنا من
ذهب ولا فضة ولا خز ولا حرير ، وما هو إلا سيفوننا في عوائتنا ورماحنا في
أكفنا ، وزاد قدر البلقة إلى لقاء عدونا ، فمن كان غير هذا ينوي فلا يصحبنا !
فقام صحير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزنبي فقال: آتاك الله رشدك ولقاك
حجتك ، والله الذي لا إله غيره مالنا خير في صحبة من الدنيا همته ونيته .

أيها الناس: إنما أخرجتنا التوبة من ذنبنا والطلب بدم ابن ابنة نبينا (ص) ،
ليس معنا دينار ولا درهم ، إنما نقدم على حد السيف وأطراف الرماح !
فتندى الناس من كل جانب: إنما لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا). انتهى.

وجعل التوابون طريقهم على قبر الإمام الحسين عليه السلام فزاروه وأقاموا عنده
يومين نقي ملحمة عاطفية روحية ، تورد خلاصتها من رواية الطبرى: ٤٥٧/٤، قال:
(لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة:
يارب ، إنما قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا إنك أنت
التواب الرحيم ، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصدقيين . وإنما نشهدك يا
رب أنا على مثل ما قتلوا عليه، وإن لم تغفر لنا وترحمنا تكونَنَّا من الخاسرين !

الفصل التاسع: عاصر الإمام علي ثلث ثورات ولم يخضع لضغوطها.....٣٤٣

قال: فأقاموا عنده يوماً وليلة يصلون عليه ويبيكون ويتضرعون، فما انفكَ الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره وزادهم ذلك حَفَّاً ، ثم ركبوا ، فأمر سليمان الناس بالمسير فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه فيترحم عليه ويستغفر له قال: فوالله لرأيتم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود ! قال: ووقف سليمان عند قبره فكلما دعا له قوم وترحموا عليه قال لهم المسيب بن نجية وسليمان بن صرد: إلحقوا بأخوانيكم رحمة الله . فما زال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من أصحابه ، فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال سليمان: الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين ، اللهم إذ حرمتناها معه ، فلا تحرمناها فيه بعده . وقال عبد الله بن وال: أما والله إنني لأظن حسينا وأبايه وأخاه أفضل أمة محمد^{عليه السلام} وسليمة عند الله يوم القيمة ، ألمًا عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة بهم أنهم قتلوا اثنين وأشفوا بالثالث على القتل ! وقال المسيب بن نجية: فأنا من قتلتهم ومن كان على رأيهم بريء ، إياهم أعادى وأقاتل . قال فأحسن الرؤوس كلهم المنطق . انتهى.

التابيون قادةٌ وشخصياتٌ وفرسانٌ مميزون !

لا يتسع المجال لترجمة قادة التوابين والمعروفين من أتباعهم ، فهم شخصيات اجتماعية ، وفرسانٌ ممتازون ، وقد كان لعدد منهم أدوارٌ هامة في فتوحات بلاد فارس والشام ومصر .

وقد ألف المؤرخون والمحدثون كتاباً خاصة في حركة التوابين ، أو معركة عين الوردة ، سجلوا فيها الكثير من تفاصيل حركتهم ، ومنهم كتاب معاصرون كالدكتور لبيب بيضون (التابيون) (الشيعة والخوارج) للدكتور عبد الرحمن بدوي .

لكن أكثر مصادر الخلافة تجاهلت التوابين أو ذكرتهم باقتضاب مع أن فيهم صحابة كباراً، وفرساناً من قادة الفتوحات، وزعماء قبائل وقراء! فتراهم لا يروون عن سليمان بن صرد مثلاً إلا قليلاً ويترجمون له بسطرين، كما فعل ابن حنبل في العلل: ٢٣١/٣، وبخاري في تاريخه الكبير: ١/٤، مع أنه روى عنه السنة! أو يترجمه بصفحة كالذهبي في سيره: ٣٩٤/٣، قال: (سليمان بن صرد، الأمير أبو مطرف الخزاعي الكوفي الصحابي، له رواية يسيرة... كان ديننا عابداً، خرج في جيش تابوا إلى الله من خذلائهم الحسين الشهيد، وساروا للطلب بدمه وسموا جيش التوابين. وكان هو الذي بارز يوم صفين حوشباً ذا ظليم فقتله. حضر سليمان على الجهاد وسار في ألف لحرب عبيد الله بن زياد وقال: إن قتلت فأميركم المسيب بن نجدة. والتقي الجمعان وكان عبيد الله في جيش عظيم فالتحم القتال ثلاثة أيام، وقتل خلق من الفريقين، واستحرر القتل بالتوابين شيعة الحسين وقتل أمراؤهم الأربعة: سليمان، وال المسيب، وعبد الله بن سعد، وعبد الله بن والي، وذلك بعين الوردة التي تدعى رأس العين سنة خمس وستين، وتحيز بمن بقي منهم رفاعة بن شداد إلى الكوفة).

وفي تاريخ بغداد: ٢١٥/١: (وكان اسمه يساراً فلما أسلم سماه رسول الله سليمان وكانت له سن عالية وشرف في قومه... وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجدة إلى مروان بن الحكم، وكان سليمان يوم قتل ابن ثلاث وتسعين سنة).

قال الطبرى: ٤٢٧٤: (ففرزوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤس الشيعة إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ، وإلى المسيب بن نجدة الفزارى، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله بن وال التيمى، وإلى رفاعة بن شداد البجلي).

ثم إن هؤلاء التفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد ، وكانوا من خيار أصحاب علي ، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم..الخ.). انتهى.

معركة عين الوردة

وأصل التوابون مسيرهم نحو الشام حتى وصلوا الى عين الوردة قرب الرقة ، فالستقوا بجيشه ابن زياد وهو ثلاثة ألفاً ، و Paxtaw معه معارك شديدة لثلاثة أيام وقيل لسبعة أيام ، فقتل أكثرهم ، ورجع من بقي منهم الى الكوفة .

قال الطبرى: (فاقتتنا اليوم الثالث يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى ، ثم إن أهل الشام كثروا وتعطفوا علينا من كل جانب ، ورأى سليمان بن صرد ما لقي أصحابه فنزل فنادي: عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فإلي! ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناسٌ كثیر فكسروا جفون سيفهم ومشوا معه ، وانزوت خيلهم حتى اختلطت مع الرجال فقاتلواهم حتى نزلت الرجال تشتد مصلحة بالسيوف وقد كسروا الجفون ، فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون فقاتلواهم وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة ، وجرحوا فيهم فأكثروا العراح !

فلما رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم بعث الرجال ترميمهم بالنبل واكتفتهم الخيول والرجال ، فقتل سليمان بن صرد عليه السلام ، رماه يزيد بن الحصين بهم فوقع ، ثم وثب ثم وقع ! قال فلما قتل سليمان بن صرد أخذ الراية المسيب بن نجدة وقال لسليمان بن صرد: رحمك الله يا أخي فقد صدقت ووفيت بما عليك وبقي ما علينا ! ثم أخذ الراية فشد بها فقاتل ساعة ، ثم رجع ثم شد بها فقاتل ثم رجع ، ففعل ذلك مراراً يشد ثم يرجع ، ثم قتل). انتهى .
وفي تاريخ الطبرى: (حدثنا هذا الشيخ عن المسيب بن نجدة قال: والله ما

رأيت أشجع منه إنساناً قط ، ولا من العصابة التي كان فيهم ! ولقد رأيته يوم عين الوردة يقاتل قتالاً شديداً ما ظنت أن رجلاً واحداً يقدر أن يبلي مثل ما أبلى ، ولا ينكرأ في عدوه مثل ما نكأ ! لقد قتل رجالاً وسمعته يقول قبل أن يقتل وهو يقاتلهم: قد علمت مئاله الذوائب واضحة اللباب والترائب
 أني غداة الروع والتغلب أشجع من ذي ليد مواتب
 قطاع أقران مخوف الجانب).

وفي تاريخ الطبرى: (قال لنا ابن وال: من أراد الحياة التي ليس بعدها موت والراحة التي ليس بعدها نصب ، والسرور الذي ليس بعده حزن ، فليقترب إلى ربه بجهاد هؤلاء المحلين والرواح إلى الجنة رحمة الله ، وذلك عند العصر ، فشد عليهم وشددنا معه فأصبينا والله منهم رجالاً وكشفناهم طويلاً ثم إنهم بعد ذلك تعطفوا علينا من كل جانب ...

وخرج عبد الله بن عزيز الكندي ومعه ابنه محمد غلام صغير فقال: يا أهل الشام هل فيكم أحد من كندة؟ فخرج إليهم منهم رجال فقالوا: نعم ، نحن هؤلاء ، فقال لهم: دونكم ابن أخيكم فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة ، فأنا عبد الله بن عزيز الكندي . فقالوا له أنت ابن عمنا فإنك آمن ، فقال لهم: والله لا أرحب عن مصارع إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً والأرض أو تاداً ، وبمثلكم كان الله يذكر ! قال: فأخذ ابنه بيكي في إثر أبيه ، فقال: يابني لو أن شيئاً كان أثر عندي من طاعة ربى إذاً لكتنت أنت ! وناشده قومه الشاميون لما رأوا من جزع ابنه وبكاءه في أثره ، وأروا الشاميون له ولابنه رقة شديدة حتى جزعوا وبكوا ! ثم اعتزل الجانب الذي خرج إليه منه قومه ، فشد على صفهم عند المساء فقاتل حتى قتل ...

حدثني مسلم بن زحر الخولاني أن كرباب بن زيد الحميري مشى إليهم عند المساء ، ومعه راية بُلقاء ، في جماعة قلما تنقص من مائة رجل إن نقصت ، وقد كانوا تحدثوا بما يزيد رفاعة أن يصنع إذا أمسى ، فقال لهم الحميري: وجمع إليه رجالاً من حمير وهمدان فقال: عباد الله روحوا إلى ربكم ، والله ما في شيء من الدنيا خلف من رضاء الله والتوبة إليه ! إني قد بلغني أن طائفة منكم ي يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم ، وإن هم ركعوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطايهم ! فاما أنا فواه لا أولى هذا العدو ظهري حتى أرد موارد إخواني ! فأجابوه وقالوا:رأينا مثل رأيك ، ومضى برايته حتى دنا من القوم فقال ابن ذي الكلاع: والله إني لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية ، فدنا منهم فسألهم فأخبروه فقال لهم: إنكم آمنون ، فقال له صاحبهم: إننا قد كنا آمنين في الدنيا ، وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة ! فقاتلوا القوم حتى قتلوا).

وفي تاريخ الطبرى: (أعجب ما رأيت يوم عين الوردة بعد هلاك القوم أن رجلاً أقبل حتى شد على بسيمه فخرجنا نحوه قال فأنهى إليه وقد عفر به وهو يقول: إني من الله إلى الله أفترا رضوانك اللهم أبدى وأسر).

قال فقلنا له: من أنت؟ قال: من بني آدم ! قال فقلنا: من؟ قال: لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفوني يا مخربى البيت الحرام... وشد الناس عليه من كل جانب فقتلوه قال فواه ما رأيت واحداً قط هو أشد منه).

بصمة التوابين الذين انسحبوا

تاريخ الطبرى: (فلما أنسى الناس ورجع أهل الشام إلى معسركهم ، نظر رفاعة (قائدتهم) إلى كل رجل قد عفر به ، والى كل جريح لا يعين على نفسه فدفعه إلى قومه ، ثم سار بالناس ليته كلها حتى أصبح بالشنبير فعبر

الخابور وقطع المعابر (حتى لا يتعمد) ثم مضى لا يمر بمعبوا إلا قطعه ، وأصبح الحصين بن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا فلم يبعث في آثارهم أحداً، وسار بالناس فأسرع وخلف رفاعة وراءهم أبا الجويرية العبدى في سبعين فارساً يسترون الناس فإذا مروا برجل قد سقط حمله أو بمتاع قد سقط قبضه حتى يعرفه ، فإن طلب أو ابْتَغَى بعث إليه فأعلمته ، فلم يزالوا كذلك حتى مروا بقرقيسيا من جانب البر فبعث إليهم زفر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث إليهم في المرة الأولى ، وأرسل إليهم الأطباء وقال: أقيموا عندنا ما أحبيتم فإن لكم الكرامة والمواساة ، فأقاموا ثلاثة ، ثم زود كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف .

قال: وجاء سعد بن حذيفة بن اليمان حتى انتهى إلى هيت فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقى الناس ! فانصرف فتلقي المثنى بن مخرمة العبدى بصندواده فأخبروه ، فأقاموا حتى جاءهم الخبر أن رفاعة قد أظللكم ، فخرجوا حين دنا من القرية فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض وبكي بعضهم لبعض وتناغوا إخوانهم فأقاموا بها يوماً وليلة فانصرف أهل المدائن إلى المدائن وأهل البصرة إلى البصرة وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة فإذا المختار محبوس). وفي مشاهير علماء الأمصار لابن حبان/١٧٢: (رفاعة بن شداد الفياني ، وفتیان بطون من بجيلة من اليمن أبو عاصم كان ممن انفلت من عین الوردة). وفي الثقات: ٤٠/٤: (يروي عن عمرو بن الحمق الخزاعي روى عنه السدي).

فرحة عبد الملك بانتصاره على التوابين

وصفو فرحة عبد الملك بن مروان بالنصر على التوابين بقولهم: (أَتَيَ عبد الملك بن مروان ببشرى الفتح ، قال فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه السلام ثلاثة ثورات ولم يخضع لضغوطها..... ٣٤٩

أما بعد فإن الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملحق فتنة ورأس ضلاله سليمان بن صرد، ألا وإن السيف تركت رأس المسيب بن نجية خذاريف ! ألا وقد قتل الله من رؤوسهم وأسين عظيمين ضالين ماضلين عبد الله بن سعد أخا الأزد ، وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفاع ولا امتناع). (الطبرى: ٤٧٠/٤ ، وتاريخ دمشق: ٤٦٦/٧).

○ ○

ثم فرح عبد الملك فرحةً أكبر بموت أبيه وبيعته بالخلافة ، لكنه واجه حركة التوابين الجدد بقيادة المختار ، والتي سرعان ما سيطرت على العراق قال في البدء والتاريخ: ١٩٦: (فالتقوا برأس عين فقتلوا سليمان بن صرد وتفرق أصحابه ، فمالت الشيعة إلى المختار بن أبي عبيد وقوى أمره ، فأظهر الدعوة إلى محمد بن الحنفية والطلب بدم الحسين ، ومات مروان بدمشق ، وكانت ولادته سبعة أشهر وأياماً) .

○ ○

٣- ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي

ثورة المختار وإبراهيم بن مالك الأشتر

انفق أتباع الخلافة على ذم المختار رحمه الله لأنه خرج على أسيادهم بني أمية ، وسيد بعضهم عبدالله بن الزبير ! وكذبوا على المختار كثيراً واجتهدوا لتشويه صورته ، وسترى بعض مكذوباتهم .

أما عندنا: فقد ورد فيه روايات مدح ولم تثبت روایات ذمه ، وسترى أن الأئمة عليهم السلام مدحوه وترحموا عليه ، وإن تحفظوا عن تأييد شخصه وثورته سياسياً .

بداية حركة المختار

قال اليعقوبي: (وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي أقبل في جماعة عليهم السلاح يريدون نصر الحسين بن علي ، فأخذه عبد الله بن زياد فحبسه وضربه بالقضيب حتى شَتَّر عينه ، فكتب فيه عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية وكتب يزيد إلى عبيد الله: أن خل سيله فخل سبيله ونفاه ، فخرج المختار إلى الحجاز فكان مع ابن الزبير فلما لم ير ابن الزبير يستعمله ، شخص إلى العراق فوافى وقد خرج سليمان بن صرد الخزاعي يطلب بدم الحسين ، فلما صار إلى الكوفة اجتمعت إليه الشيعة فقال لهم: إن محمد بن علي بن أبي طالب بعضكم إليكم أميراً وأمرني بقتل المحلين وأطلب بدماء أهل بيته المظلومين ، وإنني

والله قاتل ابن مرجانة ، والمنتقم لأن رسول الله من ظلمهم ! فصدقه طائفه من الشيعة وقالت طائفه: نخرج إلى محمد بن علي فنسأله فخرجوإليه فسألوه فقال: ما أحب إلينا من طلب بثارنا وأخذ لنا بحقنا ، وقتل عدونا ، فانصرفوا إلى المختار فبایعوه وعاقدوه) . انتهى.

وذكر الطبرى: ٢٤١/٤، أن ابن زياد بعد قتل مسلم بن عقيل مبعوث الحسين عليه السلام قُبض على المختار بن أبي عبيد الثقفى ، واتهمه بأنه ناصر مسلماً عليه السلام فضربه وشتر عينه وحبسه ، فبلغ الخبر أخيه صفية زوجة عبد الله بن عمر ، فكتب ابن عمر إلى يزيد فأطلق المختار ، وذلك بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام.

أقول: تدل هذه النصوص وغيرها على أن طموحات المختار كانت مبكرة ، وأنه كان مهتماً بالجو الشيعي في الكوفة لأنها نقل العالم الإسلامي بعد الشام . ويفهم من رواية العقوبي وغيره أنه أراد نصرة مسلم بن عقيل مبعوث الإمام الحسين عليه السلام فحبسه ابن زياد فلم يستطع الذهاب إلى كربلاء ، لكن أصحاب الحسين من نوعيات أرقى من المختار ، وأرقى من محمد بن الحنفية فقد (عنَّفَ) ابن عباس على تركه الحسين عليه السلام فقال: إن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزدوا رجلاً ، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم . وقال محمد بن الحنفية: وإن أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم). (مناقب آل أبي طالب: ٢١١/٣، والطبرى: ٤٤٣/٤، وأصدق الأخبار: ٣٢).

فال صحيح أن المختار كان يفكر بعد هلاك معاوية بالعمل مع أهل البيت عليهم السلام فرأى الأمور تجري ضدهم ، ثم رأى موجة الأخذ بثار الحسين عليه السلام قوية في الكوفة ، ولم يكن الجو ناضجاً ليرفع شعارها ، ولم يكن يفكر بالدعوة إلى نفسه كما فعل ابن الزبير، فابن الزبير قرشي والمختار ثقفي وثقيف ما زالت

عندهم عقيدة احترام قريش وشعور النقص تجاهها، فلحق بابن الزبير فلم يعطه ولاية ترضيه ، فرّجع إلى الكوفة وقد اشتدت موجة الأخذ بثأر الحسين عليه السلام والعترة النبوية ، فرفع شعارها .

وقد حاول أن يأخذ الشرعية من الإمام زين العابدين عليه السلام فلم يعطه ، وحاول مع محمد بن الحنفية عليه السلام فوجد منه ليناً ، فرفع إسمه ، وزوّر عليه كتاباً إلى إبراهيم بن مالك الأشتر عليه السلام ، يطلب منه نصرته !

بائع المختار ابن الزبير وقاتل معه !

حسب روايات الطبرى: ٤٤٥/٤ ، أمضى المختار أكثر من سنة في الحجاز ، فقد رأه أحدهم في مكة ثم رأه بعد سنة ، ولعله كان في المدينة يحاول إقناع الإمام زين العابدين عليه السلام بارساله إلى العراق أو الإذن له فلم يستطع ، ثم حاول في مكة إقناع محمد بن الحنفية الذي كان جسده ابن الزبير في سبعة عشر من بنى هاشم لامتناعهم عن بيعته ، فرأى منه ليناً ولم يكتب له إذناً ! فذهب إلى ابن الزبير وقال له: (إني قد جئتكم لأبايعك على ألا تقضي الأمور دوني وعلى أن أكون في أول من تأذن له ، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك). فبایعه وقاتل معه جيش الشام مرتين: (فلما قتل المنذر بن الزبير والمسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري نادى المختار: يا أهل الإسلام إلى إلينا ابن أبي عبد بن مسعود ، وأنا ابن الكلرار لا الغرار ، أنا ابن المقدمين غير المحجمين ، إلى يا أهل الحفاظ وحماية الأوتار ، فحمي الناس يومئذ وأبلى وقاتل قتالاً حسناً ، ثم أقام مع ابن الزبير في ذلك الحصار ، حتى كان يوم أحرق البيت فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضيين من شهر ربيع الأول سنة ٦٤ ، فقاتل المختار يومئذ في عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسن قتال).

ثم ترك المختار ابن الزبير وعاد إلى الكوفة . فقد روى ابن نما في ذوب النضار ، ٧٨/٢ ، عن المدائني قال: (لما قدم على عبد الله بن الزبير لم ير عنده ما يزيد... فخرج المختار من مكة متوجهاً إلى الكوفة فلقيه هانئ بن أبي حية الوداعي فسألة عن أهلها، فقال: لو كان لهم رجل يجمعهم على شيء واحد لأكل الأرض بهم . فقال المختار: أنا والله أجمعهم على الحق وألقى بهم ركبان الباطل وأقتل بهم كل جبار عنيد إن شاء الله... ثم وجه إلى وجوه الشيعة وعرفهم أنه جاء من محمد بن الحنفية للطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام ، وهذا أمر لكم فيه الشفاء وقتل الأعداء). ونحوه في البدء والتاريخ: ١٦٦.

ابراهيم بن الأشتر القائد الأساسي في ثورة المختار

كان إبراهيم بن مالك الأشتر عماد حركة المختار ، فهو فارسٌ شجاعٌ مطاع ، ورئيس قبائل همدان ، بل يصح عدُّه صاحب الثورة الحقيقية لأهمية دوره فيها . وقد روت مصادر الخلافة أن المختار زُوِّر له كتاباً من محمد بن الحنفية ، ولكنهم رووا أن عدّاً من أئمتهم المؤوثقين شهدوا بصحة الكتاب ! قال ابن سعد: ٩٩/٥ ، وابن عساكر: ٣٤٢/٥٤ (وكتب المختار كتاباً على لسان محمد بن الحنفية إلى إبراهيم بن الأشتر ، وجاء فاستأذن عليه ، وقيل المختار أمين آل محمد رسوله (ص) ، فأذن له وحياة ورحب به وأجلسه معه على فراشه ، فتكلم المختار وكان مفوهاً ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) قال: إنكم أهل بيته قد أكرمكم الله بنصرة آل محمد ، وقد ركب منهم ما قد علمت وحرموا ومنعوا حقهم ، وصاروا إلى ما رأيت ، وقد كتب إليك المهدي كتاباً وهؤلاء الشهود عليه . فقال يزيد بن أنس الأسدية ، وأحمر بن شميط الجلي وعبد الله بن كامل الشакري، وأبو عمارة كيسان مولى بجيلة: نشهد أن هذا كتابه

قد شهدناه حين دفعه إليه ، فقضى إبراهيم وقرأه ثم قال: أنا أول من يجيب ، قد أمرنا بطاعتكم ومؤازرتكم ، فقل ما بدا لك وادع إلى من شئت).

وفي نهاية الارب ٤٥٧٥، وغيره ، أنه شهد على صحة كتاب ابن الحنفية: عبد الرحمن بن شريح ، وأبي النفيه ، والشعبي ، وأبيه ، وبضعة عشر من أصحابه ، ثم قال: (فلما فرغ من قراءته تأخر(إبراهيم) عن صدر الفراش وأجلس المختار عليه وبايده ، وصار يختلف إلى المختار كل عشية ، يدبرون أمورهم..).

ومثله الذهبي في سيره: ١٢١/٤، بينما قال في: ٥٤١/٣: (وقال إن جبريل ينزل عليَّ بالوحسي ! واختلق كتاباً عن ابن الحنفية إليه يأمره بنصر الشيعة . وثار إبراهيم بن الأشتر في عشيرته فقتلَ صاحب الشرطة وسرَّ به المختار وقوى ، وعسكرروا بدليس هند ، فحاربهم نائب ابن الزبير ثم ضعف واختفى ! وأخذ المختار في العدل وحسن السيرة). انتهى.

أقول: هذا اعترافٌ منهم بصحة كتاب ابن الحنفية وبعدل المختار في الحكم ! ولا قيمة لزعمهم بأنه ادعى النبوة ، فلو صح ذلك لاشتهر عنه ، واعتبره عليه الناس ، وفشل حركته !

وروى ابن الأثير: ٢١٤/٤، وغيره ، أن عبد الرحمن بن شريح ، وسعيد بن منقذ الشوري ، وسعر بن أبي الحنفي ، والأسود بن جراد الكندي ، وقدامة بن مالك الجشمي ، وهم من رؤساء قبائل اليمن في الكوفة ، شكوا في إذن ابن الحنفية للمختار فذهبوا إلى المدينة فسألوه هل أرسله وأذن له؟ فقال لهم: (وأما ما ذكرتم ممن دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فوالله لورددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه...) فعادوا وبشروا الشيعة والمختار وقالوا: (لو كره لقال لا تفعلوا) وقالوا للمختار: (فإن أجبنا إلى أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا القوة

على عدونا فإنه فتى رئيس ، وابن رجل شريف له عشيرة ذات عز وعدد). ثم ذكر أنهم طلبوا من إبراهيم بن الأشتر أن يقوم معهم ، فشرط عليهم أن يولوه أمرهم ، فقالوا: (إن ابن الحنفية أمنا بطاعة المختار ، فسكت إبراهيم ولم يجدهم ، فانصرفو عنه ، فأخبروا المختار فمكث ثلاثة ثم سار في بضعة عشر من أصحابه والشعبي وأبوه فيهم ، إلى إبراهيم فدخلوا عليه فألقى لهم الوسائل فجلسوا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال له المختار: هذا كتاب من المهدي محمد بن علي أمير المؤمنين وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله عليهم السلام ، وهو يسألك أن تنصرنا وتوازننا .

قال الشعبي: وكان الكتاب معي ، فلما قضى كلامه قال لي: إدفع الكتاب إليه فدفعه إليه الشعبي فقرأه فإذا فيه: من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر . سلام عليك ، فإنني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإني قد بعثت إليكم وزيري وأميني الذي ارتضيته لنفسي وأمرته بقتال عدوكم والطلب بدماء أهل بيتي ، فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك إن نصرتني وأجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ، ولك أعنفة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثور ظهرت عليه ، فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام . فلما فرغ من قراءة الكتاب قال: قد كتب إليّ ابن الحنفية قبل اليوم وكتب ، فلم يكتب إليّ إلا ياسمه واسم أبيه ! قال المختار: إن ذلك زمان وهذا زمان ! قال: فمن يعلم أن هذا كتابه إلى؟ فشهد جماعة من معه منهم زيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم إلا الشعبي ! فلما شهدوا تأخر إبراهيم عن صدر الفراش وأجلس المختار عليه وبابعه... وأقبل يختلف إلى المختار كل عشية عند المساء يدبرون أمرهم ، واجتمع رأيهم

على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين).
 وروى في الطبرى: (قال الشعبي: أخذ بيدي فقال: إنصرف بنا يا شعبي ،
 قال فانصرفت معه ومضى بي حتى دخل بي رحله فقال: يا شعبي إني قد
 حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك ! أفترى هؤلاء شهدوا على حق؟ قال قلت
 له: قد شهدوا على ما رأيت، وهم سادة القراء ومشيخة مصر وفرسان العرب
 ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً . قال فقلت له هذه المقالة وأنا والله لهم
 على شهادتهم متهم ، غير أنني يعجبني الخروج، وأنا أرى رأي القوم وأحب
 تمام ذلك الأمر ، فلم أطلعه على ما في نفسي من ذلك ، فقال لي ابن الأشتر:
 أكتب لي أسماءهم فإني ليس كلهم أعرف ، ودعا بصحيفة دوادة وكتب فيها:
 بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعري ، ويزيد
 بن أنس الأسدي ، وأحمر بن شميط الأحمسي ، ومالك بن عمرو النهدي ،
 حتى أتي على أسماء القوم ، ثم كتب شهدوا أن محمد بن علي كتب إلى
 إبراهيم بن الأشتر يأمره بموازرة المختار ومظاهرته على قتال المحلين والطلب
 بدماء أهل البيت ، وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة ،
 شراحيل بن عبد ، وهو أبو عامر الشعبي الفقيه ، وعبد الرحمن بن عبد الله
 النخعى ، وعامر بن شراحيل الشعبي . فقلت له: ما تصنع بهذا رحمك الله؟
 فقال: دعه يكون . قال ودعا إبراهيم عشيرته).

إبراهيم بن الأشتر والمختار يسيطران على الكوفة

في نهاية الإرب ٤٥٧ ، وغيره ، أن والي الكوفة ورئيس شرطته أحسوا بحركة المختار فبعُوا الجنود وأمروا عليهم الأمراء ، ثم قال: (خرج إبراهيم بن الأشتر ليلة الثلاثاء يريد المختار ، وقد بلغه أن الجبابين قد ملئت رجالاً ، وأن إياس بن مضارب في الشرطة قد أحاط بالسوق والقصر ، فأخذ معه من أصحابه نحو مائة دارع ، وقد لبسوا عليهم الأقبية ، فقال له أصحابه: تجنب الطريق فقال: والله لأمرئَ وسط السوق بجنب القصر ، ولأربعين عدونا ولأربينهم هوانهم علينا ! فسار على باب الفيل فلقيهم إياس في الشرط مظہرين السلاح فقال: من أنتم؟ فقال: أنا إبراهيم بن الأشتر . فقال إياس: ما هذا الجمع الذي معك وإلى أين تريد؟ ولست بتاركك حتى آتي بك الأمير ، فقال إبراهيم: خل سبيلاً ! قال لا أفعل ، وكان مع إياس رجل من همدان يقال له أبو قطن وكان يكرمه ، وكان صديقاً لأبن الأشتر ، فقال له ابن الأشتر: أدن مني يا أبو قطن فدنا منه وهو يظن أن إبراهيم يستشعف به عند إياس ، فلما دنا منه أخذ رمحاً كان معه فطعن به إياس في ثغره فصرعه ، وأمر رجلاً من أصحابه قطع رأسه ، وتفرق أصحاب إياس ... ففرح المختار بقتل إياس وقال: هذا أول الفتح إن شاء الله . ثم قال لسعيد بن منقذ: قم فأشعل النيران وارفعها ، وسر أنت يا عبد الله بن شداد فناد: يا منصور أمت، وأنت يا سفيان بن ليلي، وأنت يا قدامة بن مالك: ناد يا ثمارات الحسين! ثم ليس سلاحة وكانت الحرب بين أصحابه وبين الذين ندبهم ابن مطیع لحفظ الجبابين في تلك الليلة ، فكان الظفر لأصحاب المختار... جمع ابن مطیع أهل الطاعة إليه بعث ثابت بن ربعي في ثلاثة آلاف وراشد بن إياس

في أربعة آلاف من الشرط لقتال المختار ومن معه ، وأردهم بالعساكر ، واقتتلوا فكان الظفر لأصحاب المختار ومن معه ، وكان الذي صليَّ العرب ودبَّر الأمر إبراهيم بن الأشتر ، فلما رأى بن مطیع أمر المختار وأصحابه قد قوي خرج بنفسه إليهم فوقف بالكتناس واستخلف شبث بن ربعي على القصر فبرز إبراهيم بن الأشتر لابن مطیع في أصحابه وحمل عليه ، فلم يلبث ابن مطیع أن انهزم أصحابه يركب بعضهم بعضاً على أفواه السكك ، وابن الأشتر في آثارهم حتى بلغ المسجد ، وحضر ابن مطیع ومن معه في أشراف الكوفة في القصر ثلاثة... وترك القصر (وأختنى) ففتح أصحابه الباب وقالوا: يا ابن الأشتر آمنون نحن؟ فقال: أنتم آمنون فخرجو فبايعوا المختار... ودخل أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله (ص) والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المخلين والدفع عن الضعفاء). انتهـى. ومعنى ذلك أن نجاح الثورة في الكوفة كان سهلاً نسبياً ، لأن موجة أخذ الثأر لأهل البيت عليهم السلام كانت قوية عارمة !

أتباع الخليفة يُكذبون لتشويه شخصية المختار

ثار المختار عليه السلام على ابن الزبير والأمويين معاً فانتصر عليهم ، وتبع قتله الإمام الحسين عليه السلام وقتل أكثرهم ، واكتسح وزير ابن الأشتر جيشاً كثيفاً لعبد الملك في الموصل ، وقتل قائده عبد الله بن زياد ، وحكم العراق والمناطق التابعة له في إيران وأرمينية نحو سنتين ، إلى سنة ثمان وستين هجرية ، ثم انتصر عليه مصعب ابن الزبير ، فقتله .

فماذا ننتظر من مصادر الخلافة أن تكتب عنه وهي أموية الهوى أو زبيرة؟! لذلك لا تتعجب إذا رأيت تأريخهم له مشحوناً بالكذب عليه ، فقد زعموا أنه أدعى علم الغيب والنبوة ، وأنه أدعى المهدوية لابن الحنفية ، وقد أخذوا ذلك

من الدعاية الأموية والزبيرية ضده ، لكن أفلتت منهم شهادات عظيمة له عليه السلام بأنه كان عادلاً في سيرته وكان صاحب أخلاق وقيم في عصر كادت تفقد القيم !

فقد قال الطبرى: ٤٠٨، عن سياسة المختار المالية في عصر كثُرَت فيه السرقات والخيانات: (وأصحاب المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة ، فأعطي أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطیع في القصر ، وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل ، كل رجل خمسماة درهم خمسماة درهم ، وأعطي ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك ثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ومنائهم العدل وحسن السيرة ، وأدنى الأشراف فكانوا جلساه وحدها).

ثم ذكر الطبرى إرسال المختار عماله وتوجيهاته لهم ، فقال: (أول رجل عقد له المختار راية عبد الله بن الحارث أخوه الأشتر ، عقد له على أرميبيه ، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على آذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جوخى ، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصري وهو حليف لثقيف على بهقباذ الأعلى ، وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الأوسط ، وبعث حبيب بن منقذ الشوري على بهقباذ الأسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان ، وكان مع سعد بن حذيفة ألفاً فارس بحلوان ، قال ورزقه ألف درهم في كل شهر ، وأمره بقتل الأكراد وبإقامة الطرق . وكتب إلى عماله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم إلى سعد بن حذيفة بحلوان). الخ.

والبهقباذات الأعلى والأوسط والأسفل: المناطق المتعددة من الحلة إلى قرب البصرة منسوبة إلى قباد ابن فيروز والد أنور شروان بن قباد). (معجم البلدان: ٥١٦١، والمسالك والممالك: ٤).

وتقدمت شهادة الذهبي في سيره ٤١٣: (وأخذ المختار في العدل وحسن السيرة). كما سجل الطبرى وغيره شهادتهم في معاملة المختار لخصمه المهزوم حاكم الكوفة ، الذى قاتله أيامًا وقتل من رجال المختار مئات ، ثم هرب ليلاً من القصر الى بيت أبي موسى الأشعري . قال الطبرى: (وجاءه ابن كامل فقال للمختار: أعلمتَ أن ابن مطیع في دار أبي موسى؟ فلم يجبه بشئ ، فأعادها عليه ثلاث مرات فلم يجبه ، ثم أعادها فلم يجبه ! فظن ابن كامل أن ذلك لا يساقه ! وكان ابن مطیع قبْلَ للمختار صديقاً ، فلما أمسى بعث إلى ابن مطیع بمائة ألف درهم فقال له: تجهز بهذه وآخره ، فإني قد شعرت بمكانك وقد ظننت أنه لم يمنعك من الخروج إلا أنه ليس في يديك ما يقويك على الخروج). (وابن الأثير: ٣٧٤، وابن خلدون: ٢٣٣، والنهایة: ٢٩٤/٨، ونهاية الإرب: ٤٥٧٨، وغيرها). وهي مناقبها تعلمها المختار من ارتباطه الى أهل البيت عليهم السلام.

المختار يرسل ابن أنس الأستدي لمواجهة جيش عبد الملك

ما أن نجحت ثورة المختار في الكوفة حتى اشتد غضب عبد الملك وسارع في تجهيز جيش كبير بقيادة عبيد الله بن زياد ، قصد العراق عن طريق الموصل فسارع المختار إلى تشكيل جيش بإمرة يزيد بن أنس الأستدي ، أرسله المختار وقال له ، كما في الطبرى: (أخرج إلى الموصل حتى تنزل أدانيها ، فإني ممدد بالرجال بعد الرجال . فقال له يزيد بن أنس: سرّح معي ثلاثة آلاف فارس انتبهم وخلني والفرج الذي توجهنا إليه ، فإن احتجت إلى الرجال فساكتب إليك . قال له المختار: فاختر فانتخب على اسم الله من أحبت ، فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس...).

فأرسل ابن زياد جيشاً بقيادة ربيعة بن المخارق واشتباكاً مع جيش المختار

وأدار المعركة قائدتهم الأسدى وهو مريض فانتصر عليهم ، ومات بعد أن نصب مكانه ورقاء بن عازب الأسدى ، وكان ضعيفاً فبلغه خبر تحرك جيش ابن زياد في ثمانين ألفاً فأمرهم بالرجوع: (قالوا إإنك نعمَ رأيت ، إنصرف رحمك الله فانصرف ، فبلغ من صرفهم ذلك المختار وأهل الكوفة فأوجف الناس... أن يزيد بن أنس هلك ، وأن الناس هزموا... فدعا المختار إبراهيم بن الأشتر فعقد له على سبعة آلاف رجل ، ثم قال له: سر حتى إذا أنت لقيت جيش ابن أنس فاردد لهم معك ، ثم سر حتى تلقى عدوك فتاجزهم ، فخرج إبراهيم ، فوضع عسكته بحمام أعين).

ابن الأشتر يرجع من طريقه لمعالجة وضع الكوفة

توجه إبراهيم نحو الموصل ، لكن بقايا النظام الأموي أشاعوا أن يزيد بن أنس مات ، وجيش المختار انهزم بسوء تدبير المختار ! فاجتمع أشراف الكوفة حسب تعبيرهم بقيادة قتلة الحسين عليه ولأتباعه وأتباعبني أمية !

قال الطبرى: (جاء شبث بن رباعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي ، فتكلم شبث فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار ، وسأله أن يجيئهم إلى ذلك وقال: فيما يعتب المختار ! إنه تأمر علينا بغير رضى منا... وزعم أن ابن الحنفية بعثه إلينا وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل ، وأطعم مواليها فيأنا وأخذ عبيداً فحرّب بهم يتأمانا وأراملنا ، وأظهر هو وسيأيته البراءة من أسلافنا الصالحين... وقالوا إنظروا حتى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر ! قال: فأنهلوه حتى إذا بلغ ابن الأشتر سباط وثبوا بالمختار ! قال فخرج عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى في همدان في

جبانة السبع ، وخرج زحر بن قيس الجعفي وإسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كندة... قال وبعث المختار رسولًا من يومه يقال له عمرو بن توبية بالركض إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط: أن لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إلى! قال وبعث إليهم المختار في ذلك اليوم: أخبروني ماتربدون فإني صانع كل ما أحببتم ! قالوا: فإننا نريد أن تعزلنا ، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك). انتهى.

لقد فاوضهم المختار بسياسة ليكسب الوقت حتى يصل ابن الأشتر ، الذي قطع الطريق إلى الكوفة في يومين ، بينما وصلت استعدادات المعادين إلى أشدّها ، فتولى إبراهيم حرب المضريين والمختار حرب اليمانيين: (وجاءت البشرى إلى المختار من قبل إبراهيم بهزيمة مصر ، فبعث المختار البشري من قبله إلى أحمر بن شميط ، وإلى ابن كامل ، فالناس على أحوالهم كل أهل سكة ، منهم قد أغنت ما يليها). (الطبرى: ٥٣٣/٤).

أقول: غالب على معركة المختار الأولى للسيطرة على الكوفة طابع المعركة لإنقاذ النظام ، بينما كانت معركته الثانية خاصة ضد قتلة الحسين عليهما من أتباع بنى أمية والمعاليين فيهم ، وكان شعاره: (يا ثارات الحسين عليهما).

وقد حدث في قبيلة شمام من ربيعة وكانت مع الأمويين ، أن رئيسهم رفاعة بن شداد كانت عقيدته مع المختار فكان يسير بهم يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ! فصاح أحدهم بشعار(يا ثارات عثمان) في مقابل شعار أنصار المختار (يا ثارات الحسين) ! فانتفض رفاعة وخلف عشيرته حتى قاتلهم وقتل بسيوفهم !

قال الطبرى: (ودخل الناس جبانة في آثارهم وهم ينادون يا ثارات الحسين ، فأجابهم أصحاب ابن شميط يا ثارات الحسين ، فسمعها يزيد بن

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه السلام ثلاث ثورات ولم يخضع لضغوطها..... ٣٦٣

عمير بن ذي مران من همدان فقال: يا لثارات عثمان ! فقال لهم رفاعة بن شداد: مالنا ولعثمان؟! لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان ! فقال له أناس من قومه: جئت بنا وأطعنك حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيف قلت انصرفوا ودعوه ! فعطف عليهم وهو يقول:

أَنَا أَبْنَى شَدَادَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ لَسْتُ لِعَشَّانَ بْنَ أَرْوَى بُولِي
لِأَصْلَيْنَ الْيَوْمَ فِيمَنْ يَصْطَلِي بِحَرَّ نَارِ الْحَرْبِ غَيْرَ مُؤْتَلِي
فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ (خطف).

المختار يقتل مئات ممن شركوا في دم الحسين عليه السلام

في تاريخ الطبرى: (قال له المختار: أعرضوهم علىي، وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى به ، فأخذوا لا يمر عليه برجل قد شهد قتل الحسين إلا قيل له هذا من شهد قتيله ، فيقدمه فيضرب عنقه ، حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً... ونادى منادي المختار: إنه من أغلى بابه فهو آمن ، إلا رجلاً شرك في دم آل محمد عليهم السلام ...

فقال لهم المختار يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وأآل رسوله: أين الحسين بن علي أدوا إلى الحسين؟! قتلتكم من أمرتم بالصلاحة عليه في الصلاة؟! فقالوا: رحمك الله بعثنا ونحن كارهون فامتنن علينا واستبقنا . قال المختار: فهلا منتم على الحسين بن بنت نبيكم واستبقيتموه وستقيموه؟! ثم قال المختار: للبدائي: أنت صاحب برنسيه؟ فقال له عبد الله بن كامل: نعم هو هو ! فقال المختار: إقطعوا يدي هذا ورجليه ودعوه فليضطرب حتى يموت ، ففعل ذلك به وترك فلم ينزل ينزف الدم حتى مات ! وأمر بالآخرين فقدما فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهنى ، وقتل سعر بن أبي سعر حمل بن مالك المحاربى...

وخرج عمرو بن الحاج الجبيدي ، وكان من شهد قتل الحسين ، فركب راحلته ثم ذهب عليها فأخذ طريق شراف وواقصة ، فلم ير حتى الساعة ، ولا يدرى أرض بخسته ، أم سماء حصبت ...

بعث المختار عبد الله بن كامل إلى عثمان بن خالد بن أسيير الدهمني من جهةينة ، وإلى أبي أسماء بشر بن سوط القابضي ، وكانا من شهدا قتل الحسين وكانا اشتراكا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه ، فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجدبني دهمان ، ثم قال: على مثل خطايابني دهمان منذ يوم خلقوا إلى يوم يبعثون ، إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسيير إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم ! فقالوا له: أمهلنا نطلب فخر جوا معه الخيل في طلبه فوجدوهما جالسين في الجبانة ، وكانا يريدان أن يخرجوا إلى الجزيرة ، فأتى بهما ...

وبعث أبا عمارة صاحب حرسه فساروا حتى أحاطوا بدار خولي بن يزيد الأصبعي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به ، فاختبا في مخرجه فأمر معاذ أبا عمارة أن يطلبه في الدار فخرجت أمرأته إليهم فقالوا لها: أين زوجك؟ فقالت لا أدرى أين هو ، وأشارت بيدها إلى المخرج ! فدخلوا فوجدو قد وضع على رأسه قوصرة فأخرجوه... وكانت امرأته من حضر موت يقال لها العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب ، وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين عليه السلام ...

وحدثني موسى بن عامر أبو الأشعرا أن المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساً: لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين مشرف العاجبين ، يسرّ مقتله المؤمنين والملائكة المقربين ! قال وكان الهيثم بن الأسود النخعي عند

المختار حين سمع هذه المقالة فوق في نفسه أن الذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فلما رجع إلى منزله دعا ابنه العريان فقال إنك ابن سعد الليلة فخبره بكلذ وكتذا وقل له خذ حذرك فإنه لا يريد غيرك ! قال: فأتاه فاستخلأه ثم حدثه الحديث فقال له عمر بن سعد: جزى الله أباك والإخاء خيراً كيف ي يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق ، وكان المختار أول ما ظهر أحسن شئ سيرة وتألفاً للناس ، وكان عبد الله بن جعده بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقرباته بعلى ، فكلم عمر بن سعد عبد الله بن جعده وقال له: إني لا آمن هذا الرجل يعني المختار فخذ لي منه أماناً ففعل ، قال: فأنا رأيت أمانه وقرأته: بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد بن أبي وقاص: إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك ، لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ، ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك . فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلا بغيره .

شهد السائب بن مالك ، وأحمر بن شميط ، وعبد الله بن شداد ، وعبد الله بن كامل ، وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليفين لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان إلا أن يحدث حدثاً ، وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيداً ، قال فكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: أما أمان المختار لعمر بن سعد إلا أن يحدث حدثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث... !

وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمراً وأمره أن يأتيه به ، فجاءه حتى دخل عليه ، فقال أجب الأمير ، فقام عمر فعثر في جبة له ، ويسربه أبو عمراً بسيفه فقتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال

المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده: أتعرف هذا الرجل؟ فاسترجع وقال: نعم ، ولا خير في العيش بعده ! قال له المختار: صدقت فإنك لا تعيش بعده ، فأمر به قتله ، وإذا رأسه مع رأس أبيه ! ثم إن المختار قال: هذا بحسين وهذا بعلى بن حسين ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أربع قریش ، ما وفوا أئملاً من أنا ملهمه).

ولا يتسع المجال لتفصي تبع المختار رحمه الله لمن شرك في قتل الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وفي الموضوع كتب خاصة منها ذوب النصارى لابن نما الحلي، وأصدق الأخبار للسيد الأمين، وغيرهما.

ابراهيم بن الأشتر يعود لمواجهة جيش عبد الملك

كان جيش عبد الملك في هذه المعركة ستين ألف مقاتل ، وفي بعض الروايات ثلاثة وثمانين ألفاً ، بقيادة عبيد الله بن زياد ، وقد تلقى هزيمة ساحقة على يد إبراهيم بن مالك الأشتر رض وجشه المكون من بضعة آلاف ، فسحقهم ابن الأشتر رض وقتل أكثرهم ، وغرق كثير منهم في نهر الخازر عندما هربوا ولم ينجُ منهم إلا قلول !

قال الدكتور إبراهيم بيضون في كتابه (التوابون) ١٨١: (وعند نهر الخاizer اشتباك الجيشان في ملحمة عظيمة بذل فيها الشيعة جهوداً عظيمة للسيطرة على زمام الموقف ، وقامت فرقة انتحارية منهم باختراق صفوف العدو مستهدفة عبيد الله بن زياد فتمكنت من الوصول اليه وقتلته . ثم قتل غيره من القواد الكبار الأمر الذي أحدث بليلة فوضى وأدى إلى هزيمة ساحقة للجيش الأموي) .

وفي تاريخ دمشق، ٢٣٥/٥٨، ونحوه في: ٣٨٩/١٤: (فتراسقوا بالنبل ساعة ، وتشاولوا بالرماح ، ثم صاروا إلى السيف فاقتتلوا أشد القتال ، إلى أن ذهب ثلث الليل ،

وُقُتِلَ أهل الشام تحت كل حجر ، وهرب من هرب منهم ، وُقُتِلَ عبيد الله بن زياد والحسين بن نمير في المعركة ، وبعث بالرؤوس إلى المختار ، فبعث المختار برأس عبيد الله بن زياد وبرأس الحسين بن نمير وستة نفر من رؤوسائهم مع خلاد بن السائب الخزرجي ، فقدم بها المدينة فنصبت يوماً إلى الليل ، ثم خرج بها إلى ابن الزبير فنصبها على ثنية الحجون) .

وفي نهاية ابن كثير: ٤١٥/٨: (ثم انفق خروج ابن الأشتر إليه في سبعة آلاف ، وكان مع ابن زياد أضعاف ذلك ، ولكن ظفر به ابن الأشتر فقتله شرّ قتلة ، على شاطئ نهر الخازر قريباً من الموصل بخمس مراحل . قال أبو أحمد الحكم: وكان ذلك يوم عاشوراء . قلت: وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين) .

وفي أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثار للسيد الأمين: ٨١: (فسار إبراهيم حتى وصل إلى أرض الموصل وجعل لايسير إلا على تعبيبة ، حتى وصل إلى نهر الخازر ، فنزل قرية يقال لها باريثا بينها وبين الموصل خمسة فراسخ ، وجاء ابن زياد حتى نزل قريباً منهم على شاطئ نهر الخازر... ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه ، ثم مر بأصحاب الرايات كلها فكلما مر على راية وقف عليها ثم قال: يا أنصار الدين وشيعة الحق ، هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال بيته وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته ! فوالله ما عمل فرعون بمن جاءه بنو إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم نظيرأ ، فوالله إني لأرجو أن يشفى الله صدوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي كامل ابن الأثير: (وكان إبراهيم يقول لصاحب رايته: إن غميس برأيتك فيهم ! فيقول: ليس لي متقدم ! فيقول: بلـى ، فإذا تقدم شد إبراهيم بسيفه فلا يضر بـرجل إلا صرـعه ، وكرـأ إبراهيم والـرجـالـة بين يديـهـ كـأنـهـ الحـمـلـانـ ، وحمل أصحابـهـ حـمـلةـ رـجـلـ واحدـ ، وـاشـتـدـ القـتـالـ فـانـهـزـمـ أصحابـهـ ابن زـيـادـ... فـلـمـاـ انـهـزـمـواـ قـالـ إـبـرـاهـيمـ:ـ إـنـيـ قـدـ قـتـلـتـ رـجـلـاـ تـحـتـ رـاـيـةـ مـنـفـرـدـةـ عـلـىـ شـاطـئـ نـهـرـ الـخـازـرـ ،ـ فـالـتـمـسـوـهـ فـإـنـيـ شـمـتـ مـنـهـ رـائـحةـ الـمـسـكـ ،ـ شـرـقـتـ يـدـاهـ وـغـرـبـتـ رـجـلاـهـ !ـ فـالـتـمـسـوـهـ فـإـذـاـ هـوـ اـبـنـ زـيـادـ قـتـلـاـ بـضـرـبـةـ إـبـرـاهـيمـ ،ـ قـدـ قـدـهـ بـنـصـفـينـ وـسـقـطـ)ـ !ـ وـفـيـ أـمـالـيـ الطـوـسـيـ:ـ (فـخـرـجـ إـبـرـاهـيمـ يـوـمـ السـبـتـ لـسـبـعـ خـلـونـ مـنـ الـمـحـرـمـ سـنـةـ سـبـعـ وـسـتـيـنـ ،ـ فـيـ أـلـفـيـنـ مـنـ مـذـحـجـ وـأـسـدـ ،ـ أـلـفـيـنـ مـنـ تـعـيمـ وـهـمـدـانـ ،ـ أـلـفـ وـخـمـسـ مـائـةـ مـنـ قـبـائلـ الـمـدـيـنـةـ ،ـ أـلـفـ وـخـمـسـ مـائـةـ مـنـ كـنـدـةـ وـرـبـيـعـةـ ،ـ أـلـفـيـنـ مـنـ الـحـمـراءـ...ـ فـلـمـاـ نـزـلـ اـبـنـ الـأـشـتـرـ نـهـرـ الـخـازـرـ بـالـمـوـصـلـ أـقـبـلـ اـبـنـ زـيـادـ فـيـ الـجـمـوعـ ،ـ وـنـزـلـ عـلـىـ أـرـبـعـةـ فـرـاسـخـ مـنـ عـسـكـرـ اـبـنـ الـأـشـتـرـ ،ـ ثـمـ التـقـواـ فـحـضـ اـبـنـ الـأـشـتـرـ أـصـحـابـهـ وـقـالـ:ـ يـاـ أـهـلـ الـحـقـ وـأـنـصـارـ الـدـيـنـ:ـ هـذـاـ اـبـنـ زـيـادـ قـاتـلـ الـحـسـينـ بـنـ عـلـيـ وـأـهـلـ بـيـتـهـ قـدـ أـتـاـكـمـ اللـهـ بـهـ وـبـحـزـبـ حـزـبـ الشـيـطـانـ ،ـ فـقـاتـلـوـهـمـ بـنـيـةـ وـصـبـرـ ،ـ لـعـلـ اللـهـ يـقـتـلـهـ بـأـيـدـيـكـمـ وـيـشـفـيـ صـدـورـكـمـ .ـ وـتـزـاحـفـواـ وـنـادـيـ أـهـلـ الـعـرـاقـ:ـ يـاـ شـرـطةـ اللـهـ الصـبـرـ الصـبـرـ...ـ ثـمـ حـمـلـ اـبـنـ الـأـشـتـرـ عـشـيـاـ فـخـالـطـ الـقـلـبـ ،ـ وـكـسـرـهـمـ أـهـلـ الـعـرـاقـ فـرـكـبـوـهـمـ يـقـتـلـوـنـهـمـ ،ـ فـانـجـلـتـ الغـمـةـ وـقـدـ قـتـلـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ زـيـادـ ،ـ وـحـصـيـنـ بـنـ نـمـيرـ ،ـ وـشـرـحـبـيلـ بـنـ ذـيـ الـكـلـاعـ ،ـ وـابـنـ حـوشـبـ ،ـ وـغـالـبـ الـبـاهـلـيـ ،ـ وـعـبـدـ اللـهـ بـنـ إـيـاسـ السـلـمـيـ ،ـ وـأـبـوـ الـأـشـرـسـ ،ـ الـذـيـ كـانـ عـلـىـ خـرـاسـانـ وـأـعـيـانـ أـصـحـابـهـ .ـ فـقـالـ اـبـنـ الـأـشـتـرـ:ـ إـنـيـ رـأـيـتـ بـعـدـمـاـ انـكـشـفـتـ النـاسـ طـافـةـ مـنـهـمـ

قد صبرت تفائل ، فأقدمت عليهم وأقبل رجل آخر في كبة كأنه بغل أقرع يفرى الناس ، لا يدنو منه أحد إلا صرעה ، فدنا مني فضررت يده فأبنته ، سقط على شاطئ النهر فشرقت يداه وغربت رجلاه ، فقتلتاه ووجدت منه ريح المسك وأظنه ابن زياد فاطلبوه ! فجاء رجل فزع خفيه وتأمله فإذا هو ابن زياد لعنة الله ، على ما وصف ابن الأشتر ...

وخرج المختار إلى الكوفة وبعث برأس ابن زياد ورأس حسين بن نمير ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع ، مع عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي وعبد الله بن شداد الجشمي والسائل بن مالك الأشعري ، إلى محمد بن الحنفية بمكة وعلى بن الحسين عليه السلام يومئذ بمكة ، وكتب إليه معهم: أما بعد فإني بعثت أنصارك وشيعتك إلى عدوك يطلبوه بدم أخيك المظلوم الشهيد ، فخرجوا محتسبين محنقين آسفين ، فلقوه دون نصبين فقتلهم رب العباد ، والحمد لله رب العالمين... وقدموا بالكتاب والرؤوس عليه بعث برأس ابن زياد إلى على بن الحسين ، فأدخل عليه وهو يتغدى ، فقال على بن الحسين عليه السلام: أدخلتُ على ابن زياد وهو يتغدى ورأس أبي عليه السلام بين يديه فقلت: اللهم لأنتمني حتى تريني رأس ابن زياد وأنا أتغدى ، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي . ثم أمر فرمسي به ، فحمل إلى ابن الزبير فوضعه ابن الزبير على قصبة فحركتها الريح فسقط فخرجت حية من تحت السatar فأخذت بأنفه... فامر ابن الزبير فألقى في بعض شعاب مكة). وقال الذهبي في سيره: ١٢١/٤، وهو أموي الهوى: (وجعل أمر المختار يغلظ (يتوى) وتَبَيَّنَ قتلة الحسين فقتلهم ، وجهز ابن الأشتر في عشرين ألفاً إلى عبيد الله بن زياد فظفر به ابن الأشتر ، وبعث برأسه إلى المختار فبعث به إلى ابن الحنفية وعلى بن الحسين ، فدعت بنو هاشم للمختار).

وفي النجوم الظاهرة ١٧٩: (ودخل ابن الأشتر الموصل ، واستعمل عليها وعلى نصيبيين وسنحار العمال ، ثم بعث برؤوس عبيد الله بن زياد والمحسين وشرحيل بن ذي الكلاع إلى المختار).

المختار يخلصبني هاشم من أظافر ابن الزبير !

في سنة ٦٦ هجرية تمت سيطرة المختار على العراق ما عدا البصرة ، وساقت علاقته مع عبدالله بن الزبير ، لأنه دعا إلى بيعة محمد بن الحنفية عليه السلام، فقام عبدالله بن الزبير بسجن ابن الحنفية وعبدالله بن عباس وغيرهم منبني هاشم في مكة، وهددتهم بإحرق السجن عليهم إن لم يبايعوه وحدد لهم مهلة ! فكتبوا إلى المختار، فأرسل لهم قوة حماية وأموالاً فوصلتهم قبل انتهاء المهلة ببomin! قال في الطبقات: ١٠١٥: (ومعهما النساء والذرية فأساء جوارهم وحصرهم وأذاهم ، وقد ل محمد بن الحنفية فأظهر شتمه وعيه ، وأمره وبني هاشم أن يلزمو شعبهم بمكة وجعل عليهم الرقباء ، وقال لهم فيما يقول: والله لتباعن أو لأحرقونكم بالستان ! فخافوا على أنفسهم... فقطع المختار بعثاً إلى مكة فانتدب منهم أربعة آلاف ، فعقد لأبي عبد الله الجدلي عليهم وقال له: سر ، فإن وجدت بني هاشم في الحياة فكن لهم أنت ومن معك عضداً ، وإنفذ لما أمرتك به ، وإن وجدت بن الزبير قد قتلهم فاعتراض أهل مكة حتى تصل إلى ابن الزبير ثم لا تدع من آل الزبير شفراً ولا ظفراً، وقال: يا شرطة الله لقد أكركم الله بهذا المسير ولكم بهذا الوجه عشر حجج وعشر عمر ، فسار القوم ومعهم السلاح حتى أشرفوا على مكة ، فجاء المستغيث إجلوا فما أراكم تدركونهم ! فقال الناس: لو أن أهل القوة عجلوا فانتدب منهم ثمانمائة ، وأسهم عطية بن سعد بن جنادة العوفي حتى دخلوا مكة فكبروا تكبيرة سمعها بن الزبير ، فانطلق

هارباً حتى دخل دار الندوة ويقال: بل تعلق بأستار الكعبة وقال: أنا عائد الله ! قال عطية: ثم ملنا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابهما في دور ، قد جمع لهم الحطب فأحيط بهم حتى بلغ رؤوس الجدر ، لو أن ناراً تقع فيه ما رأي منهم أحد حتى تقوم الساعة ! فأخرناه عن الأبواب وعجل علي بن عبد الله بن عباس وهو يومئذ رجل فأسرع في الحطب بريد الخروج فأدمى ساقيه...الخ.). وقد فصل ابن سعد أحداث مكة يومذاك، وجاء فيه: (وَحَجَّ عَامِئْذَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةَ فِي الْخَشِيبَةِ مَعَهُ ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ نَزَلُوا فِي الشَّعْبِ الْأَيْسَرِ مِنْ مِنْ... فَكَانَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَذَكُّرُ الْمُخْتَارَ فَيَقُولُ: أَدْرَكَ ثَأْرَنَا وَقَضَى دِيُونَنَا وَأَنْفَقَ عَلَيْنَا ، قَالَ: وَكَانَ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةَ لَا يَقُولُ فِيهِ خَيْرًا وَلَا شَرًا .

وذكر ابن سعد أن محمد بن الحنفية أراد السفر إلى الكوفة فاستقل ذلك المختار، وأن ابن الزبير عاود الضغط عليه لبياعمه بعد مقتل المختار ، فأقنع عروة بن الزبير أخيه بتركه ، وأن عبد الملك بن مروان بعث إلى ابن الحنفية أن بياعمه ويتقاتل معه ابن الزبير ، فرفض .

(الخشيبة) منقبةً للمختار حولوها إلى طعن وسخرية !

تفضح مصادر الخلافة القرشية نفسها فتكشف كذب رواة السلطة على المختار عليه السلام! فقد شنوا على أنصاره وسموهم الخشيبة ، واتهموهم بأنهم يقولون بنبوة المختار ومهدية ابن الحنفية ، وجعلوا الخشيبة مذهبًا وفرقة جهمية (الكشف الحديث/١٥٣). وطائفة من الرافضة (أنساب السعاني: ٣٨٢) وطائفة من الشيعة (لب الألباب للسيوطى/٩٣). وجعلوهم: (من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلّم وإن القرآن مخلوق). (تاج العروس: ٢٣٤/١).

وتحير فقهاؤهم في صلاة عبدالله بن عمر مقتدياً بهم في مكة: (كان ابن عمر

يصلـي مع الخشـيبة والخـوارج زـمن ابن لـزير وـهم يـقتـلـون ، فـقـيلـ له أـتـصـليـ معـ هـؤـلـاءـ وـمـعـ هـؤـلـاءـ وـبـعـضـهـمـ يـقـتـلـ بـعـضـاـ ؟ـ فـقـالـ مـنـ قـالـ حـيـ عـلـىـ الصـلـةـ أـجـبـتـهـ)ـعـنـيـابـنـقـادـمـاـ(ـ٢٢ـ،ـوـالـطـبـقـاتـ)ـ٤ـ:ـ١٦٩ـ).ـثـمـ حـرـفـواـ النـصـ وـجـعـلـوهـ :ـ(ـكـانـ اـبـنـ عـمـ يـسـلمـ عـلـىـ الخـشـيبةـ وـالـخـوارـجـ وـهـمـ يـقـتـلـونـ..الـخـ)ـ!ـ(ـتـارـيخـ دـمـشـقـ)ـ١ـ:ـ١٩١ـ،ـوـسـنـ الـبيـهـقـيـ)ـ٢ـ:ـ١٢٢ـ).

وتحنى بعض كبار أئمتهم قتالهم: (عن أبي معشر عن إبراهيم قال: لو كنت مستحلاً قاتل أحد من أهل القبلة لاستحللت قتال هؤلاء الخشبيّة). (الطبقات: ٢٧٩٦).

وبسبب حبهم لسفك دماء الخشبيّة: أنهم لا يتولون أباً بكر وعمر ، وهذا كل ما في الأمر ! ففي تاريخ دمشق: (كان عند إبراهيم رجل من هؤلاء الخشبيّة قال فقال له إبراهيم ومالك: لا تُنفِرْطْ ! أما صعد علىَّ على هذا المنبر فقال: إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ولو شئت لأنباتكم بالثالث). انتهى.

ولم يذكر جواب ذلك (الخبي) وقد يكون قال له: حديثك من مكذوباتكم على علي عليهما السلام! كما كذبتم على النبي ﷺ فوضعتم على لسانه حديث: (إن مجوس أمتى القدرة ونصاراهم الخبيثة). (أوسط الطراني: ٩٣٩).

وتحير العربي في غريبه ٥٤٥/٢، فقال: (الخشيبة ضرب من الرافضة ، وقيل الذين يرون الخروج على من خالفهم بالخشب... وسمعت أبي نصر يقول: الخشيبة أصحاب المختار بن أبي عبيد). انتهى.

(الخشبية) هم الشيعة الذين حفظوا حرمة الكعبة !

اعترف الذهبي بأن الخشيبة هم الشيعة لا أقل ولا أكثر ! قال: (قلت: الخشيبة هم الشيعة). (سير أعلام النبلاء: ٤٠٨٥).

ويظهر أن أبواب الأمرين أكثرت من التشريع على الشيعة باسم الخبيثة ! حتى أن أحد كبار أئمة المذاهب وهو المنصور بن المعتمر (الكافش: ٢٩٧/٢) صار في

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه السلام ثلاث ثورات ولم يخضع لضغوطها..... ٣٧٣

نفسه ردة فعل من تطبيقهم، فقال: (إن كان من يحب علي بن أبي طالب يقال له الخشبي ، فاشهدوا أني ساجة) ! (السعاني: ٣٦٧٢)

وتأخذك الدهشة عندما تعرف سبب نزهم لنا بهذا الاسم ! فأصله منقبة للمختار ، طمسوها وحولوها الى لقب للسخرية ! فقد أوصى المختار الجيش الذي أرسله الى مكة أن يحافظوا على حرمة البيت الحرام ولا يدخلوا مكة بالسلاح ، فدخلوها لتخلص بنى هاشم وهم يهتفون: يا ثارات الحسين عليه السلام وهم يحملون هراوات وهي عصيّ خشبية ، فسمّاهم ابن الزبير (الخشبية) ! قال: (العجب كل العجب من هؤلاء الخشبية السبئية الذين اغتروني ببغون حسيناً، كأنني أنا قاتل الحسين، والله لو ددت أني قدرت على قتلة الحسين فقتلتهم). (أخبار الدولة العباسية ١٠٤) (وبحج ابن الحنفية في الخشبية). (سير الذئبي: ١٢٠/٤).

وقد وصف الطبرى: ٥٤٤/٤، وغيره تصرفهم الإسلامي الأخلاقي ومما وضتمهم لابن الزبير . وقال الأصفهانى في القول الصراح ٢٠٥/٥: (وجاء أبو عبد الله الجدلى حتى نزل ذات عرق في سبعين راكباً ، فاقام بها حتى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكباً فبلغوا مائة وخمسين رجلاً ، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافر كوبات (لفظ فارسي بمعنى المراوات) وهم ينادون: يا ثارات الحسين ، حتى انتهوا إلى زمم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم ! وكان قد بقي من الأجل يومان ، فطردوا الحرس وكسروا أبواب زمم ، ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا: خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير ! فقال لهم: إني لا أستحل القتال في حرم الله ، فقال ابن الزبير: واعجباً لهذه الخشبية ينعمون حسيناً كأنني قتلته ! والله لو قدرت على قتلتنه لقتلتهم ، وإنما قيل لهم خشبية لأنهم وصلوا إلى مكة وبأيديهم الخشب كراهة إشهار السيف في الحرم ، وقيل لأنهم أخذوا الحطب

الذى أعده ابن الزبير . وقال ابن الزبير: أبحسون أنى أخلى سبيلهم دون أن أباع ويبايعون) !

وفي أخبار الدولة العباسية/١٠٤: (تحسون أنى مخلّ سبيل هذا المذموم يعني ابن الحنفية دون أن يباع ويبايعوا) ! فقال أبو عبد الله الجدلي: إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَالْمَقَامِ وَرَبِّ الْحَلِّ وَالْحَرَامِ ، لَتَخْلُّ سَبِيلَهُمْ أَوْ لِنَجَادَلَنَّكَ بِأَسْيافِنَا جَدَّاً يَرْتَابُ فِيهِ الْمُبْطَلُونَ ! فقال ابن الزبير: هل أنتم والله الا أكلة رأس لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تعطف رؤسهم ! فقال له قيس بن مالك: أما والله إنني لأرجو إذا رُمْتَ ذلك أن يُرْسَلَ إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ تَرَى مَا تَحْبُّ ! فكف ابن الحنفية أصحابه وحضرهم الفتنة ، ثم قدم أبو المعتمر في مائة وهاني بن قيس في مائة وظبيان ابن عمارة في مائتين ، ومعه المال حتى دخلوا المسجد الحرام فكبروا وقالوا: يا ثارات الحسين ! فلما رأهم ابن الزبير خافهم ! فخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب علي ، وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون ابن الحنفية فيه فيأبى عليهم ! واجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم ذلك المال .) (أخبار الدولة العباسية/١٠٤)

وفي تاريخ دمشق/٥٤: (فقلنا لابن عباس وابن الحنفية: ذرونا نُرِحُ الناس من ابن الزبير ! فقالا: هذا بلد حرمه الله ما أحله لأحد إلا للنبي ﷺ لِسَاعَةٍ ما أحله لأحد قبله ولا يحله لأحد بعده ، فامتنعوا وأجبرونا) (والطبقات: ١٠٢٥، وأسد الغابة: ١٩٥٣، وسير الذهبي: ١٠٩٤).

وفي الطبقات: ١٠٢٥، عن أبي عون قال: (قال وقفت في هذه السنة أربعة ألوية بعرفة: محمد بن الحنفية في أصحابه على لواء قام عند جبل المشاة . وحج ابن الزبير في أصحابه معه لواء فقام مقام الإمام اليوم ، ثم تقدم محمد بن الحنفية

بأصحابه حتى وقف حذاء بن الزبير ، ووافى نجدة الحروري في أصحابه ومعه لواء فوق خلفهما ، ووافت بتوأميه ومعهم لواء فوقوا عن يسارهما). انتهى.

ثم وصف ابن سعد وغيره توسط جبير بن مطعم أحد شخصيات مكة ، بين قادة القوات الأربع للمحافظة على الهدوء والأمن في موسم الحج ، فقال: (خفت الفتنة فمشيت إليهم جميعاً ، فجئت محمد بن علي في الشعب فقلت: يا أبا القاسم، إتق الله فإننا في مشعر حرام وبلد حرام ، والناس وفد الله إلى هذا البيت فلا تفسد عليهم حجهم ! فقال: والله ما أريد ذلك وما أحول بين أحد وبين هذا البيت ، ولا يؤتني أحد من الحاج من قبلي ، ولكنني رجل أدفع عن نفسي من ابن الزبير ! وما يريد مني؟ وما أطلب هذا الأمر إلا أن لا يختلف عليّ اثنان ! ولكن إثنتين بن الزبير فكلمه ، وعليك بنجدة فكلمه . قال محمد بن جبير: فجئت بن الزبير فكلمته بنحو مما كلمت به بن الحنفية فقال: أنا رجل قد اجتمع عليّ وبايوني الناس ، وهؤلاء أهل خلاف ! فقلت: إن خيراً لك الكف ، فقال: أفعل . ثم جئت نجدة الحروري فأجاده في أصحابه وأجاد عكرمة غلام ابن عباس عنده فقلت: إستأذن لي على صاحبك ، قال فدخل فلم ينشب أن أذن لي فدخلت فعظامت عليه وكلمته بما كلمت به الرجلين ، فقال: أما أن أبتدئ أحداً بقتال فلا ، ولكن من بدأنا بقتال قاتلناه ! قلت: فإني رأيت الرجلين لا يريدان قتالك . ثم جئت شيعةبني أمية فكلمتهم بنحو مما كلمت به القوم فقالوا: نحن على لواننا لا نقاتل أحداً إلا أن يقاتلنا ، فلم أر في تلك الأولوية أسكن ولا أسلم دفعة من أصحاب بن الحنفية)! (وتاريخ دمشق: ٣٤١/٥٤، والطبرى: ٥٩٥/٤)، وسير الذهبي: ١٢٠/٤). وفي أخبار الدولة العباسية: ١٠٧: (فأقام معه أبو عبد الله الجدلي في الشعب مع أصحابه حتى قتل المختار، فلما بلغه قتله سار حتى نزل أيلة).

أقول: أرأيت كيف صار الذين حافظوا على حرمة الحرم كفاراً ، وسموهم خشبية ، لأنهم دخلوا الحرم بعصي بدون سلاح ! وصار الذين استحلوا الحرم وتحصنا فيه ، والذين رموا الكعبة بالمنجنيق فهدموها ، مسلمين أتقياء ! فهل يختلف أسلوب الإعلام الزبيري الأموي، عن أسلوب اليهود؟!



تحفظ أهل البيت عليهما السلام من المختار ومدحهم له وترحّمهم عليه

أيد الإمام زين العابدين عليهما السلام عمل المختار في الأخذ بثأر أبيه الحسين عليهما السلام وتحفظ عن التأييد السياسي لمشروع المختار ، وأن محمد الحنفي استشار الإمام عليهما السلام وعمل برأيه فلم يكتب تأييداً للمختار ! ولكنه أخذ وثق علاقته بالمخختار ، نظراً إلى أنه كان محاصراً في مكة من ابن الزبير .

كذلك من الثابت أن وفداً من أهل الكوفة ذهبوا إلى المدينة واستشروا الإمام زين العابدين عليهما السلام ومحمد بن الحنفي في القيام مع المختار، وسألوهما هل أنه مأذون في ثورته وعمله؟ فأجابهم الإمام عليهما السلام ب موقفه الثابت وهو تأييد كل عمل للأخذ بثأر أبيه وأهل بيته عليهما السلام ، وعدم تأييد أشخاص الزعماء الذين يدعون الناس إلى ذلك كسليمان بن صرد والمختار وغيرهما ، وأجابهم عنه ابن الحنفي عليهما السلام بنحو جوابه ، ولم يكتب تأييداً ولا تخوياً للمختار أو غيره .

وخف المختار أن يرجع الوفد بجواب سلبي فيؤثر على حركته وينكمش الناس عنه: (وكان المختار علم بخروج من خرج إلى المدينة فشق ذلك عليه خوفاً من أن لا يجيئهم ابن الحنفي بما يحب فيتفرق عنه الناس ، فكان يريده النهوض بأصحابه قبل قدومهم من المدينة فلم يتسر له ذلك). (صدق الأخبار ٤٠٠).

وروى ابن نما في ذوب النضار ٩٧٧، أن ابن الحنفي قال للوفد: (قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين ، فلما دخل ودخلوا عليه خبره بخبرهم الذي جاءوا لأجله، فقال: يا عم ، لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مسؤوليته ، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت ، فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون: أذن لنا زين العابدين عليهما السلام ومحمد بن الحنفي). انتهى.

وقد فهم السيد الخوئي عليه السلام من الروايات أن الإمام زين العابدين عليه السلام أذن للمختار عليه السلام في الطلب بالثار ، قال في معجمه: (الأمر الثاني: أن خروج المختار وطلبه بثار الحسين عليه السلام وقتلة لقتلة الحسين عليه السلام ، لا شك في أنه كان مرضياً عند الله وعند رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وقد أخبره ميشم وهما في حبس عبد الله بن زياد بأنه قُتِلَ وبخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام ... ويظهر من بعض الروايات أن هذا كان يباذن خاص من السجاد عليه السلام). انتهى.

ويبدو أن السيد الخوئي عليه السلام فهم من إخبار ميشم بما يكون من المختار أنه إجازة له بذلك ، لأن ميشم عليه السلام تعلم ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام.

فالمنتظر عليه السلام على هذا الرأي مخولةً من المعصوم عليه السلام بحركته للأخذ بثار الحسين عليه السلام. وفي اعتقادي أن الإستدلال بذلك فيه مناقشة ، ولكن المختار عليه السلام عيم سياسي حسناته أكثر من سيئاته ، فهو كما قال عن نفسه يمتاز على زعماء عصره بأنه نهض في طلب ثار النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه الذي نامت عنه العرب ! فعندما حاصره جيش مصعب بن الزبیر وتفرق عنه أكثر أصحابه وكان في آخر ساعات حياته ، اغتسل غسل الشهادة وخرج للقتال وقال لذاته:

(إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِّنَ الْعَرَبِ ، رَأَيْتُ ابْنَ الزَّبِيرَ انتزِعَ عَلَى الْحَجَازِ ، وَرَأَيْتُ نَجْدَةَ (الْخَارِجِ) انتزِعَ عَلَى الْيَمَامَةِ ، وَمَرَوَانَ عَلَى الشَّامِ ، فَلَمْ أَكُنْ دُونَ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِ الْعَرَبِ ، فَأَخَذْتُ هَذِهِ الْبَلَادَ فَكُنْتُ كَأَحَدِهِمْ ، إِلَّا أَنِّي قَدْ طَلَبْتُ بِثَارِ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه ، إِذْ نَامَتْ عَنِّي الْعَرَبُ) ! (تاریخ الطبری: ٥٩٦/٤).

وقد وردت فيه عن الأئمة عليهم السلام روايات مدح كثيرة ، وروايات ذم قليلة ، ورجح أكثر علمائنا روايات مدحه ، كما رأيت من السيد الخوئي عليه السلام.

ففي كامل الزيارات ١٦٧/١: (عن زرارة قال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارة إن السماء

بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم ، وإن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد ، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والمحمرة ، وإن الجبال تقطعت وانتشرت وإن البحار تفجرت ، وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين ، وما اختضبت منها امرأة ولا اذهنت ولا اكتحلت ولا رجلت (مشطت) ، حتى أثانا رأس عبيد الله بن زياد ، وما زلنا في عبرة بعده . وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته ، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه).

وفي ذوب النضار ١٤٣، أن الإمام زين العابدين عليه السلام دعا للمختار ، عندما أرسل له رأس ابن زياد ، قال: (فأدخل عليه وهو يتغدى فسجد شكرأً لله تعالى وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من عدوي ، وجزي الله المختار خيراً . ثم قال: أدخلت على عبيد الله بن زياد وهو يتغدى ورأس أبي بين يديه ، فقلت: اللهم لا تمتني حتى ترني رأس بن زياد) . وروى أن محمد بن الحنفية: (خرأ ساجداً ودعا للمختار وقال: جزاه الله خير الجزاء ، فقد أدرك لنا ثارنا ، ووجب حقه على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم . اللهم واحفظ لابراهيم بن الأشتر وانصره على الأعداء ووقفه لما تحب وترضى، واغفر له في الآخرة والأولى). وروى الكشي: ٣٤٠/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (لا تسروا المختار ، فإنه قتل قاتلنا ، وطلب بثارنا ، وزوج أراملنا ، وقسمَ فيما المال على العسرة..).

وعن عبد الله بن شريك قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم التحر وهو متকئ وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه ، إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه ، ثم قال من أنت؟ قال: أنا أبو الحكم بن المختار بن أبي عبيد الشفقي ، وكان متباعدةً من أبي جعفر عليه السلام فمدد يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده . ثم قال: أصلحك الله إن الناس قد أكثروا في أبي

وقالوا ، والقول والله قوله . قال: وأي شئ يقولون؟ قال: يقولون كذاب ، ولا تأمرني بشئ إلا قبلته . فقال: سبحان الله أخبرني أبي والله أن مهر أمي كان مما بعث به المختار ، أو لم بين دورنا ، وقتل قاتلنا ، وطلب بدمائنا ؟ فرحمه الله . وأخبرني والله أبي أنه كان ليسمّر عند فاطمة بنت علي يمهدها الفراش ويشرى لها الوسائل ومنها أصحاب الحديث . رحم الله أباك رحم الله أباك ، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه ، قتل قاتلنا ، وطلب بدمائنا .

عن أبي عبد الله ع عليه السلام قال: ما امتشطت فيما هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤس الذين قتلوا الحسين ع عليه السلام...

عن عمرو بن علي بن الحسين ، أن علي بن الحسين ع عليه السلام لما أتي برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد ، قال: فخر ساجداً وقال الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي ، وجزي الله المختار خيراً...). انتهى.

أقول: تصدّه بفاطمة بنت علي كثيرون بنت أمير المؤمنين ع عليه السلام وقد عاشت طويلاً ، وكانت عجوزاً تحدث عن النبي ﷺ وعن أبيها أمير المؤمنين ع عليه السلام ، فكان المختار يجلس إليها ويتعلم منها الحديث ، وتقدم من أعمالها الطوسي ٦٣٧، عن الإمام الباقر ع عليه السلام أنها لما رأت حالة ابن أخيها زين العابدين ع عليه السلام من العبادة طلبت من جابر بن عبد الله الأنصاري أن يكلمه لعله يسمع منه ويرفق بنفسه .

ومعنى كلام الإمام ع عليه السلام (ما امتشطت فيما هاشمية ولا اختضبت...) أنها ما ذهبت إلى الماشطة ، ولا فرحت بالخضاب.. ورواه في ذوب النصار ١٤٤ ، عن فاطمة بنت علي قالت: (ما تحنأت امرأة منا ، ولا أجالت في عينها مروداً (ما اكتحلت) ولا امتشطت ، حتى بعث المختار رأس عبيد الله بن زياد).

وفي الطبقات: (فكان ابن عباس يذكر المختار فيقول: أدرك ثأرنا وقضى

ديوننا وأنفق علينا . قال: وكان محمد بن الحنفية لا يقول فيه خيراً ولا شراً .

وقال ابن عباس: (رحم الله المختار كان رجلاً محباً لنا عارفاً بحثنا، وإنما خرج بسيفه طالباً بدمائنا، وليس جزاؤه منا أن نسميه كذاباً). (ابن الأعلم: ٢٩١٦، والطبراني: ٥٦٩٤).

وقال السيد الخوئي فـ*كتاب في معجمه: ١٠٢١٩*: (والأخبار الواردة في حقه على قسمين: مدحه وذمة ، وأما المدح فهي متظافرة ، وأورد الروايات المتقدمة ، وصحح منها رواية: ما امتنعت فيها هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام). ثم قال: (وأما الروايات الذامة فهي... كان المختار يكذب على علي بن الحسين عليه السلام... كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين عليه السلام وبعث إليه بهدايا من العراق ، فلما وقفوا على باب علي بن الحسين دخل الآذن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال: أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكاذبين، ولا أقرأ كتبهم فمحوا العنوان وكتبوا المهدي محمد بن علي... بعث إليه بأربعين ألف دينار بعدما أظهر الكلام الذي أظهره فردها ولم يقبلها... والمختار هو الذي دعا الناس إلى محمد بن علي بن أبي طالب بن الحنفية... وهذه الروايات ضعيفة الإسناد جداً على أن الثانية منهما فيها تهافت وتناقض . ولو صحت فهي لا تزيد على الروايات الذامة الواردة في حق زرارة ومحمد بن مسلم ، ويريد وأضرابهم...).

وروى الصدوق مرسلاً أن الحسن عليه السلام لما صار في مظلم ساخط ضربه أحدهم بخنجر مسموم فعمل فيه الخنجر فأمر عليه السلام أن يعدل به إلى بطن جريحي وعليها عم المختار بن أبي عبيدة مسعود بن قيلة فقال المختار لعمه: تعال حتى تأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق، فنظر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه، فهموا بقتل المختار فتلطف عم لمسألة الشيعة بالغفو عن

المختار ففعلوا . وهذه الرواية لإرسالها غير قابلة لاعتماد عليها .

ثم ناقش السيد الخوئي عليه السلام رواية أن كل واحد من الأئمة كان مبتلى بكمباد وأن الحسين عليه السلام ابتلى بالمخختار ! وقال: ولم ينقل ولا بخبر ضعيف كذب من المختار بالنسبة إلى الحسين عليه السلام ، وغير بعيد أن المختار الذي كان يكذب على الحسين عليه السلام أن يكون رجلاً آخر غير المختار بن أبي عبيدة .

ثم نقل السيد الخوئي قول المجلسي عن جعفر بن نما في مدح المختار عليه السلام وهو في ذوب النضار ١٤٤، وكأنهما تبنياه ، وفيه: (إعلم أن كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم على معانى الأخبار... ولو تدبروا أقوال الأئمة عليهم السلام في مدح المختار لعلموا أنه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله تعالى جل جلاله في كتابه المبين ، ودعاء زين العابدين عليه السلام للمختار دليل واضح وببرهان لائحة على أنه عنده من المصطفين الأخيار ، ولو كان على غير الطريقة المشكورة ويعلم أنه مخالف له في اعتقاده لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب ويقول فيه قوله لا يستطيع و كان دعاوه عليه السلام له عثناً، والإمام منزه عن ذلك ! وإنما أعداؤه عملوا له مثالب ليعادلوه من قلوب الشيعة كما عمل أعداء أمير المؤمنين عليه السلام له مساوى وهلك بها كثير ممن حاد من محبته).

وختاماً ، فإن من الأدلة على موقف الأئمة عليهم السلام الإيجابي من المختار عليه السلام ، ما اختلقه مخالفوهم من ذمه ونسبوه اليهم ، من قبيل ما رواه ابن عساكر في تاريخه: ٣٩٣/٤١، ورواه عامتهم ، عن الإمام الصادق عليه السلام أن أبا زين العابدين عليه السلام (قام على باب الكعبة يلعن المختار بن أبي عبيد ! فقال له رجل: يا أبا الحسين لم تسبه وإنما ذبح فيكم؟! قال: إنه كان كذاباً يكذب على الله وعلى رسوله). انتهى . فهذا يدلّك على أنهم كانوا متورين من المختار وأنه عليه السلام شهيد الأخذ بثار

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه السلام ثلاث ثورات ولم يخضع لضغوطها..... ٣٨٣

أهل البيت عليهما السلام، وقد اتهموه بادعاء النبوة والكذب على الله ورسوله عليهما السلام، ووسعوا هذه التهمة على لسان الإمام زين العابدين عليه السلام!

وكذلك ما رواه ابن عساكر: ٤١/٣٧: ورواه عامتهم ، (عن سعيد بن خالد عن المقبرى قال: بعث المختار إلى علي بن حسين بمائة ألف ، فكره أن يقبلها وخاف أن يردها فأخذها فاحتبسها عنده ، فلما قتل المختار كتب علي بن الحسين إلى عبد الملك بن مروان أن المختار بعث إلى بيته بمائة ألف درهم فكرهت أن أردها وكرهت أن آخذها ، فهي عندي فابعث من يقبضها ، فكتب إليه عبد الملك: يا ابن عم خذها فقد طيئتها لك ، فقبلها). انتهى.

وهذه الرواية تدل على أن الإمام عليه السلام يرد هدية المختار ولم يقل لرسله: (أمسطوا عن بايعي فإبني لا أقبل هدايا الكاذبين) كما زعموا وتسرب زعمهم الى مصادرنا مع الأسف ، فالذى يقف على باب الكعبة ويلعن المختار، لا يخاف أن يرد هديته ! والذى يخاف من رد هديته ، لا يقف على باب الكعبة ويلعنه ! فالتناقض بذلك على كذب أحد هذين النوعين من روایاتهم أو كليهما ، والصحيح أن الإمام عليه السلام يلعن المختار ، وأنه قبل هديته مختاراً ، وخشي من الوشاة الى عبد الملك ، فبعث اليه أن يأخذها .

فعاليات المختار الواسعة في مدة حكمه التصيرية !

قال ابن نما في ذوب النضار/١٤٤، إن ولادة المختار كانت ثمانية عشر شهراً أولها لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ست وستين ، وأخرها النصف من شهر رمضان من سنة سبع وستين ، وعمره سبع وستون سنة (انتهى). وفي هذه السنة والنصف كانت فعاليات المختار بقدر سنوات طويلة ! فقد انتصر على الحكومة الأموية في الكوفة مرتين ، حيث سيطر عليها في أول ثورته وعين الولاية في المناطق التي كانت تُحكم من الكوفة ، وهي بقية العراق وقسم من إيران وتركيا وأرمينيا .

ثم انتصر ثانية عندما جمَّع قتلة الحسين عليهما قواتهم وثاروا عليه ، فأسرع قائده ابن الأشتر بالعودة وتصدى لهم مع المختار ، واكتسح قواتهم ، وقتل عدداً من قتلة الحسين عليهما ، وشرد الباقين إلى البصرة وغيرها .

ثم خاض جيشه بقيادة ابن الأشتر أكبر معركة له مع الأمويين ، فدمّر جيشهما الكبير وقتل قائده ابن زياد ، قاتل الحسين عليهما وواليه العراق السابق .

كما أرسل أموالاً إلى أهل البيت عليهما وأربعة آلاف جندي حمايةً لابن الحنفية وبني هاشم في مكة ، حيث حبسهم ابن الزبير وهددهم بأن يبايعوه أو يحرق عليهم الدار ، فوصلت قوات المختار قبل انتهاء مهلة ابن الزبير بيومين !

ثم تحرك أنصار المختار في البصرة بقيادة المثنى بن مخربة العبدى ، لكن ثورتهم كانت ضعيفة ففشلت ، قال الطبرى في تاريخه: (وفي هذه السنة دعا المثنى بن مخربة العبدى إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها... كان من شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ، ثم رجع مع من رجع ممن بقي من التوابين إلى

الكوفة ، والمختار محبوس فأقام حتى خرج المختار من السجن فبایعه المثنى سرًا ، وقال له المختار: إلحق بيلك البصرة فارع الناس وأسرّ أمرك ، فقدم البصرة فدعا فأجابه رجال من قومه وغيرهم ، فلما أخرج المختار ابن مطیع من الكوفة ومنع عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من الكوفة ، خرج المثنى بن مخربة فاتخذ مسجدًا ، واجتمع إليه قومه ودعا إلى المختار ، ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها ، وجمعوا الطعام في المدينة ونحرموا الجزر ، فوجه إليهم القباع (القب المخزومي والتي البصرة) عباد بن حصين وهو على شرطه ، وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة... وأقبل أصحاب المثنى فوافقوهم... فقتل أربعون رجلاً من أصحاب المثنى ، وقتل رجل من أصحاب عباد... وسمع المثنى وأصحابه التكبر من ورائهم فانهزموا ! وأمر عباد وقيس بن الهيثم الناس بالكف عن اتباعهم... فأرسل القباع الأحنتف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا أمر الناس ، فأتيا عبد القيس فقال الأحنتف لبكر والأزد وللعامامة: ألستم على بيعة ابن الزبير؟ قالوا: بلى، ولكننا لا نسلّم إخواننا ! قال فمرّوهم فليخرجوا إلى أي بلاد أحبوا ، ولا يفسدوا هذا المصر على أهله ، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاؤوا... وشخص المثنى إلى المختار بالковفة فـ نفر يسيراً من أصحابه... وأخبر المثنى المختار حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع و زياد بن عمرو و مسيرةهما إليه و ذبهمما عنه حتى شخص عن البصرة ، فطمع المختار فيهما فكتب إليهما: أما بعد فاسموا وأطليوا أو تکما من الدنيا ما شئتما وأضمن لكم الجنة ! فقال مالك ل زياد: يا أبا المغيرة قد أكثر لنا أبو إسحاق ، أعطانا الدنيا والآخرة ! فقال زياد مازحاً لمالك: يا أبا غسان أما أنا فلا أقاتل نسيئة ، من أعطانا الدراما قاتلنا معه !

وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس: من المختار إلى الأحنف ومن قبله ، فسلم أنتم، أما بعد، فويل أم ربيعة من مضر(أي تيم التي يرأسها الأحنف) فإن الأحنف مورّد قومه سقر، حيث لا يستطيع لهم الصدر، وإنني لا أملك ما خط في القدر ، وقد بلغني أنكم تسمونني كذاباً ، وقد كذب الأنبياء من قبلي...). انتهى.

أقول: كان الشيعة بالمعنى الخاص في البصرة قليلاً، وبعد هلاك يزيد أظهر الناس السنقمة علىبني أمية لقتل الحسين عليه السلام فخاف حاكم البصرة عبيد الله بن زياد وهرب ! قال في الطبقات: ٢٥/٥: (وخرج عبيد الله بن زياد عن البصرة واختلف الناس بينهم ، وتداعت القبائل والعشائر وأجمعوا أمرهم ، فولوا عبد الله بن الحارث بن نوفل صلاتهم وفيأهم (من بنى عبد مناف القربيين من بنى هاشم) وكتبوا بذلك إلى عبد الله بن الزبير إنما قد رضينا به ، فأقره عبد الله بن الزبير على البصرة ، وصعد عبد الله بن الحارث بن نوفل المنبر ، فلم يزل يبایع الناس لعبد الله بن الزبير حتى نعس ، فجعل يبایعهم وهو نائم ماداً يده ! فقال سحيم بن وثيل اليربوعي: بایعت أیقاظاً وأوقفت بيته وبيته قد بابته وهو نائم ! فلم يزل عبد الله بن الحارث عاملاً لعبد الله بن الزبير على البصرة سنة ، ثم عزله واستعمل الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي (اللقب قباع) ، وخرج عبد الله بن الحارث بن نوفل إلى عمان فمات بها). انتهى. ولقبوه بـه !

فشل محاولات المختار العسكرية والسياسية في البصرة والحجاج

أقول: كانت الحالة العامة في الناس أنهم لا يقبلون البيعة إلا لقرشي ، إما من بنى أمية ، أو بنى هاشم ، أو قرشي ولو من بنى أسد عبد العزى كابن الزبير . وبما أن المختار ثقفي ، فكان عليه أن يجد قريشاً لبایع له ، وقد عجز عن إقناع الإمام زين العابدين عليه السلام، كما عجز عن إقناع محمد بن الحنفية وإن رأى

منه ليونة . فقد كتب له المختار كما في الطبرى: ٤٤٣/٥ ، أنه أرسل له جيشاً ليحوزوا له البلاد فقدر بهم الملحد في الحرم أي ابن الزبير: (أما بعد: فإني كنت بعثت إليك جنداً ليذلوا لك الأعداء وليحوزوا لك البلاد ، فساروا إليك حتى إذا أظلوها على طيبة لقيهم جند الملحد فخدعواهم بالله وغروهم بعهد الله ، فلما اطمأنوا إليهم ووثقوا بذلك منهم وثروا عليهم فقتلواهم ، فإن رأيت أن أبعث إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كثيناً ، وتبعث إليهم من قبلك رسلاً حتى يعلم أهل المدينة أنني في طاعتك ، وإنما بعثت الجند إليهم عن أمرك فافعل ، فإنك ستتجدهم بحقكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بأبا الزبير الظلمة الملحدين والسلام عليك .

فكتب إليه ابن الحنفية: أما بعد فإن كتابك لما بلغني قرأته وفهمت تعظيمك لحقى وما تنوى به من سروري ، وإن أحب الأمور كلها إلى ما أطيع الله فيه فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت ، واعلم أنني لو أردت القتال لوجدت الناس إلى سراغاً والأعوان لي كثيراً ، ولكنني أعز لهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين... وقال له قل للمنتظر: فليتق الله ول يكنف عن الدماء... فلما قدم كتابه على المختار أظهر للناس أنني قد أمرت بأمر يجمع البر واليسر) . انتهى .

وفي نفس الوقت أطمع المختار ابن الزبير فيه ، فكتب له إنه على طاعته وبيعته له في مكة ، فطلب منه ابن الزبير أن يقاتل جيش الشام الذي أرسله عبد الملك ووصل إلى وادي القرى (تبعا) ، فأرسل إليه المختار جيشاً من ألف مقاتل فطلب منهم قائد ابن الزبير أن يقاتلا جيش الشام فتباطئوا وأرادوا الإتجاه إلى المدينة ، فمكر بهم جيش بن الزبير وقتل قسماً وفرَّ البقية !

والمرة الوحيدة التي نجح فيها المختار مع ابن الزبير كما ذكر الطبرى: ٥٤٠/٤، عندما (أراد ابن ازبیر أن يعلم أسلیم هو أم حرب؟ فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (قیاع) فقال له: تجهز إلى الكوفة فقد وليناها ، فقال: كيف وبها المختار؟! قال: إنه يزعم إنه سامع مطیع . قال: فتجهز بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين ألفاً ، ثم خرج مقبلاً إلى الكوفة قال: وبحى عین المختار من مكة حتى أخبره الخبر ، فقال له: بكم تجهز؟ قال: بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً ، قال: فدعا المختار زائدة بن قدامة وقال له إحمل معك سبعين ألف درهم ضعف ما أنفق هذا في مسیره إلينا ، وتلتفَّ في المفاوز وأخرج معك بمسافر بن سعيد بن نمران الناعطي في خمسمائة فارس دارع رامع عليهم البيض ، ثم قل له خذ هذه النفقة فإنها ضعف نفقتك .) .
 فقبل قباع بالسال ورجع إلى البصرة ، فعزله ابن الزبير وأرسل أخاه مصعب والياً على البصرة ، وكان بطاشاً ماكراً !

معنى الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام

تقدّم من الطبرى: ٤٢٨/٤: قول المختار عندما قُتِلَ عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام وابنته: (هذا بحسين ، وهذا بعلي بن حسين ، ولا سواء ! والله لو قُتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله !).

وهذا يعني أن المقتول عند العرب عندما يكون عظيماً ، فلا بد أن يتناسب قصاصه مع مكانته . أما من ناحية شرعية لو شرك ألوف في دم مسلم حلَّ قصاصهم جميعاً به ، فكيف بابن بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيد شباب أهل الجنة عليه السلام؟ لذلك رضي الأئمة عليهم السلام بقتل نحو مئتين من قتلة الحسين وأهل بيته ، وأيدوا كل من نهض بذلك ، ودعوا له وشكروه .

هذا بالمفهوم المتعارف للثأر ، لكن ثأر الحسين عليه السلام له مفهوم أعمق وأوسع في الإسلام ، لأن قتله تجسدت فيه ظلامة الأنبياء وأولاد الأنبياء عليهم السلام مع الفراعنة الطفاة في كل تاريخ الأرض ، فثاره لا يتحقق إلا بقتل الطغاة وتطهير الأرض منهم ، وإقامة دولة العدل الإلهي ، وهذا ما لا يتحقق إلا عن يد الإمام المهدي حفيد الإمام الحسين عليه السلام، ولذا سمي الحسين (ثأر الله) في الأرض ، وسمى الإمام المهدي عليه السلام (الأخذ بالثأر) ، ففي كامل الزيارات ٦٣، عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **وَمَنْ قُتِلَ مَظْلوماً فَقَدْ جَعَلَنَا لَوْلَاهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً** ، قال: ذلك قائم آل محمد يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً... لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً... يقتل والله ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها). أي الراضيين بفعال آبائها ، التي تترحم على قتلة الحسين عليه السلام ! والذين قتلهم المختار كانوا مباشرين ، فهم جزءٌ من الثأر الشرعي .

مصعب بن الزبير يهاجم الكوفة ويقتل المختار

أرسل ابن الزبير أخاه مصعباً إلى البصرة (فقد متلثماً - حتى، أناخ على باب المسجد ثم دخل فصعد المنبر فقال الناس: أمير... خطبهم فقال: يا أهل البصرة بلغني أنكم تُلْقَبُونَ أمراءكم ، وقد سمعت نفسي: الجزّار)! (تاريخ الطبرى: ٥٥٧/٤).
شكل مصعب جيشه وهاجم الكوفة في غياب ابن الأشر!

قال اليعقوبي: (فقاتلته المختار وكانت بينهم وقعت مذكورة ، وكان المختار شديد العلة من بطنِه ، فأقام يحارب مصعباً أربعة أشهر ، ثم جعل أصحابه يتسللون منه حتى يقى في نفر يسير، فصار إلى الكوفة فنزل القصر وكان يخرج في كل يوم فيحاربهم في سوق الكوفة أشد محاربة ، ثم يرجع إلى القصر).

أقول: كانت أول معركة بينهما في (حمام أعين) خارج الكوفة ، وكان جيشه المختار بقيادة أحمر بن شميط . قال الطبرى: (وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عباد بن الحصين على الخييل، فجاء عباد حتى دنا من ابن شميط وأصحابه فقال: إنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير . وقال الآخرون: إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة الأمير المختار ، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول ، فمن زعم من الناس أن أحداً ينبغي له أن يتولى عليهم برئنا منه وجاهدناه ! فانصرف عباد إلى المصعب فأخبره فقال له: إرجع فاحمل عليهم ، فرجع فحمل على ابن شميط وأصحابه فلم يزُل منهم أحد.. وحمل الناس جميعاً على ابن شميط فقاتل حتى قتل... وسرح محمد بن الأشعث في خيل

الفصل التاسع: عاصر الإمام علي ثلث ثورات ولم يخضع لضغوطها..... ٣٩١

عظيمة من خيل أهل الكوفة منمن كان المختار طردهم فقال دونكم ثاركم ! فكانتوا حيث انهزموا أشد عليهم من أهل البصرة ، لا يدركون منهزمأ إلا قتلوه ولا يأخذون أسيراً فيعذون عنه ، قال: فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل ، وأما رجالتهم فأيدوا إلا قليلاً.) انتهى.

وجاء الخبر بهزيمتهم الى المختار ، قال الطبرى: (فقال: ما من الموت بد ، وما من ميّة أموتها أحب إلى من مثل ميّة ابن شبيط ، حبذا مصارع الكرام ! فلما رأى ذلك المختار أقبل إليهم حتى نزل حرواء وحال بينهم وبين الكوفة ، وقد كان حصن قصره والمسجد وأدخل في قصره عدة الحصار... استعمل على الكوفة عبد الله بن شداد ، وخرج إليه المختار وقد جعل على ميمنته سليم بن يزيد الكندي ، وجعل على ميسرته سعيد بن منقذ الهمданى ثم الشورى ، وكان على شرطته يومئذ عبد الله بن قراد الخثعمي وبعث على الخيل...الخ).

أقول: فصلت روایات المؤرخين خروج المختار لحرب جيش مصعب وأنه قطع عليهم الطرق بمية الفرات وفروعه ، وكانت بينهما معارك خارج الكوفة ثم في مداخلها ، ثم طلب منه أصحابه أن يتحصنوا في قصر الإمارة ومسجد الكوفة ، فدخلوا وأحاط بهم عسکر مصعب ، وساعدهم أعداء المختار من قتلة الحسين وأتباعهم: وكانت لاتخرج له (المختار) خيل إلا رمت بالحجارة من فوق البيوت ، ويصب عليهم الماء القذر واجترأ عليهم الناس). (الطبرى: ٥٦٨/٤)
وانقطعت عنهم المؤونة حتى الماء ، فأمرهم المختار أن يخرجوا فيقاتلوا ويموتوا كراماً ، فلم يقبلوا فخرج هو ومن أجايه !

قال ابن الأعثم: (ثم أقبل المختار على أصحابه فقال: وبحكم آخر جوا

بنا حتى نقاتل هؤلاء القوم فنقتل كراماً ، فوالله ما أنا بآنس إن أنتم صدقتموهم القتال أن تنصروا عليهم... قال: فقام وأغسل وأفرغ عليه ثيابه وتحنط... قال: وإنما خرجت أطلب بدماء أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وقد والله أشفيت نفسي من أعدائهم ومن شارك في دمائهم ، ولست أبالى بعد هذا كيف أتاني الموت... ثم أمر بباب القصر ففتح وخرج معه نفر من أصحابه فلم يزل يقاتل ويقاتلون معه حتى قتلوا بأجمعهم ، وبقي المختار وحده فجعل يقاتل والسيام تأخذه ، فصاح مصعب بن الزبير بأصحابه أن أحذقووا به فقد قتلت أنصاره . قال: فأحاطت به الخيل من كل جانب فجعل يكر عليهم ويكررون عليه ، حتى بلغوا به إلى الموضع الذي فيه حوانين الزياتين اليوم ، فأحاطوا به هناك وألجموه إلى جدار هناك ، وقصده رجلان منبني حنيفة أخوان يقال لأحدهما طرفة والآخر طراف ابنا عبد الله بن دجاجة الحنفي وضربه جميماً بأسافهما فسقط المختار إلى الأرض ، فنزل إلية فذبحاه واحتزاً رأسه ، وأقبل به إلى مصعب بن الزبير ، قال: فأمر مصعب بقطع يده اليمنى، فقطعت وسمرت على باب القصر ، ثم أمر برأسه فنصب في رحبة الحدادين . ثم أقبل مصعب وأصحابه حتى أحذقو بالقصر فجعلوا ينادون لمن في القصر ويقولون أخرجوا ولكم الأمان فقد قتل الله صاحبكم .

قال: ففتح القوم باب القصر وخرجوا ، فأخذوا بأجمعهم حتى أتي بهم مصعب بن الزبير ، فقدموا حتى وقفوا بين يديه.. فقال: الحمد لله الذي أمكن منكم يا شيعة الدجال ! قال: فتكلم رجل منهم يقال له بحير بن عبد الله السلمي فقال: لا والله ما نحن بشيعة الدجال ، ولكننا شيعة آل محمد صلوات الله وآمين وما خرجنا بأسيافنا إلا طلباً بدمائهم ، وقد ابتلانا الله بالأسر وابتلاك بالعفو أيها الأمير،

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه السلام ثلاث ثورات ولم يخضع لضغوطها..... ٣٩٣

والصفح والعفاف وهم منزلتان منزلة رضا ومنزلة سخط ، فمن عفا عفي عنه ، ومن عاقب لم يأمن من القصاص ، وبعد فإننا إخوانكم في دينكم وشركاؤكم في حظكم ، ونحن أهل قبلتكم لسنا بالترك ولا بالديلم ، وقد كان منا ما كان من أهل العراق وأهل الشام ، فاصفح إن قدرت !

قال: فكان مصعب بن الزبير قد رق لهذا المتكلم وأصحابه وهم ياطلاقهم ، فووثب أشراف العرب ! (أي رؤساء قتلة الحسين عليه السلام) فقالوا: أيها الأمير إن هؤلاء هم الذين قتلوا أبناءنا وإخواننا وبنسي أعماننا ، وفي إطلاقهم فساد عليك في سلطانك علينا في أحسابنا ! قال: مصعب: فشأنكم إذا بهم ! قال: فاتكوا عليهم بالسيوف فقتلوكم صبراً ، رحمة الله عليهم) .

وفي الطبرى: ٥٦٢/٤: (ثم بعث مصعب برأس المختار إلى مكة إلى عبد الله بن الزبير ، فأمر عبد الله بن الزبير برأس المختار فنصب بالطبع ، ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فقال: يا بن عباس إنه قد قتل الله الكذاب ، فقال ابن عباس: رحم الله المختار كان رجلاً محباً لنا عارفاً بحقنا، وإنما خرج بيده طالباً بدمائنا ، وليس جزاؤه منا أن نسميه كذاباً).

سبب انهيار جيش المختار !

أقول: حدث هذا الإنهاير في جهة المختار بشكل غير طبيعي، لأن الله تعالى شاء أن يتخذ ألف الشيعة الأبرار شهداء لأنهم ثاروا مع المختار صادقين طلبًا بدم الحسين عليه السلام ! وكانت أهم أسباب انهيار قوتهم الطابور الأموي المعادي لهم من أهل الكوفة ، والسبب الثاني غياب القائد البطل ابراهيم بن مالك الأشتر لانشغاله بترتيب أوضاع الموصل وتوابعها، بل لفتور حصل بينه وبين المختار ! قال الطبرى: ٥٦٠/٤: (ودعا المختار رؤس الأربع الذين كانوا مع ابن الأشتر

فيuemهم مع أحمر بن شميط كما كانوا مع ابن الأشتر ، فإنهم إنما فارقوا ابن الأشتر لأنهم رأوا كالمتهاون بأمر المختار فانصرفوا عنه). انتهى.

اعتراض الفقهاء على مصعب لإسرافه في سفك دماء الشيعة !

قال البيعوني: (ودخل أصحابه إلى القصر فتحصنتوا وهم سبعة آلاف رجل ، فأعطتهم مصعب الأمان ، وكتب لهم كتاباً بأغلظ العهود وأشد المواثيق فخرجوا على ذلك ، فقدتهم رجالاً فضرب أعناقهم ! فكانت إحدى الغدرات المذكورة المشهورة في الإسلام . وأخذ أسماء بنت التعمان بن بشير امرأة المختار فقال لها: ما تقولين في المختار بن أبي عبيد؟ قالت: أقول إنه كان تقيناً نقياً صواماً . قال: يا عدوة الله أنت من يزكيه فأمر بها فضرب عنقها ! وكانت أول امرأة ضرب عنقها صبراً) ! ونحوه الطبرى: ٥٦٩/٤.

وفي تاريخ دمشق: (أن مصعباً لقي عبد الله بن عمر فسلم عليه فقال له: أنا ابن أخيك مصعب ، فقال له ابن عمر: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة؟! عش ما استطعت ! فقال مصعب: إنهم كانوا كفراً سحراً ! فقال ابن عمر: والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً). ونحوه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٦٢٦/٨.

وفي التنبية والإشراف /٢٧٠: (ونزل من بقي من أصحاب المختار ، وهم نحو من ستة آلاف على حكم مصعب فقتلهم جميعاً ، وكانوا يسمون الخشبية).

وفي الطبرى: (أن مسافر بن سعيد بن نمران قال لمصعب بن الزبير: يا ابن الزبير ما تقول الله إذا قدمت عليه وقد قتلت أمة من المسلمين صبراً حكماً في دمائهم !?).

إبراهيم بن الأشتر ينضم إلى مصعب ضد بني أمية

لا نعرف السبب في عدم حضور إبراهيم بن الأشتر إلى الكوفة للدفاع عنها أمام مصعب بن الزبير؟ وهل كان يتوقع انهيار جبهة المختار وانتصار مصعب وحلفائه في الكوفة؟ أم أنه فوجئ بذلك؟!
مهما يكن ، فقد وجد إبراهيم نفسه أمام رسالتين من مصعب وعبد الملك ، وكل منهما يعرض عليه ولادة العراق وأكثر ، إن انضم إليه !

وهنا يرد السؤال أيضاً: لماذا اختار إبراهيم الانضمام إلى مصعب ضد بني أمية؟ ذكر الطبرى أن السبب في ذلك أنه كان وَتَرَ قبائل الشام لكترة ما قتل منهم في حربه مع جيش ابن زياد ، لكنه برأيي سبب غير كاف !

قال الطبرى في: (أن كتاب مصعب قدم على ابن الأشتر وفيه: أما بعد فإن الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته ، الذين دانوا بالكفر وكادوا بالسحر ، وإننا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى بيعة أمير المؤمنين ، فإن أجبت إلى ذلك فأقبل إلى ، فإن لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلها ، ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير ، لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد ، والسلام . وكتب إليه عبد الملك بن مروان: أما بعد فإن آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى ونازعوا الأمر أهله ، وألحدوا في بيت الله الحرام ، والله ممكן منهم وجاعل دائرةسوء عليهم ، وإنني أدعوك إلى الله وإلى سنة نبيه فإن قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت ولنك على بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه . قال فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب واستشارهم في

رأي؟ فسائل يقول عبد الملك ، وسائل يقول ابن الزبير ! فقال لهم: ورأي اتباع أهل الشام وكيف لي بذلك وليس قبيلة تسكن الشام إلا وقد وترتها ، ولست بتارك عشيرتي وأهل مصر ! فأقبل إلى مصعب).

وفي النهاية:(فأكرمه وعظمه واحترمه كثيراً). وفي فتوح ابن الأعثم: (قرئه وأدناه وأجلسه معه على سريره ، ثم خلع عليه وأمر له بجائزه سنية وصرفه إلى منزله ، ثم كتب إلى أخيه عبد الله فأخبره بأمر ابن الأشتر وأنه قد دخل إلى الكوفة ، فسرّ عبد الله بن الزبير بذلك سروراً شديداً... واستوت العراق والجزيرة والنجاشي والسيمن وأرمينية وأذربيجان لآل الزبير ، والشام ومصر إلى آخر المغرب في يد عبد الملك بن مروان). انتهى.

أقول: كان دخول إبراهيم عليه السلام إلى الكوفة بعد مجزرة مصعب في أهلها الشيعة وقتله صبراً سبعة آلاف من فرسانهم ورؤسائهم ! وبعد قتله ألواناً آخرين في جبهات القتال خارج الكوفة وعلى أبوابها ، فكان حضور إبراهيم في الكوفة نوعاً من التضمييد لجراحها ، وإيقافاً لبطش قتلة الحسين عليه السلام الذين نشطوا في الكوفة قتلاً في الشيعة واضطهاداً ، ثاراً لمن قتلوه منهم بثار الحسين عليه السلام.

وقد عاش إبراهيم عليه السلام بعدها بضع سنوات ، لأن مقتل المختار كان في ١٤ رمضان سنة ٦٧ أو ٦٨، ومقتل إبراهيم سنة ٧٢، ولا بد أنه كان على صلة بالإمام زين العابدين عليه السلام وبمحمد بن الحنفية عليه السلام لكن أخباره غير مدونة لأن عبد الملك انتصر عليه وعلى مصعب وقتلهم ، وسيطر على العراق ثم النجاشي ، ودونَ رواة بنى أمية تاريخ هذه الفترة وغيرها ، وطمسموا ما استطاعوا من حقائقها !

وذكرت المصادر ما يدل على أن العلاقة كانت توطدت بين إبراهيم ومصعب في مواجهة بنى أمية ، ونقل عنه الطبرى أن كان يتأسف ويحدث

صعب عن خطية الخوارج التاريخية ومنعهم أباء الأشتر من قطف النصر على بني أمية! قال الطبرى في تاريخه : (رأى إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير ، قال: كنت عند علي حين أكره الناس على الحكومة وقالوا إبعث إلى الأشتر فليأتك! قال فأرسل علي إلى الأشتر يزيد بن هانئ السبباعي أن انتهى فأتاه فبلغه فقال: قل له ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي ! إنني قد رجوت أن يفتح لي فلا تعجلني! فرجع يزيد بن هانئ إلى علي فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا فارتفع الرهق وعلت الأصوات من قبل الأشتر فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ! قال: من أين ينبغي أن تروا ذلك! رأيتمني ساررته؟ أليس إنما كلمته على رؤسكم علانية وأنتم تسمعونني! قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك! قال له: ويحك يا يزيد قل له أقبل إلى فان الفتنة قد وقعت ! فأبلغه ذلك فقال له: رفع المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما والله لقد ظلت حين رفعت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة ، إنها مشورة ابن العاشرة ! ألا ترى ما صنع الله لنا ، أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم؟!

وقال يزيد بن هانئ: فقلت له: أتحب أنك ظفرت ه هنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يخرج عنه أو يسلم؟! قال: لا والله سبحانه الله !

قال: فإنهن قد قالوا لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك كما قتلتنا ابن عفان ! فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن ! حين علوم القوم ظهرأ وظنوا أنكم لهم قاھرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ؟! وقد والله تركوا ما أمر الله عز وجل به فيها وسننها من أنزلت عليه ، فلا تجيئونهم ، أمهلوني عدو الفرس فإني قد طمعت في النصر !

قالوا: إذاً ندخل معك في خطيبتك ! قال: فحدثوني عنكم وقد قتل أمثلكم

وبقي أراذلكم ، متى كتم محققن أحين كتم تقاتلون وخاركم يقتلون ، فأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون؟ أم الآن أنتم محققون ، فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم فكانوا خيراً منكم في النار إذا؟!

قالوا: دعنا منك يا أشر ، قاتلناهم في الله عز وجل وندع قتالهم لله سبحانه ، إننا لستنا مطيعيك ولا صاحبك فاجتنبنا ! فقال: خدعتم والله فانخدعتم ، ودعتم إلى وضع الحرب فأجبتم ، يا أصحاب الجبار السود ، كنا نظن صلواتكم زهادة في الدنيا وشوتاً إلى لقاء الله عز وجل ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ! ألا قبيحاً ، يا أشباه النسب الجلال ، وما أنتم برأئين بعدها عزاً أبداً فأبعدوا كما بعد القوم الظالمون ! فسبوه فسبهم ، فضرروا وجه دابته بسياطهم وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابهم ! وصاحت بهم عليٌّ فكفروا ، وقال للناس: قد قبلنا أن يجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً .

فجاء الأشعث بن قيس إلى عليٍّ فقال له: ما أرى الناس إلا قد رضوا وسرهم أن يجربوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن ، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما ي يريد فنظرت ما يسأل؟ قال: إنته إن شئت فسله . فأناه فقال: يا معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنت إلى ما أمر الله عز وجل به في كتابه ، تبعثون منكم رجالاً ترضون به ونبث منا رجالاً ، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يدعوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليهـ(إنتهـ). يقول إبراهيم بذلك لمصعب: إن كل ما عانته الأمة منبني أمية يتحمل وزره أولئك المتهارون الخوارج أهل الجبار السود الذين خدعهم معاوية والأشعث ! وفي تاريخ دمشق: ٣٨٦/٥٦، أن مصعب سأله إبراهيم عن ذلك ، ورواه ابن مزارع في وقعة صفين/٤٩٠ بتفصيل ، وفيه: (وقال الأشر: يا أمير المؤمنين إحمل الصف

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه السلام ثلاثة ثورات ولم يخضع لضغوطها..... ٣٩٩

على الصف يُصرع القوم . فتصايدوا إن علياً أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن ولم يسعه إلا ذلك . قال الأشت: إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي بحكم القرآن فقد رضيت بما رضي أمير المؤمنين . فأقبل الناس يقولون: قد رضي أمير المؤمنين قد قبل أمير المؤمنين ! وهو ساكت لا يبضم بكلمة ، مطرق إلى الأرض) .

○ ○

معركة عبد الملك مع مصعب وابن الأشتر

كان واضحاً للناس أن انضمام إبراهيم بن الأشتر إلى صفّ مصعب ، عامل مهمًّا جداً في ميزان القوة ، وكان مصعب على شجاعته يعرف ذلك ، ولا شك أن إبراهيم كان أشجع منه ، وكذلك أقوى منه في الادارة ، فقد جاءه إبراهيم قبل المعركة وأرأه رسالة من عبد الملك يطلب منه أن يخون بمصعب في المعركة ويعطيه ولادة العراق طول عمره! وسأله: هل جاء أحد من قادة الجيش لك بمثل هذه الرسالة؟ فقال: لا ، قال له: إن عبد الملك لم يرسل لي حتى أرسل لقادتك كلهم ، ولم يخبروك لأنهم قبلوا الخيانة ! ورأيي أن تقتلهم أو تحبسهم ، فأبى مصعب ! فقال له إبراهيم: ستري أنهم سيخونون ولا يقاتلون! فأبى مصعب.. فوقع ما قاله إبراهيم

قال ابن الأعثم في الفتوح: ٣٣٦، وابن كثير في النهاية: ٣٤٧/٨، واللفظ للأول: (وعبا مصعب بن الزبير أصحابه ، فكان على ميمنته حمزة بن يزيد العتكي ، وعلى ميسره عبد الله بن أوس الجعفي ، وفي القلب إبراهيم بن الأشتر . ودنا القوم بعضهم من بعض فتراموا بالسهام ساعة ثم اختلطوا واشتبك الحرب بينهم فجعل إبراهيم بن الأشتر يقاتل بين يدي مصعب بن الزبير قتالاً لم يسمع الناس بمثله ، حتى قتل من أهل الشام جماعة . قال: وأحدق به الخيل من كل جانب فطعنوه حتى صررعوه عن فرسه ، ثم اجتمعت عليه السيف فوقعت به نيف وثلاثون ضربة... فلما قتل إبراهيم بن الأشتر تضعضع ركن مصعب بن الزبير ، فالتفت إلى قطن بن عبد الله الحارثي فقال له: أبا عثمان قدم خيلك يرحمك الله ! فقال: ما أرى ذلك صواباً ! قال مصعب بن الزبير: ولم ذلك؟ فقال: إني

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه السلام ثلاثة ثورات ولم يخضع لضغوطها.....٤٠١

أخاف أن تسفك دماء مذحج في غير شئ لأن القوم كثير ، قال: فالتفت مصعب بن الزبير إلى محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمданى ، فقال له: أبا عبد الرحمن لو قدمت رايتك قليلاً نحو أهل الشام ! قال: ما رأيت أحداً فعل ذلك فأفعله أنا ! قال: فعندما قال مصعب بن الزبير: وإبراهيماء ! ولا إبراهيم لي اليوم ! رضي الله عنك يا إبراهيم ، يا ابن الأشرف).

وفي الطبرى: ٧/٥: (قال مصعب: رحم الله أبا بحر يعني الأحنف إن كان ليحدزني غدر أهل العراق ، وكأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه الآن) ! النهاية: ٣٦٨/٤.
وكان الأحنف رئيس تميم معه ، وتوفي في الكوفة . (كامل ابن الأثير: ٣٢٤/٤)

أقول: كانت هذه المعركة بعد نحو أربع سنوات من سيطرة مصعب على العراق ، وبعد معارك له مع صديقه الحميم ونديمه عبد الملك بن مروان !
قال ابن تغري نبى النجوم الزاهره: ١٨٣/١: (وتجهز(مصعب) وخرج يربد الشام لقتال عبد الملك بن مروان وخرج عبد الملك أيضاً من الشام يربد مصعب بن الزبير فسار كل منهما إلى آخر ولايته ، وهجم عليهما الشتاء فرجع كل منهما إلى ولايته . قال خليفة: وكانت يفعلان ذلك في كل سنة حتى قتل مصعب).انتهى.

وفي شرح النهج: ٢٩٥/٣: (وكان قد كسر جيوش عبد الملك مراراً وأعياه أمره ، فخرج إليه من الشام بنفسه ، فلسيم في ذلك وقيل له: إنك تغرس بنفسك وخلافتك ! فقال: إنه لا يقوم لحرب مصعب غري) !

وفي النهاية: ٣٤٧/٨: (وكان عتاب بن ورقاء على خيل مصعب ، فهرب أيضاً ولجا إلى عبد الملك بن مروان ، وجعل مصعب بن الزبير وهو واقف في القلب ينهض أصحاب الرايات ويبحث الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام القوم ، فلا يتحرك أحد ! فجعل يقول: يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ، وتفاقم

الأمر واشتد القتال وتخاذلت الرجال ، وضاق الحال ، وكثُر النزال .

قال المدائني: أرسل عبد الملك أخاه إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى ، وقال: إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً . قالوا: فنادي محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال: يا بن أخي لا تقتل نفسك لك الأمان ، فقال له مصعب: قد أمنك عمك فامض إليه ، فقال: لا يتحدث نساء قريش أني أسلمتكم للقتل ، فقال له: يابني فاركب خيل السبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق ، فإني مقتول هنا ! فقال: والله إني لا أخبر عنك أحداً أبداً ولا أخبر نساء قريش بمصرعك ولا أقتل إلا معك ، ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فإنهم على الجماعة ، فقال: والله لا يتحدث قريش بأني فررت من القتال فقال لابنه: تقدم بين يدي حتى أحتسبك ، فتقدم ابنه فقال: حتى قتل وأثخن مصعب بالرمي فنظر إليه زائدة بن قدامة وهو كذلك فحمل عليه فطعنه وهو يقول: يا لثارات المختار ! ونزل إليه رجل يقال له عبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي فقتله وحز رأسه وأتى به عبد الملك بن مروان ، فسجد عبد الملك) !

وقال البلاذري في أنساب الأشراف/١٦٩٥، أن عبد الملك دعا يومئذ: (اللهم انصر خيراً لنا لهذه الأمة... ووجه المصعب إلى إبراهيم بن الأشتر عتاب ورقاء الرياحي وكان قد بايع عبد الملك ووعده أن يكيد له المصعب ، فلما رأه إبراهيم غمه أمره وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، قد سأله أن لا يمدني بهذا ونظراه ، وانهزم عتاب على مواطأة منه لأهل الشام فوقع الهزيمة وقتل ابن الأشتر وهو يقول: قد قلت: أعفني من عتاب وذوي عتاب...! وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً وصبر إبراهيم بن الأشتر حتى قتل... فدنا محمد من المصعب وناداه: أنا ابن

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه ثلث ثورات ولم يخضع لضغوطها.....٤٠٣

عمك محمد بن مروان فا قبل أمان أمير المؤمنين... فأبى ما عرض وجعل يقول:
وإن الأولى بالطف من آل هاشم تأسوا للكرام التأسيا
وخلسوه حتى بقي في سبعة نفر، وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس
عيسى بن مصعب فشد عليه مصعب فقتله ، وشد على الناس فانفرجوا عنه ، ثم
 جاء إلى مرفة ديجاج فجلس عليها ، ثم قام فشد على الناس فانفرجوا عنه .
وبذل له عبد الملك الأمان وقال له: إنه يعز عليّ أن تقتل فا قبل أماني ولك
 حكمك في المال والولاية ، فأبى وجعل يضارب).

وفي شرح النهج:٢٩٥/٣: (لما حمل رأس مصعب إلى عبد الملك بكى وقال: لقد
 كان أحب الناس إلى وأشدتهم مودة لي ، ولكن الملك عقيم).

وفي الكامل:٣٢٨/٤: (فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا وقال: كانت الحرمة
 بيننا قديمة ، ولكن الملك عقيم). وفي الطبقات:١٨٣/٥:(قتل يوم الخميس للنصف
 من جمادي الأولى سنة اثنين وسبعين) .

وقال في مروج الذهب:٧٥٢/٧٥٢: (وبلغ عبد الملك ورود إبراهيم ومنازله محمدًا
 أخيه... ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم إن مصعباً أصبح يدعو إلى أخيه ،
 وأصبحت أدعو لنفسي ، اللهم فانصر خيراً لأمة محمد ! فالتفى محمد بن
 مروان وابن الأشت... واختلط الرجال وصمدت الفرسان لإبراهيم ، واشتبكت
 عليه الأسنة فبرى منها عدة رماح، وأسلمه من كان معه ، فاقتلع من سرجه ودار
 به الرجال وازدحموا عليه فقتل بعد أن أبلى ونكاً فيهم). انتهى.

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطى:١٦٢/١٦٢: (عن عبد الملك بن عمير الليثي قال: رأيت في
 هذا القصر وأشار إلى قصر الإمارة بالковفة رأس الحسين بن علي بين يدي
 عبيد الله بن زياد على ترس. ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار

بن أبي عبيد . ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير . ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك ! فحدثتُ بهذا الحديث عبد الملك فتطيّر منه وفارق مكانه ! (والكبير للطبراني: ١٢٥٣، والزواوي: ١٩٦٩، وروته، وأبي يعلى: ٥٤٥، وابن حمزة: ٧٣٧، واليعقوبي: ٢٦٥/٢، ومروج الذهب: ٧٥٣، وفيهما: فوتب عبد الملك بن مروان ، وأمر بهدم الطاق الذي على المجلس).

أقول: مع أنه يعز علينا مقتل إبراهيم بن الأشتر رض فإن انتصار عبد الملك عليه كان لمصلحة المؤمنين بقانون (دفع الله الناس بعضهم ببعض)، أو قانون: ما التقت فتنان قط من أهل الباطل ، إلا كان النصر مع أحسنهمما بقية على أهل الإسلام). (الكافى: ١٥٢/٨).

ومعناه أن ما يقع في الصراع المصيري للقوى الكبرى ، هو الأفضل النسبي دائماً ، ولو وقع غيره لكان أسوأ منه ! وأن الله تعالى تكفل بتتجديد القوى الفاعلة في حياة البشر ، وأن يبقى منها الأكثر عفواً ، والأقل قتلًا وإبادةً للناس ! وعبد الملك وبنو أمية على سيناثتهم ، أقل سوءاً من عبدالله بن الزبير وإخوته!

عبد الملك يبعث الحجاج لقتال ابن الزبير في مكة

بعد انتصار عبد الملك على مصعب وقتلها ، أرسل جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي لحرب عبدالله بن الزبير ، فحاصره في مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق ، حتى قُتل ابن الزبير وصلبه في ١٥ جمادى الثانية سنة ٧٣ (الطبقات: ١٢٢٣).

قال اليعقوبي: (ندب الناس للخروج إلى عبد الله بن الزبير ، فقام إليه الحجاج بن يوسف قال: إبعثني إليه يا أمير المؤمنين فإني رأيت في المنام كأنني ذبحته وجلست على صدره وسلخته ! فقال: أنت له ، فوجهه في عشرين ألفاً من أهل الشأم وغيرهم ، وقدم الحجاج بن يوسف فقاتلهم قتالاً شديداً ، وتحصن بالبيت فوضع عليه المجانق ، فجعلت الصواعق تأخذهم ويقول: يا أهل الشام لا تهولنكم هذه ، فإنما هي صواعق تهامة ، فلم يزل يرميه بالمنجنيق حتى هدم البيت)! والطبقات: ٢٢٨/٥، وفيه: (وحصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنين وسبعين سنة أشهر وسبعة عشر يوماً وقتل يوم الثلاثاء لسبعين عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثة وسبعين وبعث برأسه إلى عبد الملك بن مروان بالشام).

وفي تاريخ ابن خياط ٢٠٦: (وُقتل وهو ابن ثلاث وسبعين سنة).

والطبرى: ٢٠٥/٥، وفيه: (فكان يبعث البعوث إلى عرفة في الحل ، ويبعث ابن الزبير بعثاً فيقتلون هنالك ، فكل ذلك تهزم خيل ابن الزبير وتتراجع خيل الحجاج بالظفر، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه ، ويخبره أن شوكته قد كُلّتْ وتفرق عنده عامة أصحابه).

وفي الحاكم: ٥٥١/٣: (فلم يلبثوا أن ظهر الحجاج ومن معه في المسجد ! فلما كان الغداة التي قتل فيها ابن الزبير ، دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي

بكر وهي يومئذ بنت مائة سنة، لم يسقط لها سن ولم يفسد لها بصر ولا سمع، فقالت لابنها: يا عبد الله ما فعلت في حربك؟ قال: بلغوا مكان كذا وكذا وضحك ابن الزبير وقال: إن في الموت لراحة! فقالت: يابني لعلك تمنيته! ما أحب أن أموت حتى يأتي علي أحد طرفيك: إما أن تظفر فتقر بذلك عيني، وإما أن تقتل فأحتسبك... وخرج عنها ودخل المسجد... قال في بينما هم كذلك إذ دخل عليهم ومعه سبعون فأول من لقيه الأسود فضربه بسيفه حتى أطن رجله فقال له الأسود: آه يا ابن الزانية... فإذا بقوم قد دخلوا من باب بنهم فقال: من هؤلاء؟ فقيل أهل الأردن فحمل عليهم... فإذا بقوم قد دخلوا من باب بنى مخزوم فحمل عليهم.. وعلى ظهر المسجد من أعوانه من يرمى عدوه بالأجر وغيره فحمل عليهم فأصابته آجرة في مفرقه... ومجمع الزوائد: ٢٥٤٧، وتاريخ دمشق: ٢٣١/٢٨، وصفة الصفو: ٧٦٩/١، وغيرها..

وقد بالغوا كثيراً وكذبوا في مدح ابن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر ، وكذلك في مدح عبد الملك قاتل ابن الزبير ! و تستطيع أن تفهم الحقيقة من ثانيا رواياتهم ، فقد انهار ابن الزبير خاصة بعد أن استسلم إخوته وأولاده ! وأراد أن يأخذ موافقة أمه على الإسلام ، ففي شرح النهج: ٢٨١/٣ وغيره: (وحصر في الحرم عامة أصحابه وخرج كثير منهم إلى الحجاج في الأمان حتى حمزة وخبيب ابناء ، فدخل عبد الله على أمه أسماء بنت أبي الصديق وكانت قد كف بصرها وهي عجوز كبيرة فقال لها: خذلني الناس حتى ولدى وأهلي ، ولم يبق معى إلا من ليس عنده من الدفع أكثر من ساعه ، وال القوم يعطونى من الدنيا ما سألهت بمارأيك؟ فقالت: أنت يابني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعوا فامض له ، فقد قتل أكثر أصحابك فلا تمكن من رقتتك

الفصل التاسع: عاصر الإمام عليه ثلثة ثورات ولم يخضع لضغوطها.....٤٠٧

يتلاعب بها غلمان بنى أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت !
أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك) . انتهى .
والصحيح أن عبدالله بن الزبير حاول أن يقنع أمه لتأمره بالإسلام فتكون له
حجة في إعلان هزيمته !

قال في مروج الذهب: (قالت له أمه أسماء: أيبني ، لا تقبل خطة تخاف
على نفسك منها مخافة القتل، مت كريماً وإياك أن تؤسر أو تعطي بيديك،
فقال: يا أمّة إبني أخاف أن يمثل بي بعد القتل ! فقالت: يابني وهل تتألم الشاة
من ألم السلخ بعد الذبح) !

وتسدل رواية صفة الصحفة: ٧٧٠/١، وغيره على أن أخيه عروة فرأياضًا قال:
(أتيت عبد الله بن الزبير حين دنا الحجاج منه فقلت له: قد نحق فلان بالحجاج
ولحق فلان بالحجاج). وما قال ذلك إلا ليقول له: وأنت الحق بهم فلحق بهم !
وقد بالغوا أيضًا في وصف استبساله ونسبوا اليه بطولات وشعر حماسة ،
ي بينما روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ٢٠٣/٢: (قال فجعل الحجاج يناديه: قد
كان لك رجال ولكنك ضيعتهم ! قال: فجاءه حجر من حجارة المنجنيق (آجرة
من جماعته من السطح) وهو يمشي فأصاب قفاه فسقط فما درى أهل الشام أنه هو
حتى سمعوا جارية تبكي وتقول: وا أمير المؤمنين فاحتزوا رأسه).

وفي تاريخ المقوسي: ٢٦٧/٢: (وكان قتله في سنة ٧٣ وله إحدى وسبعين سنة
وصُلب بالتنعيم فأقام ثلاثة وقيل سبعة أيام ، ثم جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر
وهي عجوز عمباء حتى وقفت على الحجاج فقالت: أما آن لهذا الراكب أن
ينزل بعد...؟ فقال: من هذه؟ فقيل: أم ابن الزبير فأمر به فأنزل . وروى بعضهم
أن الحجاج خطبها فقالت: وهل تخطب عمباء بنت المائة؟ فقال: ما أردت إلا

مسالفة رسول الله). انتهى. أي أراد الحجاج أن يكون عذيل النبي ﷺ !
والتفييم الصحيح لابن الزبير أنه خارجي ناصبي ، أراح الله المسلمين منه ،
وابستدله بطغاة أقل منه شرآ .

وقد قيَّمه عبد الله بن عمر عندما مر عليه وهو مصلوب فقال: (يرحمك الله
 أبا خبيب ، لولا ثلاث كن فيك لقلت أنت أنت: إلحادك في الحرم ،
 ومسارعتك إلى الفتنة ، وبخْل بكفتك ، وما زلت أتحجج عليك هذا المركب
 وما صررت إليه مذ كنت أراك ترمي بغلات شهباً كنَّ لابن حرب (معاوية)
 فيعجبتك ، إلا أنه كان أساس الدنيا منك). (تاريخ اليعقوبي: ٢٦٧٢).

يقصد ابن عمر أن ابن الزبير أزعجه موكب معاوية إلى الحج على بغلات
 شهباً ! فقد (روى أبو الفرج قال: كانت صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الشفقي
 تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فمشى ابن الزبير إليها، فذكر لها إن خروجه
 كان غضباً لله عز وجل ولرسوله (ص) وللمهاجرين والأنصار من إثرة معاوية
 وابنه بالقى ، وسألها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن يباعيه ، فلما قدَّمت له
 عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير وعبادته واجتهاده وأثبتت عبيه وقالت: إنه ليدعوه
 إلى طاعة الله عز وجل ، وأكثرت القول في ذلك فقال لها: وبمحك ! أما رأيت
 البغلات الشهبا التي كان يحج معاوية عليها وتقدم إلينا من الشام ؟ قالت: بلى
 قال: والله ما يريد ابن الزبير بعبادته غيرهن) ! (شرح النهج: ١٤٩٢٠).

وقد حرفوا قول ابن عمر فرواه الحاكم: (إذا ابن عمر ينظر إلى ابن الزبير
 مصلوباً فقال: يغفر الله لك ثلاثة ، والله ما علمتك إلا كنت صواماً قواماً وصولاً
 للرحم ! أما والله إني لأرجو مع مساوى ما أصبت ألا يعذبك الله بعدها أبداً).

الفصل العاشر:

الوليد بن عبد الملك قاتل الإمام زين العابدين^{عليه السلام}

عبد الملك يترك لابنه الوليد جريمة قتل الإمام عليه السلام

عاصر الإمام زين العابدين عليه السلام بعد يزيد ، خلافة مروان وخلافة ابنه عبد الملك الذي حكم بعد قتله ابن الزبير ١٤ سنة ، من سنة ٧٢ هجرية الى أن هلك سنة ٨٦ . وورث أمبراطوريته التي تعب كثيراً في تكوينها ، الى أولاده ، وأي أولاد ! حكم منهم أربعة أولهم ابنه الوليد بن عبد الملك ، وفي السنة الثامنة من خلافته قام بقتل الإمام زين العابدين عليه السلام بالسم .

وقد جعل أتباع الخلافة عبد الملك من أولياء الله أصحاب الكرامات !

ورروا من كراماته أنه رأى في المنام أنه بال في محراب النبي عليه السلام أربع مرات ! ففسروه له بأنه يملك من ذريته أربعة خلفاء ، وجعلوا منامه كرامة له وأولاده ! قال الراغب في محاضرات الأدباء ١٤٧: (ورأى عبد الملك أنه بال في محراب النبي (ص) أربع مرات ، فأوَّلَ على أن يخرج من صلبه أربعة يتولون الخلافة) ونحوه النجوم الظاهرة: ٢٩٧/١.

وتناسوا حديث النبي عليه السلام الذي رووه وصححوه في القردة الذين أراهم الله لنبيه عليه السلام ينزلون على منبره ويضلون الناس ، وأنزل عليه فيهم: وإن قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ..(الإسراء: ٩٠).

قال ابن تغري في النجوم الظاهرة: ٢٠٧: (ولي منبني أمية أربعة من أولاد عبد الملك بن مروان وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام . قيل إن عبد الملك رأى في نومه أنه بال في محراب النبي (ص) أربع بولات ! فأوْلُهُ الْمُعْبُرُونَ بأنه

يلي الخلافة من ولده لصلبه أربعة ، فكان كذلك).

ثم أبعد أتباع الأمويين بولته عن محراب النبي ﷺ وجعلوا الرواية زعمًا: (زعموا أن عبد الملك رأى في منامه أنه بالـ في المحراب أربع مرات) !

(نسب قريش ١٠١ ، والدميري في حياة الحيوان ١١٦ ، وتاريخ الخلفاء ١٩٣: ووفيات الأعيان ٢: ٢)

، وسير الذهبي: ٥١٥ ، و تاريخه: ٢٨٣/٨ ، ووافي الصفدي: ٧٢/٢٦ ، وفوات الوفيات: ٥٧٩/٢: ٣٧٨

ولم يكتف ابن كثير بتعريفهم فقال في النهاية: (وكان جميلاً أيضًا حبولاً ، يخضب بالسواد ، وهو الرابع من ولد عبد الملك ، الذين ولوا الخلافة وقد كان عبد الملك رأى في المنام كأنه بالـ في المحراب أربع مرات فدس إلى سعيد بن المسبب من سأله عنها ، ففسرها له بأنه يلي الخلافة من ولده أربعة ، فوقع ذلك ، فكان هشام آخرهم) !

فقد أخفوا أن المحراب محراب النبي ﷺ وكذب ابن كثير فقال كأنه بالـ !
أي لم يبل ! ليجعلها كرامة للهـ لعبد الملك ، لأنـ خاف من نفرة المسلمين
من جعله بولاً في محراب النبي ﷺ !

ثم أفضى ابن كثير في مدح البولة الرابعة ! هشام بن عبد الملك فقال:
(وكان في خلافته حازم الرأي جماعاً للأموال يدخل ، وكان ذكياً مدبراً له بصر
بالأمور جليلها وحقيرها ! وكان فيه حلم وأناة ، شتم مرة رجلاً من الأشراف
فقال: أتشتمني وأنت خليفة الله في الأرض؟ فاستحبـ وقال: إنـ مني بدلها
أو قال بمتلها ، فقال: إذاً أكون سفيهاً مثلـ ! قال فخذـ عوضـ قال: لا أفعل ،
قال: فاتركـ الله ، قال: هي الله ثم لك... وكان هشام من أكره الناس لسفك
الدماء ، ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابنه يحيى أمر شديد ، وقال:
وددت أني افتديـهما بجميع ما أملك) !

وقال ابن سيرين: (إِنْ بَالْ فِي مُحَرَّابٍ ، فَإِنَّهُ يُولَدُ لَهُ وَلَدُ عَالَمٍ) !
 وقال النابلسي في تعطير الأنام: (إِنْ بَالْ فِي مُحَرَّابٍ . يُولَدُ لَهُ وَلَدُ عَالَمٍ
 وَمِنْ رَأْيِ كَانَهُ بَالْ عَلَى الْمَصْحَفِ ، وَلَدُ لَهُ وَلَدٌ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ) !
 لكن السيد الأمين قال في أعيان الشيعة: (وَكَانَ سَعِيداً (ابن المسيب) اسْتَفَادَ
 مِنْ بُولَهُ فِي الْمُحَرَّابِ أَرْبَعَ مَرَاتٍ الَّذِي هُوَ مُحْرَمٌ ، أَنَّهُ يَمْلِكُ مِنْ وَلَدَهُ لِصَلَبِهِ
 أَرْبَعَةَ يَسْتَحِيْونَ الْمُحَرَّمَاتِ) !

وقال القاضي النعمان في المناقب والمثالب /٣٧٠: (والبول في المسجد حدث في الدين ، لاسيما في المحراب ، وولي من ولده أربعة ، هشام رابعهم ، وهم كما رأى إحداث في الدين ، ونجس كالبول الذي رأه أبوهم ، بل هو وهم أنجس من ذلك). انتهى .

الوليد بن عبد الملك قاتل الإمام زين العابدين عليه السلام

في تاريخ دمشق: (أخبرنا ابن عائشة أخربنا أبي قال: كان الوليد أكبر أولاد عبد الملك ، وكان أبو وأمه يُترفانه فشبَّ بلا أدب ! وكان دمياً ، وكان إذا مشى تَوَذَّفَ يريده تبختر ، وكان سائل الأنف(كانه لحم بلا غضروف) فقيل فيه:
فقدت الوليد وإنما له كثيل الفصيل أبي أن يبولا

فَلَمَّا أَفْضَتِ الْخَلْفَةَ إِلَيْهِ دَخَلَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ، فَمَتَّ بَصَهْرِ بَيْنِهِ وَبَيْنِ بَعْضِ قَرَابَتِهِ، فَقَالَ: مَنْ خَنْتَكَ؟ قَالَ فُوْجُمُ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ: بَعْضُ هَذِهِ الْأَطْبَاءِ! فَقَالَ سَلِيمَانُ: إِنَّمَا يَرِيدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ خَنْتَكَ؟ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَعَمْ، فَلَانْ.

وذكر سعيد بن كثير بن عفیر أن الوليد كان طويلاً، أسمراً، به أثر جدری خفي ، بمقدم لحيته شَمَطْ (ثقب) ليس في رأسه ولا لحيته غبره ، أفطس) . وقد اضطر محب الأمويین ابن كثیر للإعتراف بصفات الولید ، فأورد

أوصافه المتقدمة لكنه قال في النهاية: (وكان جميلاً ، وقيل دمياً... وقد روی أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية ، فجمع الوليد جماعة من أهل النحو عنده فأقاموا سنة وقيل ستة أشهر ، فخرج يوم خرج أجهل مما كان ! فقال عبد الملك: قد أجهد وأعذر ، وقيل إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له: لا أنتينك إذا متْ تجلس تعصر عينيك ، وتحنْ حنين الأمة ، ولكن شمرّ واتزر ودلّني في حفريتي وخلنّي وشأنني ، وادع الناس إلى البيعة ، فمن قال برأسه هكذا ، فقل بسيفك هكذا !)

وفي سير أعلام الذهبي: ٣٤٧/٤: (بويغ بعهد من أبيه ، وكان متوفاً دمياً سائل الأنف، طويلاً ، أسمر، بوجهه أثر جدرى ، في عنقته شيب ، يتختار في مشيه وكان قليل العلم، نهمته في البناء ، أنشأ أيضاً مسجد رسول الله(ص) وزخرفة). وروى الطبرى: ٢١٣/٥، أنه نفذ وصية أبيه فقال: (أيها الناس: من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدانه ! ثم نزل ، فنظر إلى ما كان من دواب الخلافة فحازه ، وكان جباراً عنيداً).

وفي الأغاني: ٢٠١/١٩: (لم يكن رجل من ولادة أولاد عبد الملك بن مروان كان أنفس على قومه ولا أحسد لهم من الوليد بن عبد الملك ، فإذا ذكر يوماً للناس فدخلوا عليه ، وأذن للشعراء فكان أول من بدر بين يديه عويف...). ثم ذكر أنه طرده ، لأنه مدح غيره بأبيات بلية !

١- روی محبوه أنه كان يقتل حتى علماء البلاط !

انتقد فقيه إسمه زياد بن جارية التميمي تأخيره الصلاة فقطع رأسه ! (دخل مسجد دمشق وقد تأخرت صلاتهم الجمعة بالعصر فقال: والله ما بعث الله نبياً بعد محمد (ص) أمركم بهذه الصلاة ! قال فأخذ فأدخل الخضراء (قصر الوليد)

قطع رأسه ! وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك . (تاریخ دمشق: ١٣٧١هـ، وتهذیب الکمال: ٤٤٠هـ، والإصابة: ٥٣٨٢هـ، وكل المصادر التي رأیتُ فيها ترجمته !).

وقال القرطبي في تفسيره: (كان الوليد بن عبد الملك يأمر جواسيس يتتجسّسون على الخلق يأتونه بالأخبار ، قال: فجلس رجل منهم في حلقة رجاء بن حيّة فسمع بعضهم يقع في الوليد فرفع ذلك إليه فقال: يا رجاء ! أذكر بالسوء في مجلسك ولم تُغَيِّرْ ! فقال: ما كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فقال له الوليد: قل آللله الذي لا إله إلا هو ! قال: آللله الذي لا إله إلا هو ، فأمر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطاً ! فكان يلقى رجاء فيقول: يا رجاء ، بك يستسقى المطر وسبعون سوطاً في ظهري ! فيقول رجاء: سبعون سوطاً في ظهرك خير لك من أن يقتل رجل مسلم) ! انتهى.

فالواجب عند الوليد على عالم الباطل إذا سمع أحداً ينتقده أن يدافع عنه ويخبره عن المنتقد ليقتله ، وإلا فهو يستحق القتل !

ورجاء بن حيّة من كبار علمائهم (من عباد أهل الشام وزهادهم وفقهاء التابعين وعلمائهم). (مشاهير علماء الأمصار: ١٨٩). وكان من الذين يأخذون راتباً من السلطة ! (كان يزيد بن عبد الملك يجري على رجاء بن حيّة ثلاثة دينارات في كل شهر). (سير الذئبي: ٥٥٩/٤، وتأريخ دمشق: ١٠٩١هـ). وكان راتبه أكثر من غيره: (كان الوليد بن عبد الملك يرزق عبد الله بن بسر في كل شهر عشرة دنانير). (الأحاديث والمناجي: ٤٨٣).

٢ - ورووا قتله لخبيب بن عبد الله بن الزبير !

(كان خبيب (بن عبد الله بن الزبير) يحدث أحاديث من أحاديث الفتن ، فكتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز: وهو على المدينة أمير: أن خذ

خبيباً وأصره واصب على رأسه جرة من ماء ، وذلك في الشتاء ! فمات من ذلك) ! (تصحيفات المحدثين للعسكري: ٤٤٣/٢).

٣- وقتله لابن عروة بن الزبير !

في فيض القديس: (قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنته محمد ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، فدخل يوماً على الوليد في ثياب وشي وله غديرتان، وهو يضرب بيده فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش فعنه ! (أصابه بالعين) فخرج متوسناً (عنساً) فوق في إصطبل الدواب ، فلم تزل الدواب تطوه بأرجلها حتى مات ! ثم وقعت الأكلة (ورم) في رجل عروة ، فبعث له الوليد الأطباء فقالوا: إن لم يقطعها سرت إلى جسده فهلك ! فنشروها بالمنشار).

٤- وأمرَ واليه بإهانة الحسن المثنى عليه السلام فعلمَ الإمام عليه السلام دعاءً فأتجاه الله !

قال ابن حجر في فتح الباري: (كتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حيان (واليه على المدينة): أنظر الحسن بن الحسن فاجلده مائة جلد وأوقفه للناس ، قال فبعث إليه فجئ به ، فقام إليه علي بن الحسين فقال: يا ابن عم تكلم بكلمات الفرج يفرج الله عنك ، فذكر حديث علي باللفظ الثاني فقال لها فرفع إليه عثمان رأسه فقال: أرى وجه رجل كذب عليه ! خلوا سبيله فسأكتب إلى أمير المؤمنين بعذرته فأطلق). وفي السلسلة العلوية /٤ ، أن أخاه سليمان بن عبد الملك قتل الحسن المثنى بالسم ! على عادة خلفاءبني أمية .

٥- وكان يجبر الإمام زين العابدين عليه السلام على الخروج لاستقباله !

وتقدم ذلك في الحديث الذي كذبوا عن لسان الإمام عليه السلام ، وزعم الزبيري أنه قاله عندما كان خارجاً معه لاستقبال الوليد بن عبد الملك !

٦- وكان متهتكاً يشرب ويفحش !

فقد اصطحب عمر بن ربيعة في موسم الحج ! (فركب معه يحدثه... والوليد يضحك ، فلما رجع عمر قيل له: ما الذي كنت تُضحك أمير المؤمنين به؟ فقال: ما زلتنا في حديث الزنا حتى رجعنا). (الأغاني: ٣٨٧/٢). و كان عنده مضحك خاص: (شعيث بن زيان، كان يصحب الوليد بن عبد الملك ويضحكه). (تاریخ دمشق: ١٢٢/٢٣). (تفدي الحجاج يوماً مع الوليد بن عبد الملك، فلما انقضى غداهما ، دعا الوليد إلى شرب النبيذ فقال: يا أمير المؤمنين العلال ما حلّتَ ، ولكنني أنهى عنه أهل عملي ، وأكره أن أخالف). (تاریخ دمشق: ١٥٥/١٢).

وكان زير نساء: (قال المدائني: تزوج الوليد بن عبد الملك في خلافته تسع سنين ثلاثةً وستين امرأة يطلق ويتزوج ، حتى تزوج عاتكة بنت عبد الله بن مطيع ، فلما دخل بها وأراد أن يقوم أخذت بشوبه فقال لها: ما تريدين؟ قالت: إننا اشتربنا على الحمالين السرجمة (الى بلدنا المدينة) فما رأيك؟ قال: تقيمين ، وأمسكها أربعة أشهر ثم طلقها). (بلاغات النساء لابن طيفور: ١٤٥).

٧- وكان يقول عن جلوازه الحجاج إنه جلدته وجهي كله !

ففي البيان والتبيين للجاحظ: (خطب الوليد بن عبد الملك فقال: إن أمير المؤمنين كان يقول: إن الحجاج جلدة ما بين عينيًّا . ألا وإنه جلدته وجهي كله). وربما الأبرار: ١٥٩، وأنساب الأشراف: ٢٠١٤، وشرح النهج: ٣٤٧٥، والمناقب والمثالب للقاضي النعمان: ٣٦٦، وفيه: (هذا ما ثبت عن عبد الملك أنه قال: إن الحجاج جلدة ما بين عيني وأنفي . وزاد ابنه الوليد بن عبد الملك: ألا وإنني أقول إن الحجاج جلدته وجهي كله).

٨- وكان المنصور العباسى معجبًا بطاعة الحجاج للوليد !

في تاريخ دمشق: ١٥٧/١٢، أن أحدهم قرأ للمنصور وصية الحجاج: (أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث !

وأوصى بتسعمائة درع حديد ، ستمائة منها لمنافقي أهل العراق يغزون بها وثلاثمائة للترك ! قال: فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي وكان قائماً على رأسه فقال: هذه والله الشيعة لا شيعتكم !

يقصد المنصور أن تشييع الخراسانيين لهم يجب أن يكون كتشيع الحجاج للأمويين ، يجعل طاعتهم دينه ويعلن اعتقاده به ! ويكون كما روى ابن عساكر في تاريخه: ١٥٧/١٢، عن الشافعي قال: (قال الوليد بن عبد الملك للغاز بن ربيعة: إني سأدعوك وأدعوك الحجاج فتتحدى ثان عندي ، فإذا قمت وخلوت به فسله عن هذه الدماء هل يحيك في نفسه منها شيء أو يتخوف لها عاقبة؟ قال: فحدثنا عند الوليد وخرجا ، فألقى لهما وسادة في الجبل وفي القصر ، وقام الحجاج ينظر إلى الغوطة ، قال: واستحييت أن أجلس فقمت معه فقلت: يا أبا محمد ، أرأيت هذه الدماء الذي أصبحت هل يحيك في نفسك منها شيء أو تخوف لها عاقبة؟ قال: فجمع يده فضرب بها صدري ، ثم قال: يا غاز ، ارتبت في أمري أو شكت في طاعتكم؟ والله ما أود أن لي لبنان وسنير (جلان) ذهباً مقطعاً أنفقهما في سبيل الله عز وجل ، مكان ما أبلغني الله تعالى من الطاعة). أى للوليد !

٩- وكان الوليد يكره عمر بن عبد العزيز !

(أتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له: ما تقول في الحجاج؟ قال: وما عسيتُ أن أقول فيه ! هل هو إلا خطيبة من خطبائك وشرر من نارك؟ فلعنك الله ولعن الحجاج معك، وأقبل يشتمهما ! فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال: ما تقول في هذا؟ قال: ما أقول فيه ! هذا رجل يشتمكم ، فإما أن تشتموه كما شتمتم ، وإما أن تعفوا عنه ! فغضب الوليد وقال لعمر: ما أظننك إلا خارجياً ! فقال عمر: وما أظنك إلا مجئونا ، وقام فخرج مغضباً ! ولحقه خالد

بن الريان صاحب شرطة الوليد ، فقال له: ما دعاك إلى ما كلمت به أمير المؤمنين؟ لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك ! قال أو كنتَ فاعلاً لو أمرك؟ قال: نعم) ! (شرح النهج: ٤٣/١٧).

وفي تاريخ دمشق: ٤٦/١٩: (تناول الوليد بن عبد الملك يوماً عمر بن عبد العزيز فرد عليه عمر ، فغضب الوليد من ذلك غضباً شديداً ، وأمر بعمر فعدل به إلى بيت فحبس فيه). وفي تصحيفات المحدثين للعسكري: ١٤٧١: (خطب الوليد بن عبد الملك بن مروان يوماً ، وعمر بن عبد العزيز تحت المنبر، فقال الوليد: ليتها كانت القاضية ! فقال عمر: يا ليتها كانت عليك وأراحتنا منك).

وفي سير الذهبي: ٣٤٧٣: (وقد كان عزم (الوليد) على خلع سليمان (أخيه) من ولاية العهد لولده عبد العزيز ، فامتنع عليه عمر بن عبد العزيز وقال: لسلامان بيعة في أعقاننا ! فأخذذه الوليد وطئن عليه (جسه في مكان وسد عليه بالطين) ثم فتح عليه بعد ثلاثة وقد مالت عنقه ، وقيل: خنقه بمنديل حتى صاحت أخته أم البنين ! فشكر سليمان لعمر ذلك ، وعهد إليه بالخلافة).

١٠ - وكان الوليد ناصبياً ببعض علياً لأنه بغضناً شديداً !

ففي البيان والتبيين للجاحظ: ٢٧٨: (صعد المنبر فقال: علي بن أبي طالب لصٌ ابن لصٌ ، صُب عليه شؤوب عذاب ! فقال أعرابي كان تحت المنبر: ما يقول أميركم هذا) ! (ونثر الدرر للأبي: ٣٨٩ ، والذكرة الحمدونية: ٦٣٣ ، والبيان والتبيين للجاحظ: ٣٧١: وطبعة ٢٧٨ ، والذكرة الحمدونية: ٦٣٣. ونسبة في الغارات: ٨٤٣/٢ إلى عامله خالد بن عبد الله القسري، قال: (فقام إليه أعرابي فقال: والله ما أعلم من أي شيء أعجب ! من سبك علي بن أبي طالب أم من معرفتك بالعربية) ! وفي شرح النهج: ٥٨/٤: (قال: لعنة الله بالجر ، كان لص ابن لص... ! وكان الوليد لخاناً) . والنصائح الكافية: ١٠٥.

وروى الجميع قول النبي ﷺ (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدك) واتفقوا على أنه صحيح متواتر ، رواه بخاري في صحيحه: ٢٠٨٤، و: ٥١٩ ومواضع أخرى ، وكذلك مسلم: ١٢٠٧ ، وعامة مصادر السنة والشيعة. ولم يستطع النواصي أن يردوا سند فحرفوا نصه وقالوا: أنت مني بمنزلة قارون من موسى! أو كان بطل ذلك حرزيز بن عثمان ، قال إنه سمعه من سيده الخليفة الوليد بن عبد الملك ! قال ابن عساكر في تاريخه: ٣٤٩: (إسماعيل بن عياش قال: سمعت حرزيز بن عثمان قال: هذا الذي يرويه الناس عن النبي ﷺ قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، حقٌّ ، ولكن أخطأ السامع ! قلت: فما هو؟ فقال: إنما هو: أنت مني بمكان قارون من موسى ! قلت: عَمَّنْ ترويه؟ قال: سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله وهو على المنبر ! قال الخطيب عبد الوهاب بن الصحاح: كان حرزيز معروفاً بالكذب في الرواية ، فلا يصح الإحتجاج بقوله). وتاريخ بغداد: ٢٦٢٨، وتهذيب الكمال: ٥٧٧، وتهذيب التهذيب: ٢٠٩٢، وتاريخ الذهبي: ١٢٢١١٠، والتغريف للسيوطى: ٤٤، وبغية الطلب: ٢٢٩٥، والباحث عن علل الطعن في الحارت: ٢٧.

أقول: حرزيز هذا ، واحد من المؤثرين جداً عندهم ، الذين روت عنهم صحاحهم كالبخاري ! قال السيد الميلاني في حديث المنزلة: ٧٤: (فماذا تقولون لهذا الرجل ولرواة هذا الخبر ، ولكن الأسف كل الأسف أن يكون حرزيز لهذا من رجال البخاري ، أن يكون من رجال الصحاح سوى مسلم ، كلهم يعتمدون عليه وينقلون عنه ويصححون خبره ! وعن أحمد بن حنبل أنه عندما سئل عن هذا الرجل قال: ثقة ثقة ثقة . والحال أنهما يذكرون بترجمة هذا الرجل: إنه كان يشتم علياً ، ويتحامل عليه بشدة ونصوا على أنه كان ناصبياً ، وأنه كان يقول: لا أحب علياً قتل أبيائي ، كان يقول: لنا إمامنا يعني معاوية ولكم إمامكم يعني علياً وكان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة... ومن هنا يمكن

للباحث الحر أن يعرف موازين هؤلاء ومعاييرهم في تصحيح الحديث وتوثيق
الراوي ، وكيف يتعاملون مع علي وأهل البيت ع .

١١- وكان يتهم عائشة ويطعن فيها !

فقد روى الذهبي في سيره: ٩٤، و تاريخه: ٢٩٤/٥: (عن الزهرى قال: كنت عند الوليد
بن عبد الملك فكان يتناول عائشة ، فقلت: يا أمير المؤمنين لا أحدثك عن
رجل من أهل الشام كان قد أتوى حكمة قال: من هو؟ قلت: أبو مسلم الخوارنی
سمع أهل الشام ينالون من عائشة فقال: لا أخبركم بمثلى ومثل أمكم هذه ،
كمثل عينين في رأس يؤذيان صاحبها ولا يستطيع أن يعاقبها إلا بالذى هو
خير لها ، فسكت). وتاريخ دمشق: ٢٧٤/٤ .

وهذا يدل على أن أهل الشام كانوا يسبون عائشة ، لأنها وأخاها عبد
الرحمن اصطدموا بمعاوية ورفضا البيعة لزيد .

وزاد الوليد عليهم بأنه كان يتهم علياً علية بالشك بأنهم اتهم عائشة بالفاحشة معاذ الله
فلا يبعد أن يكون الوليد هو الذي يتهمها بالفاحشة وأراد أن يتهم بذلك
علياً علية ليتخذ ذلك حجة عند خاصته ، وطعناً على علي علية علية عد العامة !
قال بخاري في صحيحه: ٦٠/٥: (عن الزهرى قال: قال لي الوليد بن عبد الملك:
أبلغك أن علياً كان فيمن قذف عائشة؟ قلت: لا ، ولكن قد أخبرني رجلان من
فومك أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، أن
عائشة قالت لهما: كان علي مسلماً في شأنها) . انتهى .

وفي فتح الباري: ٣٣٧: (عن الزهرى كنت عند الوليد بن عبد الملك فتلى هذه
الآية: والذى تؤى كبرة منهم له عذاب عظيم ، فقال: نزلت في علي بن أبي طالب !
قال الزهرى: أصلح الله الأمور كذلك ، أخبرنى عروة عن عائشة ، قال:

وكيف أخبرك؟ قلت: أخبرني عروة عن عائشة أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن أبي سلول... قوله: كان على مسلماً في شأنها.. قال ابن التين: وروي مسيئاً . قلت: بل هو الأقوى من حيث نقل الرواية ، وقد ذكر عياض أن النسفي رواه عن البخاري بلفظ مسيئاً قال: وكذلك رواه أبو علي بن السكن عن الفريري . وقال الأصيلي بعد أن رواه بلفظ مسلمًا: كذا فرأناه والأعرف غيره . وإنما نسبته إلى الإساءة لأنه... قال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، ونحو ذلك من الكلام... وكأن بعض من لا خير فيه من الناصحة تقرب إلى بني أمية بهذه الكذبة فحرروا قول عائشة إلى غير وجهه لعلهم بانحرافهم عن علي... وقد جاء عن الزهري أن هشام بن عبد الملك كان يعتقد ذلك أيضاً ! فأخرج يعقوب بن شيبة في مسنده عن الحسن بن علي الحلواي عن الشافعي قال: حدثنا عمي قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أبي ، قال: كذبت! هو علي ! قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول). وفي: ٣٤٣/٨ (وهو عبد الله بن أبي ، وبه تظاهرت الروايات عن عائشة).

١٢ - واقترب على علي عليه السلام بأنه كان لا تأمن منه جاراته !

في لسان الميزان: ١٨٣/١: (قال الآجري: سألت أبا داود فذكر عن أحمد بن أبي سليمان يعني القواريري، عن إسماعيل بن عياش ، سمعت حريزاً يقول: كان علي لا يؤمن على جاراته! فقلت له في ذلك؟! فقال: ولم لا أقول هذا وقد سمعت الوليد بن عبد الملك يخطب على المنبر! وجعل أبو داود يذم أحمد بن أبي سليمان، وقال الخطيب كذبه ظاهر يغنى عن تعليل روايته)! (الآجري: ٢٥٠/٢).

١٣ - ومع نصبه كان يسأل عن آيات قتل الحسين عليه السلام!

قال في تاريخ دمشق: ٢٢٩/١٤: (أول ما عرف الزهري أنه تكلم (أي حدث) في مجلس

الوليد بن عبد الملك ، فقال الوليد: أتكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي؟ فقال الزهري... لم يقلب حجر إلا وتحته دم عبيط).

١٤- ورووا أن الوليد طاغية جبار بنص النبي عليه السلام!

روى الحكم في المستدرك: (عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: ولد لأخي أم سلمة غلام فسموه الوليد ، فذكر ذلك لرسول الله (ص) فقال: سميتموه بأسامي فراعتكم ! ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر على هذه الأمة من فرعون على قومه ! قال الزهري: إن استخلف الوليد بن يزيد فهو هو ، وإلا فالوليد بن عبد الملك . هذا حديث صحيح على شرط الشيفيين ولم يخرجاه). وفتن ابن حماد: ١٣٢/١ ، و١٩٦، بعده روايات ، والمنتظم: ٢٤١٧/١، وبعنه الباحث: ٥٢٥، والقول المسدد لابن حجر: ٢٣/٢، ونقل تصحيح الحكم ولم يضعنه.

أما بخاري فقد في صحيحه: ١١٨٧/١، باباً بعنوان: باب تسمية الوليد ، وروى فيه حديثاً عن أبي هريرة أن النبي عليه السلام فنت في صلاته ودعا لشخص إسمه قبل إسلامه الوليد ! فقال: (اللهم أنجِ الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربعة والمستضعفين بمكة من المؤمنين . اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهِم اجعلها عليهم سنين كستني يوسف). ومضر التي دعا عليها: قريش .

وقال في عمدة القاري: ٢٢١/٢٢، إن غرض بخاري أن يرد على من روی تحرير التسمية بالوليد أو كراحته ، وأن يضعف رواية الطبراني في ذلك ، ورواية ابن حنبل عن الزهري ، وهي رواية الحكم المقدمة .

أما ابن حجر فقد بحث سنته في فتح الباري: ٤٧٨/١٠، وخطأ ابن الجوزي في الحكم بوضعه ، وقال: (إإن كان سعيد بن المسيب تلقاه عن أم سلمة فهو على شرط الصحيح ، ويؤيد ذلك أن له شاهداً عن أم سلمة ، أخرجه إبراهيم الحربي

في غريب الحديث ، من رواية محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عمرو ، عن عطاء ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أمها قالت: دخل علي النبي (ص) وعندي غلام من آل المغيرة اسمه الوليد فقال: من هذا؟ قلت: الوليد ، قال: قد اتخذتم الوليد حناناً ! غيروا إسمه فإنه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد).

كما حاول ابن كثير في النهاية: ٢٧١/٦، تضييف الحديث ، كعادته في كل أحاديث ذم بنى أمية ! وقد ذكرنا تصحيحهم لأحاديث ذممهم الصحيحة في المجلد الثاني تحت عنوان: (حكم النبي ﷺ في أبي سفيان ومعاوية وبنى أمية).

١٥- أعلم والله تفضيله على الخليل إبراهيم عليه السلام

قال الطبرى: ٢٢٥/٥: (وفي هذه السنة ولی خالد بن عبد الله القسرى مكة فيما زعم الواقدى ، وذكر أن عمر بن صالح حدثه عن نافع مولى بنى مخزوم قال: سمعت خالد بن عبد الله يقول على منبر مكة وهو يخطب: أيها الناس أيهما أعظم أخليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ والله لم تلumo فضل الخليفة ! ألا إن إبراهيم خليل الرحمن استسقى الله فسقاه ملحاً أجاجاً ، واستسقاه الخليفة فسقاه عذباً فراتاً ! بثراً حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنتين ثنية طوى وثنية الحجرون ، فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من أدم إلى جنب زرم ليعرف فضله على زرم ! قال: ثم غارت البئر فذهبت فلا يدرى أين هي اليوم). وأخبار مكة: ٦٠٣، ونهاية الأربع: ٤٧٣، وأنساب الأشراف: ٢٢٣١، والمناقب والمثالب: ٣٤٨.

١٦- وزعم الوليد أن الخليفة لا تكتب عليه السيئات مهما فعل !

في فتح البارى: ١٠١/١٣: (دخل ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فسألته عن حديث: إن الله إذا استرعى عبداً الخلافة كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات ! فقال له: هذا كذب ، ثم تلا: يَا ذَوْدِ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ

إلى قوله: **بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**. فقال الوليد: إن الناس ليغروننا عن ديننا). وشرح النهج: ٦١/١٧ ، وفيض القدير: ٣٠١/٢ ، والعقد الفريد: ٣٢/١ ، وزاد فيه: (فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غيرنبي ! قال: إن الناس ليغروننا عن ديننا). وفي فيض القدير: ٤٩١/٥: (كلكم راع.. وكلكم مسؤول عن رعيته.. وفيه تكذيب لوضع أموي افترى خبر إذا استرعى عبداً للخلافة كتب له الحسنات لا السيئات (حم قدت عن ابن عمر). وجعله في تهذيب الرياسة للقلعي/٢٩٣ ، فضيلة للوليد: (قال: صدقت ، ثم نزل عن سريره ووضع خده في التراب وقال: يغروننا عن ديننا ! ثم أغري جلساًه بابن شهاب فقال: عن مثل هذا يؤخذ الدين) !

١٧ - تحرك بعد موته فتصوروا أنه يعذب ، فدفعوه وهو حي !

روى عبد الرزاق في المصنف: ٥٨٩/٣ ، قول عمر بن عبد العزيز: (كنت نزلت في قبر الوليد بن عبد الملك حين دلّوه في قبره، فلما أخذناه من سريره فوضعناه على أيدينا اضطرب في أكفانه ، فوضعناه في قبره ، فقال ابنته: أبي حيٌّ ، أبي حي . فقلت: إن أباك ليس بحي ولكنهم يلقون هذا في قبورهم) !

وفي تاريخ دمشق: ١٨٠/٦٣ ، أن عمر بن عبد العزيز قال ليزيد بن المهلب: (يا يزيد اتق الله إني حيث وضعت الوليد في لحده إذا هو يرتكض في أكفانه... إني كنت فيمين دلّي الوليد بن عبد الملك في حفرته ، فلما تناولناه من السرير وقع في أيدينا اضطرب في أكفانه ، فقال ابنته: أبي حي ! قال قلت: ويحك إن أباك ليس بحي ولكنهم يلقون ماتري). ونحوه في: ١٨١/٦٣ ، وسير الذهبي: ٥٠٣/٤.

وفي النهاية: ١٨٧/٩: (وجاء من غير وجه عن عمر أنه أخبره أنه لما وضعه يعني الوليد في لحده ، ارتكض في أكفانه ، وجمعت رجلاته إلى عنقه).

وفي حياة الحيوان للدميري: ١٠٦: (روي أن عمر بن عبد العزيز قال: لما أحدث الوليد ارتكض في أكفانه ، وغلّت يداه إلى عنقه ! نسأل الله العافية والسلامة).

معنى ذلك: أنه كان حيًّا ، لكنهم فسروا حركته بأنه يذهب فدفنه حيًّا !

كيف ترجموا لخلفيَّتهم الوليد بن عبد الملك؟

هذا الشخص الذي قرأت صفاته من مصادرهم ، وهي تصرح بأنه كان فاسقاً فاجراً ، وطاغيةً جباراً.. تعالَ كيف كتبوا تاريخه وقدموه إلى عوام المسلمين على أنه أحد خلفاء النبي ﷺ! بل تجرؤوا على الله تعالى فجعلوه خليفة الذي اختاره سبحانه ، وجعله أميناً على دينه وعباده وبلاده !

قال في تاريخ دمشق: (الوليد بن عبد الملك بن مروان... عن الزهرى قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر أن يقطع يد رجل ضرب آخر... فقطع عمر لذلك ، وكانت من ذنوبه التي كان يستغفر الله منها ! (أي كأن الوليد تقىً يستغفر الله ، لأنَّه أفرط في العقوبة وأمر بتأديب من ضرب بيده يقطع يده) !

أبو زرعة قال: ومن بنى أمية من يحدث الوليد بن عبد الملك... سمعت ابن سميع يقول: في الطبقة الثالثة الوليد بن عبد الملك بن مروان...(الوليد عندهم من الرواة الأتقياء) ! وغزا الوليد بن عبد الملك يعني سنة سبع وسبعين أرض الروم حتى بلغ أنقرة... سنة ثمان وسبعين فيها حج بالناس الوليد بن عبد الملك وهو ولبي عهده... قال نزل بنا بالمدينة فنزل في دار مروان بن الحكم فسأل: من بقى من أصحاب رسول الله؟ فوجد سهل بن سعد فأرسل إليه فأتى به فرحب به وأمر له بمائة دينار ، وسأل عن جابر بن عبد الله فأخبر أنه قد مات قبل قدومه بشهر أو نحوه.. (ن فهو مجاهد ، وجائع ، ومعتمر ، وبيارٌ بصحابته النبي ﷺ) !

عبد الله بن أبي مذعور: حدثني بعض أهل العلم قال: كان آخر ما تكلم به الوليد بن عبد الملك عند موته: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ! وكان نقش خاتمه يا وليد إنك ميت . (يعني أن مذعوراً روى عن مجھول: أن الوليد كان

تقىً يذكر الموت ، وأنه لقى ربه وهو يذكره !

سمعت إبراهيم بن أبي عبلة يقول: رحم الله الوليد وأين مثل الوليد ! افتح الهنـد والأندلس ! رحم الله الوليد وأين مثل الوليد: هدم كنيسة دمشق وبنى مدینة دمشق ! رحم الله الوليد وأين مثل الوليد: كان يعطيـني قصاع الفضة أقسامها على قراء مسجد بيت المقدس ! (قالـهمـ عندـ الرـاوـيـ أنـ الـحاـكـمـ وـسـعـ أـمـبـاطـورـيـهـ وـبـنـيـ مـدـيـتـهـ وـأـعـطـاهـ وـأـعـطـىـ القراءـ وـالـرواـةـ) !
هـلـكـ بـدـيرـ المـرـانـ (متـهـ يـزـيدـ) فـحـمـلـ عـلـىـ رـقـابـ الرـجـالـ إـلـىـ مـقـبـرـةـ بـابـ الصـغـيرـ فأـصـبـبـ فـيـ سـنـةـ سـتـ وـتـسـعـيـنـ... وـصـلـىـ عـلـىـ اـبـنـهـ عـبـدـ العـزـيزـ... ثـمـ بـوـيـعـ سـلـيـمانـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ) .

وفي سير أعلام الذهبي: ٣٤٧/٤: (الوليد الخليفة أبو العباس، الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي ، الذي أنشأ جامع بني أمية... أنشأ أيضاً مسجد رسول الله (ص) وزخرفه ، ورزق في دولته سعادة ففتح بوابة الأندلس ، وببلاد الترك... وغزا الروم مرات في دولة أبيه وحج . وقيل كان يختـمـ في كل ثلاث ، وختـمـ في رمضان سبع عشرة ختمـةـ . وكان يقول: لو لا أن الله ذكر قوم لوطنـ ما شـعـرـتـ أـنـ أحـدـاـ يـفـعـلـ ذـلـكـ) . (بريد الذهبي تبرئـتهـ منـ اللـواـطـ ، وهذا يدل على انتشارـهـ فـيـ الأـسـرـةـ الـحـاكـمـةـ ، كما صـرـحـواـ بـهـ فـيـ سـيـرـةـ اـبـنـ يـزـيدـ بنـ الـولـيدـ) !
وقال الطبرـيـ: ٢٦٥/٥: (كان الـولـيدـ بنـ عبدـ الـمـلـكـ عندـ أـهـلـ الشـأـمـ أـفـضـلـ خـلـافـهـ بـنـيـ المسـاجـدـ مـسـجـدـ دـمـشـقـ ، وـمـسـجـدـ الـمـدـيـنـةـ ، وـوـضـعـ الـمـنـارـ ، وـأـعـطـىـ النـاسـ ، وـأـعـطـىـ الـمـجـدـمـينـ وـقـالـ لـأـسـلـوـاـ النـاسـ) .

من هجـهمـ فـيـ تـلـمـيـعـ الـخـلـافـاءـ يـقـومـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ أـصـولـ !

يسهل أن تعرف انحطاط شخصيات خلفائهم مما رواهـ وـشـهـدـواـ بـهـ ، دون

حاجة الى مقارنتها بما رواه وشهدوا به في حق أئمة أهل البيت عليهم السلام والإمام زين العابدين عليه السلام وصفاتهم السامية في الفكر والشعور والسلوك .

لكن الحزب القرشي منذ قرر أن يتبدل عترة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه الذين اختارهم الله وظهرهم وأورثهم الكتاب، بأخررين ليس لهم مواصفاتهم ، وجد نفسه مضطراً الى أن يُغضّ النظر عن عيوب خلقائه ، وأن يلْمَعَهم ويعظّهم حسناً غيرهم ! ولا يتحقق ذلك إلا بتطبيق سياسة مشددة، صارت ثوابت في كل أنظمة الخلافة: فمن أصولها: ضرورة التغطية على كل عيوب الخلفاء بتفها أو تبريرها !

ومن أصولها: ضرورة نشر مناقبهم ومحاسنهم ، وتشجيع الرواة والناس على روایتها حتى على وضع الأحاديث والآثار عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه والصحابة فيها .

ومن أصولها: ضرورة محاربة كل نقد للخلفاء ، وردع المتقدين بالإنكار عليهم وتوبّعهم وعقوبهم ، والحكم عليهم بالكفر والخروج عن الدين !
وفي كل واحد من هذه الأصول مفردات عديدة ، دخلت في نسيج عمل الحكومات وسياساتها ، وفي ثقافة المذاهب ومصادرها وفهمها ، وفي حياة الناس وعاداتهم وولائهم! وقد تعرضنا في كتاب (كيف رد الشيعة غزو المغول) الى الأصل الثالث وهو سياسة الخلافة القرشية في إجبار المسلمين على ولادة أبي بكر وعمر .

وبهذه السياسة صار القتلة الخمارون خلفاء للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه!

عدد الخلفاء الى عصره ابن أبي شيبة في مصنفه الحديسي: ٥١٨، فقال: (ولي معاوية عشرين إلا شيئاً ، ومات سنة ستين من المهاجر . وولي يزيد بن معاوية ثلاثة سنين ونصف . وكانت فتنة ابن الزبير سبع سنين . وولي مروان بن الحكم نحواً من تسعه أشهر أو عشرة ، وولي عبد الملك بن مروان أربع

عشرة سنة ، والوليد تسعًا ، وسلiman وعمر بن عبد العزيز كل واحد منهما ستين ونصفاً . وولي هشام بن عبد الملك عشرين سنة إلا شهرًا . وولي الوليد بن يزيد نحوًا من ستين . وولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك ستة أشهر . وولي إبراهيم أربعين ليلة . وولي مروان بن محمد بن مروان خمس سنين (المعروف بمروان الحمار) وهو الذي أخذ الخلافة منه الولاية من بني هاشم . وولي أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أربع سنين ونصف . وولي أبو جعفر واسمه عبد الله بن محمد بن علي ثنتين وعشرين سنة . وولي المهدي عشر سنين . وولي موسى بن المهدي سنة وثلاثة أشهر . وولي هارون ثلاثة وعشرين سنة . وولي المأمون ثنتين وعشرين سنة إلا شهرًا) .

وبهذه السياسة صار القتلة الخَمَارُون أئمَّةً ربانيين !

روى الجميع عن النبي ﷺ أنه بشَّرَ الأمة باثني عشر إماماً ربانياً من بعده جعلهم الله تعالى في هذه الأمة . ومن رواياته في الطبراني الكبير: ٢١٣٢: (عن جابر بن سمرة عن النبي قال: يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً، لا يضرهم من خذلهم). وفي: ٥٦٢: (اثنا عشر قيماً من قريش، لا يضرهم عداوة من عادهم). وقد أخروا نص النبي ﷺ على أنهم من أهل بيته وعترته عليه السلام، ومن الواضح أنهم لا يتطبقون إلا عليهم ، لكن العزب القرشي رأى نفسه مجبوراً أن يرتب تطبيق الحديث على خلفائه مهما كانت شخصياتهم !

قال في عون المعبد: ٤٧١: (فالتتحقق في هذه المسألة أن يُعتبروا بمعاوية وعبد الملك وبني الأربع وعمر بن عبد العزيز ووليد بن يزيد بن عبد الملك ، بعد الخليفة الأربعة الراشدين... ويزيد بن معاوية ساقط من هذا البين لعدم

استقراره مدة يعتد بها ، وسوء سيرته والله أعلم). انتهى.

لقد ألبسو زعماء قبائل قريش جبة كبيرة عليهم ، وأعطوه مقاماً لم يدعوه
هم لأنفسهم ! وارتکبوا الكذب والتحريف ليطبقوا هذا الوعد الإلهي والبشرارة
النبوية بأنئمة ربانين اثني عشر عليها السلام ، على فساق وفجار وقتلة ! ومنهم الوليد بن
عبد الملك الذي عرفت شخصيته !

فاعجب للذين يتولون هذه الشخصيات الفاقدة لأدنى درجات القيم ،
ويغاللون فيها فيعذونها الأئمة الإثني عشر ربانين الذين بشر بهم النبي ﷺ
في حجة الوداع ! و يجعلون ولایة شخصياتهم جزءاً من الدين ، ويکفرون من
يتبرأ منها ويلعنها ! ثم يصررون على هذه الطامة حتى لا يصيروا شيئاً !

○ ○

وقد واجهتهم مشكلة أخرى ، هي الحديث النبوی الذي ينفي صفة الخلفاء
عن حكموا بعد ثلاثين سنة من وفاة النبي ﷺ ، ويصفهم بأنهم ملوك جبارية
 أصحاب ملك عضوض ! وقد رووه عن سفينة مولى النبي ﷺ ووثقوه .

قال الترمذی: (٣٤١٣: عن سعيد بن جمهان قال: حدثني سفينة قال: قال رسول
الله (ص): الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك عضوض . ثم قال
لي سفينة: أمسك عليك خلافة أبي بكر ، ثم قال: وخلافة عمر ، وخلافة عثمان
ثم قال: أمسك خلافة علي ، فوجدناها ثلاثين سنة . قال سعيد: فقلت له: إن
بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم؟ قال : كذب بنو الزرقاء ، بل هم ملوك من
شر الملوك). وأحمد: (٢٢٠:٥، ٧١٣:٧١، والحاکم: ٢٢١، صح يحده: ٣٥١٥: وهو من کبار أئمتهم: (عن سفينة عن النبي

ص) قال: **الخلافة ثلاثون سنة ، وسائرهم ملوك... يجوز أن يقال لهم خلفاء**
أيضاً على سبيل الإضطرار ، وإن كانوا ملوكاً على الحقيقة ، وأخر الإثني عشر

من الخلفاء كان عمر بن عبد العزيز ، وكان من الخلفاء الراشدين المهدىين...
وذاك أن المصطفى(ص) قبضه الله إلى جنته يوم الإثنين لشتنى عشرة ليلة خلت
من شهر ربيع الأول ، سنة عشرة من الهجرة..

١- واستخلف أبو بكر الصديق يوم الثلاثاء ثاني وفاته... وكانت خلافته
ستين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً .

٢- ثم استخلف عمر بن الخطاب يوم الثاني من موت أبي بكر الصديق ، ثم
قتل عمر وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال .

٣- ثم استخلف عثمان بن عفان رضوان الله عليه ، ثم قتل عثمان وكانت
خلافته اثنى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً .

٤- ثم استخلف علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وقتل وكانت خلافته
خمس سنين وثلاثة أشهر إلا أربعة عشر يوماً ..

٥- فلما قتل علي بن أبي طالب وذلك يوم السابع عشر من رمضان سنة
أربعين بايع أهل الكوفة الحسن بن علي ، وباييع أهل الشام معاوية بن أبي
سفیان بایلیاء ، ثم سار معاوية يريد الكوفة وسار إليه الحسن بن علي فالتقوا
بناحية الأنبار فاصطلحوا على كتاب بينهم بشرطه فيه ، وسلم الحسن الأمر إلى
معاوية .

٦- ثم ولـيَ يزيد بن معاوية ابنه يوم الخميس في اليوم الذي مات فيه أبوه...
وكانت ولـيـه ثلاثة سنين وثمانية أشهر إلا أياماً .

٧- ثم بـيـع ابنـه معاـويـة بنـ يـزيدـ يومـ النـصفـ منـ شـهـرـ رـبـيعـ الـأـولـ سنـةـ أـربعـ
وـسـتـيـنـ ، وـمـاتـ يـومـ الـخـامـسـ وـالـعـشـرـيـنـ منـ شـهـرـ رـبـيعـ الـآـخـرـ سنـةـ أـربعـ وـسـتـيـنـ ،
وـكـانـ إـمـارـتـهـ أـرـبعـيـنـ لـيـلةـ ، وـمـاتـ وـهـوـ بـنـ إـحـدـيـ وـعـشـرـيـنـ سنـةـ .

- ٨- ثم بايع أهل الشام مروان بن الحكم ، وبایع أهل الحجاز عبد الله بن الزبير فاستوى الأمر لمروان يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين ، ومات مروان بن الحكم في شهر رمضان بدمشق سنة خمس وستين ، وله ثلاث وستون سنة ، وكانت إمارته عشرة أشهر إلا ليال .
- ٩- ثم بايع أهل الشام عبد الملك بن مروان في اليوم الذي مات فيه أبوه ، ومات عبد الملك بدمشق في شوال سنة ست وثمانين وله اثنان وستون سنة .
- ١٠- ثم بايع أهل الشام الوليد ابنه يوم توفي عبد الملك ، ثم توفي الوليد بدمشق في النصف من جمادي الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان له يوم مات ثمان وأربعون سنة ، وكانت إمارته تسع سنين وثمانية أشهر .
- ١١- ثم بويع سليمان بن عبد الملك أخوه لأمه وأبيه ، وتوفي سليمان يوم الجمعة لعاشر ليال بقين من صفر بباقي سنة تسع وتسعين ، وله خمس وأربعون سنة ، وكانت إمارته ستين وثمانية أشهر وخمس ليال .
- ١٢- ثم بايع الناس عمر بن عبد العزيز في اليوم الذي مات فيه سليمان رحمة الله بدبر سمعان من أرض حمص ، يوم الجمعة لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومية ، وله يوم مات إحدى وأربعون سنة ، وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر وخمس ليال ، وهو آخر الخلفاء الإثنى عشر الذين خطأب النبي (ص) أمنه بهم). انتهى .

ونكتفي هنا بالإلقاء إلى أنهم كذبوا في الحديث النبوى: (الخلفاء بعدى اثنا عشر) فزادوا كلمة (الملوك)! كما حذف ابن حبان خاتمهم الإمام المهدى عليه السلام مع أنه متفق عليه .

الفصل الحادي عشر:

الإمام علثيم والطامعون في أوقاف النبي ﷺ المستقوون بالسلطة

سبب معاداة المعادين للأئمة عليهما السلام: الحسد والطمع

لماذا يعادى أحد الإمام زين العابدين عليهما مثلاً ، وهو لا يؤذى نملة ، ويخدم القريب والبعيد ، حتى من يبغضه ويعاديه ؟

الجواب: أن السبب الأول: هو الحسد ، فالإمام يعتقد ويشيّع أنه إمام من الله تعالى بنص جده المصطفى عليهما السلام ، وبحكم ما أعطاه الله من علم ومعجزات ، وأنه أحد منظومة الإمامة الربانية بعد النبي عليهما السلام . ومن الطبيعي أن يحسده الناس ويغتصبون على الله تعالى لماذا أعطاه الإمامة دونهم ، كما حسدوه جده المصطفى عليهما السلام لماذا هونبي دونهم ، فقال أبو جهل المخزومي: (لانترضى أن يكوننبي منبني هاشم ولا يكونمنبني مخزوم!). (الدر المستور: ١٨٧/٤).

قال في المستطرف: (لما خلق الله آدم عليهما السلام عجب بطريقته ثلاثة أشياء: الحرص والطمع والحسد ، فهي تجري في أولاده إلى يوم القيمة ! فالعالق يخفّيها والجاهل يبديها . ومعنىه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه).

وفي الإمامة والتبرّة: ٤٠، عن الإمام الباقر عليهما السلام قال: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .. قال: فتحن المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلقه جميعاً . فَقَدْ أَتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يُفْرُّونَ به في آل إبراهيم، وينكرونه في آل محمد عليهما السلام)!؟

وفي الكافي: ٢٠٢/١ ، من حديث بلغ يصف فيه الإمام الرضا عليهما السلام الإمام الرباني ثم يقول: (وإن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمور عباده ، شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه بنايس الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً فلم يعيَ بعده بجواب ، ولا

يَحِيرُ فِيهِ عَنِ الصَّوْبِ ، فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤْيَدٌ مُوفَقٌ مُسْدَدٌ ، قَدْ أَمِنَ مِنَ الْخَطَايَا
وَالْزَّلْلِ وَالْعَثَارِ ، يَخْصِهِ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ حِجْتَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ ،
وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . فَهُلْ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِ
هَذَا فِي خَيْرَاتِهِنَّ ، أَوْ يَكُونُ مُخْتَارَهُمْ بِهَذِهِ الصَّفَةِ فَيَقْدِمُونَ ! تَعَدُّوا وَبَيِّنُوا اللَّهُ الْحَقُّ
وَبَنِذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) . انتهى .

وَيَنْبَغِي لِكُلِّ باحثٍ فِي السِّيرَةِ النَّبُوَّيَّةِ وَالتَّارِيخِ ، أَنْ يَضْعُ نَصْبَ عِينِهِ هَذَا
الْأَسَاسُ الْعَيْقَنِيُّ فِي صِرَاعِ قَبَائِلِ قَرِيشٍ الْمُتَحَالِفَةِ ضَدَّ بَنِي هَاشِمٍ ، وَيَتَبَعُهُ إِلَيْهَا
فِي دِرَاستِهِ لِسِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَكُلُّ أَحَدَادِ دُعُوتِهِ وَصِرَاعِهِ مَعَ الْحَزْبِ الْقَرْشِيِّ ،
ثُمَّ فِي هَزِيمَةِ الْحَزْبِ الْقَرْشِيِّ فِي فَتْحِ مَكَّةِ وَاضْطِرَارِهِ لِخَلْعِ سَلَاحِهِ ، وَمُواصِلَتِهِ
الْعَمَلُ ضَدَّ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ إِقصَاءِ عَتْرَتِهِ وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى خَلَافَةِ
النَّبِيِّ ﷺ وَدُولَتِهِ الَّتِي أَسَسَهَا رَغْمًا عَنْهُمْ !

وَالسَّبِبُ الثَّانِي هُوَ الطَّمَعُ ، فَإِنَّ الْإِمَامَ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِمَا مُصَلَّاً ، كَانَ بِيَدِهِ
صِدَقاتُ جَدِّهِ ﷺ ، أَيْ أُوقَافَهُ التَّيْ وَقَفَهَا لِذَرِيَّتِهِ الْطَّاهِرَةِ بَيْنَهُ ، وَصِدَقاتُ فَاطِمَةَ
وَعَلِيِّ وَالْحُسَينِ بَيْنَهُ ، وَهِيَ بَسَاتِينٍ عَدِيدَةٍ ذَاتَ وَارِدَاتٍ مَهْمَةٍ ، كَانَ الْإِمَامُ عَلَيْهِمَا
يَسْنَدُ حَاصِلَهَا حَسْبَ وَقْفِيَّتِهَا الشَّرِعِيَّةِ ، وَلِهِ الْحَقُّ أَنْ يَصْرُفَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ ،
وَطَبِيعِي أَنْ يَطْمَعَ فِيهَا طَامِعُونَ مِنْ أَقْارِبِ الْإِمَامِ عَلَيْهِمَا .
وَنَلْقَى هَنَا أَصْنَوَاءَ عَلَى مَالِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْأُنْثَمَةِ بَيْنَهُ ، الْوَارِدَاتُ وَالنَّفَقَاتُ ، وَهُوَ
مُوْضُوْعٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ مَالِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَيْنَهُ يَسْتَحِقُ دراسةً مُسْتَقْلَةً .

الْأَرْضُ كُلُّهَا لِلنَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ

الأصلُ الْحَقْوَقِيُّ لِمُلْكَيَّةِ النَّبِيِّ وَآلِهِ ﷺ لِلْأَرْضِ ، أَنْ خَالَقُهَا وَمَالِكُهَا اللَّهُ تَعَالَى

قد ملّكها لنبيه وأله عليه السلام ، ففي الكافي: ٤٠٧١، و٥/٢٧٩، بسنده صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيٍّ عليه السلام أَيُّ الَّذِي أَمْلأَهُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِئُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي أُورِثْنَا اللَّهُ الْأَرْضَ ، وَنَحْنُ الْمُتَقْوُنُونَ ، وَالْأَرْضَ كُلُّهَا لَنَا ، فَمَنْ أَحْيَا أَرْضاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَيُعْمَرْهَا وَلَيُؤْدَى خَرَاجُهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِيِّ وَلَهُ مَا أَكْلَ مِنْهَا ، فَإِنْ تَرَكَهَا أَوْ أَخْرَبَهَا وَأَخْذَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ فَعُمِرَهَا وَأَحْيَاهَا ، فَهُوَ أَحْقَ بِهَا مِنَ الْذِي تَرَكَهَا ، يُؤْدِي خَرَاجُهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِيِّ ، وَلَهُ مَا أَكْلَ مِنْهَا ، حَتَّى يَظْهُرَ الْقَاتِمُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِيِّ بِالسِّيفِ ، فَيُحْوِيْهَا وَيُمْنِعُهَا وَيُخْرِجُهُمْ مِنْهَا ، كَمَا حَوَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْعَهَا . إِلَّا مَا كَانَ فِي أَيْدِي شَيْعَتِنَا فَإِنَّهُ يَقْطَعُهُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيَرْتَكُ الْأَرْضَ فِي أَيْدِيهِمْ).

وفي رواية أخرى: (الدنيا وما فيها الله تبارك وتعالى ، ولرسوله ﷺ ، ولسنا ، فمن غالب على شئ منها فليتمن الله ولبيد حق الله تبارك وتعالى ، ولبيبر إخوانه ، فإن لم يفعل ذلك ، فالله ورسوله ﷺ ونحن برأه منه) . انتهى .
أقول: ملكية النبي ﷺ وعترته الطاهرين علیهم السلام للأرض ، لاتنفي الملكية الشرعية للناس ، فلا مانع أن تتعدد الملكية بنحو طولي أو بنحو حقوقي آخر ، ومن ذلك ما ورد من أن خمس الأرض ملك للزهاء علیهم السلام ، ففي روضة الوعظين ١٤٦: (روي أنه جهز رسول الله ﷺ فاطمة بنت أبيه في حجل وقربة ووسادة حشوها إذخر ! وقيل لرسول الله ﷺ: قد علمتنا مهر فاطمة في الأرض فما مهرها في السماء فقال: سل ما يعنيك ودع مالا يعنيك ! قيل: هذا مما يعنيها يا رسول الله . قال: كان مهرها في السماء خمس الأرض ، فمن مشى عليها مبغضاً لها أو لولدها مشى عليها حراماً ، إلى أن تقوم الساعة...).

دخلت أم أيمن على النبي ﷺ وفي ملحقتها شيء، فقال لها رسول الله ﷺ: ما معك يا أم أيمن؟ فقلت: إن فلانة أملكتها فشرعوا عليها فأخذت من نثارها ، ثم بكت أم أيمن وقالت: يا رسول الله فاطمة زوجتها ولم تنشر عليها شيئاً ! فقال رسول الله ﷺ: يا أم أيمن لم تكذبي ، فإن الله تعالى لما زوج فاطمة علياً أمر أشجار الجنة أن تنشر عليهم من حليها وحللها وياقوتها ودرها وزمردها وإستبرقها ، فأخذوا منها ما لا يعلمون ، وقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة يجعلها في منزل علي). ودلائل الإمامة ٩١ ، والمناقب: ٢٢٣ ، والخمس للشيخ الأنصاري ٣٤٢.

صدقات النبي ﷺ

يسعدو أن النبي ﷺ اشتري مكان مسجده وبيته في المدينة وبناهما مما بقي عنده من أموال خديجة بنت خاتمة ، وقد يكون الأنصار أهدوا له مبالغ .

ثم جاء تشريع الأطفال والخمس الذي جعله الله ملكاً للنبي وعترته ﷺ حيث نزلت سورة الأطفال بعد معركة بدر ، ومطلعها: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقْوَا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَيْنِكُمْ وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُتُمْ مُؤْمِنِينَ... وروى الجميع أن النبي ﷺ عينَ أميناً للأخماس الخاصة به وبيني هاشم ، ففي صحيح مسلم: ١١٩٣، وكثير من مصادرهم ، أن شابين منبني عبد المطلب جاءا إلى النبي ﷺ ليؤلّيما جمع الصدقات فيكون لهما سهم منها ، فقال: (إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس ، وإنها لا تحل لمحمد ولا آل محمد ! ثم قال: أدعوا لي محميّة بن جزء ، وهو رجل منبني أسد كان رسول الله (ص) استعمله على الأخماس...) . فأمره بتزويع الشابين الهاشميّين من الأخماس .

أحد كبار أغنياء اليهود يوصي بشروته للنبي ﷺ

بعد تشرع الخمس أضيف الى مالية النبي عليهما السلام أموالاً أحد كبار أغبياء اليهود وهو مُخْيِّرِيق رئيس بني النضير عليهما السلام ، فقد أسلم ودعا قومه الى الإسلام فأبوا وقاتل مع النبي عليهما السلام واستشهد في أحد عليهما السلام ، وأوصى بكل أمواله الى النبي عليهما السلام يضعها حيث أمره ربه ، وقد أمره ربه سبحانه أن يجعلها ملكاً شخصياً له لتفقاته وإنفاقاته ، ثم يوقفها على ذريته الطاهرة عليهما السلام من بعده .

قال الطبرى: (وكان من قتل يوم أحد مخيريق اليهودي، وكان أحد بنى ثعلبة بن ألططيون ، لما كان ذلك اليوم قال: يا معشر اليهود ، والله لقد علمت أن نصر محمد عليكم لحق ! قالوا: إن اليوم يوم السبت ، فقال: لا سبت ! فأخذ سيفه وعدته وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله (ص) فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله (ص) فيما بلغنى: مخيريق خير يهود). والطبقات: ٥١١.

وفي فتح البارى: (عن الزهرى قال: كانت صدقة النبي (ص) بالمدينة أموالاً لمخيريق بالمعجمة والقاف مصغر، وكان يهودياً من بقایا بنى قينقاع نازلاً ببني النضير، فشهاد أحداً فقتل به فقال النبي: مخيريق سابق يهود . وأوصى مخيريق بأمواله للنبي ... إن أصبت فأموالي لمحمد ، يضعها حيث أراه الله) .

وفي المجموع: (قال الشافعى: إن هذا الوقف المعروف حقيقة شرعية لم تعرفه الجاهلية ، وقيل إن أول وقف ما وقفه رسول الله (ص) من أموال مخيريق التي أوصى بها له في السنة الثالثة) .

وأورد في: ٣٣١/١٥ ، فقرة من نص وفية النبي عليهما السلام: (أن يأكل منها أهله بالمعروف) . والمعنى: ١٩٣٦ . وفي الكافي: ٤٧/٧ ، تحت عنوان: صدقات النبي عليهما السلام وفاطمة والأئمة عليهما السلام ووصاياتهم ، عن أحمد بن محمد قال: (سألته (الإمام

الكافر عليه عن الحيطان السبعة التي كانت ميراث رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لفاطمة عليها فقل: لا ، إنما كانت وقفاً ، وكان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يأخذ إليها منها ما ينفق على أضيافه والتابعة يلزمها فيها ، فلما قبض جاء العباس يخاصم فاطمة فيها ، فشهد على وغيره أنها وقف على فاطمة ، وهي الدلال ، والعواف ، والحسنى ، والصفافية ، وممال أم إبراهيم ، والمبيث ، والبرقة... وروى عن أبي بصير: (قال أبو جعفر عليه: ألا أقرؤك وصية فاطمة عليها? قال: قلت بلى ، قال: فاختر حَقَّاً أو سَفَطًا فأخرج منه كتاباً فقرأه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا أَوْصَتْ بِهِ فاطمة بنت محمد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أَوْصَتْ بِهِ حَوَانِطُهَا السَّبْعَةِ: الْعَوَافُ ، وَالدَّلَالُ ، وَالبَرْقَةُ ، وَالْمَبِيثُ ، وَالْحَسْنَى ، وَالصَّافِيفَةُ ، وَمَا لَأْمَ إِبْرَاهِيمَ ، إِلَى عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه ، فَإِنْ مَضَى عَلَيْهِ فَإِلَى الْحَسْنَى ، فَإِنْ مَضَى الْحَسْنَى فَإِلَى الْحُسَينِ ، فَإِنْ مَضَى الْحُسَينَ فَإِلَى الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدِي . شَهَدَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَالْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالْزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ . وَكَتَبَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ... وروى عن الإمام الصادق عليه: (سألناه عن صدقة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وصدقة فاطمة عليها قال: صدقتهما لبني هاشم وبني المطلب).

أراضي بنى النضير خالصة لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه

ثم أضاف الله تعالى إلى ملكية رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه نوعاً من الفئ في قوله تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكُنَّ اللَّهُ يُسْلِطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ . قال في سبل السلام: (من طريق ابن شهاب: كانت رسول الله (ص) ثلث صفایا: بنو النضير، وخیر، وفڈک . فاما بنو النضير فكانت حبساً لنوابه ، وأما فڈک فكانت حبساً لأبناء السبيل ، وأما خیر فجزأها بين

ال المسلمين ثم قسم جزءاً لنفقة أهله ، وما فضل منه جعله في فقراء المهاجرين). وفي فتح الباري: (وكانت نخل بني النضير لرسول الله (ص) خاصة ، أعطاها إياه فقال: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ . الآية ، قال: فأعطي أكثرها للمهاجرين وبقي منها صدقة رسول الله التي في أيدي بني فاطمة) . وأحمد: (١٢٣٢)، وعامة مصادرهم ، ٨/٨.

وفي صحيح بخاري: (عن عمر أن النبي (ص) كان يبيع نخل بني النضير (أي حاصله) ويحبس لأهله قوت سنتهم). والمحلى: (٩١١٠)، وغيره . ونخل بني النضير غير بساتين مخربق رئيسهم ، فهو كل بساتين بني النضير بعد إجلائهم .

كذبوا على رسول الله ﷺ بأنه حرق نخل بني النضير وقطعه !

تقرأ في صحاحهم أن نخل يهود بني النضير كان ملكاً خاصاً للنبي ﷺ ، لأنه لم يوجد عليه بخيل ولا ركاب ، ورأيت روايتهم كيف كان ﷺ يوزع غلتها . ثم تقرأ روايتهم أن النبي ﷺ أحرق نخل بني النضير وقطعه !

قال بخاري في صحيحه: (عن عبد الله عن النبي (ص) أنه حرق نخل بني النضير وقطعه ، وهي البؤيرة). و: (٦٧٣)، (٢٣/٤)، (٢٢٢/٢)، وسنن الدارمي: (٦٧٣)، و فيه (باب في تحرير النبي (ص) نخل بني النضير). الشافعي: (٣٢٠)، ومسند الدارمي: (١٤٥٥)، و مسلم: (١٩٠)، و: (٢٨/٦)، (٢٣/٤)، (٦٧٣)، و فيه (باب في تحرير النبي (ص) نخل بني النضير).

وخلاصة المسألة: أن النبي ﷺ حاصر بني النضير لنقضهم العهد ، وكان قرب مقره نخلات فقطع بعض المسلمين واحدة منها فنهاه النبي ﷺ، فرغم الكذابون أن النبي ﷺ أمر بذلك وضخموه وطبقوه على الآية ، ليثبتوا بذلك أن أبا بكر كان أرحم من النبي ﷺ حيث نهى عن قطع الأشجار !

قال في التسهيل لعلوم التنزيل: (١٠٧٤): (وأختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم فأجازه الجمهور لهذه الآية ، ولإقرار رسول الله

(ص) على تحرير نخل بنى النضير . وكره قوم لوصية أبي بكر الصديق الجيش الذي وجهه إلى الشام أن لا يقطعوا شجراً مشمراً !

وقد كذب هذه التهم أهل البيت عليهم السلام ، وعقد الكليني نافع في الكافي: ٢٧٥٠ ، باباً للموضوع روى فيه تسعه أحاديث في وصايا النبي صلوات الله عليه ولسرايا ، منها حديث حسنة أو صححه علماؤنا، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كان رسول الله صلوات الله عليه عليه السلام إذا أراد أن يبعث سرية ، دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله وبأبه وفسي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ، لا تغلو ، ولا تُمثّلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيئاً ولا صبياً ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها ، وأئمّا رجال من أدنى المسلمين أو أفضّلهم ، نظر إلى رجل من المشركين فهو جازٌ حتى يسمع كلام الله ، فإن تعكم فأخوكم في الدين ، وإن أبي فابلغوه مأمنه ، واستعينوا بالله عليه). انتهى.

ولكن المخالفين كتموا هذه الأحاديث لرسول الله صلوات الله عليه عليه السلام ونسبوها إلى أبي بكر كما ترى في مدونة مالك: ٧٢، أن أبي بكر بعث جيشاً إلى الشام ، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان ، وقال له..إلغ). وفي المسألة عدة فروع ، راجع: الصحيح من السيرة: ١٦٨، وما بعدها ، وتفسير القرطبي: ٥١٨، ولباب النقول: ١٩١، وأضواء البيان: ٢٨٨، والأنساب: ٥٠٢٥، ومعجم البلدان: ٥١٢١، و: ٩٠٥٥، وفتح البلاد: ٤١، وابن هشام: ٧٤٥، وفتح الباري: ٣٥٧، و: ٤٤١٩، وعمدة القاري: ١٦٢/١٢، وأنساب النزول: ٢٨٠، وأحكام القرآن: ٢١٠/٤، والتهليل: ١٠٧/٤.

أقول: أصل المسألة أنهم كذبوا على رسول الله صلوات الله عليه عليه السلام بأنه حرق نخل بنى النضير أو أقرَّ بحرقه ! وغضبهم من ذلك مدح أبي بكر وعمر ، وتغطية ما ارتكبه أبو بكر من حرق الفجاءة السلمي ، أو ما ارتكبه بعض قادة الفتوحات كيزيد بن أبي سفيان في فتح الشام !

وقد يكون غرضهم محاولة تضليل نخل بنى النضير الموقف على عترة

النبي ﷺ الذي صادرته السلطة منهم ؟! فقد أقرّوا أن السلطة صادرته ، وكذا سهم النبي ﷺ في خير، وكذا فدك التي كانت من حياة النبي ﷺ في يد فاطمة بنت أبي واحتج أبو بكر بأنه ولـي النبي ﷺ وهو ينفق على ذريته ! وما يؤيد أن غرضهم مدح أبي بكر ، حديثهم الصحيح عندهم الذي نسب القسوة الى النبي ﷺ والرحمة والإنسانية الى أبي بكر وعمر !

قالت عائشة كما رواه أحمـد: ١٤١٦، في قصة موت سعد بن معاذ (فحضره رسول الله وأبو بكر وعمر ، قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله عز وجل رحماء بيـنـهـمـ ! قال علـقـمـةـ: قـلـتـ أـيـ أـمـةـ ، فـكـيـفـ كـانـ رـسـوـلـ اللهـ يـصـنـعـ؟ قـالـتـ: كـانـ عـيـنـهـ لـاـ تـدـمـعـ عـلـىـ أـحـدـ ! وـلـكـنـهـ كـانـ إـذـاـ وـجـدـ فـإـنـماـ هـوـ آـخـذـ بـلـحـيـتـهـ) !!

وصححه مجمع الزوائد: ١٣٧٦. وراجع ألف سؤال وإشكال: ٤٣٥/٢.

أراضي فدك خالصة لرسول الله ﷺ

في سنن أبي داود: ٣٧٢، عن الزهرـيـ: (بـقـيـةـ مـنـ أـهـلـ خـيـرـ تـحـصـنـواـ ، فـسـأـلـواـ رـسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ أـنـ يـعـقـنـ دـمـاءـهـ وـيـسـيرـهـ ، فـفـعـلـ ، فـسـمـعـ بـذـلـكـ أـهـلـ فـدـكـ فـنـزـلـواـ عـلـىـ مـثـلـ ذـلـكـ ، فـكـانـ لـرـسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ خـاصـةـ ، لـأـنـ لـمـ يـوـجـفـ عـلـيـهـ بـخـيـلـ وـلـاـ رـكـابـ).

وفي موطـاـ مـالـكـ: ٨٩٣/٢: (أـمـاـ يـهـوـدـ فـدـكـ ، فـكـانـ لـهـ نـصـفـ الشـمـ ، وـنـصـفـ الـأـرـضـ ، لـأـنـ رـسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ كـانـ صـالـحـهـ عـلـىـ نـصـفـ الشـمـ وـنـصـفـ الـأـرـضـ). وفي مبسوط السـرـخـسـ: ٢٥٩/٣٠: (وـقـدـ كـانـ لـهـ (صـ)ـ فـدـكـ وـسـهـمـ بـخـيـرـ ، فـكـانـ ثـوـتـهـ فـيـ آخرـ العـمـرـ مـنـ ذـلـكـ . وـعـمـرـ كـانـ لـهـ أـرـضـ بـخـيـرـ يـدـعـىـ ثـمـغـ ، وـقـدـ كـانـ

لابن مسعود والحسن بن علي وأبي هريرة مزارع بالسوداد ، يزرعونها ويؤدون خراجها ، وكان لابن عباس أيضاً مزارع بالسوداد وغيرها) .

وفي بدائع الصنائع: ١١٦٧، عن عمر قال: (كانت أموالبني التضيير مما أفاء الله عز وجل على رسوله (ص) وكانت خالصة له ، وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، وما بقي جعله في الكراع والسلاح ، ولهذا كانت فدك خالصة لرسول الله (ص) إذا كانت لم يوجب عليها الصحابة من خيل ولا ركاب) .

وفي صحيح بخاري: ٢٥٥، و٣٨: (عن عائشة أن فاطمة بنت النبي والعباس أتيا أبو بكر يتلمسان ميراثهما أرضه من فدك ، وسهمه من خير ، فقال أبو بكر: سمعت النبي (ص) يقول: لا نورث ما تركنا صدقة). وأحمد: ١٠١، وغيره .

وروى الطبرى الشيعي في المسترشد: ٥٠٢: (عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: وَاتَّذَّارِي حَقَّهُ ، قال: يا فاطمة للك فدك . فهذه رواياتهم ، ثم يجرون إلى العناد والى منع ابنة رسول الله حقها ، تعصباً على رسول الله ﷺ وذريته ! ولم يمر لقد كان عمر بن عبد العزيز أعرف بحقها حين رد إلى محمد بن علي عليه السلام فقيل له: طعنتم على الشيفين ! فقال: هما طعنا على أنفسهما) .

وفي الشافى في الإمامة: ١٠١٤: (فأما إنكاره (القاضى عبد الجبار) أن يكون عمر بن عبد العزيز رد فدك على وجه النحل ، ثم ادعاؤه أنه فعل في ذلك مثل ما فعله عمر بن الخطاب من إقرارها في يد أمير المؤمنين عليه السلام ليصرف غلاتها في جهاتها ، فأقول ما فيه أنا لا نحتاج عليه بفعل عمر بن عبد العزيز على أي وجه وقع ، لأن فعله ليس بحججة ، ولو أردنا الإحتجاج بهذا الجنس من الحجاج لذكرنا فعل المأمون ، فإنه رد فدك بعد أن جلس مجلساً مشهوراً حكم فيه بين

خصمين نصبهما أحدهما لفاطمة^{بنت النبي} والأخر لأبي بكر ! وردها بعد قيام الحجة ووضوح الأمر . ومع ذلك فإنه أنكر من فعل عمر بن عبد العزيز ما هو معروف مشهور بلا خلاف بين أهل التقليل فيه . وقد روى محمد بن زكريا الغلاibi عن شيوخه عن أبي المقدام هشام بن زياد مولى آل عثمان قال: لما ولد عمر بن عبد العزيز فرد^أ فدك على ولد فاطمة ، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمر بن حزم يأمره بذلك، فكتب إليه إن فاطمة قد ولدت في آل عثمان وأآل فلان وأآل فلان ! فكتب إليه: أما بعد فإني لو كنت كتبت إليك أمرك أن تذبح شاة لسألتني جماء أو قرناء ! أو كتبت إليك أن تذبح بقرة لسألتني ما لونها ! فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها بين ولد فاطمة من علي ، والسلام . قال أبو المقدام: فنقمت ببني أمية ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه ، وقالوا له: هجنت فعل الشيفين ! وخرج إليه عمرو بن عبس في جماعة من أهل الكوفة ، فلما عاتبوه على فعله قال: إنكم جهلتكم وعلمت ونسيتم وذكرت ! إن أبياً بكر محمد بن عمرو بن حزم حدثني عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله قال: فاطمة بضعة مني يسخطني ما يسخطها ويرضياني ما يرضيها ! وإن فدك كانت صافية على عهد أبي بكر وعمر ، ثم صار أمرها إلى مروان فوهبها لأبي عبد العزيز ، فورثتها أنا وإخواني ، فسألتهم أن بيعونني حصتهم منها فعنهم من باعني ومنهم من وهب لي ، حتى استجمعتها ، فرأيت أن أردها على ولد فاطمة فقالوا: إن أبيت إلا هذا فأمسك الأصل واقسم الغلة ، ففعل) . وشرح النهج: ٢٧٨/١٦ .

○ ○

هذه صورة عن موارد^{عليه السلام} ، أما نفقاته ومصارفه ، فقد كان يباري الريع سخاءً وعطاءً . كما وصفه عمه العباس ، فكان يعطي ما تيسر له من قليل أو كثير للقريب والبعيد ، وقد قسم غنائم هوازن الطائلة وفيها ألف الجمال

وقطعان المواشي ، فأعطى أكثرها للمؤلفة قلوبهم من زعماء قبائل قريش ، الذين أطلقهم بالأمس ، حتى اعترض الأنصار ، واعترض عليه الطامعون النهبون حتى بعد تقسم الغنائم ، وأحاطوا به وأخذ بعضهم رداءه عليه الله !

قال في الأحكام السلطانية/٥١: (وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن الناس اتبعوا رسول الله (ص) عام حنين يقولون إقسم علينا شيئاً ، حتى الجؤوه إلى شجرة فاختطف عنه رداءه ! فقال: ردوا عليَّ ردائِي أيها الناس ، والله لو كان لكم عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ، وما أفيتمني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً ، ثم أخذ وبرة من سنام بعيره فرفعها وقال: يا أيها الناس ، والله مالي من فيئكم ولا هذه الوربة ، إلا الخمس والخمس مردود فيكم). انتهى.

ثم كذبوا على الشجرة وقالوا إنها خطفت رداء النبي عليه الله ليستروا على أصحابهم الصحابي الذي سرقه ! فروى البيهقي في سننه: ١٠٢٩، نفس الحديث ونصه: (أن النبي (ص) لما قفل من غزوة حنين رهق الناس يسألونه ، فحاصت به الناقة فخطفت رداءه شجرة ! فقال: ردوا عليَّ ردائِي ! تخشون عليَّ البخل ، والله لو أفاء الله عليكم نعماً مثل سَمَرْ تهامة (نوع من الشجر البري) القسمتها بينكم ، ثم لا تجدونني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً ، ثم أخذ وبرة من سنام البعير فرفعها وقال: ما لي مما أفاء الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم). انتهى. ومعنى قوله عليه الله إن الخمس مردود عليهم ، أن هذه المالية التي جعلها الله تعالى له ولله لا ينفقون منها على أنفسهم إلا أقل القليل ، بل ينفقونها فيما ينبغي من الأعمال والمسلمين المحتاجين .

ومع موارده الواسعة عاش النبي عليه الله فقيراً !

في الكافي: ١٣٤٢، عن الإمام الصادق عليه الله قال: (قال رسول الله عليه الله: ما لي

وللدنيا ! إنما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف ، فقال
(من القبلولة) تحتها ، ثم راح وتركها .

وفي الكافي: ٢٩٥/٣، عن الإمام الصادق ع قال: (إن رسول الله ﷺ بني مسجده
بالسميط ، ثم إن المسلمين كثروا فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد
فيه؟ فقال: نعم ، فأمر به فزيد فيه وبناء بالسعيدة ، ثم إن المسلمين كثروا فقالوا:
يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد فيه ؟ فقال: نعم فأمر به فزيد فيه وبني
جداره بالأثنى والذكر . ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يا رسول الله لو أمرت
بالمسجد فظلل ؟ فقال: نعم ، فأمر به فأقيمت فيه سواري من جذوع النخل ، ثم
طرحت عليه العوارض والخصف والإذخر ، فعاشوا فيه حتى أصابتهم الأمطار
فجعل المسجد يكفي عليهم (ينزل منه ماء المطر) فقالوا: يا رسول الله لو أمرت
بالمسجد فطئن ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: لا ، عريش كعريش موسى عليه السلام ، فلم يزل
فذلك حتى قبض رسول الله ﷺ . وكان جداره قبل أن يظلل قامة ، فكان إذا
كان النبي ذراعاً وهو قدر مربض عزز صلي الظهر ، وإذا كان ضعف ذلك
صلي العصر . وقال: السميط: لبنة لبنة ، والسعيدة: لبنة ونصف ، والذكر
والأثنى: لبستان مخالفتان) . وتهذيب الأحكام: ٦٦١/٣.

ومع موارده الواسعة تُوفى النبي ﷺ مدینوناً !

في الكافي: ٢٣٣/١، عن الإمام الصادق ع قال: (لما حضرت رسول الله ﷺ
الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين ع فقال للعباس: يا عم
محمد تأخذ تراث محمد وتتضىء دينه وتنجز عداته ؟ فرد عليه فقال: يا رسول
الله بأبي أنت وأمي ، إني شيخ كثير العيال قليل المال ، من يطيقك وأنت تباري
الريع ؟! قال: فأطرق على هيئة ، ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث محمد وتنجز

عداته وتقضي دينه؟ فقال: بأبي أنت وأمي شيخ كثير العيال قليل المال ، وأنت تباري الريح ! قال: أما إني سأعطيها من يأخذها بحقها ! ثم قال: يا علي يا أخي محمد أتتجز عدات محمد وتقضي دينه وتبغض تراثه؟ فقال: نعم بأبي أنت وأمي . قال: ذاك علي ولي، قال فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من أصبعه فقال: تخشم بهذا في حياتي ، قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في أصبعي فنميت من جميع ماترك الخاتم . ثم صاح يا بلال علي بالغفر والدرع والراية والقميص وذى الفقار والسحاب والبرد والأبرقة والقضيب . قال: فوالله ما رأيتها غير ساعتي تلك يعني الأبرقة فجئ بشقة كادت تخطف الأبصار ، فإذا هي من أبرق الجنة فقال: يا علي إن جبريل أثاني بها وقال: يا محمد إجعلها في حلقة الدرع واستذر بها مكان المنطقة ، ثم دعا بزوجي نعال عربين جميماً، أحدهما مخصوص والآخر غير مخصوص ، والقميصين: القميص الذي أسرى به فيه ، والقميص الذي خرج فيه يوم أحد ، والقلاتس الثلاث: قلنوسة السفر ، وقلنوسة العيدان والجمع ، وقلنوسة كان يلبسها ويقدم مع أصحابه ، ثم قال: يا بلال علي بالبلغتين: الشهباء والدلدل ، والناتقين: المضباء والقصوى ، والفرسين: الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله ﷺ ، يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله ﷺ ، وحيزوم هو الذي كان يقول: أقدم حيزوم ، والحمار عفير ، فقال: إقضها في حياتي .

فذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ أَوَّلَ شَيْءٍ مِّنَ الدَّوَابِ تَوْفَى عَفِيرَ ، سَاعَةَ قَبْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطَعَ خَطَامَهُ ثُمَّ مَرَ يَرْكَضُ حَتَّى أَتَى بَثْرَ بْنَى خَطْمَةَ بَقَاءَ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِيهَا فَكَانَتْ قَبْرَهُ !

ورواه المنسيد الإرشاد: ١٨٥/١، وفي آخره: (فجئ بها إليه فدفعها إلى أمير

المؤمنين عليهما السلام وقال له: إمض على اسم الله إلى منزلك. فلما كان من الغد حجب الناس عنه ونقل مرضه إلى الله، وكان أمير المؤمنين لا يفارقه إلا لضرورة ، فقام في بعض شؤونه فأفاق عليه إفادة فافتقد علياً فقال وأزواجه حوله: أدعوا لي أخي وصاحبي...الخ). ورواه في مناقب آل أبي طالب: ٢٤٨/٢، عن ابن عباس .

أقول: هذه الأحاديث دليل على خروج العباس عن وصية النبي ﷺ ، وعدم حقه في ولایة صدقاته ، لأن ديونه وعداته كانت أكثر من وارداتها ولعلها كانت أكثر من قيمتها يومذاك ! وروت المصادر أن علياً عليه السلام قد وفى للنبي ﷺ وقدسي ديونه ، ونفذ كل وعد كان وعده للناس ، ومنها وعد بأموال كبيرة .

مالية النبي ﷺ كلها لأهل بيته الطاهرين عليهما السلام

من عجائب تشريعات الله تعالى أنه جعل للنبي وعتره ﷺ مالية خاصة مفصولة عن الميزانية العامة للمسلمين ! بل حرم على النبي وعتره ﷺ أن يأكلوا حتى تمرة واحدة من أموال الزكوات والضرائب لأنها: (أوساخ الناس) ! وهذا تميّز واضح من الله تعالى للنبي ﷺ وعتره ﷺ على بقية المسلمين ! شيئاً بتميّز ملكة النحل في غذانها عن بقية النحل !

وقد روى هذا التشريع حتى المخالفون لأهل البيت عليهما السلام يتبعها إلى خطورة دلالته على أنتمهم ! ففي صحيح بخاري: (أخذ الحسن بن علي تمرة من تمرة الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي: كثُرْ كثُرْ ليطرحها ! ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة). و: ٣٧٤، ومسلم: ١١٧٣، والبيهقي: ٢٩٧، وأحمد: ٢٧٩٢، وفيه: فأدخل النبي (ص) فاتسربعها منه ثم قال: أما علمت أن الصدقة لا تحل لآل محمد ! والدارمي: ٣٨٦١، بعنوان: باب الصدقة لا تحل للنبي ولا لأهل بيته ، ومجمع الزوائد: ٢٨٤، عن أحمد والطبراني ، وغيرهم .

ومضافاً إلى هذا التشريع ، فقد أوقف النبي ﷺ ملكيته لعترته وجعل توليها على فاطمة ؓ ، كما أعطى فاطمة ؓ فدكاً لما نزل أمر الله تعالى: وَاتَّذَا الْقُرْبَى حَفَّةً وَالْمُسْكِنَ وَأَنِّ السَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرْأً . وأرسلت وكيلها فاستلمها.

نساء النبي ﷺ لا يشملهن الحكم ويجوز أن يأكلن من الصدقات !

قال ابن حجر في فتح الباري: (فضرب النبي شدقه... قوله: كثـ ، بفتح الكاف وكسرها... كلمة تقال لردع الصبي عند تناوله ما يُستقدر... أوردها البخاري في باب من تكلم بالفارسية... وفي رواية معمر: إن الصدقة لا تحل لآل محمد ، وكذا عند أحمد والطحاوي من حديث الحسن بن علي نفسه... فأخذها بلعابها فقال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة ، وإسناده قوي ، وللطبراني والطحاوي من حديث أبي ليلى الأنباري نحوه .

قوله: باب الصدقة على موالي أزواج النبي (ص): لم يترجم لأزواج النبي (ص) ولا لموالي النبي (ص) لأنه لم يثبت عنده فيه شيء ، وقد نقل ابن بطال أنهن أي الأزواج لا يدخلن في ذلك باتفاق الفقهاء... وقد تقدم أن الأزواج ليسوا في ذلك من جملة الآل ، فمواليهم أحرى بذلك . قال ابن المنير في العاشية: إنما أورد البخاري هذه الترجمة ليتحقق أن الأزواج لا يدخل مواليهن في الخلاف ولا يحرم عليهن الصدقة ، قوله (ص): أـ علمـتـ أناـ لاـ تـأـكـلـ

. ٨٧٩). انتهى. وعمدة القاري: ٨٧٧.

وقال النووي في شرح مسلم: (قوله (ص): أـ علمـتـ أناـ لاـ تـأـكـلـ الصدقة؟! هذه اللفظة تقال في الشـ الواضحـ التـحـريمـ وـنـحـوـهـ ، وإن لم يكن المخاطب عالـماـ بهـ ، وـتقـديرـهـ: عـجـبـ كـيفـ عـلـيـكـ هـذـاـ معـ ظـهـورـ تـحـريمـ الزـكـاةـ عـلـىـ النـبـيـ وـعـلـىـ آـلـهـ ، وـهـمـ: بـنـوـ هـاشـمـ وـبـنـوـ الـمـطـلـبـ ، هـذـاـ مـذـهـبـ الشـافـعـيـ وـمـوـافـقـيـهـ أـنـ آـلـهـ (صـ) هـمـ بـنـوـ هـاشـمـ وـبـنـوـ الـمـطـلـبـ ، وـهـ قـالـ بـعـضـ

المالكية ، وقال أبو حنيفة ومالك: هم بنو هاشم خاصة... قوله (ص): إنما هي أوساخ الناس: تنبية على العلة في تحريمها على بني هاشم وبني المطلب ، وأنها لكرامتهم وتنزيتهم عن الأوساخ ، ومعنى أوساخ الناس أنها تظهر لهم لأموالهم ونفوسهم ، كما قال تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيْهِمْ بها ، فهي كفسالة الأوساخ . قوله: إن النبي (ص) كان إذا أتى ب الطعام سأله عنه ، فإن قيل هدية أكل منها ، وإن قيل صدقة لم يأكل منها: فيه استعمال الورع ، والفحص عن أصل المأكل والمشرب). انتهى.

أقول: هذا من عجائب تشريع الله تعالى ، حيث لم يشمل بالحكم نساء النبي عليه السلام ، وأجاز لهن أن يأكلن مما هو في حق النبي عليه السلام: (كخ كخ) !!

ودليل فقهاء المذاهب على إخراج نساء النبي عليه السلام من الحكم ، أن أبا رافع مولى النبي عليه السلام أراد أن يستفيد من الصدقات ، فنهاه النبي عليه السلام وقال له: (إن الصدقة لا تحل لنا ، وإن مولى القول منهم). سن النسائي: ١٠٧/٥ ، والكبرى: ٥٨/٢ ، والبيهقي: ٢/١٥١ ، ٣٢/٧ ، ومصنف ابن أبي شيبة: ٤٣١/٨ ، وفيه (أما علمت أنا لا تحل لنا الصدقة ، وإن مولى القوم من أنفسهم) . والمحلى: ١٤٧/٦ ، وقال: فبطل قول من أخرج الموالى من حكمهم في تحريم الصدقة . والتمهيد: ٩٢/٣ ، وأبو داود: ٣٧٧/١ ، وغيرها.

وفي المقابل: أتى للنبي عليه السلام بلحام تصدقوا به على بريمة مولا عائشة ، فقال عليه السلام إنه يحل لها صدقة ويحل له كهدية منها ، قال: (هو لها صدقة ولنا هدية) ! فأقر الصدقة على موالى أزواجها ، ومعناه تحليل الصدقة على أزواجها بقاعدة أن مولى القوم منهم ! مسند أحمد: ١١٧/٣ ، و: ١٨٠/٣ ، و: ١١٥/٦ ، وصحبي بخاري: ١٣٥/٢ ، وفتح الباري: ٤١/١٢ ، والمحلى: ١٠٧/٦ ، وعمدة القاري: ٧٩/٩ ، وأورد حديثا آخر عن نهي النبي عليه السلام مولى لعلي عليه السلام أن يأكل من الصدقة ، رواه عن أحمد والبغوي وابن أبي شيبة . أما مصادرنا فقد روتته مفصلاً ، منها الكافي: ٥٨/٤ ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

(إن أنساً من بنى هاشم أتوا رسول الله ﷺ فسأله أن يستعملهم على صدقات المواشي وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذي جعله الله للعاملين عليها فنحن أولى به ، فقال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم ، ولكنني قد وعدت الشفاعة... فما ظلمكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة ، أتروني مؤثراً عليكم غيركم). انتهى.

كما نصت أحاديثنا على أن النبي ﷺ حدد أهل بيته في آية التطهير وغيرها بعلي وفاطمة والحسينين عليهما السلام وتسعة من ذريته وأخرج منها نساءه .

من ذلك ما رواه في كفاية الأثر: ٨٩ (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي . فقلنا يا رسول الله صلى الله عليك ، ومن ألك من أهل بيتك؟ قال: أهل بيتي عترتي من لحمي ودمي، هم الأنمة بعدي، عدد نقباء بنى إسرائيل) .

تشديد النبي ﷺ على تحريم الصدقات على أهل بيته عليهما السلام!

رووا أن النبي ﷺ كان يتحفظ أن يأكل أي شيء من مال الصدقة كما يتحفظ من النجس ! قال ابن قدامة في المغني: ٥٢٢: (قال أبو هريرة: كان النبي (ص) إذا أتي بطعام سأله فإذا قيل صدقة قال لأصحابه كلوا ولم يأكل ، وإن قيل له هدية ، ضرب بيده فأكل معهم . أخرجه البخاري... وقال عليهما السلام: إني لأنقلب إلى أهل بيتي فأجدد التمرة ساقطة على فراشي في بيتي فارفعها لأكلها ، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقبها ! رواه مسلم ، وقال: إنما لا تحل لنا الصدقة ، ولأن النبي (ص) كان أشرف الخلق ، وكان له من المغانم خمس الخمس والصفى ، فحرّم نوعي الصدقة فرضها ونفلها). انتهى. ونقدم من شرح النووي .

وترى ما يؤكّد ذلك في المناصر المشتركة في كلامه ﷺ الذي تقدّم عند

توزيعه غنائم حنين ، وكلامه في خطبه الست في حجة الوداع ، فقد أوصى المسلمين بوصاية ﷺ ، ومنها بعض عشرة وصبة تتعلق بأهل بيته ﷺ ومستقبل أمنته ، واستعمل لذلك أسلوبًا نبويًا بليغاً ، يلفتك في دقته وحسمه . فقد أكد أولاً ، على تشريع الخمس لعترته ﷺ ، وتحريم الصدقات عليهم .

وأخبر ثانياً ، أن أهل بيته ﷺ موالى الأمة ، ولمن من تولى غير مواليه ! ففي مسند أحمد: ١٨٦٤: (قال ليث في حديثه: خطبنا رسول الله (ص) وهو على ناقته فقال: ألا إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي ، وأخذ وبرة من كاهل ناقته فقال: ولا ما يساوي هذه أو ما يزن هذه ! لعن الله من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه. الولد للفراش وللعاهر الحجر). وعبد الرزاق: ٤٨٩، وتاريخ دمشق: ١٤، عن عائشة ، وفيه: ومن تولى غير مواليه فليتوأ بيته في النار . وكتز العمال: ٢٩٣٥/٥.

وقلنا إن الحديث في حجة الوداع لوجود النص على ذلك ، وله ﷺ خطبة بعد حرب هوازن قبل توزيع الغنائم ، بين فيها مقام علي والعترة ﷺ ، وهي غير كلامه عند توزيع الغنائم ، ثم عندما أحاطوا به وأخذوا رداءه ﷺ !

وقد نصَّت بعض رواياته على أنه كان في حجة الوداع ، كالتي رواها أحمد في: ١٨٧٤: (عن عمرو بن خارجة قال: خطبنا رسول الله (ص) وهو بمنى على راحلته وإنى لتحت جران ناقته وهي تقصع بجرتها ولعابها يسيل بين كتفيني فقال: إن الله عز وجل قد قسم لكل إنسان نصيبه من الميراث ، ولا تجوز لوارث وصبة ، ألا وإن الولد للفراش وللعاهر الحجر . ألا ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه رغبة عنهم ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

وأحمد: ٢٣٩٤، و٣٧٥/٥، و٣٧٥/٥، وسنن الترمذى: ٢٩٢٣، وفيه: (في خطبته عام حجة الوداع .. ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتهى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله التالية إلى يوم القيمة) . وفي مسند الشاميين: ٣١٠١/١: (عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول:

في خطبته عام حجة الوداع: أيها الناس لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم ، فاعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، طيبة بها أنفسكم ، وأطيعوا ولاة أمركم ، تدخلوا جنة ربكم). راجع في لعن من تولى غير مواليه: فتح الباري: ٣٥/١٢، وابن حبان: ١٧٠/١٠، والدر المنثور: ٦٤/٥، وتاريخ دمشق: ٣٦٠/١٤، وكبير الطبراني: ٣٦/١٧. وقد بحثناه في كتاب آيات الغدير . ٥٣

أين صارت مالية النبي ﷺ بعد وفاته؟

نفهم من التشريع الإسلامي لهذه المالية الواسعة للنبي وآلـهـ ﷺ ، هدفين: أولهما ، أن يُظهر للناس مقامهم ﷺ وأن لهم صفو أموال الأرض ، وأنهم مأمونون عليها ، لا يخاف عليهم الغرور ، ولا الظلم والحيف .

وثانيهما ، أن يكون لأهل بيت النبي ﷺ مصدر مالي مفروض ، يساعدهم على أداء واجبهم إذا حكمو ، أو أقصتهم الأمة عن الحكم ، كما حدث بالفعل! أما عن مصير هذه المالية بعد النبي ﷺ ، فالجواب معروف لأن الذين أخذوا الخلافة أخذوا مالية النبي وآلـهـ ﷺ من الخمس وأموال فدك وخبير وبني النضير ، ولم يسلم منها إلا بساتين مخربق اليهودي ﷺ بيد فاطمة بنت.

وقد صاغ بخاري: ٢٣٥، ومسلم: ١٥١٥، قضية أوقاف النبي ﷺ بصياغة يتصوران أنها ترفع المسؤولية عن السلطة ، وتضعها على عاتق علي ﷺ والعباس ، فزعموا أن علياً ﷺ وعمه العباس طالباً بها أباً بكر فقال لهما أنا وللي رسول الله ﷺ فرداً كلامه واتَّهَمَهُ بأنه (كاذبٌ آثمٌ غادرٌ خائنٌ) ! فلم يعطهمما إياها ، ثم طالباً عمر بها فأعطاهما إياها ، على أن يعملا فيها كما كان يعمل النبي ﷺ فيأخذنا منها نفقاتهما ويصرفما الباقى في مصالح المسلمين ، فاختلت في هذا فسادٌ وجاء إلى عمر يختصمان عنده ، وهما يتشاتمان ! فقال لهما عمر حسب رواية مسلم إنكم طالبتما بها أباً بكر فقال لكم: (قال رسول الله: ما نورث ما تركتنا صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادرًا خائناً ، والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق ، ثم توفي أبو بكر وأنا وللي رسول الله وللي أبي بكر ، فرأيتماني

كاذبًا آثمتاً غادرًا خائناً ، والله يعلم إني لصادق بار راشد تابع للحق). انتهى.
 ثم روى بخاري ومسلم أن عمر رفض أن يحكم بينهما ، وقال لهما إما أن
 تتفقا وتعملها كما كان يعمل النبي ﷺ ، أو ترداها إلى لأعمل فيها ذلك !
 ثم قال بخاري: (فـكـانـتـ هـذـهـ الصـدـقـةـ بـيـدـ عـلـيـ ،ـ مـنـهـاـ عـلـيـ عـبـاسـاـ فـغـلـبـهـ عـلـيـهاـ) !
 ثم كانت بيد حسن بن علي ، ثم بيد حسين بن علي ، ثم بيد علي بن حسين
 وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها ، ثم بيد زيد بن حسن). انتهى.

أقول: كتب بخاري ومسلم ذلك في عصر العباسين ، وغضبهما أن يبرأ أبا
 بكر وعمر من مصادر أوقف النبي ﷺ التي جعلها بيد علي وفاطمة بنتي ، وأن
 يقسو إن العباس كان مع علي ﷺ في ولادة الأوقف النبوية فظلمه عليٌّ وغلبه
 عليها وشتمه ! وبذلك يبرران مصادر بني العباس لها ، لأن لأبيهم ولادة عليها !
 مع أن العباس لم يرض أن يأخذها مقابل ديون النبي ﷺ وعداته ، لأنها لاتفي
 بها ! مضافاً إلى ما كان منها في يد فاطمة بنتي في حياة أبيها ﷺ .

قال ابن حجر في فتح الباري: (وروى عبد الرزاق عن عمر عن الزهرى
 مثله (حدث بخاري) وزاد في آخره: قال عمر: ثم كانت بيد الله بن حسن ،
 حتى ولى هؤلاء يعني بني العباس فقبضوها ، وزاد إسماعيل القاضى: إن
 إعراض العباس عنها كان في خلافة عثمان، قال عمر بن شبة: سمعت أبا غسان
 هو محمد بن يحيى المدنى يقول: إن الصدقة المذكورة اليوم بيد الخليفة يكتب
 في عهده فيولي عليها من قبله من يقبضها ، ويفرقها في أهل الحاجة من أهل
 المدينة. قلت: كان ذلك على رأس المائتين ثم تغيرت الأمور ، والله المستعان).
 وفي تاريخ الذهبي: (قال الزهرى.. فـكـانـتـ هـذـهـ الصـدـقـةـ بـيـدـ عـلـيـ غـلـبـهـ عـلـيـهاـ العـبـاسـ ،ـ وـكـانـتـ فـيـهاـ خـصـوـمـهـاـ ،ـ فـأـبـىـ عـمـرـ أـنـ يـقـسـمـهـاـ بـيـنـهـمـاـ حـتـىـ

أعرض عنها عباس فغلبه عليها علي ! ثم كانت على يدي الحسن ، ثم كانت بيد الحسين ، ثم بيد علي بن الحسين والحسن بن الحسن كلها يتداولانها ، ثم بيد زيد) . ونحوه سنن البيهقي: ٢٩٩/٦ ، وعامة مصادرهم .

أما الحقيقة فهي ما قاله المحامي أحمد حسين يعقوب في: الخطط السياسية لتوحيد الأمة: (ومن المثير للإنتباه حسب تحليل هذه البطون (بطون قريش) أن آية المباهلة الواردة في القرآن الكريم وتطبيقاتها العملي أمام الصحابة ، حصرت الأبناء والنساء والأنفس بمحمد وعلى وفاطمة وحسن وحسين فقط ! وتلك إشارة ضوء صارخة تعكس نوايا النبي^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وتعكس توجه الترتيبات الإلهية .

والأخطر من ذلك: إعلان النبي أن من والاهم فقد والى الله ، ومن عادهم فقد عادى الله ! ليس هذا فحسب ، بل إن النبي يعلن بأن البطن الهاشمي هو خير بطون الأرض ، وأن بيت عبد المطلب هو خير بيوتبني البشر ، ثم يضع الكساء على الأبناء والنساء والأنفس ويكتل قوله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذَهِبَ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا ، ثم يعلن النبي بعد ذلك أن هؤلاء هم أهل بيته !

والأشد خطورة من الجميع: أن النبي قد أعلن بأن الصدقات لا تجوز على آل محمد ، وأن لهم حقاً معلوماً في موارد الدولة وهو خمس الخامس . ثم إن القرآن طلب من النبي أن يعلن بأنه لا يسأل الناس أجراً على هدايته لهم وإنقاذهم إلا المودة في القربى...إلخ .

والأنكى من الجميع: أن الصلاة عليهم جزء من الصلة المفروضة ! ثم عدَّ المحامي الأردني الأوراق التي استعملها تحالف طلقاء قريش ضد أهل بيته النبي^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} فقال في ٢٦٨: (الورقة الخامسة: تدمير القاعدة الاقتصادية

لبني هاشم وتبعهم للدولة ! لقد حرم الله الصدقة على أهل البيت ، وخصص لهم جزءاً ثابتاً من موارد الدولة وهو خمس الخمس ، ليضمن لهم الاستقلال الاقتصادي وعدم التبعية الاقتصادية لأحد لأنهم قيادة الأمة ، وفرض هذا الحق في آية مكحنة ، ولما آلت الأمور إلى بطون قريش ألغوا هذا الحق تماماً ، وصار أهل البيت يسألون الحاكم عطاءه كما يسأله عامة الناس ، ولم تكتف البطون بذلك إنما أوجدت قاعدة ((الأنبياء لا يورّثون)) فحرموا أهل البيت من تركة النبي ، حتى أن العطاءات والمنح التي أعطاها النبي للمسلمين أو أقطعها لغير أهل البيت بقيت على حالها ، أما المنح والعطاءات التي أعطاها النبي لأهل البيت فقد صادرتها البطون ! وقصة الزهراء وفدرخ دليل على ذلك . وهكذا تحطم الهاشميون من الناحية الاقتصادية ، وتركوا عالة على الدولة ورهناء من الناحية الاقتصادية بمشيئة الحاكم ، إن شاء وصلهم وإن شاء قطعهم). انتهى . وفي هذا الموضوع بحوث متعددة مفصلة ، لا يتسع لها المجال .

النبي ﷺ يوجه أهل البيت ﷺ إلى تكوين مالية خاصة !

كان تشريع الخمس للنبي ﷺ وأهل بيته ﷺ في السنة الثانية من الهجرة ، لكن قبل ذلك بشهور توجه النبي ﷺ في غزوة ذي العشيرة ، وكان حامل لوائه علي بن أبي طالب ، وأقام في غزوه شهرأ ، وأخبر علياً ﷺ عن مستقبل عترته ، وأن الأمة ستقدر به ، وعن شهادته بضررية على رأسه ! وأعطاه سهمه من الغنائم أرضاً بوراً ، لكنها غنية بما يها الجوفية وخصوصية تربتها ، وموقعها الجغرافي ، فاستنبط علي ﷺ فيها عيوناً وأنشأ عليها بساتين نخل وزروع ، وسمها (بنجع) ! فقد روى النسائي وغيره إن النبي ﷺ قال لعلي وقد رأه نائماً على التراب (قسم يا أبا تراب) ! وأخبره عن مستقبله ! قال في الخصائص ١٢٩: (عن عمار بن

يا سر قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيره من بطن ينبع ، فلما نزلها رسول الله (ص) أقام بها شهراً فصالح فيها بني مدلج وحلفاءهم من ضمرة فوادعهم ، فقال لي علي رضي الله عنه: هل لك يا أبا اليقطان أن تأتى هؤلاء ، نفر من بني مدلج يعملون في عين لهم ، فتنظر كيف يعملون؟ قال قلت: إن شئت ، فجئناهم فنظرنا إلى أعمالهم ثم غشينا النوم ، فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في ظل صور من التخل فنمنا . فواه ما أهبتنا إلا رسول الله (ص) يحرر كنا برجله وقد تربنا من تلك الدعاء التي نمنا عليها ، فيومئذ قال رسول الله (ص) لعلي: ما لك يا أبا تراب ! لما يرى عليه من التراب ، ثم قال: لا أحد كما يأشق الناس رجلين؟ قلت: بل يا رسول الله، قال: أحسمر ثمود الذي عقر الثاقه ، والذي يضربك على هذه ووضع يده على قرنه ! حتى يبل منها هذه ، وأخذ بلحيته). انته.

وهذا الحديث من معجزات النبي عليه السلام ، لما فيه من إخبار عن المستقبل ، وقد اهتم به رواة بني أمية لأن فيه تسمية النبي عليه السلام بأبي تراب ، وقد أعجب ذلك معاوية فرواه الى هذه النقطة وبتر باقيه ، وروأج إسم أبي تراب على أنه ذم لعلي عليه السلام ! وله مصادر عديدة بترا أكثراها نصه ! النساني الكبير: ١٥٣/٥، وأحمد: ٢٦٣/٤، ٢٦٤ ، والحاكم: ١٤٠/٣، ومجمع الزوائد: ١٣٦/٩، تاريخ الطبرى: ١٢٣/٢، وتاريخ بخارى: ٧١/١، وتخریج الزيلعى: ٤٦٥/١، وأحكام القرآن للجصاص: ٥٣٨/٣، وتاريخ دمشق: ٥٤٩/٤٢، و Shawahed al-Tanzil: ٤٤١/٢، بعدة روایات . وراجع الصحيح من السيرة: ٣٣٧/٤.

أقول: في تلك الغزوة أعطى النبي عليه السلام أرضًا ، ففي تاريخ المدينة: ٢٢٠/١: (أقطع النبي (ص) علينا بأذن العشيره من ينبع).

وفي الكافي: ٥٤/٧، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (قسم نبي الله عليه السلام الفى فأصاب علياً عليه السلام أرضًا فاحتفر فيها عيناً فخرج ماء ينبع في السماء كهينة عن البعير ،

فسمها يُتّبع ، فجاء البشير يبشر فقال عليه السلام: بشر الوارث ، هي صدقة بَتَّةَ بَنْلَأَ ، في حجيج بيت الله وعابري سبيل الله ، لا تباع ولا توهب ولا تورث ، فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً). ودعائم الإسلام: ٣٤١/٢ . وفي مناقب أمير المؤمنين محمد بن سليمان: ٨١/٢: (كان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم فرغب في الإسلام فأتى رسول الله صلوات الله عليه وسلم وكان معه ، فلما توفي رسول الله صلوات الله عليه وسلم صار مع فاطمة وولدها رحمة الله عليهم . قال أبو نيزر: جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيغتين عين أبي نيزر والبغيبة فقال: هل عندك من طعام؟ فقلت: عندنا طعام لا أرضاه لك ، قرّع من قرع الضيغة صنعته يا هالة ستحة (بستان غير جيد - لسان العرب: ٢٧٣) فقال: علي به ، فقام إلى الربيع وهو الجدول ، فغسل يده فأصاب من ذلك شيئاً ، ثم رجع إلى الربيع فغسل يده بالرمل حتى أنقاها ثم ضم يديه كل واحدة إلى أخرى ثم شرب بها حساً من الربيع ، ثم قال: يا أبي نيزر إن الأكف أنظف الآنية ثم مسح من ذلك الماء على بطنه ثم قال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله ، ثم أخذ المعول وانحدر إلى العين فأقبل يضرب فيها وأبطأ عليها الماء فخرج وقد تفضخت جبهته عرقاً فاستششف العرق من جبينه ، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهين فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعاً فقال: أشهد الله أنها صدقة ، علي بدوا وصحيفة ! قال أبو نيزر: فعجلت بها إليه فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تصدق به عبدالله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيغتين المعروفتين عين أبي نيزر والبغيبة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله وجهي حر النار يوم القيمة ، ولا تباعاً ولا توهباً حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين ، إلا أن يحتاج الحسن أو الحسين فهما طلق

لهمَا لِيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرَهُمَا. قَالَ أَبُو نِيزَرٍ: فَرَكِبَ الْحَسِينَ دِينَ فَحُمِلَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ
بَعْنَ أَبِيهِ نِيزَرٍ مِتْيَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَى الْحَسِينُ أَنْ يَبْيَعَ وَقَالَ: إِنَّمَا تَصْدِقُ بِهَا أَبِيهِ
لِيَقِيَ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ حَرَ النَّارِ).

وفي معجم البلدان: ٤٦٩١، أن أبا نيزر كان ابناً للنجاشي ملك العبشة الذي
هاجر إليه المسلمون لصلبه، وأن علياً وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه
وأعتقه مكافأة بما صنع أبوه مع المسلمين. ونحوه الإصابة: ٣٤٣٧، وتخرج الدلالات
للخزاعي: ٥٦٧، تحت عنوان: الفصل الثالث: في ذكر أوقاف علي بن أبي طالب.

ويدل ذلك على أن علياً^{عليه السلام} أنشأ بساتين في ينبع قبل أن يستتبط عين أبي
نيزر ، فلملأ هذه الحادثة كانت في خلافته^{عليه السلام} ، أي بعد أكثر من ثلاثة سنين
من تملكه أرض ينبع وشروعه في إعمارها ، حتى بلغت عيونها مائة عين ولعل
بساتينها كانت أضعاف ذلك !

وقد كان أمير المؤمنين^{عليه السلام} خبيراً بفرازارة مياها الجوفية وعدوبتها ، فقد روى
عنه عمر بن شبة في تاريخ المدينة: ٢٢١/١: (لما أشرف علي رضي الله عنه على
ينبع فنظر إلى جبالها قال: لقد وضعت على نقي من الماء عظيم) .

وقال البكري في معجم ما استجم: ٥٦٧: (ويبيع: عن يمين رضوى ، لمن كان
منحدراً من المدينة إلى البحر ، وهي قرية كبيرة ، وبها عيون عذاب غزيرة ،
زعم محمد بن عبد المعجد بن الصباح أن بها مائة عين إلا عيناً).

وفي الصحيح من السيرة: ٢٥٣/٨: (وفي المقابل فإن علياً أمير المؤمنين^{عليه السلام} الذي
وقف على الحجاج مائة عين استتبطها في ينبع ، يروى عنه: أن صدقات أمواله
قد بلغت في السنة أربعين ألف دينار . وكانت صدقاته هذه كافية لبني هاشم
جميعاً ، إن لم نقل إنها تكفي أمة كبيرة من الناس من غيرهم ، إذا لا حظنا أن

ثلاثين درهماً كانت كافية لشراء جارية للخدمة كما قاله معاوية لعميل . وكان الدرهم يكفي لشراء حاجات كثيرة ، بسبب قلة الأموال حينئذ). انتهى.

أقول: كان علي عليه السلام يحدث بنعمة ربه فيقول كما في مجمع الزوائد: ^٩، عن أحمد وصححه: (باب فيما بلغت صدقة ماله رضي الله عنه: عن محمد بن كعب القرظي أن علياً قال: لقد رأيتني مع رسول الله (ص) وإنني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقة ملي تبلغ أربعين ألف دينار). ونحوه أسد الغابة: ^{٤٣٤}، والنهائية: ^{٣٦٨٧}، وتهذيب الأسماء: ^{١/٣١٧}، والتراطيب الإدارية: ^{١/٤٠٧}، ومناقب أمير المؤمنين عليهما السلام: ^{١٣٧٩}، وكتز العمال: ^{١٣٧٩}، والسيرات الحلبية: ^{٤٧٣}، وغيرها .

بن سليمان: ^{٦٦٢}، وحلية الأولياء: ^{٨٦١}، وكنز العمال: ^{١٣٧٩}، والسيرة الحلبية: ^{٤٧٣}، وغيرها .

وقد فسره بعضهم بأنه يقصد أن وارد صدقاته أربعون ألف دينار ، ولكنه خلاف الظاهر، لأنه عليه السلام قال: (وإن صدقة ملي تبلغ أربعين ألف دينار) وصدقة المال غير المال ، وهي زكاته التي تكون نصف عشر الموسم أو عشره ، فيكون موسم التمر والحنطة والزيت من ينبع وغيرها نحو أربع مئة ألف دينار ، وهو مبلغ ضخم في ذلك الزمان ! ومما يؤيده أن بساتين ينبع كانت مئات الآلاف من أشجار التخييل ، فقد روى في مناقب آل أبي طالب: ^{٣٨٨١}: (قال له رجل ورأى عنده وَسَقْ نَوَى: ما هذا يا أبا الحسن؟ قال: مائة ألف نخلة إن شاء الله ، فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة..! ووقف مالاً بخبير وبوادي القرى... وأخرج مائة عين ينبع جعلها للحجيج ، وهو باق إلى يومنا هذا ، وحرف آباراً في طريق مكة والكوفة). انتهى.

وما زالت منطقة مسجد الشجرة تعرف باسم: آبار علي عليه السلام.

وكان أمير المؤمنين عليهما السلام لا يأكل من بيت المال، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن علياً عليه السلام كان يؤتى بغالٍ ماله من ينبع فيصنع له منها الطعام ، يُثرد له الخبز والزيت وتتمر العجوة ، في يجعل له منه ثريداً ، فيأكله ويطعم الناس الخبز واللحام ، وربما أكل اللحم). (قرب الاستاد للحميري ^{١١٣}).

ينبع بلد على وأهل البيت

فقد أسسها وسماها وأعمرها أمير المؤمنين ع و كان يتندد إليها كثيراً ، وعندما حاصر المسلمين عثمان وكانوا يهتفون باسم علي ع مطالبين بعزل عثمان ومبايته مكانه ! أرسل إليه عثمان أن يذهب إلى بستانه في ينبع ويعيب عن المدينة حتى لا يهتف الناس باسمه ! فذهب ، ثم أرسل إليه أن يأتي لمساعدته فأتى ، ثم أرسل إليه ابن عباس طالباً منه أن يذهب ثانية: (إلى ماله ينبع ليقل هُنْفَ النَّاسُ بِاسْمِهِ لِلخِلَافَةِ) ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال ع: يا ابن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملأً ناضحاً بالغرب أقبل وأدبر ! بعث إلى أن أخرج ، ثم بعث إلى أن أقدم ، ثم هو الآن بعث إلى أن أخرج ! والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً ! (نهج البلاغة: ٢٣٣/٢).

ولكنه ع استجاب أخيراً وذهب إلى ينبع ، ولما ضاق الأمر على عثمان أرسل إليه أن يحضر لمساعدته ، وعندما توجه إلى المدينة جاءه خبر مقتل عثمان . ثم كانت ينبع بيد الحسن والحسين ع ع بيد الأئمة من أولادهم ع ، وبيد غير الأئمة من ذريتهم .

وكسرت ذرية علي وفاطمة عافي ينبع فكانوا فيها قبائل حسنية وحسينية ، وفيهم العلماء والحكام ، ولهם فيها تاريخ طويل في عصور الإسلام المختلفة ، وما زالت فيها بقية ، بعد أن زال حكمهم ، واضطر أكثرهم إلى مغادرتها بعد سيطرة الوهابيين . وينبع اليوم من أهم موانئ الحجاج .

سياسة الأئمة على فتن تكوين للأئمة مواردهم

تبين مما تقدم أن علياً نفذ خطة النبي ﷺ لتكوين للأئمة مالية خاصة وأثمرت في حياته بساتين ينبع الواسعة وزروعها ، فكانت واردادتها عوناً له وتعويضاً للعترة النبوية ﷺ عمما صادرته السلطة من عطاءات النبي ﷺ وأوقافه لهم ، وعن حرمائهم من حقهم الشرعي الذي فرضه الله لهم في شريعته .

وقد روى الجميع مصادرة السلطة قرية فدك وغيرها واحتجاج الزهاء ﷺ على أبي بكر ! كما روت مصادرتهم الخمس الذي نصت عليه الآية ، وعزلهم لمحمد بن جزء الذي عينه النبي ﷺ أمنياً عليه ، ففي سنن النسائي: ١٢٩٧، أن نجدة رئيس الخوارج كتب إلى ابن عباس يسأله عن الخمس فأجابه: (كتبت تسألني عن سهم ذي القربى لمن هو؟ وهو لنا أهل البيت ، وقد كان عمر دعانا إلى أن ينكح منه أيماناً ، ويخدم منه عائلنا ، ويقضى منه عن غارتنا ، فأبینا إلا أن يُسلمه لنا ، وأبى ذلك ، فتركناه عليه) . والكبيري: ٤٤٢، والبيهقي: ٣٤٥٦، وابن شيبة: ٥٩٩٧، وغيرها، وفي رواية أن عمر قال: هذا كثير نظر فيه !

وفي النص والإجتهاد/٥٠: (وقد أجمع أهل القبلة كافة على أن رسول الله ﷺ كان يختص بسهم من الخمس ، ويخص أقاربه بسهم آخر منه ، وأنه لم يعهد بتغيير ذلك إلى أحد حتى دعاه الله إليه واختاره الله إلى الرفيق الأعلى ، فلما ولّ أبو بكر تأول الآية فأسقط سهم النبي وسهم ذي القربى بمورته ﷺ ، ومنع كما في الكشاف وغيرهبني هاشم من الخمس ، وجعلهم كفراً لهم من ينامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم). انتهى .
بل زاد الأمر ، فلم يكتفوا بعزل عترة النبي ﷺ سياسياً وإنفاراً لهم اقتصادياً ،

بل عملوا على عزلهم اجتماعياً ففي الكافي: ١٥٦٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

(كانت امرأة من الأنصار تودنا أهل البيت وتكثر التعاهد لنا ، وإن عمر بن الخطاب لقيها ذات يوم وهي تريدنا فقال لها: أين تذهبين يا عجوز الأنصار؟ فقالت: أذهب إلى آل محمد أسلم عليهم وأجدد بهم عهداً وأقضى حقهم ، فقال لها عمر: ويلك ليس لهم اليوم حق عليك ولا علينا ، إنما كان لهم حق على عهد رسول الله فأما اليوم فليس لهم حق ، فانصرفي ! فانصرفت حتى أتت أم سلمة فقالت لها أم سلمة: ماذا أبطة بك عنا؟ فقالت: إني لقيت عمر بن الخطاب وأخبرتها بما قالت لعمر ، وما قال لها عمر ، فقالت لها أم سلمة: كذب ، لا يزال حق آل محمد عليه السلام واجباً على المسلمين إلى يوم القيمة .) انتهى.

أمام هذا الوضع كان لابد لأهل البيت عليهم السلام أن يهتموا بتنمية مصادرهم المالية اللازمة لنفقاتهم وعملهم ، خاصة ضرورات المؤمنين الذين يحرمون أو ينكرون بسبب ولائهم للعترة النبوية الطاهرة !

وقد تولى الإمام الحسن عليه السلام صدقات أبيه وأمه وما بقي من صدقات جده عليه السلام ، كما تضمن الصلح واردات لم يعطها معاوية . ولا بد أن الإمام الحسن عليه السلام نمى موارده ، لكن لا يحضرني نص يدل على ذلك .

ثم تولاهما بعده الإمام الحسين عليه السلام ، ويدل النص التالي على أنه كان ينميهما ويستنبط عليناً جديدة وينشرن عليها بساتين ، ففي مناقب آل أبي طالب: ٢٨٥/٣: (أصبب الحسين عليه دين بضعة وسبعين ألف دينار ، فاهتم علي بن الحسين بدين أبيه حتى امتنع من الطعام والشراب والنوم في أكثر أيامه وليلاته ! فأناءه آت في النهار فقال: لا تهتم بدين أبيك فقد قضاه الله عنه بمال بجنس ، فقال علي: والله ما أعرف في أموال أبي مال يقال له بجنس ، فلما كان من الليلة الثانية

رأى مثل ذلك فسأل عنه أهله فقالت له امرأة من أهله: كان لأبيك عبد رومي يقال له بجنس استنبط له عيناً بذني خشب ، فسأل عن ذلك فأخبر به ، فما مضت بعد ذلك إلا أيام قلائل حتى أرسل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى علي بن الحسين يقول له: إنه قد ذكرت لي عن لأبيك بذني خشب ، تعرف بجنس ، فإذا أحببت بيعها منك ، قال علي بن الحسين: خذها بدين الحسين وذكره له ، قال: قد أخذتها ، فاستثنى منها سقي ليلة السبت لسكينة) ! وفي كشف الممحجة ١٢٥، عن كتاب عبد الله بن بكر ، ياسناده عن أبي جعفر أن الحسين قتل وعليه دين ، وأن علي بن الحسين زين العابدين باع ضيعة له بثلاث مائة ألف ، ليقضي دين الحسين عليه السلام ، وعدات كانت عليه) .

الإمام زين العابدين عليه السلام يتولى صدقات النبي وآلـه عليهم السلام

كانت أوقاف أهل البيت عليهم السلام بيد الإمام الحسن ثم بيد الحسين عليه السلام بلا منازع ، ثم بيد الإمام زين العابدين عليه السلام بلا منازع في أول أمره ، حتى حرّكت عليه السلطة عمه عمر بن علي وطلب الحجاج من الإمام عليه السلام أن يشركه معه في ولايتها ، مع أن فاطمة عليها السلام أوصت بأوقاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأوصى هو بها إلى الحسن ثم الحسين عليهم السلام من يراه الحسين صالحاً ، وشرط أن تكون أوقافه لأبناء فاطمة عليها السلام دون غيرها . (العدة ٨٥).

وقد روی أن السلطة كانت الى جنب الحسن المثنى ابن عم الإمام زين العابدين عليه السلام وأنه تولى شيئاً من أوقاف بنع ، وأن محمد بن الحنفية عليه السلام عم الإمام زين العابدين عليه السلام طالب أيضاً بالتوليه بصفته ابن أمير المؤمنين عليه السلام . ورووا أن عبد الملك بن مروان حكم للإمام زين العابدين عليه السلام بولاية الأوقاف ، لكن توجد مؤشرات على أنها أخذت منه عليه السلام ، وعلى قلة إمكاناته

المالية ، ولعلها في أواخر حياته الشريفة في خلافة الوليد بن عبد الملك وأنه صادر منه الأوقاف أو أكثرها ، وأعطتها إلى الحسن المثنى أو غيره .

فقد تقدمت من أمالي الصدوق ٥٣٧/ ، قصة الذي جاء إلى الإمام علي وشكى فاقته وقال: (إني أصبحت وعلى أربعمائة دينار دين لا قضاء عندي لها ، ولدي عيال ثقال ليس لي ما أعود عليهم به. فبكي علي بن الحسين بكاءً شديداً فقلت له: ما يبكيك يا ابن رسول الله؟ فقال: وهل يُعدُّ البكاء إلا للمصائب والمحن الكبار؟! قالوا: كذلك يا بن رسول الله . قال: فأية محبة ومصيبة أعظم على حرمة مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها ، ويشاهده على فاقة فلا يطيق رفعها) ! انتهى.

فلم يكن عنده ما يسد حاجة ذلك المؤمن ! فأعطيه قرصيه فاشترى سمعكتين ، وكان في جوفهما درتان ، فاستغنى الرجل بثمنهما .

كما ورد أن الإمام زين العابدين عليه استقرض لنفقة أو لأعطياته، من مال أيتام كانوا في حجره ، فقد سأله منصور بن حازم الإمام الصادق عليه عن (رجل ولدي مال يتيم أيستقرض منه؟ فقال: إن علي بن الحسين عليه قد كان يستقرض من مال أيتام كانوا في حجره ، فلا بأس بذلك) . (الكافي: ١٣١٥، والتهذيب: ٣٤١٦).

قال المفيد عليه في الإرشاد: (حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز ، قال: لما ولد عبد الملك بن مروان الخلافة ، ردَّ إلى علي بن الحسين عليه صدقات رسول الله عليه وعلي بن أبي طالب عليه وكانت مضمومتين . فخرج عمر بن علي إلى عبد الملك يتظلم إليه من نفسه ، فقال عبد الملك: أقول كما قال ابن أبي الحقيق:

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهُوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعَ لِلْقَائِلِ

وأصطرع الناس بالباطل نقضت بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا تُكْنَى دون الحق بالباطل
نخاف أن تُسْفِه أحلامنا فنتحمل الدمر مع الخامل).

وفي مناقب آل أبي طالب: (٣٠٨٣) (ويروى أن عمر بن علي خاصم علي بن الحسين إلى عبد الملك في صدقات النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليهما السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أنا ابن المصدق وهذا ابن ابن ، فأنا أولى بها منه ! فتمثل عبد الملك بقول أنس الحقيق: لا نجعل الباطل حقاً... قم يا علي بن الحسين فقد وليتها ، فقاما فلما خرجا تناوله عمر وأذاه ، فسكت عنه ولم يرد عليه شيئاً ! فلما كان بعد ذلك دخل محمد بن عمر على علي بن الحسين فسلم عليه وأكبَّ عليه يقبله ، فقال علي عليهما السلام: يا ابن عم لا تمنعني قطيعة أتيك أن أصل رحmk ، فقد زوجتك ابنتي خديجة ابنة علي). ونحوه شرح الأخبار: (١٩٠٣).

أقول: ولد عمر بن علي عليهما السلام في زمن عمر بن الخطاب ، فطلب عمر من علي عليهما السلام أن يهب له تسميته قال: (فهب لي اسمه ، قلت: نعم ، قال: فقد سميته باسمي ونحلته غلامي (عبيدي) مورقاً ، قال: وكان نوبياً ، قال: فأعتقه عمر بن علي بعد ذلك، فولده اليوم مواليه). تاريخ المدينة لابن شبة: (٧٥٥/٢)، ونحوه تاريخ دمشق: (٤٥٤/٣٠٤).
ودعاء الإمام الحسين عليهما السلام إلى كربلاء فلم يستجب له ، ولما بلغه مقتله قال:
كان يقول: (أنا الغلام الحازم ، ولو خرجت معهم لذهبت في المعركة وقتلت ،
وعاش مدة ٨٥ سنة . وتولى صدقات علي عليهما السلام بأمر من الحجاج). (عدة الطالب: ٣٦٢).
ويظهر أن يزيداً ولاه صدقات أمير المؤمنين عليهما السلام بعد شهادة الإمام الحسين عليهما السلام وأنها بقيت في يده عدة سنوات حتىولي عبد الملك فردها إلى الإمام عليهما السلام لأنها
يعرف أن وقوفيتها خاصة ببني فاطمة الزهراء عليهما السلام.

لكن يظهر أن عمر ويسمى عمر الأطرف ، واصل محاولته مع عبد الملك ثم مع ابنه الوليد ! ضد الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام أبي ابن عم الإمام زين العابدين عليه السلام وصهره على أخته فاطمة بنت الحسين عليه السلام شبيهة جدتها الزهراء عليه السلام، وهو المعروف بالحسن المثنى ، ولا يبعد أن يكون الإمام عليه السلام خواه توليتها ، فهو خيربني الحسن عليه السلام بعد من استشهد منهم في كربلاء . على أنه يحتمل أن يكون عبد الملك أو ابنه الوليد أخذوا ولاية الأوقاف من الإمام عليه السلام ، وأعطوها لأولاد الإمام الحسن عليه السلام فسكت الإمام عليه السلام .

ولكن عمر بن علي عليه السلام كان ينمازهم جميعاً ! ففي شرح الأخبار: (١٨٧/٣): (روى الزبير عن عمه مصعب بن عبد الله أنه قال: كان عمر^(ر) آخر ولد علي بن أبي طالب ، وقدم مع أبیان بن عثمان على الوليد بن عبد الملك يسألة أن يوليه صدقة أبيه علي بن أبي طالب ، وكان يليها يومئذ ابن أخيه الحسن بن الحسن بن علي ، فعرض عليه الوليد الصلة وقضاء الدين . قال عمرو: لا حاجة لي في ذلك إني سألت صدقة أبي أن أتولاها ، فأنا أولي بها من ابن أخي ، فاكتبه لي في ولايتها ، فوضع الوليد في رقعة أبيات رباعي بن أبي الحقيق: إنما إذا مالت دواعي الهوى... الخ. ثم رفع الرقعة إلى أبیان وقال: إدفعها إليه وعرفه أنني لا أدخله على ولد فاطمة بنت رسول الله (ص) غيرهم ، وانصرف عنه عمر^(ر) غضباناً ، ولم يقبل له صلة). انتهى.

ملاحظات على صدقات النبي وآل النبي

١- يسمى الفقهاء هذه المالية صدقة النبي أو صدقة علي أو صدقة فاطمة ، كما يسمونها أوقافاً !

ومن المؤكد أن السلطة لم تدع هدف النبي ﷺ والعترة ﷺ يتحقق منها إلا جزئياً ! فالمرة التي كانت بيد أهل البيت ﷺ قليلة ، وأكثر العصور كانت بيد السلطة ، أو من اختارتهم السلطة من غير الأئمة المعصومين ﷺ .

نعم ، حفقت هذه الملكية النبوية هدفاً مهماً ، هو أنها كانت سند إدانة للسلطة عبر التاريخ ، وسند ظلامة لأهل البيت النبوي ﷺ .

وقد خلَّدَ التاريخ اعتراض فاطمة الزهراء ﷺ على أبي بكر وعمر لمصادر تهمها أرض فدك وغيرها واتهماها لهما بالحجارة وإفحامها وخطبتها في المسجد ! وغرضها من ذلك أن تثبت للمسلمين أن رئيس السلطة الحاكمة يظلم بنت نبيهم ﷺ المقدسة فيتصادر أموالها ، فما الذي يردعه عن ظلم بقية المسلمين ! ثم كانت فدك وصدقات النبي ﷺ وصدقات علي ﷺ من أبرز العناصر التي تعرف بها نوايا السلطة تجاه أهل البيت ﷺ ، فكان أكثر الخلفاء يأخذونها ، وبعضهم يرجعها إلى أولاد فاطمة ﷺ ، أو يهبها إلى أقاربه !

٢- ينبغي الإشارة إلى أن عمر بن علي بن أبي طالب ﷺ أو عمر الأطرف ورد في عدد من المصادر باسم عمرو بن علي ﷺ ، وهو متحد ، بدليل وحدة أخباره وأولاده والمروريات عنه . كما ورد عند الخوارزمي إسم عمر بن علي ﷺ في شهداء كربلاء ، ولم يكن فيه عمر بن علي ﷺ ، ولم يرد ذكره في زيارة الناحية المقدسة . وقد تصور بعضهم أنه كان لعلي ﷺ ولدان باسم

عمر ، وهو اشتباه . راجع مستدركات رجال الحديث: ١٠١/٦ .

كما ورد إسم عمر بن علي مكان أخيه عبيدة الله بن علي ، الذي قتل مع مصعب بن الزبير ، وال الصحيح أنه عبيدة الله كما ورد اسمه في الخرائج: (عن أبي جعفر عليهما السلام) قال: جمع أمير المؤمنين عليهما السلام بنيه وهم إثنا عشر ذكراً ، فقال لهم: إن الله أحب أن يجعل في سنة من يعقوب إذ جمع بنيه وهم إثنا عشر ذكراً ف قال لهم: إني أوصي إلى يوسف فاسمعوا له وأطيعوا ، وأنا أوصي إلى الحسن والحسين فاسمعوا لهما وأطيعوا . فقال له عبدالله ابنه: أدون محمد بن علي؟ يعني محمد بن الحنفية . فقال له: أجرأة علي في حياتي ! كأنني بك قد وجدت مذبوحاً في فساطتك لا يدرى من قتلك !

فلما كان في زمان المختار أتاه فقال: لست هناك ! (لست أهلاً للخلافة) فغضب ، فذهب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة فقال: ولني قتال أهل الكوفة ، فكان على مقدمة مصعب ، فالستقا بحروراء فلما حجز الليل بينهم أصبحوا وقد وجدوه مذبوحاً في فساطته ، لا يدرى من قتلهم !

-٣- روت المصادر أن الحجاج كان يحرّض عمر بن علي أن ينزع الإمام علي وينزع الحسن المثنى عليهما السلام في ولاية الأوقاف ، ففي عمدة الطالب: (٩٩) كان الحسن بن الحسن يتولى صدقات أمير المؤمنين علي عليهما السلام ونazuعه فيها زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام سلمها له . فلما كان زمن الحجاج سأله عمّه عمر بن علي أن يشركه فيها فأبى عليه فاستشفع عمر بالحجاج ، فبينما الحسن يسابر الحجاج ذات يوم قال: يا أبا محمد إن عمر بن علي عمه وبقيه ولد أبيك ، فأشركه معك في صدقات أبيه . فقال الحسن: والله لا أغيّر ما شرطت عليها ، ولا أدخل فيها من لم يدخله ، وكان أمير المؤمنين عليهما السلام قد شرط أن

يتولى صدقاته ولده من فاطمة بنت أبيه دون غيرهم من أولاده .

فقال الحجاج: إذن أدخله معك ! فنكص عنه الحسن حين سمع كلامه ، وذهب من فوره إلى الشام فمكث بباب عبد الملك بن مروان شهراً لا يؤذن له ذكر ذلك ليعيسى بن أم الحكم وهي بنت مروان وأبوه ثقفي ، فقال: له سأستأذن لك عليه وأرفك عنده . وكان يحيى قد خرج من عند عبد الملك فكر راجعاً فلما رأه عبد الملك قال: يا يحيى لم رجعتَ وقد خرجمتَ آنفاً؟ فقال: لأمر لم يسعني تأخيره دون أن أخبر به أمير المؤمنين . قال: وما هو؟ قال هذا الحسن بن الحسن بن علي بالباب ، له مدة شهر لا يؤذن له ، وإن له ولائيه وجده شيعة يرون أن يموتونا عن آخرهم ولا يبالوا أحداً منهم ضرّ ولا أذى . فأمر عبد الملك بإدخاله ودخل ، فأعظمه وأكرمه وأجلسه معه على سريره ، ثم قال: لقد أسرع إليك الشيب يا أبا محمد ! فقال يحيى: وما يمنعه من ذلك أمانى أهل العراق ! يربد عليه الوفد بعد الوفد يمنونه الخلافة . فغضض الحسن من هذا الكلام وقال له: بشن الرفد رفت ، ليس كما زعمت ، ولكننا قوم تقبل علينا نساؤنا فيسرع إلينا الشيب . فقال له عبد الملك: ما الذي جاء بك يا أبا محمد ؟ فذكر له حكاية عمته عمرو أن الحجاج يربد أن يدخله معه في صدقات جده . فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً أن لا يعارض الحسن بن الحسن في صدقات جده ، ولا يدخل معه من لم يدخله على شقيقه. وكتب في آخر الكتاب: إنما إذا مالت دواعي الهوى..الأبيات . وختم الكتاب وسلمه إليه ، وأمر له بجائزه وصرفه مكرماً .

فلما خرج من عند عبد الملك لحقه يحيى بن أم الحكم فقال له الحسن: بشن والله الرفد رفت ، ما زدت على أن أغريته بي ! فقال له يحيى: والله ما

عدوتك نصيحة، ولا يزال يهابك بعدها أبداً ! ولو لا هيبتك ما قضى لك حاجة! وكان الحسن بن الحسن شهد الطف مع عمه الحسين عليهما السلام وأخوه بالجراح فلما أرادوا أخذ الرؤوس وجدوا به رمقاً، فقال أسماء بن خارجة بن عبيدة بن خضر بن حذيفة بن بدر الفزارى: دعوه لي فإن وبه الأمير عبد الله بن زياد لي وإلا رأيه فيه. فتركوه له فحمله إلى الكوفة ، وحكوا ذلك لعبد الله بن زياد فقال: دعوا لأبي حسان بن أخته ، وعالجه أسماء حتى برئ ثم لحق بالمدينت . وكان عبد الرحمن بن الأشعث قد دعا إليه وبايده ، فلما قتل عبد الرحمن توارى الحسن حتى دس إليه الوليد بن عبد الملك من سقاء سما فمات وعمره إذا ذلك خمس وثلاثون سنة ، وكان يشبه برسول الله عليه السلام . وفي الإرشاد: (أما الحسن بن الحسن فكان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً ، وكان يلي صدقات أمير المؤمنين عليهما السلام في وقته... إلى آخر ما تقدم من عمدة الطالب . ونحوه إعلام الورى: ٤٦١، والدر النظيم: ٥١٨، ورواه العديد من مصادرهم كتاب تاريخ دمشق: ٥١٣، وأنساب الأشراف: ٧٥٢، وتهذيب الكمال: ٩٢٦، وبغية الطلب: ٢٣١٩/٥، ونسب قريش: ٢٩، لكن قالوا في أوله: وكان الحسن بن الحسن وصي أبيه وولي صدقة علي . وذكر بعضهم أنه نازع الإمام زين العابدين عليهما السلام في ولادة الصدقات)

أقول: هذا من تحريفاتهم ، لأنهم رووا أن وصي الإمام الحسن هو أخيه الحسين عليهما السلام وأن أوقاف النبي عليه السلام والعترة كانت بيد الحسين عليهما السلام وأن الإمام زين العابدين كان وصيه عليهما السلام . ومن البعيد أن يكون صهره الحسن المنشى عليه السلام نازعه فيها ، فالمرجح أن الإمام علي عليه السلام خوله ولايتها ووجهه كيف يتصرف .

○ ○

(تم الكتاب والحمد لله رب العالمين)

فهرس المجلد الرابع من جواهر التاريخ

الفصل الأول: معالم شخصية الإمام زين العابدين ع

٧.....	خطاً الصور السائد عن عمل الإمام زين العابدين ع
٨.....	سمة رُبّه: زين العابدين وسيد العابدين!
٩.....	كتبه وألقابه وصفاته البدنية ع
١٧.....	ابن سيد العرب وسيدة الفرس
١٨.....	شاعر الله!
٢٣.....	صاحب فلسفة جمالية
٢٧.....	عبودية واعية وإنسانية راقية
٣٢.....	صاحب رسالة حقوق الإنسان وواجباته
٣٥.....	مولد الإمام ع وشهادته مسوماً بيد ابن عبد الملك
٣٨.....	عاش الإمام خمساً وثلاثين سنة بعد أبيه الحسين ع
٤٢.....	أزال التوابع مشهد الإمام زين العابدين ع في دمشق

الفصل الثاني: معجزات الإمام زين العابدين ع

٤٩.....	اعترفوا بأنه ولِيُّ يملِك الاسم الأعظم
٥٣.....	الأئمة ع لا يطلبون من ربهم المعجزة إلا أن يأذن لهم

الفصل الثالث: الإمام زين العابدين ع في كربلاء

٥٧.....	بقية السيف أنمى عدداً
٥٧.....	يوم غادر المدينة مع أبيه الحسين ع

فهرس المجلد الرابع من جواهر التاريخ ٤٧٥

٣-	روى مشهد ليلة عاشوراء..... ٦١
٤-	روى دعاء أبيه عليهما السلام وخطبته صبيحة عاشوراء..... ٦١
٥-	ضمّن أبي الى صدره يوم قُتل والدماء تغلّى ! ٦٤
٦-	حاول الإمام زين العابدين عليهما السلام التزول الى المعركة..... ٦٤
٧-	هياً الله له من يحميه في كربلاء ٦٥
٨-	لما نظر الى أبيه عليهما السلام وأصحابه صرعي ٦٦
٩-	مع الرؤوس الظاهرة والسبايا والأسرى الى الكوفة ! ٦٨
١٠-	خطبة الإمام زين العابدين عليهما السلام والسيدة زينب في الكوفة ! ٧٠
١١-	خطبة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام في الكوفة ٧٤
١٢-	في قصر ابن زياد بالكوفة ٧٦
١٣-	رجوع الإمام عليهما السلام الى كربلاء بمعجزة لدفن الأجساد الظاهرة ٧٩
١٤-	الأسرى والسبايا والرؤوس من الكوفة الى الشام ! ٨٠
١٥-	خط سير قافلة الأسرى من أهل البيت عليهما السلام ٨١
١٦-	عاصمة خلافة النبي عليهما السلام تستقبل رؤوس آل النبي عليهما السلام ٨٢
١٧-	برنامج يزيد للإمام زين العابدين عليهما السلام والأسرى في الشام ٨٣
١٨-	دخول أسرى أهل البيت عليهما السلام الى دمشق ٨٦
١٩-	خطبة السيدة زينب أم الطاغية يزيد ! ٩٢
٢٠-	خطبة الإمام زين العابدين عليهما السلام أمام يزيد ٩٥
٢١-	رسول ملك الروم وخبير يهودي يستنكران على يزيد ! ٩٦
٢٢-	شهادة المدائني بأن يزيداً أمر بقتل الإمام زين العابدين عليهما السلام ! ٩٧
٢٣-	عندما مر الإمام زين العابدين عليهما السلام في أسواق دمشق ٩٨
٢٤-	عودة الأسرى والسبايا من الشام باتجاه المدينة ٩٨
٢٥-	قافلة أهل البيت عليهما السلام في كربلاء في زيارة الأربعين ٩٩
٢٦-	عودة الإمام عليهما السلام الى مدينة جده ١٠١

جوهر التاريخ ج ٤.....٤٧٦

١٠٤.....	٢٧ - تسلم الإمام وصية والده <small>عليه السلام</small> من أم سلمة
١٠٥.....	٢٨ - الإمام زين العابدين يُخَلِّد شهادة أبيه <small>عليه السلام</small> في ضمير الأمة
١١٠.....	٢٩ - من تزويرات ابن تيمية والذهبي ضد الإمام وأهل البيت <small>عليهم السلام</small>

الفصل الرابع: تلاميذ الإمام زين العابدين عليه السلام و أصحابه

١١٥.....	١ - تلاميذه <small>عليه السلام</small> والرواية عنه.
١١٧.....	٢ - تلميذه محمد بن شهاب الزهرى
١٣٤.....	٣ - مذهب الزهرى وأشياهه في حب أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٤٢.....	٤ - تلاميذه وحواريه الشيعة

الفصل الخامس: علاقاته مع شخصيات المجتمع ورجال الدولة

١٤٥.....	١ - علاقته مع المُبَادِ والمتصوفين
١٤٧.....	٢ - علاقته مع عبدالله بن عمر
١٤٨.....	٣ - علاقته مع يزيد بن معاوية
١٤٩.....	٤ - علاقته مع معاوية بن يزيد
١٤٩.....	٥ - علاقته مع مروان بن الحكم
١٥٧.....	٦ - علاقته مع عبد الملك بن مروان
١٧٠.....	٧ - علاقة الإمام <small>عليه السلام</small> مع الحجاج بن يوسف الثقفي
١٧٥.....	٨ - علاقته <small>عليه السلام</small> مع الناصبي المتطرف ابن الزبير
١٨٢.....	٩ - مع الشاب المترف عمر بن عبد العزيز
١٨٥.....	١٠ - علاقة الإمام <small>عليه السلام</small> مع الخوارج

الفصل السادس: مكانة الإمام زين العابدين عليه السلام في الأمة

١٩١.....	١ - الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> محظوظ الجماهير
----------	---

فهرس المجلد الرابع من جواهر التاريخ.....	٤٧٧
٢- الإمام زين العابدين علیه السلام قدیس الأمة.....	١٩٩
٣- لماذا لم يستند الإمام علیه السلام من شعیته لإقامة الدولة الإسلامية؟.....	٢٠١
٤- أهداف المعصومین علیهم السلام عالیة و بعيدة النظر.....	٢٠٥
٥- هل أجاز الإمام الصادق علیه السلام ثورة زید بن حبابة؟.....	٢١١
الفصل السابع: الإمام علیه السلام يواجه التحریف الأموي	
١- حبوبة يحيى علیه السلام و حبوبة أهل البيت علیهم السلام.....	٢١٩
٢- من مواجهات الإمام علیه السلام للتحریف الأموي.....	٤٢٣
الفصل الثامن: الإمام علیه السلام يُشيد بصرح التشیع	
١- استأنف الإمام علیه السلام بناء المجتمع الشیعی من جديد.....	٢٣٧
٢- رغم الظروف كان الإمام علیه السلام يجهز بالتشیع و يُعلن صرحة !.....	٢٤٣
٣- روی أحداً ثبت في الأئمة الاثني عشر علیهم السلام.....	٢٤٥
٤- وكان يعتقد الأنصار أنهم نكثوا بيعتهم لرسول الله علیه السلام.....	٢٤٦
٥- وكان يبشر بالمهدي علیه السلام وأنه من ولده وبعد الله ورسول الله علیهم السلام.....	٢٤٧
٦- ورد في حديثهم الموضوع: خير القرون قرنی ثم الذي يليه!.....	٢٤٧
٧- وكان يصرّح بأن الله فرض الخمس لأهل بيته علیهم السلام.....	٢٤٩
٨- وكان علیه السلام يجهز بأن الصلاة على آل محمد علیهم السلام فريضة.....	٢٤٩
٩- وكان يبشر شیعة أهل البيت علیهم السلام رغم الإضطهاد الذي يعيشون فيه.....	٢٥١
١٠- كذبوا على لسانه علیهم السلام حديث: أحبونا حب الإسلام لا حب الأصنام!.....	٢٥١
١١- وكان يجهز بتفاصيل أمیر المؤمنین علیهم السلام في مواجهة سياسة الأمويين.....	٢٥٢
١٢- وكان يمدح الصحابة المخلصين و يعرض بالمنحرفين.....	٢٥٣
١٣- ويكشف المكذوبات لتفصيل أبي بكر!.....	٢٥٤
١٤- كذبوا على لسانه علیهم السلام أحاديث في مدح أبي بكر و عمر!.....	٢٥٥

جوهر التاريخ ج ٤.....٤٧٨

١٥ - وكذبوا على لسانه بأنه طعن في جده علي عليهما السلام!	٢٥٦
١٦ - وكذبوا عليه بغارى أو شراحه بأنه جوز أكثر من أربعة نساء !	٢٦٠
١٧ - وكذبوا على النبي عليهما السلام حديث ذم الأفارقة ونسيه روایته الى الإمام علي عليهما السلام!	٢٦١
 أصحاب الإمام الخاقان الذين شيد بهم المجتمع الشيعي.....	٢٦٣
١ - يحيى بن أم الطويل المطعمي عليهما السلام.....	٢٦٥
٢ - سعيد بن المسيب بن حَرَّان بن أبي وهب المخزومي عليهما السلام.....	٢٧٠
٣ - القاسم بن محمد بن أبي بكر عليهما السلام.....	٢٨٠
٤ - حكيم بن جابر بن مطرهم عليهما السلام.....	٢٨٤
٥ - كميل بن زياد التخعي عليهما السلام.....	٢٩٥
٦ - سعيد بن جابر الأسدي عليهما السلام.....	٢٩٧

الفصل التاسع: عاصر الإمام علي عليهما السلام ثلث ثورات ولم يخضع لضغوطها

١ - ثورة أهل المدينة وقعة الحرة.....	٣٢١
٢ - خطر جيش يزيد على حياة الإمام علي عليهما السلام.....	٣٢٣
٣ - فرحة أطفالبني هاشم والأنصار بهلاك طاغيين.....	٣٣٣
٤ - ثورة التوابين.....	٣٣٧
٥ - التوابون قادة وشخصيات وفرسان مميزون !	٣٤٣
٦ - معركة عين الوردة.....	٣٤٥
٧ - بقية التوابين الذين انسحبوا.....	٣٤٧
٨ - فرحة عبد الملك بانتصاره على التوابين.....	٣٤٨
٩ - ثورة المختار الثقفي وإبراهيم بن مالك الأشتر عليهما السلام.....	٣٥٠
١٠ - بداية حركة المختار عليهما السلام.....	٣٥٠
١١ - بايع المختار ابن الزبير وقاتل معه !	٣٥٢
١٢ - إبراهيم بن الأشتر عليهما السلام القائد الأساسي في ثورة المختار	٣٥٣

فهرس المجلد الرابع من جواهر التاريخ.....٤٧٩

٣٥٨	أتباع الخلافة يُكذبون لتشويه شخصية المختار المختار يقتل مئات من شركوا في دم الحسين المختار يُخَلِّص بنى هاشم من أظافر ابن الزبير !
٣٦٣	(الخبيثة) هم الشيعة الذين حفظوا حرمة الكعبة !
٣٧٠	تحفظ أهل البيتمن المختار ومدحهم له وترحّمهم عليه فعاليات المختار الواسعة في مدة حكمه القصيرة !
٣٧١	معنى الأخذ بثار الإمام الحسين صعب بن الزبير يهاجم الكوفة ويقتل المختار
٣٧٧	اعتراض الفقهاء على مصعب لإسرافه في سفك دماء الشيعة !
٣٨٤	إبراهيم بن الأشتر ينضم إلى مصعب ضد بنى أمية
٣٨٩	عركة عبد الملك مع مصعب وابن الأشتر عبد الملك يبعث الحجاج لقتال ابن الزبير في مكة
٣٩٠	عبد الملك يترك لابنه الوليد جريمة قتل الإمام زين العابدين الوليد بن عبد الملك قاتل الإمام زين العابدين ١- روى محبوه أنه كان يقتل حتى علماء البلاط !
٣٩٤	٢- ورووا قتله لخبيب بن عبد الله بن الزبير !
٣٩٥	٣- وقتله لابن عروة بن الزبير !
٤٠٠	٤- وأمر واليه بإهانة الحسن المثنىفعلم الإمام عَلَيْهِ السَّبَقُ دعاءً فأنجاه الله !
٤٠٥	٥- وكان يجر الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّبَقُ على الخروج لاستقباله !
	٦- وكان متنهكاً يشرب ويفحش !
	٧- وكان يقول عن جلوازه الحجاج إنه جلد وجهي كله !
	٨- وكان المنصور العباسي معجبًا بطاعة الحجاج للوليد !

الفصل العاشر: الوليد بن عبد الملك قاتل الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّبَقُ

٤١١	عبد الملك يترك لابنه الوليد جريمة قتل الإمام عَلَيْهِ السَّبَقُ الوليد بن عبد الملك قاتل الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّبَقُ
٤١٣	١- روى محبوه أنه كان يقتل حتى علماء البلاط !
٤١٤	٢- ورووا قتله لخبيب بن عبد الله بن الزبير !
٤١٥	٣- وقتله لابن عروة بن الزبير !
٤١٦	٤- وأمر واليه بإهانة الحسن المثنىفعلم الإمام عَلَيْهِ السَّبَقُ دعاءً فأنجاه الله !
٤١٦	٥- وكان يجر الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّبَقُ على الخروج لاستقباله !
٤١٦	٦- وكان متنهكاً يشرب ويفحش !
٤١٧	٧- وكان يقول عن جلوازه الحجاج إنه جلد وجهي كله !
٤١٧	٨- وكان المنصور العباسي معجبًا بطاعة الحجاج للوليد !

جواهر التاريخ ج ٤.....	٤٨٠
٩ - وكان الوليد يكره عمر بن عبد العزيز !	٤١٨
١٠ - وكان الوليد ناصبياً يبغض علياً علّيَّهُ بغضناً شديداً !	٤١٩
١١ - وكان يتمم عائشة ويطعن فيها !	٤٢١
١٢ - وافتوى على علي علّيَّهُ بأنه كان لا تأمن منه جاراته !	٤٢٢
١٣ - ومع تنصبه كان يسأل عن آيات قتل الحسين علّيَّهُ !	٤٢٢
١٤ - وروروا أن الوليد طاغية جبار بنص النبي علّيَّهُ !	٤٢٣
١٥ - أعلن واليه تفضيله على الخليل إبراهيم علّيَّهُ !	٤٢٤
١٦ - وزعم الوليد أن الخليفة لا تكتب عليه السينات مهما فعل !	٤٢٤
١٧ - تحرك بعد موته فتصوروا أنه يعذب ، فدفونه وهو حي !	٤٢٥
منهجهم في تلميع خلفائهم.....	٤٢٧

الفصل الحادي عشر: الإمام علّيَّهُ والطامعون في أوقاف النبي علّيَّهُ

سب معاداة المعادين للأئمة علّيَّهُ: الحسد والطعم	٤٣٥
مالية النبي علّيَّهُ	٤٣٦
مالية النبي علّيَّهُ كلها لأهل بيته علّيَّهُ	٤٣٦
أين صارت مالية النبي علّيَّهُ بعد وفاته؟	٤٥٤
النبي علّيَّهُ يوجه أهل البيت علّيَّهُ إلى تكوين مالية خاصة	٤٥٧
ينبع بلد علي وأهل البيت علّيَّهُ	٤٦٢
الإمام زين العابدين علّيَّهُ يتولى صدقات النبي وآلِه علّيَّهُ !	٤٦٥
ملاحظات على صدقات النبي وآلِه علّيَّهُ	٤٦٩

هذا الكتاب ..

خلاصة لصمود خط أهل البيت النبوي عليهما السلام
في مواجهة الظلم والجور ، من بعد
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عصراً هذا .

وهو عرض تاريخي لفعاليات الحكم ،
ومواجهة أهل البيت عليهم السلام لها بالصبر والتحمل
والنبل ، وجهودهم لثبتت معالم الإسلام وقيمه
السامية .

دار ابن حجر
للطباعة والنشر